الموسوعة
الفلسطينية

الموسوعة الفلسطينية

القسم العام
في اربعة مجلدات

المجلد الثاني
(ج - ش)

الطبعة الاولى ١٩٨٤

اصـــدار
هيـئة الموسوعـة الفـلسطينية

احـمد المرعشلي
رئيس مجلس الادارة

عبد الهـادي هـاشم
رئيس التحرير

انـيس صـايـغ
المـــتـشـار

جميع الحقوق محفوظة لهيئة الموسوعة الفلسطينية

دمشق
ص.ب ٨٤٤٠٨

جـاحولا (قرية ـ) :

قرية عربية تقع إلى الشمال الشرقي من مـدينة صفـد * ، وإلى الغـرب من الطريق الرئيسة الواصلة بين طبريـة * والمطلة ، بعد أن تلتقي تلك الطريق بـطريق رئيسة أخرى قادمة من جهة الغرب من كفر بـرعم * ، وتمتد إلى الغرب منها طـريق رئيسة أخرى تصل بين قَدَس * وهونين * . وإلى الشـرق منها يجري نهر الأردن * ، وتبعـد نحو كيلومترين إلى الشمال الشرقي من قرية النبي يوشع * ، وأربعـة كيلومترات إلى الشمال من الملاّحة * . وترتبط جاحولا بالطريق الرئيسة الواصلة بين طبرية والمطلة بطريق ممهدة تعد الطريق الوحيدة التي تنتهي إلى القرية .

قامت القرية عند أقدام الحافة الجبلية الغربية لمنخفض الحولة ، في ظلّ كتف وادي العرايس الشرقي ، وترتفع ١٥٠ م فوق سـطح البحـر . بلغت مساحة القرية ٦٤ دونمًا ، وامتدت بشكل طـولي شمالي جنوبي ، لكن نموها العمراني كان أسـرع باتجـاه الطريق التي تنتهي إليها . وإلى الشمال من القرية مباشرة تقع عين البَلاطة التي كـانت تزوّد سكّـان القـرية بمياه الشـرب . وقـد أقيم عـلى بعـد كيلومتر واحد إلى الشـمال منها مقام الشيخ صـالح حيـث يوجد مـسجد القرية . وتقوم بعض مقالع الحجارة شمالي القرية .

بلغت مسـاحة الأراضي التابعة للقـرية ٣,٨٦٩ دونمًا ، منها ١٣٨ دونمًا للطرق * والأودية . وانتشـرت الأراضي الزراعيـة على جانبي طريق طبـرية ـ المطلة الرئيسـة ، وكذلـك إلى الجنوب من القرية ، وتشغل معظمهـا بسـاتين الفواكـه . وكانت مهنـة السـكان الرئيسة الزراعة * ، وعمل بعضهم في مقالـع الحجارة القـريبة من القرية . وتحيط بأراضي جاحولا أراضي امتيازَ الحولة والسويزية * وقَدَس والنبي يوشع وبيسمون * .

بلغ عـدد سكان جـاحولا في عـام ١٩٢٢ نحو ٢١٤ نسـمة ، وارتفع عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٣٥٧ نسـمة كانوا يقطنون في ٩٠ مسكنًا ، وبلغ عددهم ٤٢٠ نسمة في عام ١٩٤٥ .

دمر الصهيونيون القرية ، ونسّتوا أهلها في عام ١٩٤٨ .

المراجـع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦، ق ١، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الحولة .

جار الله بن أبي بكر بن محمد الحصكفي

(ـ ١٠٢٨ هـ)
(ـ ١٦١٨ م) :

ويعرف بابن أبي اللطف الحصكفي ، نسبة إلى حصن كيفا . نشأ الشيخ جار الله في القدس *، واشتغل بالعلم ، وقرأ العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وغير ذلك من العلوم ، وأخذ عن عمه شيخ الإسلام محمد بن أبي اللطف الحصكفي * المقدسي .

توجه إلى مصر طالبا العلم ، وقرأ فيها الفقه والعربية وغيرهما من العلوم ، وحصل على الإجازة .

وكان قد توجه إلى الشام ؛ فقد ذكر البوريني أنه اجتمع به عدة مرات هناك وذاكره في مسائل فوجده " فاضلا متوسط الرتبة في الفضيلة " .

وأصبح الشيخ جار الله عالما فاضلا ، ووصف بأنه كان واسطة عقد البيت اللطفي ومرجع العلماء في بيت المقدس .

اشتغل الشيخ جار الله بالتدريس والإفتاء ، فقد ولي إفتاء الحنفية في بيت المقدس ، وولي التدريس بالمدرسة العثمانية في بيت المقدس أيضا ، وذلك بعد موت عمه الذي كان يتولى هاتين الوظيفتين . وكان الشيخ جار الله قد توجه إلى باب السلطنة بالقسطنطينية ، فتقرر أن يتولى وظيفتي الإفتاء والتدريس بمراسيم سلطانية ، ثم عاد إلى بيت المقدس وتسلم مقاليد الرياسة فيه ، كما يقول البوريني .

توفي الشيخ جار الله في بيت المقدس .

المراجع :

ـ المحبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، القاهرة ١٢٨٤ هـ .
ـ نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، بيروت ١٩٦٣ .
ـ البوريني : تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، دمشق ١٩٦٣ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٩ .

جار الله بن محمد بن أبي اللطف الحصكفي

(١٠٩٠ ـ ١١٤٤ هـ)
(١٦٨٠ ـ ١٧٣٢ م) :

المعروف بابن أبي اللطف المقدسي . من أسرة بني اللطف في القدس . أديب ، فقيه ، ولد في القدس * ، وتلقى العلم على شيوخ بلده ، ثم صار خطيبا في المسجد الأقصى * ، ومدرّسا في المدرسة الصلاحية (رَ : الكلية الصلاحية) . قدم جار الله دمشق سنة ١١٣٢هـ /١٧٢٠م وتولى فيها نيابة الحكم في المحكمة الكبرى . ثم انتقل بعد مدة إلى القدس ورشح ليكون مفتيا للحنفية . (رَ : المذهب الحنفي). ولما سافر إلى دار الخلافة بالآستانة لجلب الفتوى تولي في الطريق .

المراجع :

ـ محمد خليل المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، القاهرة ١٣٠١ هـ .

جازر (مدينة ـ) : رَ : الجزر (تل ـ) .

الجاعونة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع إلى الشرق من صفد *، على بعد ١٠ كم منها . نشأت في أسفل جبل كنعان على ارتفاع ٤٥٠ م فوق سطح البحر من جهة الشرق حيث تخرج منها طرق إلى جسر بنات يعقوب ١١ كم ، والمطلة ٤١ كم ، وطبرية * ٢٥ كم . وكانت أراضيها واسعة إلى أن استولى الصهيونيون في العهد العثماني على معظمها وأقاموا عليها مستعمرة « روشبينا » . ولم يبق لعرب الجاعونة إلاّ ٨٣٩ دونما تزرع فيها الحبوب * والزيتون * والتين والصبر والعنب * .

وتعتمد الزراعة * على الأمطار التي تهطل بكميات كافية . أما مصادر المياه الأخرى فقليلة . وتحيط بالجاعونة قرى فرعم * وبيريا * والعمّوقة * .

في سنة ١٩٣١ كان عدد سكانها ٧٩٩ نسمة ، وبلغ عددهم سنة ١٩٤٥ ١,١٥٠ نسمة كانوا يعيشون من زراعتهم ومواشيهم ومن الاشتغال في البناء وأعمال الطرق . وكانت لهم مدرسة ابتدائية ذات ستة صفوف .

شارك أهل الجاعونة في عدة معارك واشتهر منهم القائد الشهيد عبد الله الأصبح * . وعلى أثر نكبة ١٩٤٨ لجأ سكان الجاعونة إلى الأراضي السورية .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .

الجماعونة (معركة ــ) : رَ : نورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩

جــالود (نهــر ــ) :

من أهم الأنهار الغربية الرافدة لنهر الأردن * بعد بحيرة طبرية * . وهو يصرف مياه قسم كبير من مرتفعات فلسطين المطلة على غور الأردن من جهة الغرب ، ابتداء من سهل مرج ابن عامر * في غرب الشمال الغربي ، وانتهاء بغور بيسان في شرق الجنوب الشرقي . كما يصرف مياه جبل فقُوعة التي تسيل في الجانب الجنوبي الغربي من واديه ، ومياه منطقة الطيبة المحصورة بين جبل الدّحي وكوكب الهوا * ، والواقعة كلها شمال الشمال الشرقي لنوادي . فحوض نهر جالود وشبكة مياهه من الأحواض الصغيرة التابعة لحوض نهر الأردن .

أ ـ جغرافية النهر : تتشكل بدايات نهر جالود في الغرب من أودية سيلية صغيرة تنحدر من السفوح الجنوبية والجنوبية الغربية لجبل الدّحي (٥١٥ م) ، ومن أودية سيلية أخرى تتجمع شرقي بلدة العفّولة * ، لتسير جنوبا شرقيا باتجاه أراضي قرية زرعين .

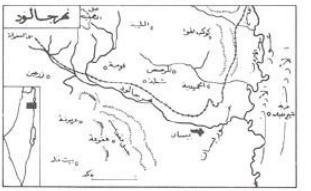

وعلى هذا الأساس تتشكل كتلة جبل الدّحي خط تقسيم مياه بين نهر جالود في الجنوب ووادي طابور في الشمال . كما تتشكل أراضي منطقة العفّولة خط تقسيم للمياه بين أعالي نهر جالود ويدايات نهر المقطّع * المار بسهل مرج ابن عامر والمتجه شمالا غربيا إلى خليج عكا * على البحر المتوسط . ويختلف خط تقسيم مياه العفّولة عن مثيله في جبل الدّحي بكونه قليل الارتفاع . وتأخذ معالم نهر جالود بالوضوح شمال قرية زرعين ، عندما يدخل الأراضي الواقعة دون مستوى سطح البحر .

يتلقى نهر جالود مياه نبع يتدفق من مغارة صخرية شرق قرية زرعين . ثم يتابع سيره نحو شرق الجنوب الشرقي في وادٍ عريض نسبيا تشرف عليه من جهة الشمال تلال قليلة الارتفاع فوق مستوى النهر ١٥٠ ـ ٢٠٠ م ، في حين تطل عليه سفوح شديدة الانحدار من الجنوب ، هي صفحات جبل فقُوعة التي ترتفع فوق المستوى العام للنهر مقدار ٤٠٠ ـ ٥٠٠ م . ويزداد اتساع الوادي وانبساط أرضه بين الجبل والتلال المذكورة كلما تقدم إلى الجنوب الشرقي ، حتى يصبح العرض ٢,٥ ـ ٣ كم غرب مدينة بيسان * . ويتغذى نهر جالود بمياه الأودية الهابطة من المرتفعات المطلة عليه ، وبالعيون والينابيع المنبثقة من أقدام جبل فقوعة ، وأهمها عين عيسى على بعد ٥ كم غرب بيسان . وهذه المصادر المائية هي التي جعلت جالود نهرا تسيل المياه في سريره بدءاً من شرقي أراضي قرية زرعين ، وتستمر في الجريان مع تزايد الغزارة حتى نقطة التقاء جالود بنهر الأردن .

ويصبح عمور جريان النهر شرقيا ـ غربيا عند تل الزهرة البارز فوق أرض سهل بيسان المنبسطة . ويمر بين مدينة بيسان الواقعة جنوبه وتل الحصن الواقع شماله ، ثم يدخل أراضي زور الأردن وتلاله الغربية المؤلفة من صخور طرية يحزّ النهر فيها مجراه بحافات وجوانب شديدة الانحدار أو قائمة . ويتجه النهر بعد ذلك شمالا شرقيا بتعرجات كثيرة ، وتلتقي مياهه بمياه نهر الأردن مقابل خربة الشيخ عليان الأردنية .

وطول نهر جالود ، من بداياته في جبل الدّحي وأراضي العفولة حتى نهر الأردن ، ٣١ كم . أما طول القسم الذي يستمر فيه جريان الماء فينخفض إلى ما بين ٢٠ و٢٢كم ، بل إلى أقل من ذلك ، تبعا لغزارة الينابيع العليا في بطن الوادي وجوانبه . ويراوح متوسط الأمطار السنوي في حوض نهر جالود بين ٣٠٠ و٤٥٠ مم ، مع درجات حرارة سنوية متوسطة بين ١٨° و٢٣° ، وتبخر سنوي بين ١,١٠٠ و١,٤٠٠ مم . وتزداد درجات الحرارة ونسبة التبخر مع تناقص كميات الأمطار شرقا باتجاه غور الأردن .

أما نظام الجريان في نهر جالود فيعتمد على تغذية غير مباشرة بالعيون والينابيع والمياه الباطنية في سرير النهر ، مما يساعد على إبقاء حيط الماء مستمر الجريان في قسم كبير منه طوال السنة ، كما يعتمد على تغذية مباشرة بالأمطار التي تزيده غزارة وتوصل عرضه إلى ما بين ثلاثة أمتار وخمسة .

ب ـ أصل وادي جالود : يحتل نهر جالود أخفض نقاط الوادي الذي يسيل فيه . ويصل عرض الوادي إلى ٣ كم ، ويقارب عمقه المتوسط ١٠٠ م . لكن جوانبه الجنوبية ترتفع أكثر من ٥٠٠ م في جبل فقُوعة . وتحزّ المياه خط جريانها ضمن ترسبات طرية يتألف معظمها من اللحفيات النهرية ـ السيلية العائدة للحقبة الرابعة الجيولوجية الحديثة ، ومن توضعات الترافرتان الرباعية في المجرى الأدنى لنهر جالود وفي منطقة غور بيسان . أما في منطقة المصب فتتألف المواد الرباعية الطرية من توضعات بحيرة اللسان . وتتصل الرباعيات اللحفية بمثيلاتها في سهل مرج ابن عامر ووادي نهر المقطّع وسهل عكا * ـ حيفا دون انقطاع . أما صخور المرتفعات المشرفة على شريط الوادي فهي في الشمال بركانية ـ اندفاعية يرجع عمرها

إلى أواخر الحقبة الثالثة الجيولوجية ، وإلى الحقبة الرابعة ، وكلسية مارنية دولوميتية في الجنوب تعود إلى الحقبتين الثانية والثالثة الجيولوجيتين .

وبالرغم من شدة انحدار المقطع الطولي للنهر بين ١٠ م فوق مستوى سطح البحر في أراضي قرية زرعين ، و٢٦٤ م دون مستوى البحر عند مصبه في نهر الأردن ، فإنه نهر صغير غير قادر على تكوين وديه الحالي بالحت والحفر المائيين . ويفسر الوضع البنائي التكتوني للمنطقة هذا الأمر ، إذ لا يوجد خط صدع (انكسار) كبير يسابر محور الوادي عند أقدام جبل قفوعة ، وينحرف في الشرق نحو الجنوب ليسابر محور وادي الأردن . ونتيجة لهذه الحركة الصدعية نهضت كتلة جبل قفوعة ، وخفضت منطقة وادي جالود التي وصلت إليها الاندفاعات البركانية من الشمال لترسم أطراف الوادي الشمالية وتندس تحت المواد اللحقية الحديثة .

وهكذا فإن أصل وادي جالود بنائي صدعي ، وليس حتيّا جيومورفولوجيا . فهو وادٍ مفروض رسمت الحركات الأرضية خط سيره الذي استفادت منه المياه وشكلت نهر جالود . ووادي جالود عامة هو النهاية الجنوبية الشرقية لسلسلة متعاقبة من المنخفضات والأودية المتصلة بين غور بيسان وخليج عكا على امتداد محور شماليّ غربيّ ـ جنوبيّ شرقيّ ، نشأت نتيجة الحركات الأرضية الصدعية . وفي هذا المنخفض الطولي لوادي جالود الذي ينضرج ويعرض بالتحامه بغور بيسان توضعت اللحقيات الرباعية من أصل بازلتي وكلسي مارني لتشكل وادي جالود الحالي .

جـ ـ الوضع الاقتصادي : عمّر الإنسان منطقة وادي جالود واستفاد من تربتها ومياهها ومناخها منذ القدم . لكنه تحاشى في تجمعاته السكنية ونشاطه الاقتصادي ضفاف النهر وشريط السهل الفيضي ، واكتفى بالسفوح المطلة على الوادي ربما ظهور التلال وقممها . ويرجع السبب في ذلك إلى النظام المائي لنهر جالود ، إذ تطغى مياه السيول والفيضان على الأراضي المنبسطة فتغرقها وتخلف المستنقعات وراءها . وتتزايد هذه المستنقعات باتجاه أراضي غور بيسان ذات التربة غير المنفذة للماء . وكانت هذه المستنقعات التي تنمو فيها النباتات المائية مظهرا مميزا لوادي نهر جالود في قسميه الأوسط والأدنى . وقد قام السكان العرب بتجفيف الكثير منها وتليها أرضا زراعية . وتزرع في المساحات الممتدة عن خطر الفيضان الحبوب والأقطان والخضار والأشجار المثمرة ، ويزرع الزيتون * في المرتفعات . وتتزايد المساحات المزروعة شرقا نحو مدينة بيسان وغورها . حيث تنمو زراعات المناطق الدافئة والبواكير . وقد قام السكان العرب بتنظيم أعمال الري ، فشقوا كثيراً من الأقنية التي توزع المياه على الحقول والبساتين التابعة لقرى زرعين وقومية * وشطة * والساخنة * ومدينة بيسان * . وتقدم المستنقعات التي حولت بركاً لتربية الأسماك * موردا اقتصاديا آخر للسكان ، إلى جانب ما تقدمه الزراعة .

يتمتع وادي جالود بأهمية اقتصادية واستراتيجية خاصة لكونه ممرا طبيعيا جيدا يصل بين غور الأردن وما وراءه ، وبين سهل مرج ابن عامر والداخل والساحل الفلسطينيين . وقد مرت منه قوات الغزاة والفاتحين عبر تاريخ فلسطين والمنطقة ، وحدثت فيه معركة عين جالوت * التي انتصر فيها المسلمون على التتار * . كذلك مرت منه طرق المواصلات البرية المختلفة ، كخط سكة حديد دمشق ـ درعا ـ صمخ * بيسان المتجه إلى العمقولة فحيفا * (ز : السكك الحديدية) ملازماً طريق السيارات والطرق البرية الأخرى .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج١ ق١ ، ج٦ ق٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين ، مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحات الناصرة والخمة وجنين وزير أبو سعيد .
ـ الخريطة الجيولوجية لفلسطين، مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

الجامعات الصهيونية :

بلغ عدد الجامعات الصهيونية في فلسطين خمسا ، كما بلغ عدد المعاهد العليا خمسة عشر . أما الجامعات فهي :

١) الجامعة العبرية : وقد تأسست في القدس * عام ١٩٢٥ ودشنها بلفور . وهي تشمل الكليات الثماني التالية : العلوم الإنسانية ، والعلوم الطبيعية ، والطب ، والصيدلة ، والزراعة ، والتربية ، والحقوق ، والعلوم الاجتماعية .

وتضم الجامعة معهد الرياضيات ، ومعهد الفيزياء النظرية ، ومعهد الفيزياء التجريبية . وفيها دوائر للكيمياء التحليلية ، والكيمياء اللاعضوية ، والكيمياء الحيوية ، والنبات ، والجيولوجيا ، والزراعة ، والأرصاد الجوية والمناخية ، والمائيات . وللجامعة فرع في تل أبيب * وآخر في رحبوت * . وتلحق بالجامعة مكتبة كبيرة ، ونسخة بيسوم للبحث والتطوير ، ومتحف الآثار اليهودية ، ومتحف النباتات في المعهدين التلمودي والتوراتي .

٢) التخنيون * : تأسس عام ١٩٢٤ على جبل الكرمل * في حيفا . أما أقسامه فهي : الهندسة المدنية ، وهندسة البناء وتخطيط المدن ، والهندسة الميكانيكية ، والهندسة الكهربائية ، والهندسة الكيماوية ، والهندسة المعمارية ، وهندسة الطيران .

وفي المعهد الدوائر التالية : هندسة الإدارة الصناعية ، والرياضيات ، والطبيعيات ، والكيمياء ، وعلم الميكانيكيات ، والعلوم النووية ، وعلم الميكروبات والجراثيم ،والدراسات العامة والتطبيقية ، والتربية .

والمعاهد التابعة للتخنيون هي : مركز أبحاث البناء ، ومعهد إسرائيل للمعادن ، والكلية الفنية الصغرى ، والمدرسة الفنية العليا ، ومؤسسة تخنيون للأبحاث والتنمية ، وقسم توسيع التخنيون . وفي التخنيون درجات علمية تصل حتى الدكتوراه .

٣) جامعة بار إيلان : تأسست عام ١٩٥٥ في رامات غان * . مناهجها أمريكية ، وأما كلياتها فهي : اللاهوت اليهودي (التوراة * والتلمود*) ، التاريخ والأدب اليهوديان) ، والعلوم الاجتماعية (تاريخ ، فلسفة ، اجتماع ، اقتصاد ، علم نفس ، تربية) ، واللغة والآداب (عبري ، عربي ، إنكليزي ، فرنسي ، يوناني ،

الجامعة العبرية في القدس

لاتيني) . وتضم دوائر الأحياء ، والكيمياء ، والفيزياء ، والرياضيات ، والنبات ، والحيوان ، والبكتريولوجيا ، والبيوكيمياء . ويتبع لها معهد علم الاجرام .

٤) جامعة تل أبيب : تأسست عام ١٩٥٣ في تل أبيب . وفيها كليات العلوم الإنسانية وتشمل الدراسات اليهودية ؛ وكلية العلوم وتشمل علم الحيوان ، وعلم النبات ، وعلم الجراثيم ، والرياضيات التطبيقية ؛ وكلية الدراسة الطبية المتواصلة ؛ وكلية العلوم الاجتماعية ؛ وكلية الطب ؛ وكلية الحقوق . ويتبع لها معهد دزنولو لعلم حفظ الصحة الفيزيولوجي ، ومعهد علم الوراثة عند الإنسان ، ومعهد الأبحاث الصهيونية ، وأكاديمية إسرائيل للموسيقى .

٥) جامعة حيفا : تأسست في حيفا عام ١٩٦٣ . وفيها كليتان هما : كلية العلوم الإنسانية ، وكلية العلوم الاجتماعية ، وتضمان دوائر : التوراة ، واللغة العبرية ، والتاريخ اليهودي ، والتاريخ العام ، واللغة والأدب الفرنسيين ، واللغة والأدب الإنكليزيين ، والجغرافية ، والتربية والاجتماع ، والسياسة ، والتجارة ، والإحصاءات ، والاقتصاد ، وتدريب معلمي المدارس الثانوية .

أما المعاهد الخمسة عشر فهي : معهد وايزمن للعلوم في رحبوت ، والمعهد الزراعي الجامعي في رحبوت وبيت داغون ، والمعهد الإسرائيلي للأبحاث البيولوجية في نس تسيونا* ، والمعهد النباتي في بيت داغون ، ومعهد النقب في بير السبع* ، ومعهد النباتات في القدس ، ومعهد المعادن في تل أبيب ، ومعهد فولكاني للزراعة في كفار جلعادي ، ومعهد الإشعاع والنظائر في تل أبيب ، ومعهد العلوم الفضائية في تل أبيب ، ومعهد البحوث الاجتماعية التطبيقية في القدس ، والمعهد الأفرو- آسيوي في تل أبيب ، ومعهد الجغرافية في عازور ، ومعهد بن زفي في القدس ، ومعهد التوراة في القدس .

المراجع :

ـ يوسف مروة : المؤسسات العلمية والثقافة والفنية في إسرائيل . بيروت ١٩٦٧ .
ـ أنطوان زحلان : العلم والتعليم العالي في إسرائيل . بيروت .

جـامعـة : رَ : بيـر زيـت
رَ : بيت لحـم
رَ : النجـاح

الجامعة الفلسطينية المفتوحة : رَ : اليونسكو

الجامعيين العرب في إسرائيل (اتحاد ـ) :

انعقد المؤتمر التأسيسي للاتحاد في حيفا* بتاريخ ١٩٧١/١٢/٨ بدعوة من هيئة إدارية موقتة تألفت قبل انعقاد المؤتمر بسبعة أشهر . وقد انتخب المؤتمر أعضاء الهيئة الإدارية الجديدة ، ووضع أسس نظامه وحدد أهدافه :

يضم الاتحاد الطلبة الجامعيين والخريجين العرب في (إسرائيل) . ومن أهدافه :

١) تنظيم الجامعيين العرب من أجل الدفاع عن حقوقهم وحل مشكلاتهم الثقافة والاجتماعية والاقتصادية .

٢) رفع المستوى التعليمي في المدارس العربية بحيث تتمشى مع أساليب التعليم الحديثة .

٣) محو الأمية في المحيط العربي .

٤) تشجيع التعليم الثانوي والعالي بين العرب .

٥) تشجيع تعليم الفتاة العربية في جميع مراحل التعليم .

٦) الدفاع عن حقوق المواطنين العرب ومطالبهم في جميع المجالات .

ولا يزال الاتحاد يمارس نشاطه ، وقد أصدر في ١٩٧٦/١/٢٢ بيانا سياسيا حول الأحداث الدامية في لبنان . كذلك يشارك الاتحاد في معظم المناسبات القومية العربية عامة والفلسطينية خاصة .

المراجع :

ـ صحيفة الاتحاد : ٢ و٧ و٢٤/١٢/١٩٧١ ، ٢٣/١/١٩٧٦ .

ـ صحيفة دافار : ١٩٧١/١٢/١٩ .

جانبردي بن عبد الله الغزالي (ـ ٩٢٧ هـ / ـ ١٥٢١ م) :

والغزالي نسبة إلى قرية « منية الغزال » في صديرية الشرقية بمصر ، أصله مملوك شركسي لسلطان مصر قايتباي (٨٧٣ـ٩٠١هـ ١٤٦٨ ـ ١٤٩٥م) . وقد ارتقى في المناصب في عهد الدولة المملوكية الشركسية فكان كاشفا لمنطقة الشرقية في مصر ، فحاجبا لدمشق ، فنائبا لصفد فحماة . وقد أجمع المؤرخون المعاصرون له على أنه تآمر وخيربك نائب حلب على تسهيل السبل للسلطان سليم الأول العثماني للانتصار في معركة مرج دابق عام ٩٢٢ هـ/١٥١٦ م مقابل حصول خيربك على نيابة مصر ، وحصوله هو على نيابة الشام .

وقد عيّنه أمراء المماليك الفارّون من حلب إلى دمشق بعد تلك المعركة نائبا على دمشق . إلا أنه كان يطمع على ما يظهر في انتخابهم إياه سلطانا عليهم بعد قانصوه الغوري . وقد آنّاب عنه في دمشق ناصر الدين بن حنش ، وانتقل الى القاهرة حيث التحق بسلطان المماليك الجديد فيها طومان باي الذي عينه نائبا على دمشق ، وسيّره بجيش لمنع العثمانيين من دخول مصر ، ولطردهم من النيابة التي كملها . وقد اصطدمت قواته بقوات العثمانيين في وادي الشريعة قرب غزة * فخرج الغزالي من المعركة مدحورا . وقام في مصر إثر عودته إليها بدور مزدوج : فهو إلى جانب طومان باي بالظاهر ، وعلى اتصال خفيّ بالسلطان العثماني وخيربك في الباطن . وبعد انتصار العثمانيين في معركة الريدانية (٩٢٣هـ/١٥١٧ م) تأكد جانبردي من هزيمة المماليك النهائية فأظهر غضبه للسلطان سليم الأول . وفي ٥ صفر ٩٢٤هـ/١٦ شباط ١٥١٨ م ولاّه السلطان سليم كفالة الشام : دمشق وصفد * ، وغزة والقدس * وأعمالها ، وكلفه التزام الضرائب * في سورية الجنوبية ، وقمع تمرد القبائل البدوية ، وضمان مرور قافلة الحج بسلام . وبذلك امتدت ولايته من معرة النعمان إلى عريش مصر .

ومارس جانبردي الغزالي السلطة التي منحه إياها السلطان سليم طوال حياة هذا الأخير بجدية واتزان وولاء . لكنه قام بعدد من الإجراءات التي تدلّ على رفض التنظيمات العثمانية ، والعودة إلى الماضي المملوكي ، والرغبة في اكتساب شعبية واسعة في ولايته . وكان السلطان سليم يثق به فأقره على كل ما فعل وخلع عليه .

ولكنه سعى ، إلى جانب ذلك ، لتنفيذ ما كلفه به السلطان ، فقمع تمرد القبائل البدوية ، وأخذ عدداً من الثورات في بلاد الشام ، وقمع ثورة تراجا بن طرباي الحارثي شيخ عربان نابلس الذي كان قد اتفق مع عربان بني عطية ، وبني حسن ، والسوالم ، على قطع طرق الاتصال البري بين دمشق ومصر . وقام بحملتين على بدو حوران الذين هددوا قافلة الحج ، كما هاجم عربان جنوبي فلسطين الذين أعاقوا قافلة الحج من الدخول إلى البلاد الشامية ، وذلك بالتعاون مع نائب غزة والكرك . هذا بالإضافة إلى محاربته القراصنة الفرنج الذين نزلوا ساحل بيروت عام ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠ م وملكوا بالمدينة ثلاثة أيام .

ويبدو أن أحلام السلطنة التي راودت جانبردي الغزالي يوما في دمشق ، بعد معركة مرج دابق ، قد عاودته ، فاغتنم فرصة وفاة السلطان سليم عام ٩٢٦ هـ/١٥٢٠ م ، والبلبلة الناجمة من انتقال السلطة من سلطان إلى آخر ، واستعداد الفرس على الحدود لمهاجمة الأتراك العثمانيين ، ليضرب ضربته ، فعزل والي السلطان على البقاع وملحقاتها ، وتسلم دمشق وعيّن عليها نائبا من لدنه . وأراد أن يجر إلى ثورته حاكم مصر خيربك . وانضم إليه حاكم صفد والقدس . ووسع جانبردي دائرة اتصالاته فطلب من فرسان القديس يوحنا في رودس مساعدته ، وتسلم حمص وحماة ، وحاصر مدينة حلب . لكنه فك عنها الحصار بعد أسبوعين وعاد إلى دمشق بعد أن وصلته أنباء الحملة الكبيرة التي سيرها السلطان سليمان لنجدة والي حلب من الشمال ، واستعداد خيربك نائب مصر لمهاجمة بلاد الشام من الجنوب .

ولمّا عاد إلى دمشق في صفر ٩٢٧هـ/ آذار ١٥٢١م ، حصّن قلعتها وبنى حول المدينة الحواجز ، وحث الناس على القتال ، وأمر بأن يخطب له ، وبأن يلقب بالملك الأشرف ، وبسلطان الحرمين الشريفين أحد ألقاب السلطان العثماني ، وسكّت النقود باسمه .

لكن جانبردي الغزالي هزم أمام القوات العثمانية الكبيرة في معركة الدوير قرب برزة خارج دمشق ، وقتل في المعركة ، ودخل العثمانيون دمشق في حين تقدم خير بك نائب مصر من ناحية الجنوب ، وسيطر على غزة ، وفتح الدرب السلطاني بين مصر والشام .

وكان من النتائج الكبرى لثورة الغزالي ، أن أعادت الدولة العثمانية نظرها في تنظيمها الإداري لبلاد الشام ، فقسمتها إلى ثلاث ولايات : دمشق ، وحلب ، وطرابلس ، بعد أن كانت اثنين ، وعينت عليها ولاة من الأتراك ، وعززت حاميانها وشددت قبضتها (رَ : الإدارة) .

المراجع :

ـ محمد بن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، بولاق ١٣١١ ـ ١٣١٢ هـ .

ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .

ـ عبد الكريم رافق : بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت (١٥١٦ ـ ١٧٩٨) ، دمشق ١٩٦٧ .

ـ ليلى الصباغ : الفتح العثماني لبلاد الشام ومطلع العهد العثماني فيها ، القاهرة ١٩٦١ .

ـ محمد بن طولون : إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، القاهرة ١٩٧٣ .

ـ نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ، بيروت ١٩٤٥ ـ ١٩٥٩ .

ـ محمد كرد علي : خطط الشام، بيروت ١٩٦٩ ـ ١٩٧٢ م .

— Holt. P.M.: Al-Ghazali (Djanbirdi), Dans **L'Encyclopédie de L'Islam**, 2éed. Leyde 1965.

— Lammens, H.: **La Syrie, Précis Historique**, Beyrouth 1921.

— Laoust. H.: **Les Gouverneurs de Damas sous les Mamelouks et les Premiers Ottomans**, Damas 1952.

جاورجيوس :

من أشهر القديسين . بدأت شهرته في الشرق في القرنين الرابع والخامس الميلاديين ، وامتدت إلى الغرب ، وصار لها أبعاد غربية منذ القرون الوسطى . وقد أكرمه الناس منذ أقدم الأيام إكراما قلّما حظي به غيره من القديسين . وفي أثر ذلك سمي باسمه كثير من أسياد جورجيا وملوك إنكلترا وغيرهم ، وكثير من الأماكن ، والكنائس ، واتخذته شفيعا لها رهبانيات الفرسان ، والجيوش ، والفرق الكشفية ، والبلاد ، ومن جملتها المدن البحرية المعروفة في القرون الوسطى ، واعتبر حامي بلاد الإنكليز رسميا منذ عهد إدوارد الثالث ١٣٥٤ م . ولا ريب في أن للحملات الصليبية إلى فلسطين وجوارها أثرا في تثبيت صورة القديس جاورجيوس في الأذهان . ولم يغفل رجال الفن في أقطار الأرض عن تمثيله وتصويره ، حتى إنه قد لا تخلو كنيسة شرقية من صورة له .

كان القديس جاورجيوس جنديا في الجيش الروماني في نيقوميا في آسيا الصغرى (تركيا الحالية) حيث ولد ونشأ . وفي سنة ٣٠٣م (وهي أكثر التواريخ المقترحة احتمالا) ، أيام الإمبراطور ديوكليسيانس ، مات شهيدا للمسيح في مدينة ديوسبوليس ، وهي اليوم اللد * . فأقيمت هناك على قبره كنيسة بيزنطية منذ عهد الإمبراطور قسطنطين* ، أي في بداية القرن الرابع الميلادي ، ولها رسم في خريطة مأدبا* القيسفسائية . وبعد أن أحرقت هذه الكنيسة ، في بدء القرن الحادي عشر الميلادي ، ابتنى الصليبيون بدلا منها كنيسة أخرى يُنزل منها إلى قبر القديس ويؤلف تسم منها كنيسة الروم الحالية .

وقد نسجت المخيلة الشعبية ما نسجت حول هذا القديس من روايات ، ومن جملتها ما ذهبوا إليه منذ أيام الصليبيين من تصوير القديس ضابطا في الجيش يمتطي جوادا ويحاول إنقاذ فتاة أسيرة من التنين .

ويعرف القديس جاورجيوس أيضا بالخضر ، أي الأخضر الحيّ الذي لا يموت ، وقد يوقى اسم الخضر إلى القرن العاشر الميلادي دالاً على شخص جعلوا له صفات مقتبسة من صفات القديس جاورجيوس ، أو جامعة لأوصاف النبي إلياس .

والخضر مكرّم عند المسلمين والمسيحيين ، وله شعبية ومزارات كثيرة في فلسطين وشرقي الأردن وسورية ولبنان . وفي الروايات الإسلامية أن الخضر صاحب موسى عليه السلام . لقيه وقصدا معا مجمع البحرين ، ثم افترقا (سورة الكهف ٦٠ ـ ٨٢) . ويضرب بالخضر المثل في العلم والحكمة والزهد والتعبّد والصبر، وهو هادي السفن في أعالي البحار وه نقيب الأولياء » عند الصوفيين . ويقال إن الخضر قادر على الظهور بأشكال مختلفة ، وإن كان بشرا .

وفي الشرق يلقب القديس جاورجيوس بالشهيد العظيم ، وتحتفل الكنيسة بعيده في ٢٣ نيسان من كل سنة ، وهو التاريخ الذي حافظ عليه التقويم الروماني حتى يومنا هذا .

المراجع :

— Augustinovic, A.: **El-Khader and the Prophet Eliah**, Jerusalem 1972.

— Bagatti, B.: **Antichi-Villaggi Cristiandi di Samaria**, Jerusalem 1979.

— **Bibliotheca Sanctorum**, Vol. VI, Roma 1965.

— **Encicl. Cattolica**, Vol. VI.. Roma 1951.

— **Encycl. Britannica**, art. S. George.

— **La Terre Sainte**, Jerusalem 1977.

جـابـــل العرجـــا (١٩٣٩ - ١٩٧٦) :

ماضل فلسطيني ولد في مدينة بيت جالا * . انضم إلى حركة القوميين العرب فرع الأردن في أواسط الخمسينات . وشارك من خلالها في مقاومة المشاريع الاستعمارية التي طرحت في تلك الفترة في المنطقة العربية ، وفي مقدمتها حلف بغداد * ومشروع أيزنهاور * .

انتقل إلى القاهرة لمتابعة دراسته في بداية السبعينات ، وأسندت إليه مسؤولية كبيرة في الجهاز المشرف على مقاومة الوجود البريطاني في اليمن الجنوبي . وناضل أثناء دراسته في مصر في الحركة الطلابية الفلسطينية ، وانتخب عضوا في مؤتمرين متتاليين للاتحاد العام لطلبة فلسطين * .

تفرغ للعمل الثوري في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين * عقب عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ وشارك في أكثر من مجال من مجالات النضال الثوري ، وساهم في عدد من العمليات العسكرية ضد العدو الصهيوني . وقام بعدة زيارات للدبلوماسية العربية الفلسطينية في دول أمريكا اللاتينية يمرّفُ بالثورة وأهدافها . وكان واحدا من أعضاء القيادة التنظيمية المسؤولة عن تنظيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خارج الوطن العربي .

استشهد جابل العرجا وهو يقاتل العدو الصهيوني على أرض مطار عنتيبة في أوغندا في ١٩٧٦/٧/٤ .

جبّ يـــوســف (قرية ــ) :

قرية عربية تقع جنوبي شرق صفد * على مسافة قريبة من الشاطىء الشمالي الغربي لبحيرة طبرية * . موقعها الجغرافي ذو أهمية كبيرة لوقوعها على طريق عكا ـ دمشق . وكان موقعها يعرف باسم « خان جب يوسف » في القديم لأنها كانت إحدى المحطات الواقعة على طريق دمشق .

نشأت القرية قرب بئر للمياه تدعى جب يوسف ، فوق رقعة من الأرض منبسطة نسبيا ، ولا يزيد ارتفاعها على ٢٤٠ م فوق سطح البحر . وكانت تشرف على سهل الطابغة الذي تخترقه مجموعة أودية في طريقها إلى بحيرة طبرية .

وتمثل القرية نقطة انقطاع بين الجبل والسهل ، إذ تمتد أقدام جبل الخليل * خلفها ، وتمتد سهل الطابغة أمامها . والقرية صغيرة الحجم متراصّة البناء . وتتألف بيوتها من اللّبن والحجارة البازلتية والكلسية . وتتوافر حولها مياه الينابيع التي تستخدم للشرب وريّ المزارع . وهي موقع أثري يحتوي على بقايا خان وقبة تحتها صهريج وبركة (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

بلغت مساحة الأراضي التابعة لها ١١,٣٢٥ دونما ، منها ٩٥ دونما للطرق * والأودية ، ولا يملك الصهيونيون فيها شبرا . وكانت أراضيها تنتج أنواعا متعددة من المحاصيل الزراعية التي تعتمد على مياه الريّ إلى جانب اعتمادها على الأمطار ، وأهم تلك المحاصيل الحبوب * والخضر * والأشجار المثمرة ، كالفواكه والزيتون * .

نما عدد سكان جب يوسف من ٥٩ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ١٧٠ نسمة في عام ١٩٤٥ . ومعظم سكانها من عرب السيّاد الذين استقروا في القرية والمنطقة المحيطة بها وأخذوا يمارسون حرفة الزراعة * .

قام الصهيونيون عام ١٩٤٨ بطرد سكان القرية وتدميرها . وتقع حاليا مشتّى مشروع نهر الأردن ـ النقب بالقرب من مكانها ، وبخاصة محطة ضخ المياه من بحيرة طبرية عند موقع الطابغة * .

المراجـع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة طبرية .

جَبَـاتـا (قريـة) : رَ : القرى العربية المندثرة

جباليـــا (بلدة ــ) :

بلدة عربية تقع على مسيرة كيلومترين إلى شمال الشمال الشرقي من غزة * . وتربطها طريق معبدة بطريق غزة ـ بافا التي تتفرع فرعين عند دوار جباليا على مسافة كيلومتر واحد إلى الجنوب الشرقي من بلدة جباليا ، أحدهما ساحلي يمر بالمجدل * وأسدود * ، وثانيهما داخلي يمر بحولس * وبربر * . وتقوم محطة سكة حديد غزة في جنوب الجنوب الغربي لجباليا على مسافة ١,٥ كم منها . وهناك طرق فرعية أخرى تربط جباليا بغزة وقرى النزلة وبيت لاهيا * وبيت حانون .

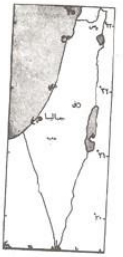

نشأت جباليا فوق رقعة منبسطة من أرض السهل الساحلي* الجنوبي ترتفع نحو ٣٥ م فوق سطح البحر . وتمتد الكثبان الرملية الشاطئية على بعد كيلومتر واحد إلى الشمال من جباليا ، في حين تتصل بالطرف الغربي للقرية . معظم بيوتها مبنية من اللّبن ، ويخفي غطاؤها العمراني شكل نجمة تنمو فيه القرية في محاور بمحاذاة الطرق الفرعية المؤدية إلى الخارج . ويتوسطها جامع بجواره مقام الشيخ محمد المغربي المشيش ، وكذلك بعض المحلات التجارية ومدارس الذكور والاناث لمختلف المراحل الدراسية .

وتشرب القرية من بئرين في غربها يراوح عمقها بين ٢٠ و٢٥ م . اتسعت مساحة رقعة جباليا من قرابة مائة دونم في أواخر فترة الانتداب إلى أكثر من ٧٠٠ دونم عام ١٩٨٠ . ويرجع سبب توسعها العمراني إلى إنشاء مخيم جباليا للاّجئين الفلسطينيين على مسافة كيلومتر واحد إلى الشمال الشرقي منها ، مما جعل القرية تمتد نحو المخيم بالإضافة إلى امتدادها على شكل محاور نحو الجنوب الشرقي والجنوب الغربي والشمال الغربي . وتكاد جباليا تلتحم حاليا مع جارتها قرية الزلة التي تمتد هي الأخرى نحو الجنوب الشرقي ونحو الشمال فوق رقعة زادت مساحتها عام ١٩٨٠ عن ١٠٠ دونم . أما مخيم جباليا فإنه يتألف من بيوت من الحجر الإسمنتي ، ويتخذ مخططه شكل المستطيل .

تبلغ مساحة أراضي جباليا ١١,٤٩٧ دونما ، منها ١٣٣ دونما للطرق* والأودية . وتغلب الطبيعة الرملية على تربة جباليا الزراعية . ويساتين الحمضيات* التي تروبها الآبار تحيط بالقرية من جميع جهاتها . وتنتج أراضيها الزراعية جميع أصناف الفواكه المعروفة في فلسطين ، ولا سيما الجميز الذي اشتهرت به جباليا . وتزرع فيها الخضر* بأنواعها المختلفة ، والبطيخ والشمام . ويعتمد بعض الأهالي في معيشتهم على تربية المواشي والطيور الداجنة ، وعلى صيد الأسماك* .

بلغ عدد سكان جباليا في عام ١٩٢٢ نحو ١,٧٧٥ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٢,٤٢٥ نسمة يقيمون في ٦٣١ بيتا . وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ٣,٥٢٠ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٦٣ إلى ٦,٠٦٢ نسمة ، علاوة على نحو ٣٦,٧٨٦ لاجئاً فلسطينيا يسكنون مخيم جباليا . وقدر عدد سكان جباليا عام ١٩٨٠ بنحو ٩,٠٠٠ نسمة ، إضافة إلى أكثر من ٥٠,٠٠٠ لاجيء في المخيم المذكور . ويقدر عدد سكان قرية الزلة المجاورة بنحو ٣,٥٠٠ نسمة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لرحة غزة .

الجباية اليهودية الموحدة : رَ : الكيرين هايسود

جبرائيل كاتول (١٨٩٥ ـ ١٩٧٥) :

من رجال التربية البارزين . عمل طوال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين في مناصب تربوية متعددة (رَ : التربية والتعليم) .

ولد في الشوير بلبنان ، وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية في مدرسة القرية وفي مدرسة الشوير العالية . وفي عام ١٩١١ التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت ، ونال شهادة بكالوريوس في الرياضيات والعلوم عام ١٩١٥ .

عمل بين سنتي ١٩١٥ و١٩٢٠ أستاذا في القسم الثانوي من الجامعة الأمريكية . وفي خريف ١٩٢٠ التحق بوزارة المعارف في العراق حيث عيّن أستاذا في دار المعلمين ، ثم مفتشا بالوزارة . وفي خريف ١٩٢٢ قصد فلسطين وعيّن مفتشا في إدارة المعارف العامة بالقدس ، ومدرّسا بدار المعلمين فيها ، فكبيرا للمفتشين ، فمساعدا لمدير المعارف بين سنتي ١٩٣٧ و١٩٤٨ .

شارك في تنظيم إدارة المعارف العامة بفلسطين ، وفي وضع مناهج حديثة للتعليم الابتدائي والثانوي ، وترأس لجنة تقرير الكتب المدرسية .

عاد إلى بيروت عام النكبة ١٩٤٨ وعمل أستاذا للتربية في الجامعة الأمريكية إلى أن أحيل على التقاعد عام ١٩٦٦ . ومات في لبنان عام ١٩٧٥ .

كتب في شؤون التربية والتعليم ، ونشر الكثير مما كتب في مجلتي « الكلية » و« الأبحاث » في بيروت .

من آثاره : مذكرات ومناهج ، ونظام التعليم في فلسطين ، والإدارة التربوية .

المراجع :

ـ يعقوب العودات : أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

جِبْـرين (وادي ــ) : ر : الإفرنج (وادي ــ)

جبـــع :

في فلسطين أكثر من موقع بهذا الاسم ، ومنها :

أ ـ جبع / قضاء جنين (بلدة ــ) : بلدة عربية تقع في منتصف المسافة بين جنين * ونابلس * ، وتبعد إلى الشرق من طريق جنين ـ نابلس نحو ٢ كم ، وترتبطها طريق معبدة فرعية بتلك الطريق الرئيسة . كما ترتبطها طرق فرعية أخرى بالقرى المجاورة ، كقرى القندقومية وسيريس وباصيد وبيت إمرين وميثلون * وصانور * وعنزة وعجة وبرقة * .

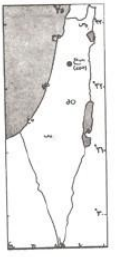

نشأت جبع فوق رقعة جبلية من مرتفعات نابلس * ، وتنحدر أراضيها من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي حيث يجري وادي أبو كسلان في الجهة الشرقية من جبع ، ووادي الماجور في الجهة الغربية . ترتفع جبع ٥٠٠ م فوق سطح البحر ، وتمتد أراضيها السهلية إلى الشمال منها . تتألف البلدة من بيوت مبنية من الحجر والإسمنت والطوب . ويتخذ مخططها شكل النجمة ، وفيه أربعة أقسام تمثل الحارات الشمالية والوسطى والجنوبية والغربية . وقد ازدادات مساحتها من ٤٢ دونما عام ١٩٤٥ إلى ٣٥٠ دونما في عام ١٩٨٠ . ويتخذ توسعها العمراني شكل المحاور التي تمتد المباني فيه على جانبي الطرق المتفرعة من البلدة والمتجهة نحو القرى المجاورة .

في جبع جامع جدد بناؤه وتم توسيعه ، وإلى الغرب منها مزار الشيخ أمين ، ومزار باروب في شمالها ، ومزار احريش في شرقها ، وفيها ثلاث مدارس للبنين والبنات للمرحلتين الابتدائية والإعدادية . وتنتشر فيها بعض الدكاكين والمحلات التجارية المختلفة . كما أن البلدة غنية بينابيعها التي يزيد عددها على ثمانية .

تبلغ مساحة أراضي جبع ٢٤,٦٢٠ دونما ، منها ٢٥ دونما للطرق * والأودية . وتمتد معظم أراضيها الزراعية في البطاح الشمالية حيث تتزرع الأشجار المثمرة والحبوب * والخضر * والقطاني . ويتبوأ الزيتون * المكانة الأولى بين المحاصيل الزراعية في جبع ، فقد بلغت مساحة الأرض المغروسة زيتونا في عام ١٩٤٢/ ١٩٤٣ نحو ٢,٦٤٥ دونما ، والمغروسة تيناً ومشمشاً ولوزاً وغيرها ٢٣٣ دونما . وتشغل الغابات مساحة قدرت بنحو ١,٠٠٠ دونم . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار والينابيع .

تكثر في جبع تربية الأغنام ، وقد زاد مجموعها على ألف رأس تعتمد تغذيتها على الأعشاب الطبيعية والأعلاف (ر : الحيوانات الأليفة). وقد قامت صناعات متنوعة في القرية ، مثل منتجات الألبان وزيت الزيتون والفخار * . وتساهم الصناعات بنحو عُشر واردات البلدة ، في حين تساهم محاصيل الأشجار المثمرة ، وبخاصة الزيتون ، بنحو نصف هذه الواردات التي قدرت قيمتها في أواخر فترة الانتداب بنحو ١٠,٠٠٠ جنيه فلسطيني .

بلغ عدد سكان جبع عام ١٩٢٢ زهاء ١,٣٧٢ نسمة ، وازداد في عام ١٩٣١ إلى ١,٥٤٢ نسمة كانوا يقيمون في ٣١١ بيتا. وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ٢,١٠٠ نسمة ، وازداد حسب تعداد عام ١٩٦١ إلى ٢,٥٠٧ نسمات . ويقدر عددهم سنة ١٩٨٠ بقرابة ٦,٠٠٠ نسمة .

ب ـ جبع/ قضاء حيفا (قرية ــ) : تعني التلة أو الجبل ، وعرفت في العهد الروماني باسم « جباثاثا » . وهي قرية عربية تقع على بعد ٢١ كم جنوبي حيفا * ، وتبعد عن الطريق المعبدة الساحلية قرابة نصف كيلومتر نحو الشرق . نشأت القرية عند أقدام جبل الكرمل * الغربية ، على ارتفاع حوالي ٥٥ م عن سطح البحر ، ويمر بشمالها وادي المغارة . وتمتد القرية من الشمال إلى الجنوب ، أي مع الامتداد العام لسفح جبل الكرمل . وكان فيها عام ١٩٣١ ، ١٥٨ مسكنا حجريا . وبلغت مساحتها ٦٠ دونما عام ١٩٤٥ ، ومساحة أراضيها (وليها مساحة القرية) ٧,٠١٢ دونما لا يملك الصهيونيون منها شيئا .

كان في جبع ٥٢٣ نسمة من العرب عام ١٩٢٢ ، وارتفع إلى ١,١٤٠ نسمة عام ١٩٤٥ .

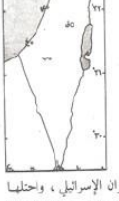

ليس في القرية من الخدمات سوى مدرسة ابتدائية للبنين افتتحت في العهد العثماني ، واعتمد اقتصادها على زراعة الحبوب والمحاصيل الحقلية ، وزرع الزيتون في مساحة مقدارها ٧١٠ دونمات عام ١٩٤٣ ، أي ٣,٥٪ من مساحته في قضاء حيفا . وكان فيها في العام المذكور معصرة يدوية لاستخراج زيت الزيتون . وقد عمل السكان بتربية المواشي إلى جانب الزراعة .

في ٢١/٧/١٩٤٨ ، أي عقب الهدنة الثانية ، تعرضت هذه القرية مع قريتي عين غزال * وإجزم * لقصف الطيران الإسرائيلي ، واحتلها الصهيونيون في اليوم التالي وطردوا سكانها العرب . وفي عام ١٩٤٩

أسس صهيونيون هاجروا من تركيا موشاف « جفع كرمل » على بعد كيلومتر تقريباً إلى الشمال الغربي من موقع القرية . وقد بلغ عدد سكانه ٣٢٧ نسمة عام ١٩٥٠ ، وارتفع إلى ٤١٠ عام ١٩٧٠ . كما أسس صهيونيون هاجروا من الجزائر موشاف « تسروفاه » عام ١٩٤٩ إلى الغرب من موقع جبع ، وجنوبي موشاف جفع كرمل ، وبلغ عدد سكانه ٣٦٥ نسمة عام ١٩٦٥ .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٣ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ ، وج١، ق١، بيروت ١٩٧٣ ، وج٧، ق٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ ، لوحة إسحزم .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠٠,٠٠٠ ، لوحة طولكرم .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة زخرون يعقوب .

جبهة : ز : الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان
ز : التحرير العربية
ز : النضال الشعبي الفلسطيني

الجبهة التوراتية :

تتألف الجبهة التوراتية التي تكونت عام ١٩٥٥ من حزب أغودات إسرائيل * ، وحزب بوعالي أغودات إسرائيل ، والكتلة المركزية ، وشلومي إيمونيم والكتلة الموحدة . غير أن الخلاف بين حزبي أغودات إسرائيل وبوعالي أغودات إسرائيل سرعان ما أدى إلى انفصال الحزب الأول عن الجبهة التوراتية ، وبالتالي إلى خوض المعركة الانتخابية للكنيست * الثامن عام ١٩٧٧ بصورة مستقلة .

والجبهة التوراتية شديدة العداء لحقوق الشعب العربي الفلسطيني . فقد حاربت اتفاقيتي كامب ديفيد * بين بيغن والرئيس السادات والرئيس الأمريكي كارتر ، وعدتهما تنازلا من جانب (إسرائيل) ، لأن إحدى الاتفاقيتين أشارت إلى موضوع الحكم الذاتي لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة . وقد تزعم الحاخام كالمان كهانا عضو الكنيست معارضة الاتفاقية لأنها قد تؤدي ، برأيه ، في يوم من الأيام " إلى العودة إلى حدود عام ١٩٦٧ " .

ومفهوم الجبهة التوراتية (لدولة إسرائيل) هو المفهوم التوسعي المتعصّب ، أي أرض (إسرائيل) من الفرات إلى النيل .

الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين :

تأسست في ١٩٦٩/٢/٢٢ كتحصيل من فصائل حركة المقاومة الفلسطينية . وقد ارتبط تأسيسها بالتحولات اليسارية التي شهدتها حركة التحرر الوطني العربية عامة وحركة القوميين العرب خاصة منذ بداية الستينات ، وتحديداً بعد انفصال وحدة الجمهورية العربية المتحدة والتحولات الطبقية والأيديولوجية الديمقراطية بعد ١٩٦١ في مصر ، حيث شهدت الحركة في تلك الفترة صراعاً فكرياً وسياسياً بين أجنحتها انتهى إلى تشتيت شمل مختلف فروع الحركة على امتداد الأقطار العربية ، بما في ذلك الفرع الفلسطيني الذي كان يعمل منذ عام واحد تقريباً تحت اسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين * . اتخذت الجبهة لنفسها في السنوات الأولى للتأسيس اسم « الجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين » ، معبّرة بذلك عن استمرارية التراث الكفاحي لمناضليها الذين أسهموا في تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أولاً ، وعن الهوية الأيديولوجية الديمقراطية الشعبية (الثورية) التي كانت الأساس والقاعدة في انطلاقتها كمنظمة مستقلة جماهيرية مسلّحة . واستمرّت الجبهة تعمل تحت هذا الاسم إلى أن كان عام ١٩٧٥ فأقرّت هيئتها المركزية الثانية النظام الداخلي والبرنامج السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، تعبيراً عن التحولات الطبقية والأيديولوجية التي وصلت إليها الجبهة ، وعن ازدياد وزن وحجم الطبقة العاملة ، والثورة ، ومنظمة التحرير الفلسطينية * في مجمل العملية الوطنية والتقدمية التي تحتلها الجبهة في صفوف شعبنا .

يعتبر التقرير السياسي الأساسي الصادر عن مؤتمر آب ١٩٦٨ للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الأساس الفكري والسياسي الذي بنت عليه الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين استقلالها الأيديولوجي والسياسي والتنظيمي ، إذ استطاع الجناح الماركسي آنذاك أن يفرض أطروحاته على المؤتمر . ويؤكد ذلك « التقرير السياسي الأساسي » انتقال الجناح اليساري في الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب إلى مواقع الماركسية ـ اللينينية وتبنيه لها ولمبادىء الأممية البروليتارية كنقيض مباشر لفلسفة ونهج أنظمة البرجوازية الصغيرة ، وكردّ على هزيمتها أمام العدو الإسرائيلي في حرب ١٩٦٧ * . في فترات التأسيس الأولى ركّزت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين على الدعاية المباشرة لتحالف ثوري على المستويات القطرية يضم العمال والفلاحين وسائر الكادحين على الساحة الفلسطينية وفي الأقطار العربية للاضطلاع بمسؤولية الثورة الوطنية الديمقراطية بقيادة الطبقة العاملة ، واعتبرت الكفاح المسلّح الرافعة الأساسية للثورة . وعلى قاعدة هذه السياسة انضمّ إلى الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في حزيران ١٩٦٩ منظمتان هما « عصبة

اليسار الثوري الفلسطيني » وه المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين * » .

إن تبني الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين للماركسية ـ اللينينية منذ التأسيس لم يشكّل بحد ذاته ضمانة حقيقية لسياسة ماركسية ـ لينينية حقة ، إذ انهمت أطروحاتها الفكرية والسياسية في سنوات التأسيس الأولى نحو " التطرف " اليساري تحت تأثير الدعوة إلى التمايز الفكري والسياسي تفصيل يساري ، شأنها في ذلك شأن الأجنحة اليسارية الأخرى في حركة القوميين العرب ، وتحت تأثير التشكيل الطبقي والخبرة النضالية التاريخية لقوعها . غير أن هذا « التطرف » لم يدم طويلا ، إذ بدأت الجبهة منذ ١٩٧١ سلسلة من المراجعات النقدية العلنية والجريئة لسياستها العامة عبّرت عنها التقارير السياسية والتنظيمية لدورات اللجنة المركزية الثانية منذ عام ١٩٧١ ، وعبّرت عنها « الحرية »* الجريدة المركزية للجبهة ، وتمّ طرح أول مراجعة نقدية بعد احداث ومعارك أيلول ١٩٧٠ مباشرة في المجلس الوطني الفلسطيني * (دورة تموز ١٩٧١) ، وفي مجلة الحرية تحت عنوان « أيلول وحركة المقاومة الفلسطينية » . وتعكس تقارير دورات اللجنة المركزية الثانية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين تحولات جذرية في هذا المجال وفي الميادين التالية : التنظيمي ، حيث استقرت سياستها على بناء منظمة دبمقراطية ثورية تسترشد بالماركسية ـ اللينينية والأممية البروليتارية وتنتقل بعملية تاريخية نضالية تراكمية إلى حزب ماركسي ـ لينيني يشكل فصيلا من فصائل حزب الطبقة العاملة الفلسطينية الموحّد والمنشود ؛ والسياسي ، حيث استقرت سياستها على تقرير واقعي لأهداف النضال الوطني الفلسطيني المرحلي المتمثّلة بحق الشعب الفلسطيني في العودة ، وتقرير المصير ، وبناء الدولة الوطنية الفلسطينية المستقلّة كقاعدة النضال الصلبة إلى دولة فلسطين الديمقراطية ، كما استقرت على تقرير واقعي للمرحلة التاريخية التي تمرّ بها حركة التحرر الوطني العربية بأحزابها وقواها التقدمية والديمقراطية واليسارية ، ووضعت بذلك حدًا لعدم التمييز بين السقوط التاريخي للبرنامج الطبقي للبرجوازيات العربية وإمكانيات السقوط الفعلي لها ، الأمر الذي مكّنها من صياغة علاقاتها وتحالفاتها العربية على أسس سياسة واقعية وثورية ؛ والدولي ، حيث استقرت سياستها على تقدير واقعي لقوى الثورة العالمية وللتناقض الرئيسي في عالمنا ، فبدأت تشدّد في أدبياتها منذ الدورة الثالثة للجنة المركزية الثانية على تحالف قوى الثورة العالمية الثلاث : بلدان المظومة الاشتراكية ، وحركات التحرر الوطني ، وأحزاب الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية ، وتشدد كذلك على أن التناقض الرئيس الأبرز في عالمنا هو التناقض بين النظامين الاجتماعيين الدوليين : النظام الاشتراكي والنظام الرأسمالي ، وعلى الدور القيادي الأبرز للاتحاد السوفييتي في العملية الثورية العالمية . ووجدت هذه التحولات الجذرية في السياسة العامة للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين تعبيرها الحي في البرنامج السياسي (عام ١٩٧٥) ، وفي التقرير النظري والسياسي والتنظيمي للمؤتمر الوطني العام الثاني المنعقد في الفترة بين ٢٤ ـ ٢٧/٥/١٩٨١ (دار ابن خلدون) الذي يعتبر بحق مساهمة بارزة في تحليل وتشخيص أعمق للقضية القومية الفلسطينية ولمعضلات حركة التحرر الوطني العربية . وفي طرح الحلول الثورية الواقعية على طريق توفير الشروط الذاتية بجانب الشروط الموضوعية لإنجاز مهام التحرر الوطني والثورة الوطنية الديمقراطية على المستويات القطرية والقومية .

وعلى صعيد العلاقات الوطنية الفلسطينية كان للجبهة الديمقراطية منذ تأسيسها مواقف ثابتة من الوحدة الوطنية الفلسطينية في إطار منظمة التحرير الفلسطينية . فمنذ تأسيسها أعلنت انضمامها إلى « قيادة الكفاح المسلّح » التي شكلتها منظمة التحرير الفلسطينية بعد اشتراك المنظمات الفدائية في أعمالها ، كما أعلنت عن موافقتها على المشاركة في المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السادسة (أيلول ١٩٦٩) ، وعلى المشاركة في اللجنة التنفيذية . وما زالت منذ ذلك الحين تشارك في أعمال المجلس الوطني ، وفي عضوية اللجنة التنفيذية . كما ساهمت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في كافة اتصالات لتطوير صيغ العمل الجبهوي في الساحة الفلسطينية ، وقدمت ، منذ أيلول ١٩٦٩ ، ثم نيسان ١٩٧٢ ، وحتى الدورة الأخيرة للمجلس الوطني الفلسطيني (١٩٨١)، أكثر من مشروع للوحدة الوطنية في إطار منظمة التحرير الفلسطينية . وتدافع الجبهة الديمقراطية في هذا الإطار عن صيغة جبهوية وحدوية تعتبرها الأرقى بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وهي صيغة التمثيل النسبي في كافة مؤسسات وأجهزة المنظمة ، وفي القوات المسلحة للثورة ، وفي جميع المنظمات والاتحادات الجماهيرية الوطنية .

امتازت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بطرح مواقف فكرية وسياسية أهمها :

١) دعوتها لشرح وتطوير شعار « دولة فلسطين الديمقراطية » الذي طرحت حركة التحرير الوطني الفلسطيني* (فتح) للتعبير عن التعايش المشترك للمسلمين والمسيحيين واليهود في فلسطين ، في الوقت الذي كانت الجبهة الديمقراطية تدعو فيه إلى ضرورة علمنة هذا الشعار وتسعى إلى تطويره وجعله قرارا رسميا من قرارات المجالس الوطنية الفلسطينية .

٢) دعوتها في آب ١٩٧٣ لتبنّي البرنامج الوطني المرحلي لحل القضية القومية تحت شعار « العودة وتقرير المصير وإنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية » الذي أصبح بعد حرب ١٩٧٣ * شعارا عاما لجميع فصائل حركة المقاومة الفلسطينية ، عدا فصائل جبهة الرفض

آنذاك . وبعد حرب تشرين طوّرت الجبهة الديمقراطية هذا البرنامج المرحلي باتجاه أوضح هو برنامج العودة وتقرير المصير وبناء الدولة الوطنية الفلسطينية المستقلة " بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني " . وأصبح هذا البرنامج المرحلي في حزيران ١٩٧٤ (دورة المجلس الوطني الفلسطيني) برنامجا وطنيا عاما لمنظمة التحرير ، ثم أصبح برنامجا رسميا عربيا عام ١٩٧٤ (قمة الرباط) ، ثم تبنته جميع فصائل الثورة الفلسطينية في المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في كانون الثاني عام ١٩٧٩ ، فأصبح بذلك البرنامج المرحلي لشعبنا وثورتنا ومنظمة التحرير .

للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين علاقات عربية ودولية واسعة ، فهي تحتفظ منذ عام ١٩٧٤ بعلاقات ثابتة ومتطورة مع الأنظمة العربية الوطنية ، ومع الأحزاب الحاكمة في البلدان الاشتراكية ، كما تحتفظ بعلاقات متطورة مع الأحزاب الشيوعية واليسارية في البلدان الرأسمالية ، ومع حركات التحرر الوطني ، وخاصة في بلدان الشرق الأوسط وإفريقيا وجنوب غرب آسيا والبحر الأحمر التي تشكل الحزام المحيط بالوطن العربي ، وفي أمريكا الوسطى والكاريبي وأمريكا الجنوبية .

يقوم تنظيم الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين على أساس هرمي ، فلها مكتب سياسي عدد أعضائه غير محدد ، ولجنة مركزية ، ومنظمات فرعية في جميع مناطق وجود الشعب الفلسطيني داخل الوطن المحتل وخارجه .

عقدت الجبهة مؤتمرها التأسيسي الأول في آب ١٩٧٠ في الأردن ، كما عقدت الكونفرنس التنظيمي الأول في تشرين الثاني ١٩٧١ ، والمؤتمر الوطني العام الثاني في أيار ١٩٨١ . ومنذ تأسيس الجبهة يمثل نايف حواتمة موقع الأمين العام لها .

أعطى الكونفرنس الوطني الأول اللجنة المركزية للجبهة الصلاحيات المخوّلة للمؤتمر الوطني العام . وتحت قيادة اللجنة المركزية ، وفي دوراتها الاعتيادية والموسعة المتتابعة ، استقرّ طابع التنظيم الحزبي للجبهة الذي يقود التنظمات الجماهيرية الديمقراطية فيها . وأهم هذه المنظمات الجماهيرية الديمقراطية : القوات المسلحة الثورية ، وتوات الميليشيا الشعبية ، ومنظمة الشبيبة الديمقراطية الفلسطينية ، والمنظمات النسائية الديمقراطية . وهذه المنظمات الجماهيرية الديمقراطية لوائحها الداخلية ، وبرامجها النضالية ، ووثائقها البرنامجية ، وهي تعمل تحت قيادة الجبهة الديمقراطية ، وتتوسع في صفوفها أعدادا واسعة من المناضلين الوطنيين . وهذه المنظمات الديمقراطية استقلالية نسبية عن الجبهة الديمقراطية التي تعتبرها بمثابة الرديف الكفاحي لمنظماتها الحزبية . وقد بدأت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين العمل بهذا الخط التنظيمي منذ الدورة التنظيمية الثالثة للجنة المركزية الثانية التي عقدت في آب ١٩٧٢ . ومنذ الدورة الاعتيادية الخامسة للجنة المركزية (١٩٧٤) استكملت الجبهة الديمقراطية وثائقها البرنامجية الأيديولوجية والسياسية والتنظيمية ، وبشكل خاص برنامجها السياسي ونظامها الداخلي . وأهمّ ما يلفت الانتباه في النظام الداخلي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين الاخاح على الاستقلالية النسبية لمنظمات الجبهة الحزبية في الأقاليم والفروع ، على أن تنسجم مع الاستراتيجية الوحدة والخط السياسي العام . كذلك كرّس النظام الداخلي للجبهة الديمقراطية الاستقلالية والشخصية المتميزة لمنظمة الجبهة الديمقراطية في الأردن (مجد) . وتجري هذه العملية التنظيمية تحت الإشراف المباشر للمكتب السياسي وسكرتاريا اللجنة المركزية واللجنة المركزية ، وهي ، كما أثبتت التجربة ، تنطلق من واقع التوزيع الجغرافي للشعب الفلسطيني ، ومن تباين شروط وظروف النضال في تجمّعاته المختلفة .

عقدت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين مؤتمرها الوطني العام الثاني من ٢٤ ـ ١٩٨١/٥/٢٧ تحت شعار : « في سبيل حزب طليعي جماهيري ، وفي سبيل انتصار النضال من أجل العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة » . وانتخب المؤتمر لجنة مركزية ، وأعادت اللجنة المركزية انتخاب نايف حواتمة أمينا عاما للجبهة ، وياسر عبد ربه أمينا عاما مساعدا . وتعتبر الجبهة الديمقراطية التقرير النظري والسياسي والتنظيمي الصادر عن المؤتمر وثيقة برنامجية أساسية ، وموجها لنضالها على الصُعُد الفلسطينية والقومية والأممية . وقد صدر عن المؤتمر بلاغ سياسي يؤكد أن المهمة الرئيسة الراهنة للثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية هي إلحاق الهزيمة بكامب ديفيد * ، وبأي مشروع للتسوية لا ينطلق من الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني ، والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في العودة إلى وطنه وتقرير مصيره ، وبناء دولته الوطنية المستقلة على ترابه الوطني بدون قيد ولا شرط .

للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، كما لجميع فصائل الثورة الفلسطينية ، عملياتها العسكرية ضد العدو الاسرائيلي . فمنذ تأسيسها تشارك بفعالية بارزة في الكفاح المسلح داخل الوطن المحتلّ وفي عمق دولة العدوّ . وعندما بدأت الجبهة الديمقراطية تدعم عام ١٩٧٤ لبناء الدولة الوطنية المستقلة وللبرنامج السياسي المرحلي صُعّدت من عملياتها العسكرية في العمق الإسرائيلي فكانت العمليات البطولية في معالوت (ر : ترشيحا ، عملية) ، وبيسان * ، وطبرية ، وعين زيف ، والقدس . . . الخ . وقد قدّمت الجبهة الديمقراطية آلافا من الشهداء والجرحى سقطوا في المعارك ضد العدو الإسرائيلي وفي الأراضي اللبنانية، وقامت

بتوثيق شهدائها في « سجل الخالدين » الذي صدر منه الجزء الأول في الذكرى العاشرة لتأسيسها . وتبني الجبهة الديمقراطية قوانها على أسس عسكرية نظامية ، وتعتبر الكتيبة الوحدة الأساسية في قوانها .

الجبهة الشعبية الديمقراطية في فلسطين المحتلة (١٩٥٨) :

مركزها مدينة حيفا في فلسطين المحتلة ، وتضم بعض العرب المنضمين للحزب الشيوعي الإسرائيلي * ومجموعة من العرب القوميين ، وبعض الشخصيات الفلسطينية المستقلة . وقد تشكلت سنة ١٩٥٨ ، بعد أن دعت لجنة تحضيرية مؤلفة من شخصيات وطنية فلسطينية إلى مؤتمر عام يعلن خلاله قيام « الجبهة العربية » . وفي السادس من تموز ١٩٥٨ عقد المؤتمران التأسيسيان للجبهة في آن واحد ، الأول في عكا ، والثاني في الناصرة . وقد أقر المؤتمرون دستور الجبهة وانتخبوا لجنتها التنفيذية .

حددت الجبهة لنفسها هدفاً رئيساً هو المطالبة بحقوق العرب، ومنها :

١) إعادة القرويين إلى قراهم .
٢) وقف سلب الأراضي العربية .
٣) إلغاء الحكم العسكري .
٤) إلغاء التمييز العنصري .
٥) استعمال اللغة العربية في جميع الدوائر الرسمية .
٦) عودة اللاجئين إلى أراضيهم وممتلكاتهم .

وقد تكونت الجبهة من هيئة عامة تضم جميع أعضاء الجبهة ، ولجنة تنفيذية تتألف من خمسة عشر عضواً يتم انتخابهم عن طريق الهيئة العامة .

تقدمت الجبهة بعد ذلك بطلب لتسجيل نفسها ، إلاّ أن السلطات الإسرائيلية رفضت ذلك ، لأن اسم « الجبهة العربية » اسم عنصري في نظرها . وقد اضطر أعضاء الجبهة إلى أن يستبدلوا باسمها اسماً معدلاً هو « الجبهة الشعبية الديمقراطية » . وأخذت الجبهة تناضل ضمن هذا الإطار ، ونجحت في إعلان الإضراب العام في أوساط العرب أكثر من مرة ، كما نجحت في إقامة عدة مراكز لها في القرى والمدن العربية . وبقي الأمر كذلك حتى نشوب الخلاف بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية في عهد عبد الكريم قاسم . وقد عكس هذا الخلاف نفسه على القوى المتحالفة داخل الجبهة ، فأيد الجناح القومي موقف الجمهورية العربية المتحدة ، على حين وقف الشيوعيون إلى جانب العراق .

وقد جرت عدة محاولات لرأب الصدع داخل الجبهة الشعبية الديمقراطية ، لكن هذه المحاولات باءت بالإخفاق ، وعندئذ اضطر الجناح القومي في الجبهة إلى الانسحاب منها ليشكل فيما بعد « حركة الأرض » * . أما الجبهة فبقيت مستمرة ومنتصرة على الشيوعيين وبعض الشخصيات الأخرى أمثال بني بني ، وشكري الخازن ، وطاهر الدّاهوم .

المراجع :

- حبيب قهوجي : العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي سنة ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٣ .
- صبري جريس : العرب في إسرائيل ، بيروت ١٩٧٣ .

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين :

أ - التكوين والتنظيم : يرتبط تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ارتباطاً وثيقاً بهزيمة حزيران والدروس النظرية والسياسية والتنظيمية التي أفرزتها وبلورتها تلك الهزيمة . كما يرتبط تأسيس الجبهة بحركة القوميين العرب وتنظيمها الفلسطيني وتجربته النضالية منذ نكبة عام ١٩٤٨ ، وبالدروس التي اكتسبها من تلك التجربة التي قادته منذ بداية الستينات الى الإعداد للبدء بالكفاح المسلح .

فبعد حرب ١٩٦٧ * سعى الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب لإيجاد إطار جبهة تضم مختلف الفصائل الوطنية ، لأن وجودها عامل أساسي من عوامل الانتصار ، ولأن منظمة التحرير الفلسطينية * بطابعها الرسمي آنذاك لم تكن تصلح لتشكيل هذا الإطار . وقد نتج عن ذلك إقامة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي ضمت الى جانب هذا الفرع ، جبهة التحرير الفلسطينية ، وتنظيم أبطال العودة ، وعناصر مستقلة ، ومجموعة من الضباط الوحدويين الناصريين . وصدر البيان السياسي الأول للجبهة في ١٢/١١/١٩٦٧ . لكن مسيرة هذا التشكيل تعثرت نتيجة خلافات سياسية في وجهات النظر ، فانسحبت جبهة التحرير الفلسطينية في تشرين الأول ١٩٦٨ وشكلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة * .

وعلى ضوء التطوّرات التي شهدتها منظمة التحرير الفلسطينية تخلت الجبهة الشعبية عن سعيها لإيجاد « جبهة وطنية » لأن منظمة التحرير الفلسطينية جسّدت في نظرها إطار هذه الجبهة بخطوطها العريضة .

إن هذا التطور جعل الجبهة الشعبية ، موضوعياً ، تنظيماً سياسياً مُحدّداً ، خصوصاً بعد انصهار تنظيم أبطال العودة إنصهاراً

كاملاً في صفوف الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب . وعندئذ بدأ العمل لتحويل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إلى تنظيم سياسي ماركسي ـ لينيني . ولكن عملية التحويل واجهت مشكلات وخلافات داخلية ، ورأى عدد من أعضاء الجبهة استحالة تحويل تنظيم برجوازي صغير إلى تنظيم ماركسي ـ لينيني . وقد أدّى هذا الخلاف إلى انشقاق « الجبهة الديمقراطية » عن الجبهة الشعبية .

عقدت الجبهة الشعبية في شباط ١٩٦٩ مؤتمراً أنيراً وثيقة « الاستراتيجية السياسية والتنظيمية » التي شكلت محطة هامة في مسيرة الجبهة وتطلّعها الى تحوّل التنظيم القائم إلى تنظيم ماركسي ـ لينيني مقاتل . وأقامت الجبهة الشعبية مدرسة لبناء الكادر الحزبي في الأردن ، وأصدرت مجلة « الهدف » التي ترأس تحريرها الشهيد غسان كنفاني " عضو المكتب السياسي للجبهة . لكن انغماس قيادة الجبهة الشعبية في العمل لتصعيد فعالية الجبهة ونشاطها السياسي والعسكري والجماهيري ضد العدو الصهيوني كان له أثره في تأخير عملية التحوّل .

انعقد المؤتمر الوطني الثالث للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في آذار ١٩٧٢ ، وقد أقرّ وثيقة « مهمات المرحلة الجديدة » ، والنظام الداخلي الجديد ، وأعطى عملية التحول وبناء الحزب الثوري ، أيديولوجياً وتنظيمياً وسياسياً ، الصدارة ، إيماناً منه بأن قدرة الثورة على الصمود والاستمرار تتوقف على صلابة التنظيم .

وقد نصّ النظام الداخلي الجديد على أن المبادىء الأساسية للجبهة الشعبية هي المركزية الديمقراطية ، والقيادة الجماعية ، ووحدة الحزب ، والنقد الذاتي ، وجماهيرية الحزب والثورة ، وعلى أن كل عضو سياسي في الجبهة مقاتل ، وكل مقاتل سياسي . وحدّد النظام الداخلي شروط العضوية وواجباتها وحقوقها ، ورسم الهيكل التنظيمي للحزب ، فهناك الهيئات المركزية التي تضمّ المؤتمر الوطني ، واللجنة المركزية ، والمكتب السياسي . تليها الهيئات القيادية للساحة ، كمؤتمر الساحة ، ولجنة الساحة المركزية وقيادة الساحة . ويأتي بعد ذلك مؤتمر المنطقة وقيادة المنطقة ، ثم مؤتمر القطاع وقيادة القطاع ، فمؤتمر الرابطة وقيادة الرابطة ، ثم الخلايا والحلقات .

وجاء المؤتمر الوطني الرابع للجبهة (٢٨/٤ ـ ١٩٨١/٥/٣) تحت شعار " المؤتمر الرابع خطوة هامة على طريق استكمال عملية التحوّل لبناء الحزب الماركسي ـ اللينيني والجبهة الوطنية المتحدة ، وتصعيد الكفاح المسلح وحماية وجود الثورة وتعزيز مواقعها النضالية ، ودحر نهج التسوية والاستسلام ، وتعميق الروابط الكفاحية العربية والأممية " . وقد ناقش المؤتمر التقارير المقدّمة إليه ، وانتخب لجنة مركزية جديدة للجبهة انتخبت مكتباً سياسياً جديداً ، وجدّدت انتخاب الدكتور جورج حبش أميناً عاماً للجبهة . وأصدر المؤتمر بياناً سياسياً حدّد فيه الوضع العام الفلسطيني والعربي والدولي ، ومهمات الجبهة في المرحلة القادمة ، ومهماتها الإستراتيجية ، والدروس المستخلصة من تجربة الثورة الفلسطينية ، وأهمها ضرورة توفر قواعد ارتكاز للثورة الفلسطينية ، والمرحلية في النضال الفلسطيني ، وضرورة النضال ضد نهج التسوية ومختلف التأثيرات التي يتركها في صفوف الجماهير .

ب ـ المرتكزات السياسية :

١) أهمية الفكر السياسي : تبرز الجبهة أهمية الفكر السياسي ، وأهمية سلامة الخط السياسي ، ودوره في انتصار الثورة . " إن شرطاً أساسياً من شروط النجاح هو الرؤية الواضحة للأمور ، والرؤية الواضحة للعدو ، والرؤية الواضحة لقوى الثورة ، وعلى ضوء هذه الرؤية تتحدد استراتيجية المعركة ، وبدونها يكون العمل الوطني عفوياً ومرتجلاً . . . " .

٢) الوظيفة الإمبريالية للكيان الصهيوني : إن الهدف الرئيس للغزوة الصهيونية كان ـ ولا يزال ـ زرع قاعدة بشرية مسلّحة تستند إليها الإمبريالية للوقوف في وجه حركة التحرر العربي التي يشكل انتصارها تهديداً لمصالح الإمبريالية في هذه المنطقة الحيوية من العالم . وليس صحيحاً أن الغزوة الصهيونية نتيجة اضطهاد اليهود في أوربا ، كذلك ليس صحيحاً الفصل بينها وبين المخططات الأمبريالية للمنطقة ، وفصل المعركة مع الكيان الصهيوني عن مجمل حركة الصراع الدائرة في المنطقة بين الجماهير من ناحية والإمبريالية من ناحية أخرى ، فهناك تلاحم عضوي بين (إسرائيل) والحركة الصهيونية من جهة ، والإمبريالية العالمية من جهة أخرى . وتؤكد الجبهة شعار « لا تعايش مع الصهيونية » ، وتشترط زوال الكيان الصهيوني لإشادة السلم العادل والدائم في المنطقة ، وترى أن جدّية التصدّي للإمبريالية مقياس لجدّية التصدّي للكيان الصهيوني .

٣) موقع « الرجعية العربية » في دائرة الصراع : تعتبر الجبهة الشعبية التناقض مع « الرجعية العربية » تناقضاً رئيساً لا ثانوياً ، وهي لا تؤمن بشعار « عدم التدخل في شؤون الدول العربية » أو « القضية الفلسطينية فوق الصراعات العربية » . وترى أن التحديد العلمي لموقع « الرجعية العربية » ، كقوة من قوى الخصم في المعركة المحتدمة بين الجماهير العربية وقواها الوطنية والتقدمية من جهة ، وبين الإمبريالية والصهيونية من جهة ثانية ، يجمي الثورة الفلسطينية من منزلقات ومخططات القوى الرجعية ، وغيابه يعني غياب الرؤية الواضحة . ولا يعني ذلك أن تقوم الثورة الفلسطينية بمهمة التغيير في البلدان العربية وإسقاط الأنظمة ، بل يعني " التحالف مع حركة الجماهير العربية وقواها التقدمية لإسقاط أي نظام خائن للقضية الفلسطينية " .

٤) « البرجوازية العربية » عاجزة عن إنجاز مهمة تحرير فلسطين : أثبتت التطورات التي تتابعت في عصر بعد وفاة جمال عبد الناصر " ان البرجوازية الوطنية الصغيرة التي نبدأ لدى تسلّمها السلطة بمناهضة الإمبريالية تتنقل تدريجياً ، من خلال نموّ مصالحها وهي في سدة الحكم ، إلى موقع التلاقي المتدرّج مع الإمبريالية . لذا يجب أن تكون علاقة الثورة بالبرجوازية الوطنية والأنظمة التي تمثّلها علاقة تحالف وصراع ؛ تحالف معها لأنها معادية للإمبريالية و (إسرائيل) ، وتناقض معها حول استراتيجيتها في مواجهة المعركة . فهناك ، في نظر الجبهة الشعبية ، استراتيجيتان : " استراتيجية البرجوازية الصغيرة التي تطرح نظرياً ، وتتبنه عملياً نحو استراتيجية الحرب التقليدية من خلال إعادة بناء المؤسسة العسكرية اذا ما تعذر الوصول لحل سلمي ، مقابل استراتيجية الطبقة العاملة التي تطرح نظرياً وتتبنه عملياً نحو حرب العصابات وحرب التحرير الشعبية التي تخوضها الجماهير بقيادة الطبقة العاملة " . وستتعايش هاتان الاستراتيجيتان زمناً إلى ان تتغلب في نهاية الأمر استراتيجية الطبقة العاملة في الساحة الفلسطينية والعربية معاً .

وهذه النظرة إلى البرجوازية تتبناها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لتحمي الثورة والجماهير من تضخيم دور البرجوازية الوطني ، ولتنبّه إلى الأخطار الكبيرة إذا كانت البرجوازية على رأس هرم التحالف الجماهيري المعادي للإمبريالية ، ولتؤكد في الوقت نفسه إمكان بقاء البرجوازية في الموقع الوطني عندما تكون الطبقة العاملة وبرامجها هي التي تقود معركة التحرير .

٥) العمال والفلاحون عماد الثورة وعمادها الطبقية الأساسية وقيادتها : إن حجم البطولات والتضحيات التي قدمتها الجماهير الفلسطينية والعربية في صراعها مع العدو الصهيوني يسقط الزعم الذي يلقي أي قسط من المسؤولية على الجماهير . وترتبط الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هذه الإخفاقات بالبنية الطبقية للقيادات التي كانت على رأس حركة الجماهير ، وترى أن الطبقة العاملة وحدها هي القادرة على قيادة نضال الجماهير نحو الانتصار .

وتشكل موضوعة قيادة الطبقة العاملة الفلسطينية والعربية لمعركة التحرير أهم مرتكزات الجبهة الشعبية . لكن ذلك لا يعني في نظرها الخلط بين مرحلة التحرّر ومرحلة البناء الاشتراكي ، ولا يعني إهمال التحالف الطبقي العريض الذي يضم ، إلى جانب العمال والفلاحين ، البرجوازية الصغيرة وقطاعات من البرجوازية الوطنية .

٦) ضرورة الترابط المتبادل بين النضال الوطني الفلسطيني والنضال القومي العربي : من الخطأ تذويب النضال الفلسطيني في إطار النضال القومي ، ومن الخطأ أيضاً عدم ربطه بالنضال القومي . فشعار استقلالية العمل والقرار الفلسطينيين شعار سليم عندما يتم ترجمته على قاعدة حماية الثورة الفلسطينية من الأنظمة العربية الرجعية والبرجوازية التي تحاول احتواءها ، ولكنه يصبح شعاراً غير سليم إذا قصد به حصر معركة التحرير بالشعب الفلسطيني ، إذ يؤدي ذلك إلى حرمان النضال الوطني الفلسطيني من توافر الشروط العربية الموضوعية التي تتطلبها معركة تحرير فلسطين . والثورة الفلسطينية تحتاج إلى قواعد ارتكاز محيطة بفلسطين تعتمد عليها في توفير العمق الجغرافي والبشري الذي تحتاجه حرب الشعب طويلة المدى . وهناك علاقة عضوية بين النضال الوطني الفلسطيني وحركة التحرّر الوطني العربي . وللثورة الفلسطينية والقضية الفلسطينية دور طليعي في تحقيق الأهداف القومية للأمة العربية .

٧) الأردن ساحة خاصة وأساسية وقاعدة ارتكاز للثورة الفلسطينية : تعود هذه الخصوصية الى حجم وطبيعة الوجود الفلسطيني في الأردن ، فنسبة الفلسطينيين هناك تبلغ ٦٥٪ من مجموع السكان ، وقد أصبحوا مواطنين في دولة الأردن ، لا مجرد لاجئين كما هي الحال في البلدان العربية ، بسبب عملية الدمج والإلحاق التي تمت في مؤتمر أريحا ١٩٤٨ (رَ : المؤتمر الفلسطيني ، أريحا) . والثورة الفلسطينية هي المسؤولة عن تعبئة وتنظيم الجماهير الفلسطينية في مختلف الأماكن ، بما فيها الساحة الأردنية . وإذا كان دور الثورة الفلسطينية في عملية التغيير الثوري في البلدان العربية الأخرى دور العامل المساند ، فدورها في الأردن هو دور الشريك الرئيس . والساحة الأردنية قاعدة ارتكاز للثورة الفلسطينية لجملة أسباب ، منها الحدود الطويلة بين الأردن وفلسطين ، وما توفره الساحة الأردنية للثورة الفلسطينية من قدرة على التعامل المكثّف مع الجماهير الفلسطينية داخل الأرض المحتلة ، ومنها ، وهو الأهم ، أنها في الأردن تقوم بدور طليعي خاص في تحرير الأرض الفلسطينية .

٨) الثورة الفلسطينية جزء من الثورة العالمية على الإمبريالية والصهيونية والرجعية : ترى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أن معاناة الشعب الفلسطيني من الاضطهاد والظلم والاستعباد والتشرد ليست سوى نتيجة مباشرة لممارسات النظام الرأسمالي العالمي وتطوّره إلى مرحلة الإمبريالية . والكيان الصهيوني كيان استيطاني أقامه النظام الرأسمالي ، ولا يزال يدعمه بكل أسباب القوة والبقاء . ليستند إليه كأداة أساسية في تأمين عملية استمرار التحكم بالمنطقة ، ونهب خيراتها ، واستغلال ثرواتها ، والإفادة من موقعها الاستراتيجي . ومن هنا يقف الشعب الفلسطيني في الخندق الذي تقف فيه مختلف الشعوب المضطهَدة والطبقات المتضرّرة من النظام الرأسمالي الاستعماري ، ومعركة هذا الشعب جزء من المعركة الكونية مع الإمبريالية والقوى الرجعية المرتبطة بها .

٩) حرب الشعب الطويلة الأمد هي الطريق الوحيد للتحرير :
إن تحرير فلسطين لا يتم إلا بالقوة ، ويجب ان تكون أشكال النضال الأخرى متمّمة لأسلوب الكفاح المسلّح . ولكن التفوق العسكري التكنولوجي للعدوّ الإمبريالي الصهيوني يجعل الحرب التقليدية السريعة الخاطفة لمصلحة العدوّ ، لهذا فإن الأسلوب الناجح المستخلص من تجارب الشعوب لمواجهة تفوق العدو هو أسلوب حرب العصابات التي تبدأ في مراحل الكفاح الأولى باستنزاف العدوّ تدريجياً ، ثم تعبّىء مع الوقت الطويل الملايين من أبناء الشعب الفلسطيني والعربي في حرب طويلة مستمرة قادرة في نهاية المسيرة على تحقيق الانتصار .

١٠) أهمية الموضوعة التنظيمية : للتنظيم السياسي أهمية كبيرة ، وبدونه تظل الأهداف السياسية ، على الرغم من صحتها وعدالتها ، أحلاماً وتمنيات . وقد جعل المؤتمر الوطني الثالث للجبهة (١٩٧٢) بناء الحزب الثوري المهمة الأولى ، وبناء الجبهة الوطنية المهمة الثانية . والحزب الثوري هو الحزب الذي يعتمد أيديولوجية الطبقة العاملة دليلاً نظرياً ، ويتشكل من طلائع الطبقة العاملة في تكوينه الطبقي ، ويستند إلى مبدأ المركزية الديمقراطية في علاقاته الداخلية . أما الجبهة الوطنية المتحدة فهي الإطار التنظيمي الذي يضم مختلف طبقات الثورة وأحزابها ومنظماتها .

إن منظمة التحرير الفلسطينية هي الجبهة الوطنية الفلسطينية العريضة التي تناضل الجبهة الشعبية ضمنها على أساس جماعية القيادة ، والعلاقة الديمقراطية بين فصائل الثورة المبنية على قاعدة الاستقلال الإيديولوجي والسياسي والتنظيمي لكل فصيل ، وتمثيل الفصائل في مؤسسات منظمة التحرير بحسب نمو أدوارها في العملية الثورية .

١١) هدف الثورة الفلسطينية تحرير فلسطين وإقامة الدولة الديمقراطية الشعبية على كامل الأرض الفلسطينية : إن هدف النضال الفلسطيني تحرير الأرض الفلسطينية من الوجود الصهيوني الإمبريالي الاستيطاني التوسعي . وليس الصراع مع العدو الصهيوني قائماً على أساس التعصب القومي أو الديني . ولذلك تهدف الثورة الفلسطينية الى تشييد دولة ديمقراطية شعبية يتمتع فيها العرب واليهود بحقوق وواجبات متساوية .

إن عملية تحرير فلسطين هي عملية تحرير للجماهير اليهودية التي حشدتها الإمبريالية الصهيونية لتستعملها وقوداً في حربها مع جماهير المنطقة ، ولذا فإنه من الطبيعي أن تحالف الثورة الفلسطينية مع القوى اليهودية المناهضة للإمبريالية والصهيونية . وهذه الدولة الفلسطينية ستتحد مع البلدان العربية ضمن مجتمع عربي تقدمي . وسيكون اليهود في فلسطين بعد التحرير مواطنين في مجتمع ديمقراطي اشتراكي .

جـ) أهم المواقف السياسية في مسيرة الجبهة الشعبية :

١) الموقف من الحكم الأردني : ترى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ان لهذا الحكم تأثيره الكبير السياسي والعسكري على الصراع العربي ـ الصهيوني بحكم الموقع الجغرافي . ولكنها كانت ترى منذ اللحظة الأولى لوجود المقاومة في الأردن استحالة التعايش بين الاثنين . ولذلك حصلت بينهما اصطدامات كثيرة . بل انها اعتبرت أن تردد الثورة في مواجهة الحكم قد ضيّع عليها فرصة ثمينة ومكّن الحكم من ضرب المقاومة في أيلول ١٩٧٠ ثم اخراجها من الأردن في تموز ١٩٧١ . وبذلك خسرت المقاومة أهم موقع لها بسبب خصوصية الساحة الأردنية وكونها الموقع الطبيعي والأساسي للثورة .

٢) التصدي لنهج التسوية بعد حرب ١٩٧٣ * ، وتأسيس جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للتسويات الاستسلامية : آمنت الجبهة الشعبية بأن التحركات التي تلت حرب تشرين كانت مؤامرة تهدف إلى إنهاء الصراع العربي ـ الصهيوني على قاعدة التسليم بالوجود الصهيوني ، واحتواء الثورة الفلسطينية بإفراغها بدولة فلسطينية تقوم في الضفة الغربية وقطاع غزة مقابل توقفها عن المطالبة بتحرير كامل التراب الفلسطيني . وكان حذف شعار « لا تفاوض مع العدو الصهيوني » من البرنامج السياسي الذي أقرّته الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني * سبباً في انسحاب الجبهة الشعبية من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وقد شكلت مع ثلاثة فصائل أخرى « جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية » . واستمر الانقسام في الموقف السياسي الفلسطيني إلى حين قام السادات بزيارة القدس ، فانعقد المؤتمر الأول لقمة الصمود والتصدّي ، واتفقت فصائل المقاومة المختلفة على « وثيقة طرابلس » التي رفضت مؤتمر السلام للشرق الأوسط * في جنيف ، وبهج التسوية ، وسجلت مبدأ اللاتفاوض مع العدوّ الصهيوني ، وربطت أي هدف مرحلي للثورة الفلسطينية بالشروط والضوابط التي تجعله خطوة على طريق الهدف الاستراتيجي لا بديلاً عنه .

٣) الحرب الأهلية في لبنان : ترى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أن المعارك التي اندلعت على الساحة اللبنانية بين المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية من جهة والقوات اللبنانية من جهة أخرى ، ليست معارك موقتة ومحدودة نسبّبها ظروف طارئة أو ممارسات لا مسؤولة . وهي ترى أن معارك أيار ١٩٧٣ كانت مقدمة للمعارك الواسعة التي شهدها لبنان منذ نيسان ١٩٧٥ .

وفي ضوء ذلك طرحت الجبهة الشعبية أن طبيعة المعارك وطبيعة

المخطط الإمبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي على الساحة اللبنانية لا تسمحان بأية إمكانية لحلول وسط للصراع ، لأن التناقض القائم تناقض تناحري لا يمكن حله إلاّ بهزيمة أحد طرفيه .

وقد طالبت الجبهة الشعبية القوى الوطنية والتقدّمية المعنية بالصراع بتحديد مواقفها وتكتيكاتها استناداً إلى هذا الأساس .

وتؤمن الجبهة الشعبية بأن بقاء البندقية الفلسطينية مرفوعة في لبنان يعني استمرار الثورة الفلسطينية . ويشكل هذا البقاء أكبر دعم سياسي ومادي ومعنوي لنضالات الجماهير الفلسطينية داخل فلسطين المحتلة .

وترى أيضاً أن البندقية الفلسطينية عنصر رئيسة أمام تمرير مشروع الحكم الذاتي ، وعقبة رئيسة أمام أي نظام عربي يريد اللحاق بكامب ديفيد . كما ترى أن بقاء البندقية الفلسطينية مشرّعة سيؤدي إلى استمرار إفراز حالة ثورية تنتقل تأثيراتها وانعكاساتها إلى المنطقة العربية .

واضافة الى ذلك ترى الجبهة الشعبية أن المخطط الإمبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي يستهدف الحركة الوطنية اللبنانية بنفس القدر الذي يستهدف به المقاومة الفلسطينية لتثبيت اقدامه على جماهير لبنان . ولذلك طالبت بضرورة " اعتبار الحركة الوطنية اللبنانية الأساس في عملية التصدي لهذه المحاولات في سبيل دحر مخططاتها ، واعتبار دور المقاومة الفلسطينية دوراً داعماً ومساناً ومشاركاً " .

د ـ الجانب العسكري : بدأ فرع فلسطين في حركة القوميين العرب الإعداد للكفاح المسلّح قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، ومارس النشاط العسكري قبله ، وسقط الشهيد الأول خالد أبو عيشة في ١٩٦٤/١١/٢ . وبعد الخامس من حزيران مارست الجبهة الشعبية الكفاح المسلّح من داخل الوطن المحتل ومن خارجه ، وكان نشاطها جزءاً من نضال فصائل المقاومة الفلسطينية العسكري .

وقد ألحقت ضربات موجعة بالعدوّ الصهيوني في جبال الخليل وقطاع غزة ، وشكّلت هناك بؤراً ثورية سلّحة ألحقت بقوات العدوّ الصهيوني خسائر كبيرة ، لكن سوء الظروف الموضوعية ، وتوقّف حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية ، وتفجير أحداث الأردن ١٩٧٠ ، وقيام العدو الصهيوني بعمليات عسكرية كبيرة ضد المقاومة أدت إلى تصفية الصف القيادي الأول لتنظيم الجبهة الشعبية في قطاع غزة الذي كان يقوده الشهيد محمد محمود الأسود * (غيفارا غزة) عضو المكتب السياسي للجبهة ، وأدّت إلى القضاء على عدد من المجموعات الثورية للجبهة في المناطق الأخرى ، غير أن ذلك لم يمنع من إعادة ترتيب الأوضاع ومواصلة القتال .

وبذلت الجبهة جهوداً عسكرية على مستوى العمليات الحدودية من خارج الأرض المحتلة ، فهاجمت قواتها دوريات العدو الصهيوني ومواقعه وكمائنه ، وزرعت الألغام ، وهاجمت مستعمرات الحدود ، مما أربك العدوّ واستنزف طاقاته .

وقد وجّهت الجبهة الشعبية ضربات عسكرية الى المصالح الإمبريالية ، كعملية تفجير خط أنابيب النفط المار بأراضي الجولان السورية المحتلة ، وعملية ناقلة النفط « الكبرول سي » في مضيق باب المندب . كذلك وجهت ضربات الى المصالح الصهيونية ومؤسسات العدوّ الاقتصادية خارج الوطن المحتل .

وقامت الجبهة الشعبية ، وتقوم ، بدورها في الدفاع عن المقاومة الفلسطينية ووجودها المسلّح أمام الهجمات التي تستهدف تصفيتها وإبادتها على الأرض العربية ، مشتركة في ذلك مع فصائل المقاومة الفلسطينية .

وفي لبنان كان لتنظيم الجبهة العسكري الموجود في تل الزعتر بقيادة عضو اللجنة المركزية للجبهة الشهيد أبو أمل ، إلى جانب جماهير الشعب الفلسطيني ومقاتلي الثورة الفلسطينية من مختلف فصائل المقاومة ، أثر في الصمود البطولي للمخيّم . كذلك وقف مقاتلو الجبهة الشعبية مع غيرهم من مقاتلي الثورة صامدين في الدفاع عن مدينة صور حين هاجم العدو الصهيوني جنوبي لبنان في آذار ١٩٧٨ .

وترتكز رؤية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لعملية المجابهة العسكرية مع العدوّ الصهيوني على ضرورة النضال من أجل الانتقال من مرحلة حرب العصابات المحدودة على مواقع ومؤسسات العدو الصهيوني العنصري إلى مرحلة حرب التحرير الشعبية التي ستكون رهناً بإيجاد القواعد الارتكازية الآمنة في بلدان الطوق العربية .

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ــ القيادة العامة :

شهدت خمسينات هذا القرن اشتعال عدد من الثورات الوطنية في أنحاء مختلفة من العالم في مقدمتها ثورة الجزائر ، وتحقيق انتصارات عربية تحررية كبرى تعكست آثارها على أبناء الشعب العربي الفلسطيني ، فأنعشت آمالهم بالعودة ، وكشفت أمام أعينهم الواقع السيء الذين كانوا يعيشونه ، فأخذت مجموعات نشطة منهم تبدي تململها من الخضوع للواقع المظلم ، وتدعو لبحث الوضع واقتراح الحلول ، وتعمل على التجمّع في تنظيمات ومجموعات صغيرة لتحقيق الآمال الوطنية والقومية المتجددة .

ومن بين هذه المجموعات حل تنظيم تشكّل سنة ١٩٥٩ اسم « جبهة التحرير الفلسطينية » ، وطرح شعار تحرير فلسطين بأسلوب الحرب الشعبية ، أو حرب العصابات . وقد جوبه هذا الشعار بالاستهجان والعداء من قبل الأحزاب العربية التقليدية المسيطرة

آنذاك خوفها من أن يشكّل خطرا على وجودها وتهديدا لمصالحها ، فأخذت توهم الجماهير أن الظروف الموضوعية تجعل الشعار غير قابل للتحقيق ، وأن مطلقيه جماعات مرتبطة بأجهزة أجنبية .

وعلى الرغم من أن جبهة التحرير الفلسطينية تجاوزت آنذاك مرحلة المملمة الجماهيرية ، وطرحت شعاراً محدّدا هو تبنّي الأسلوب العالمي للثورات ، أي حرب العصابات ، على الرغم من ذلك لم يكن القائمون على أمور الجبهة يملكون غير الرغبة الصادقة في العمل من أجل تغيير الواقع السيء الذي كان يعيشه الشعب الفلسطيني ، واسترداد الوطن المغتصب . ولم تكن عملية التنظيم السياسي والوعي الثوري قد تكاملت عندهم إلى حدّ تبنّي نظرية ثورية متكاملة تطرح على الجماهير ، لهذا كان برنامج الجبهة عاما انتقى ممّا هو موجود في الساحة العربية ، ونام على اكتلاف وتحالف طبقات الشعب من عمال وفلاحين ومثقفين ثوريين وبرجوازيين وطنيين ، وعلى أن المعركة مع العدو الصهيوني معركة تحرر وطني لا بد من أجل الانتصار فيها من تحالف مختلف القوى الوطنية .

تجسّد هذا البرنامج في المبادىء الستة التي طرحتها الجبهة وأطلقت عليها اسم « المبادىء الائتلافية » وهي :

١) الشعب العربي الفلسطيني هو المسؤول الأول عن قضيته ، ومن خلفه الشعوب العربية .

٢) رفض الوصاية على الشعب الفلسطيني من أي جهة ، سواء كانت نظاما ، أو حكما ، أو حزبا ، أو أية جهة أخرى . وقضية فلسطين قضية قومية ، ومن واجب كل عربي دعمها .

٣) تحريم التكتّل والنشاط الحزبي ضمن صفوف الجبهة .

٤) الديمقراطية ، والاستشارة ، والإجماع ضرورات لتحقيق انتصار المسيرة النضالية .

٥) رفض أنصاف الحلول ، والحلول الوسطى للقضية الفلسطينية ، أو أي مشروع تسوية القصد منه تصفية القضية الفلسطينية .

٦) شكل الحكم ، وكل ما يتعلق به ، متروك لما بعد التحرير ، ويقرره مجلس وطني فلسطيني .

وقد انطلقت الجبهة في وضعها هذه المبادىء من الظروف العامة الفلسطينية والعربية والعالمية ، وكان تشكّل الحد الأدنى لتحالف وطني لمختلف طبقات الشعب العربي الفلسطيني ، ولم يكن الإلحاح على الشخصية الفلسطينية في هذه المبادىء الستة ، ولا سيما الأول ، بدافع إقليمي ، بل كان لمواجهة محاولات الاستعمار والصهيونية وأعوانها في المنطقة العربية لتذويب كيان الشعب الفلسطيني في إطار الأقطار العربية المجاورة عن طريق التوطين والنفيد والوصاية ، بحجّة إسباغ الصفة القومية على القضية . وكانت الجبهة تسعى إلى تثبيت الشخصية الفلسطينية كي يمارس الشعب الفلسطيني حقه الطبيعي في الدفاع عن وجوده ومصيره .

اتبعت جبهة التحرير الفلسطينية في طور نشأتها أسلوب العمل السرّي . وقامت تنظيماتها على أساس التسلسل الهرمي من الزمرة إلى الفصيل ، ثم المجموعة ، فالجزئيات ، والفرعيات ، ثم المركز . وكان عدد أفراد التنظيم قليلا محدوداً أول الأمر ، لكن الجبهة أخذت تتوسّع وتنفتح على الجماهير وتضم إلى صفوفها عناصر جديدة كان من بينها أفراد من أقطار عربية مختلفة وصل بعضهم إلى مراكز قيادية في الجبهة ، مما يثبت بُعد الجبهة عن الإقليمية ، ويؤكد انطلاقتها القومية وإيمانها بأن انتصار القضية الفلسطينية لا يتحقق في إطار إقليمي .

وجابه استقطاب العناصر وإعدادها للقتال صعوبات كبيرة في ظل الأوضاع السياسية العربية القائمة آنذاك . وكان التدريب العسكري يتمّ في الجبال والمناطق النائية بعيداً عن أعين رقباء السلطة . وكان برنامج التدريب يستغرق وقتا طويلا بسبب طبيعته السرّية ، ولأن معظم العناصر هم من العمال والموظفين والطلاب غير المتفرغين تفرغا كاملا . وعلى الرغم من هذه الصعوبات ، ومن الاعتقال والسجن ، استطاعت الجبهة عبر سني النشأة والإعداد أن تهيء مجموعات مدرّبة على القتال ، مؤمنة بالتضحية من أجل الوطن .

في مطلع عام ١٩٦٤ ، وبعد خمس سنوات من التهيئة والإعداد ، عقد مؤتمر القمة العربي * الأول ، وتقرّر تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية * وإنشاء جيش التحرير الفلسطيني * . وقد هيأت جبهة التحرير الفلسطينية قرار مؤتمر القمة بتشكيل المنظمة وإنشاء الجيش ، ورأت فيها « لعبة الأنظمة العربية » لاحتواء التحرك النضالي الجديد لشعب فلسطين الذي أخذت هذه الأنظمة تكتشف وجوده من خلال التنظيمات السرّية المختلفة . وقالت الجبهة في بياناتها يومئذ إن ذلك ليس إلاّ امتصاصا لحماسة أبناء الشعب الفلسطيني وهدرا لطاقاتهم ، وما جيش التحرير الفلسطيني إلاّ جيش صغير يضاف إلى مجموعة الجيوش العربية ، وما منظمة التحرير الفلسطينية سوى مؤسسة مرتبطة بعجلة الأنظمة العربية ، ولن تستطيع أن تحرّك ساكنا إلاّ بأوامر هذه الأنظمة .

أ ـ بداية العمل العسكري : كان للجبهة في منتصف عام ١٩٦٤ كادر من العناصر المقاتلة قادر على العمل . ولكن الحاجة دعت ، بسبب صغر أعمارهم ، إلى تدريبهم في عمليات استطلاعية يتمرّنون بها على الأرض المحتلّة ومداخلها ومخارجها ليسهل عليهم

التحرك فوتها . وقد استمرّ ذلك حتى منتصف عام ١٩٦٥ تاريخ البدء بالعمليات العسكرية .

ضمت الجبهة ثلاث مجموعات قتالية هي :

١) مجموعة الشهيد عبد القادر الحسيني ، ومركزها الضفة الغربية ، وعملها محصور في الحدود المتاخمة للضفة الغربية .

٢) مجموعة الشهيد عز الدين القسام ، ومركزها سورية ، ونطاق عملها سهل الحولة * وطبرية * وقرى الجليل الأعلى .

٣) مجموعة الشهيد عبد اللطيف شروود ، ومركزها سورية أيضا ، وعملها محدود في منطقة الحدود المتاخمة لجنوبي لبنان وشمالي فلسطين .

وقد قامت هذه المجموعات الثلاث بعدد من العمليات العسكرية ، منها نسف قطار القدس ـ بئير في منتصف عام ١٩٦٦ ، ومهاجمة مستعمرة « دیشوم » في الجليل الأعلى التي سقط فيها أول شهيد للجبهة هو خالد الأمين ، ونسف سيارة ركوب كبيرة تحمل خبراء عسكريين على طريق الجاعونة (روشبينا) قبيل الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، ونسف سينما « رويال » في حيفا * ، حيث وقع أول أسير للجبهة بأيدي الصهيونيين هو المناضل سمير درويش ، بالإضافة إلى الاصطدام بكمائن العدو على الحدود المختلفة .

دعت « الجبهة » ، بعد حرب ١٩٦٧ * ، إلى لقاء جميع المنظمات الفلسطينية الموجودة على الساحة . وأثمرت الدعوة التقاء « جبهة التحرير الفلسطينية » و« أبطال العودة » و« شباب الثأر » ، ونشأت من ذلك الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين * التي دام وجودها قرابة عام ، ثم حدث الانشقاق ، وخرج بنتيجته تنظيمان هما :

١) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة .

٢) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وتضم مجموعة القوميين العرب .

عقدت الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة مؤتمرها الأول في نهاية عام ١٩٦٨ ، وأقرّت برنامجاً سياسيا أطلق عليه اسم « الميثاق » ، من أهم مبادئه :

١) المادة الأولى : إن الشعب العربي في كل مكان ، وفي مقدمته الفلسطينيون ، يرى أن الثورة المسلحة على العدوان والاحتلال الصهيوني للأرض العربية ، وعلى تحدّي الاستعمار الذي يكرّس هذا الاحتلال والعدوان ، هي طريقه الوحيد وحقه المقدس والطبيعي ، وليس لأحد أن يسلبه هذا الحق أو يمنعه من مزاولته إلّا إذا كان مناصرا للعدوان أو معاديا لهذا الحق وداعيا للاستسلام .

٢) المادة الثانية : إن قضية فلسطين قضية عربية قومية ، والثورة الفلسطينية مرتبطة ارتباطا عضويا ومصيريا بالثورة العربية وتشكّل عنصرا أساسيا من عناصرها وجزءاً منها لا يمكن فصله عن صلب الثورة العربية ضد الإمبريالية والاستعمار اللذين تشكل (إسرائيل) رأسا ومحليا لهما في الوطن العربي .

٣) المادة الثالثة : إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة تنظيم ليس له انتماء إلّا للقضية العربية التي يأتي في طليعتها تحرير فلسطين . لذلك فإن الجبهة الشعبية تستمد طاقاتها وقدراتها البشرية والمادية والمعنوية من جماهير الشعب العربي ، وتعتبر نفسها ملتزمة أمام هذه الجماهير وحدها ، منها تستمدّ العون ، وأمامها تحمل المسؤولية .

٤) المادة السابعة : لمّا كانت الثورة تقوم على أكتاف أصحاب المصلحة الحقيقية في الثورة ، وهي عناصر قوى الشعب من عمال وفلاحين ومثقفين ثوريين وبرجوازيين وطنيين . . . فإن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نفسها تنظيم جماهيري مستقل ، يرتكز (أولا) على انفتاحه الكامل لكل تلك العناصر الشريفة العربية المناضلة ، وليس تنظيما مغلقا متقوقعا على نفسه . و(ثانيا) على عدم ارتباطه بأي حزب أو حركة سياسية أخرى ، ولا يقبل في عضويته أي عضو أو عنصر ملتزم مع أي حزب أو حركة أو تنظيم آخر ، ولكنه يقبل انضمام أي عنصر يلتزم فقط بمبادىء الجبهة ، ويقيد بأنظمتها ، ويخلص لقضية الثورة من خلال إخلاصه لمبادىء الجبهة وسلوكها .

٥) المادة الثامنة : تؤمن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة بأن وحدة العمل العربي بهدف الثورة على الاحتلال والقوى المساندة له إنما هي أساس في طريق التحرير . كما تؤمن أن وحدة الكفاح والنضال للسلّح الفلسطيني عنصر هام في اختصار طريق انتصار هدف التحرير . ولذلك فهي تسعى جادّة ومؤمنة لتوحيد العمل بين المنظمات الفدائية الحقيقية العاملة على أساس مبادىء واضحة لخدمة هدف تحرير الأرض والإنسان . وتؤمن الجبهة أن الغاية من ذلك هي تحقيق العمل الفدائي وتنسيقه على أرض القتال وبين المقاتلين والمناضلين والثوّار الشرفاء .

عقدت الجبهة في أيلول ١٩٦٩ مؤتمرها العام الثاني الذي تبنّى بالإجماع الاشتراكية العلمية ، وكان ذلك منعطفا تاريخيا في مسيرة الجبهة . ثم انعقد المؤتمر العام الثالث في نيسان ١٩٧١ ، بعد أحداث الأردن وخروج قوات المقاومة منه وتوضعها في سورية ولبنان . وقد أكد المؤتمر الثالث الاشتراكية العلمية ، وتبنّى برنامجا سياسيا منطلقا منها .

واستطاعت الجبهة في هذه المرحلة أن تطوّر نفسها على مختلف المستويات . فعلى المستوى الفكري النظري قطعت أشواطا واسعة منذ المبادىء الستة الائتلافية ، إلى الميثاق بمنطلقاته العامة ، وحتى

النظرية الأشتراكية العلمية . وعلى المستوى التنظيمي وسّعت الجبهة مناطق انتشارها ، واستكملت عناصر القاعدة وأطر القيادة ، وبنَت الديمقراطية في عملها ، وعقدت ثلاثة مؤتمرات ، وشكلت لجنتين مركزيتين في المؤتمرين الأول والثاني ، وقيادة عامة للجبهة . أما من الناحية العسكرية فقد اتسع مجال نضال الجبهة المسلّح ، وتطوّر كمّاً ونوعاً ، وغطّى معظم أراضي فلسطين المحتلة ، وشمل أهدافا للعدو في أوربا . وعلى الصعيد الإعلامي اقتنت الجبهة صحيفة « إلى الأمام » ، واستطاعت من خلالها أن تعمّق صلتها بالجماهير ، وأن تقول حكمها في مختلف المواقف . لكن ذلك كله لم يحل دون ظهور عدد من السلبيات أثناء سيرة الجبهة يعود سببها إلى عدم وضوح الخط الفكري مدة طويلة قبل المؤتمر الثاني ، وإلى الارتجال والتجريب في العمل .

ب ـ المؤتمر العام الرابع : انعقد المؤتمر الرابع للجبهة في شهر آب ١٩٧٣ في ظل الأوضاع الجديدة التي نجمت عن غدو الساحة اللبنانية الساحة الرئيسة للعمل الفلسطيني . وقد أقرّ المؤتمر برنامجا سياسيا متكاملا أكّد في أول بنوده قيمة النهج الفكري والبرنامج السياسي في تاريخ الثورات الوطنية ، " فلا ثورة بدون نظرية ثورية ، فالنهج الفكري يسلّح الثورة باستراتيجية واضحة " . ولمّا كانت الثورة الفلسطينية جزءاً من حركة التحرر العربية ، وجزءاً من حركة التحرر العالمية من الاستعمار والإمبريالية فهي " ثورة ترتبط بمصلحة الإنسان وحريته التي هي كل لا يتجزأ في كل مكان من العالم " ، ولا بد من أن تنتهج " خطا يساريا ثوريا يعتمد أيديولوجية الطبقة العاملة ، نظرية الشعوب القهورة والمستغَلّة للتخلص من قهرها القومي وظلمها الاجتماعي " . واستراتيجية التصدّي للاستعمار والامبريالية وجميع مرتكزاتها على الأرض العربية قائمة على العنف المسلّح المنظمّ الواعي والكفاح الشعبي الجماهيري المسلّح المتصاعد إلى حرب تحرير شعبية .

" إن الكفاح المسلح أحد أشكال النضال الثوري وليس شكله الوحيد ، إنه أعلى مراحل النضال التحرري " كما جاء في بند ثان من البرنامج . وإن درجة قوة ووعي القاعدة تدلّ على مدى قوة التنظيم الجماهيرية ، وبلورة الوعي هي التي تحدّد نجاح ممارسة الكفاح المسلح في تحقيق مهماته .

وأكّد بند ثالث أن حركة النضال الفلسطيني من خلال ثورته الفلسطينية المسلّحة ليست حركة عنصرية عدوانية شوفينية توجّه نضالها ضد اليهود بقصد إبادتهم ، وأن نضالها نضال وطني ديمقراطي يستهدف إزالة الكيان الصهيوني الإمبريالي بكل مؤسساته الاقتصادية والسياسية والفكرية والثقافية ، باعتباره كيانا عنصريا عدوانياً ، وعودة الشعب العربي الفلسطيني إلى أرضه ، وتحرير كامل ترابه الوطني ، وتحقيق استقلاله وسيادته الوطنية ، وإنشاء دولته الديمقراطية التي يتمتّع في إطارها كل مواطنيها ، بغضّ النظر عن معتقداتهم الدينية ، بحق المواطنة ، بمعزل عن النزعات العنصرية والعدوانية والتوسعية للصهيونية . وتشكيل هذه الدولة جزء لا يتجزأ من الوجود الديمقراطي التقدمي العربي المعادي بسلام مع قوى التقدم والتحرر في العالم .

وقرّر البرنامج أن المرحلة هي مرحلة تحرّر وطني ديمقراطي تعني أن على كل وطني أن يبّ للدفاع عن وطنه وطرد المحتل من أرضه . " إن الطابع الوطني لهذا الكفاح هو الجوهر الأساسي لحركة الشعب الفلسطيني . ويعني بالتحديد أن جميع الطبقات الوطنية من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية الوطنية تلتقي في تحالف وطني مرحلي لانجاز مهمة التحرير " .

والصيغة التي يناضل الشعب العربي الفلسطيني تحت لوائها هي الجبهة الوطنية المتحدة من مختلف التنظيمات الوطنية ـ على اختلاف مواقعها الفكرية ـ التي يتمتّع كل منها باستقلال التنظيمي والأيديولوجي ، شرط الالتزام بتحرير كامل التراب الفلسطيني ، والكفاح ضد الإمبريالية والصهيونية والرجعية العربية بقيادة فكر الطبقة العاملة وحزبها الطليعي المتميّز تنظيميا وأيديولوجيا ، وبالاحتكام إلى برنامج سياسي . وعلى أن تكون طبيعة العلاقات بين مختلف هذه القوى علاقات " جبهوية " أساسها الحوار الديمقراطي .

والثورة الفلسطينية جزء عضوي من حركة التحرر العربي ، وهي تقوم بمهامها المختلفة من خلال واقع عربي ، لذا يجب أن تكون الأرض العربية ، ولا سيما المحيطة بفلسطين المحتلّة ، أرضا صديقة للثورة . ولا يكون ذلك إلاّ بقيام أنظمة اشتراكية تشارك الثورة الفلسطينية نضالها وتشكّل العمق الإستراتيجي لها . وليس كافيا قيام النظام الاشتراكي في قطر واحد ، بل يجب أن يقوم أكثر من نظام اشتراكي محيط بالساحة الفلسطينية .

إن تعميق التحولات الاجتماعية في الأقطار العربية ، وبناء القاعدة المادية للاشتراكية عن طريق تطوير المشاركة الشعبية في النضالات السياسية والجماهيرية ، وتكريس الحريات الديمقراطية والحريات السياسية للجماهير ضمن أفق العداء للرجعية وللمصالح الإمبريالية ، وتطوير الاقتصاد الوطني بتأكيد دور القطاع العام ، وفرض الرقابة الشعبية في مجالات الإنتاج ، وقطع أي حوار مع القوى الإمبريالية على الصعيد السياسي والاقتصادي ومحاربة غزوها الثقافي ... إن تلك الألوان من النضال هي المساهمة المشتركة بين الثورة الفلسطينية وهذه الأنظمة التي هي جزء من حركة التحرر العربية .

وقد تمّ في هذا المؤتمر العام الرابع وضع النظام الأساسي الذي يحدد الأطر التنظيمية للجبهة والعلاقات بينها . وقد أكدت المادة الأولى من النظام الأساسي مبدأ الديمقراطية المركزية في التنظيم شرطاً أساسياً لتمكين الجبهة من أداء مهماتها ، ولتكون عاصماً لها من جنوح الفرد وميوعة الديمقراطية .

وتحدثت المادة الثانية عن المؤتمر العام للجبهة فقرّرت أنه السلطة التشريعية العليا التي تتولى رسم إستراتيجية الجبهة الفكرية والسياسية والعسكرية والتنظيمية والإعلامية والمالية وغيرها ، وأن قراراته إلزامية . ويتشكل من عناصر منتخبة انتخاباً ديمقراطياً في المؤتمرات التحضيرية والفرعية (وعنصر المؤتمر عضو عامل في التنظيم منذ خمس سنوات ، أو عنصر مقاتل ، أو من تنظيم الأرض المحتلة منذ ثلاث سنوات) . وعدد أعضاء المؤتمر لا يقل عن ٤٥ عضواً ولا يزيد على ٥١ . ويضم المؤتمر مراقبين يراوح عددهم بين ١ و١٢ عضواً . وتعدّ للمؤتمر العام لجنة تحضيرية خاصة تشكلها اللجنة المركزية بدعوة من الأمين العام ، أو بدعوة من قبل ثلثي أعضاء اللجنة المركزية . وهذه اللجنة التحضيرية تحدد زمان ومكان انعقاد المؤتمر ، وتشرف على المؤتمرات التحضيرية والفرعية ، وتوجّه الدعوات الشخصية وجدول الأعمال للمؤتمر ، وتتلقّى الطعون في عضوية المرشحين للمؤتمر العام . وينتهي عملها عند انعقاد الجلسة الأولى للمؤتمر . أما المؤتمر العام نفسه فيجتمع دورياً كل سنتين ، أو استثنائياً حسب نظامه الداخلي . ولا يجوز تأجيل انعقاده أكثر من ثلاث سنوات . وهو يضع نظامه الداخلي في دورة انعقاده الأولى .

وخصصت المادة الثالثة للقيادات فذكرت أنها جميع العناصر التي تتسلم مهمة القيادة على مختلف المستويات . وتتميز بقدرة عناصرها على تحمّل المسؤولية كاملة في تصريف الأعمال والخطط المرسومة . وهذا يعني وحدة القيادة التي تدير عمل الجبهة وتنفذ سياستها .

أما اللجنة المركزية فقد ذكرت المادة الرابعة أنها السلطة التي تطبق وتراقب تنفيذ قرارات المؤتمر العام . وتحق لها وضع التشريعات التي لا تتعارض وقرارات المؤتمر العام . وللجنة نظام داخلي ، وتنتخب في أول اجتماع لها الأمانة العامة للجبهة وأعضاء المكتب السياسي . ويجب ألّا يقل عدد أعضاء اللجنة المركزية عن ثلث أعضاء المؤتمر العام ولا يزيد على النصف .

وقد كانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة بعد حرب ١٩٧٣ * من تنظيمات جبهة الرفض الفلسطينية ، وكانت لها مواقفها المستقلّة من الأحداث المتتالية التي شهدتها المنطقة وعاشتها الثورة الفلسطينية بعد هذه الحرب . وكانت تنطلق في تلك المواقف من برنامجها السياسي الذي أقره المؤتمر الرابع . وقد تعرضت الجبهة إبّان أحداث لبنان سنة ١٩٧٦ إلى انشقاق مجموعة من عناصرها بزعامة « أبو العباس » .

واجبهة عضو في منظمة التحرير الفلسطينية ، وهي ممثلة في اللجنة التنفيذية للمنظمة ، والمجلس المركزي ، والمجلس الوطني الفلسطيني * . وقد قام أفراد تنظيمها العسكري بالكثير من العمليات العسكرية الجريئة داخل الأرض المحتلة كعملية الخالصة * ، وأم العقارب * . وأرغمت العدو الصهيوني سنة ١٩٧٩ ، لأول مرة ، على الخضوع لشروطها والإفراج عن ٧٨ مناضلاً فلسطينياً أسيراً في سجون الأرض المحتلة مقابل أسير صهيوني في عملية تبادل عرفت باسم « النورس » .

الجبهة العربية : رَ : الأرض (حركة)

الجبهة العربية العليا :

كتلة انشقت في شهر أيار ١٩٤٦ عن اللجنة العربية العليا * التي تألفت أواخر عام ١٩٤٥ بوساطة عربية . وقد ضمت هذه الكتلة بعض المستقلين وزعماء الأحزاب الفلسطينية ، عدا الحزب العربي الفلسطيني * . وكان إنشاؤها مظهراً من مظاهر التنافسات الحزبية التي كانت قد شهدتها الحياة السياسية في فلسطين قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها .

لم تنجح محاولة رجال الحركة الوطنية في فلسطين لإعادة تشكيل هيئة جديدة تحلّ محلّ اللجنة العربية العليا التي كانت قائمة في فلسطين قبل الحرب إلّا بعد تدخل جامعة الدول العربية التي كانت تعقد الدورة الثانية لمجلسها في تشرين الثاني ١٩٤٥ . فتألفت بنتيجة ذلك اللجنة العربية العليا من ممثلي الأحزاب الفلسطينية ، وتركت الرئاسة للحاج محمد أمين الحسيني * عند عودته من المنفى . لكن عدم الانسجام بين أعضاء هذه اللجنة دفع إلى تزايد الخلاف بينهم ، على الرغم من الموقف الصعب الذي كانت تمر به القضية الفلسطينية آنذاك . وكان من أسباب الخلاف المشروع الإنشائي العربي * وإدارة مكاتب الدعاية . وكانت مطالبة الحزب العربي الفلسطيني بأن تكون له أكثرية المقاعد في اللجنة ، ولا سيما بعد عودة رئيسه جمال الحسيني * من منفاه في رودسيا ، سبباً في احتجاج الأحزاب الأخرى . وقد أخفقت جميع محاولات التقريب والتوفيق بين الطرفين ، وانتهى الأمر بتثبيت الانشقاق . فالحزب العربي الفلسطيني الذي كان يرى أنه يمثل الأغلبية ومن حقه أن يكون معظم أعضاء اللجنة من رجاله وقف بمفرده في جانب ، ووقفت الأحزاب الأخرى والمستقلون في الجانب الآخر . وقد أطلق جمال الحسيني على تجمعه الجديد اسم « اللجنة العربية العليا » دون تغيير ، في حين

سمّى الآخرون تجمّعهم « الجبهة العربية العليا » ، وتألفت من : عوني عبد الهادي * ، وحسين فخري الخالدي * ، وأحمد حلمي عبد الباقي * ، وراغب النشاشيبي * ، وعبد اللطيف صلاح * ، وسليمان طوقان ، ويعقوب الغصين * .

كان هذا الانشقاق مثار ألم وأسف وانتقاد . وقد بذلت جهود فلسطينية وعربية ، لنيل عقد مؤتمر بلودان * (٨ - ١٩٤٦/٦/١٢) ، للتقريب بين الفئات المختلفة ، ولإعادة تشكيل هيئة واحدة . وتمّ ذلك في مؤتمر بلودان الذي اتخذ قراراً بتنظيم تمثيل فلسطين بهيئة جديدة ، وبدعوة أهل فلسطين إلى التضامن والاتحاد (رَ : بلودان ، مؤتمر - ١٩٤٦) . فقد استدعى مجلس الجامعة أركان اللجنة العربية العليا والجبهة العربية العليا الى بلودان ، وانتهى الأمر في ١٩٤٦/٦/١٢ بتأليف « الهيئة العربية العليا * » من اثنين من كل هيئة ، ومثّل الجبهة العربية العليا أحمد حلمي عبد الباقي وحسين فخري الخالدي .

المراجع :

- محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، صيدا وبيروت ١٩٥٩ .
- اميل الغوري : المؤامرة الكبرى ، القاهرة ١٩٥٥ .
- خيرية قاسمية (إعداد) : عوني عبد الهادي ، أوراق خاصة ، بيروت .
- بيان نويهض الحوت : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٨١ .

الجبهة العربية في فلسطين المحتلة :

رَ : الجبهة الشعبية الديمقراطية في فلسطين المحتلة (١٩٥٨)

الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية :

رَ : المجلس الوطني الفلسطيني
رَ : منظمة التحرير الفلسطينية

الجبهة القومية في لبنان :

رَ : الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان (جبهة -)

الجبهة القومية للصمود والتصدي :

إثر الزيارة التي قام بها الرئيس المصري أنور السادات للقدس المحتلة يوم ١٩٧٧/١١/١٩ وإلقائه خطاباً في الكنيست * الإسرائيلي ، تلبية لدعوة مناحيم بيغن رئيس وزراء (إسرائيل) ، تبدت مظاهر الإدانة للزيارة وأغراضها في معظم البلدان العربية عل المستويين الشعبي والحكومي .

أ - مؤتمر القمة الأول (طرابلس ١٩٧٧) : دعت الحكومة الليبية إلى عقد مؤتمر قمة لرؤساء الدول العربية التي جاهرت بمعارضتها لمبادرة الرئيس المصري ، وأعلنت رفضها لنهجه وسياسته ، بغية دراسة هذا الحدث الذي يشكل منعطفاً خطيراً في مسيرة النضال العربي ضد الصهيونية و (إسرائيل) ، ومن أجل اتخاذ التدابير التي تصون مصالح الأمة العربية وحقوق الشعب العربي الفلسطيني . وهكذا اجتمع في طرابلس بليبيا رؤساء الجزائر وسورية وليبيا واليمن الديمقراطية ومنظمة التحرير الفلسطينية * وممثل عن الرئيس العراقي .

بدأ مؤتمر القمة هذا أعماله يوم ١٩٧٧/١٢/٢ ، وأنهاها في اليوم الخامس منه ، وأصدر بياناً عرف باسم « بيان طرابلس » وقّع عليه الرؤساء المشتركون في المؤتمر ، ما عدا ممثل العراق الذي وجد أن البيان لا يحقق الأهداف المنشودة .

اهتم المؤتمر كل الاهتمام بالزيارة التي قام بها الرئيس المصري للقدس المحتلة ، وبالنتائج التي يمكن أن تتمخض عنها في المستقبل ، وبالآثار التي يمكن أن تخلفها سياسة الحكومة المصرية في الصراع العربي - الصهيوني ، وفي قضية فلسطين والأراضي العربية المحتلة . ووجد المؤتمر أن ذلك كله يشكل خطوة جديدة وخطيرة نحو تنفيذ المخططات الصهيونية - الامبريالية ضد مصالح الأمة العربية ، ومن بين ما تهدف إليه تلك المخططات تحقيق ما يلي :

١) نسف إمكانية إقامة سلام عادل ومشرّف يحفظ للأمة العربية حقوقها القومية ، ويضمن لها تحرير أراضيها المحتلة ، وفي مقدمتها القدس ، ويضمن للشعب الفلسطيني حقوقه الوطنية الثابتة .

٢) تمكين القوى المعادية للأمة العربية ، وعل رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، من تحقيق مكاسب تبقي الاختلال بالتوازن الدولي لمصلحة القوى الصهيونية والامبريالية .

٣) إقامة تحالف بين العدو الصهيوني والنظام المصري بغية تصفية قضية فلسطين ، وتمزيق الأمة العربية ، والتفريط بمصالحها القومية » .

دان المؤتمر في بيانه الختامي زيارة الرئيس المصري للكيان الصهيوني " لأنها تشكل خيانة عظمى لتضحيات ونضال شعبنا العربي في مصر وقواته المسلحة ، ونضال وتضحيات ومبادىء الأمة العربية " . وحيا المؤتمر الشعب العربي المصري " وقواه الوطنية والتقدمية التي ترفض السياسة الاستسلامية التي ينفذها النظام

المصري " ، كما حيا "الشعب العربي الفلسطيني الصامد في الوطن المحتل ، بجميع هيئاته الوطنية ومنظماته الجماهيرية التي تناضل ضد الاحتلال والتي رفضت زيارة السادات لفلسطين المحتلة " .

اتخذ المؤتمر عدة قرارات أهمها :

١) العمل على إسقاط نتائج الزيارة ومباحثات الرئيس المصري مع قادة العدو الصهيوني .

٢) " تجميد العلاقات السياسية والدبلوماسية مع الحكومة المصرية ، ووقف التعامل معها عربياً ودولياً ، وتطبيق قوانين وأحكام وقرارات المقاطعة العربية على الأفراد والشركات والمؤسسات المصرية التي تتعامل مع العدو الصهيوني " .

٣) عدم المشاركة في اجتماعات جامعة الدول العربية ومنظماتها التي تعقد في مصر ، ودراسة موضوع نقل مقر الجامعة ومنظماتها إلى بلد عربي آخر ، ودراسة موضوع عضوية الحكومة المصرية فيها .

٤) مناشدة " الأمة العربية على المستويين الرسمي والشعبي ، تقديم الدعم والمساندة الاقتصادية والمالية والسياسية والعسكرية للقطر العربي السوري ، باعتباره أصبح يشكل دولة المواجهة الرئيسة وقاعدة الصمود والتصدي لمواجهة العدو الصهيوني ، وكذلك للشعب الفلسطيني ممثلاً في منظمة التحرير الفلسطينية " .

وقد ولدت « الجبهة القومية للصمود والتصدي » في مؤتمر طرابلس نتيجة اتفاق سورية ومنظمة التحرير الفلسطينية على " تشكيل جبهة موحدة بينهما ، لمواجهة العدو الصهيوني ، والتصدي لمؤامرة الامبريالية بكل أطرافها ، وإسقاط كل محاولة للاستسلام " . وقررت الجزائر وليبيا واليمن الديمقراطية " الانضمام لهذه الجبهة ، باعتبارها نواة جبهة قومية للصمود والتصدي يتاح للدول العربية الأخرى الانضمام إليها " . وقرر أعضاء الجبهة أن كل عدوان على أي عضو فيها يعتبر عدواناً على جميع أعضائها .

وكان من أهم النتائج التي تحققت أثناء انعقاد مؤتمر طرابلس اتفاق جميع فصائل المقاومة الفلسطينية ، مَنْ كان منها عضواً في مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية ومن لم يكن ، على وثيقة عمل موحدة صدرت في طرابلس يوم ١٩٧٧/١٢/٤ ، وتضمنت عدة نقاط أهمها :

١) المطالبة ببناء جبهة الصمود والتصدي لتكون " مناهضة لكل الحلول الاستسلامية الامبريالية والصهيونية وأدواتها العربية " .

٢) التشديد على رفض قراري مجلس الأمن ٢٤٢ (١٩٦٧) و٣٣٨ (١٩٧٣) ، وعلى رفض جميع " المؤتمرات الدولية القائمة على أساس هذين القرارين ، بما في ذلك مؤتمر جنيف " .

٣) " العمل على تحقيق ممارسة الشعب العربي الفلسطيني حقه في العودة وتقرير المصير في إطار دولة وطنية فلسطينية مستقلة ، على أي جزء من الأرض الفلسطينية يتم تحريرها ، بلا صلح ولا اعتراف ولا تفاوض ، كهدف مرحلي للثورة الفلسطينية " .

٤) تطبيق أسلوب " المقاومة السياسية ضد نظام السادات " .

وبالرغم من التحذيرات التي وجهها المؤتمر إلى الرئيس المصري ، وبالرغم من موقف الرفض والاستنكار الذي عبّر عنه الشعب الفلسطيني في فلسطين المحتلة وخارجها ، ومن المظاهرات التي قامت بها الجماهير في مختلف الأقطار العربية معبرة فيها عن تأييدها للصمود ورفضها للاستسلام ، استمرت الحكومة المصرية في سياساتها ، وعقدت مع مندوبي (إسرائيل) اللقاءات والمؤتمرات السياسية والعسكرية في مصر والقدس المحتلة . وظهر في الوقت ذاته أن الرئيس المصري كان يعمل مع الولايات المتحدة و (إسرائيل) على إيجاد أسس لحل منفرد إسرائيلي ـ مصري على حساب الحق العربي في الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة والحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني ، وأنه كان يبذل الجهد من أجل جر بعض الحكومات الى تأييد سياسته .

ب ـ مؤتمر القمة الثاني (الجزائر ١٩٧٨) : في إطار هذه العوامل والظروف ، وجد رؤساء الأطراف في الجبهة ضرورة عقد اجتماع يتدارسون فيه هذه العوامل والظروف ، ويسعون إلى اتخاذ التدابير لمواجهتها ، وللتصدي للمؤامرة التي ازدادت معالمها وأهدافها وضوحاً ، فاجتمعوا في مؤتمر جديد بمدينة الجزائر في الفترة ما بين ٢ و ١٩٧٨/٢/٤

لاحظ هذا المؤتمر " تحول النظام في مصر إلى أداة تستخدمها الإمبريالية الأمريكية وحلفاؤها لعرقلة مسيرة الأمة العربية نحو التحرر والتقدم والوحدة ، وإعاقة استرداد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني " . ووجد المؤتمر أيضاً أن الرئيس المصري يعمل ضمن مخطط إسرائيلي ـ أمريكي " يرمي إلى تحقيق التصالح مع العدو ، والاعتراف بشرعية وجوده ، وإقامة علاقات خضوع في المجالات المختلفة ، السياسية والاقتصادية والثقافية ، وفتح الحدود تمكيناً للصهيونية من السيطرة على الوطن العربي وموارده وإمكاناته . كما يهدف المخطط إلى مساعدة إسرائيل على تثبيت مفهومها بشأن التوسع والاحتفاظ بالأراضي ، بحجة الأمن المزعوم ، ويفسح أمامها المجال لتنفيذ الأهداف الرئيسة للصهيونية والامبريالية المتمثلة في تصفية حقوق الشعب الفلسطيني ، وفرض مشاريع تتناقض جذرياً مع تطلعاته الوطنية " . وأوضح المؤتمر أيضاً أن المخطط « يستخدم النظام المصري للقيام بدور معاد لمطامح الشعوب الإفريقية والعربية » ويرمي " إلى إخراج مصر وبعض الدول العربية من إطار سياسة عدم الإنحياز وربطها بالمعسكر الإمبريالي " ، كما يبغي أيضاً

" إلحاق ضربة قاسية بالتضامن العربي الهادف إلى حشد طاقات العرب ضد العدو الصهيوني لتحرير الأراضي ، واستعادة حقوق شعب فلسطين ، وخلق حالة من الشقاق بين الدول العربية تمكيناً لذلك المخطط من المرور دون مقاومة عربية شاملة " .

بعد ان أوضح المؤتمر هذه الحقائق التي سجلها في بيانه الختامي ، أكد تمسكه ببيان طرابلس ، وبالقرارات التي صدرت في اجتماع القمة الأول ، وحذر " أي طرف عربي ، حكومي أو غير حكومي ، أفراداً أو مجموعات ، من خرق قرارات القمة العربية في الجزائر والرباط ، بمحاولة ادعاء التمثيل الفلسطيني تحت أي عنوان . ذلك أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني " . وأعلن المؤتمر رفضه " لكل اتفاق يتم على حساب المصالح العليا للأمة العربية" ، ودان " كل اتفاق يمس بحقوق الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة " . وأوضح " ان الرئيس المصري لا يملك الصلاحية ولا الشرعية لكي يمثل أو يفاوض على قضية شعب فلسطين الذي تمثله منظمة التحرير الفلسطينية ، ولا يملك شرعية البحث في الأراضي العربية السورية المحتلة . كما أن الصراع الدائر بهم الأمة العربية بجموعها ، ولا يستطيع الرئيس المصري أن يقرر مصير هذا الصراع بمفرده ، لأن السلام لن يكون إلا عربياً " . وكرر المؤتمر دعوة الدول العربية " للوقوف بحزم إلى جانب سورية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، ودعم موقفها بمختلف الوسائل " ، وطالب الدول العربية " بحشد طاقاتها وتعبئة جهودها بمختلف الوسائل ، والعمل على تحقيق التوازن الاستراتيجي بين سورية والعدو الصهيوني " .

لم ينقض على عقد مؤتمر القمة الثاني للجبهة سوى أسابيع قليلة حتى قامت (إسرائيل) بهجوم واسع على جنوبي لبنان يوم ١٩٧٨/٣/١٥ ، واحتلته متهزة ضعف التضامن العربي وخروج مصر من ساحة الصراع العربي - الصهيوني . وكانت تهدف بذلك الى تصفية الوجود الفلسطيني في جنوبي لبنان والقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية ، أو على الأقل ، القضاء على دورها العسكري (ر : العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان ١٩٧٨) .

لكن المقاومة الفلسطينية المسلحة تمكنت ، بالمعارك التي خاضتها وأثبتت فيها قدرتها القتالية العالية ، وبالتضحيات التي قدمتها ، وبالتعاون مع القوى الوطنية اللبنانية ، أن تحول دون بلوغ العدو أهدافه .

جـ- مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع (دمشق ١٩٧٨) : رمن أجل دعم المقاومة الفلسطينية في نضالها ، وبغية مواجهة نتائج العدوان والاحتلال ، اجتمع في دمشق ، يومي ١٩ و ١٩٧٨/٣/٢٠ ، وزراء الخارجية والدفاع لأطراف الجبهة القومية ، وحددوا " الإجراءات العملية في المجالين السياسي والعسكري " ، واتفقوا على " تقديم معونات عاجلة إلى منظمة التحرير الفلسطينية " ، ووافقوا على تقرير أعدته " اللجنة العسكرية المنبثقة عن المؤتمر " وقرروا " تقديمه إلى الحكومات المعنية للعمل على تنفيذه " ، ورحبوا بما أعلنه وزير خارجية سورية في المؤتمر من أن سورية " تدعو كل العرب لتحمل مسؤولياتهم فوق أرضها ومن خلالها ، وترحب بأن يأخذوا مواقعهم على جغرافية سورية طالما ان هذه المواقع تخدم امتنا وتساعد في مسيرتها النضالية " .

استمر الرئيس المصري في سياسته فوقّع في كامب ديفيد في الولايات المتحدة (١٩٧٨/٩/١٨) مع رئيس وزراء (إسرائيل) ، وبحضور الرئيس الأمريكي ، على وثيقتين ترسمان أطراً وتتضمنان مبادئ تهدف الى تصفية قضية فلسطين (ر : كامب ديفيد) . وكان هذا التطور الجديد سبباً في عقد دورة ثالثة لمؤتمر القمة لأطراف الجبهة القومية .

د- مؤتمر القمة الثالث (دمشق ١٩٧٨) : اجتمع الرؤساء في دمشق في الفترة ما بين ٢٠ و ١٩٧٨/٩/٢٣ ، وانتهوا الى استخلاص الحقائق التالية التي ضمنوها بيان المؤتمر الختامي :

١) " إن سياسة الرئيس السادات ونتائج كامب ديفيد تمثل امتداداً للتآمر الأمريكي - الإسرائيلي على الأمة العربية ، وقضية فلسطين ، وحقوق شعبها " .

٢) إن نتائج كامب ديفيد " خرق لميثاق جامعه الدول العربية ، ومعاهدة الدفاع المشترك ، ومقررات مؤتمرات القمة العربية * " ، و " محاولة خطيرة لتصفية قضية فلسطين ونسف المنجزات السياسية التي حققها الشعب الفلسطيني بكفاحه ودماء شهدائه " .

٣) ألحق الرئيس السادات " ضربة جديدة بالتضامن العربي حين أخرج مصر من ساحة الصراع العربي - الإسرائيلي " وتخلى عن " المفهوم العالمي للسلام العادل في المنطقة الذي يقوم على أساس الانسحاب الكامل من جميع الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة ، والاعتراف بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني ، وخاصة حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي والوحيد " .

٤) " إن الاتفاقيات التي تم التوصل إليها في كامب ديفيد هي جزء من عملية شاملة لبسط نفوذ وسيطرة الإمبريالية الأمريكية والصهيونية على مصر والوطن العربي والقارة الإفريقية ، ولاستخدام النظام المصري كأداة لضرب حركات التحرر الوطني " .

٥) " تمثل اتفاقيات كامب ديفيد إقراراً من جانب الرئيس السادات بالمخطط الصهيوني الرامي إلى مواصلة اغتصاب التراب

الفلسطيني وإبقاء الضفة الغربية وغزة كمستعمرة تحت سيطرة نوات الاحتلال الصهيوني ، وصم القدس لتكون عاصمة لإسرائيل " .

٦) إن ما اتفق عليه الرئيس السادات مع العدو الصهيوني " لا يلزم الأمة العربية ، ويعتبر باطلاً وغير شرعي " .

اتخذ المؤتمر مجموعة من القرارات والتدابير لدعم الجبهة ، ولتمكينها من مواجهة المؤامرة ، من بينها :

١) رفض وإدانة اتفاقيات كامب ديفيد ونتائجها ، والتصدي لها ، وإسقاطها " ومواصلة الكفاح ، بمختلف الوسائل ، ضد العدو الصهيوني والامبريالية " .

٢) تحديد استراتيجية المرحلة المقبلة وفق الأسس التالية :

دعم منظمة التحرير الفلسطينية ، وحشد طاقات الأمة العربية ، وتحقيق تضامن عربي على أساس مكافحة العدو الصهيوني ونتائج كامب ديفيد ، ودعوة الدول العربية إلى تحمل مسؤولياتها القومية ، وإلى اتخاذ مواقف حازمة تجاه نتائج كامب ديفيد ، والانضمام إلى الجبهة القومية ، وتنبيه الرأي العام العالمي إلى خطورة اتفاقيات كامب ديفيد على الأمن والسلام في المنطقة وفي العالم .

٣) " قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع النظام المصري ، بما في ذلك المؤسسات والشركات ، وتطبيق قرارات المقاطعة العربية على الأفراد الذين يتعاملون مع العدو " .

٤) " اتخاذ الإجراءات العملية لدعم قوى الصمود التي تشكل سورية قاعدتها الأساسية ، والعمل على توفير المستلزمات لإعادة التوازن الاستراتيجي إلى المنطقة بعد خروج النظام المصري من ساحة الصراع ضد العدو الصهيوني " .

٥) " إدانة السياسة الامبريالية للولايات المتحدة الأمريكية بتحالفها مع العدو الصهيوني ونظام السادات ، واستمرارها في انتهاج سياسة متناقضة لحقوق وأهداف الأمة العربية ، الأمر الذي جعلها عدواً ، ولا يمكن اعتبارها وسيطاً في المساعي الجارية لتحقيق سلام عادل في المنطقة العربية " .

٦) العمل على نقل مقر جامعة الدول العربية ومنظماتها المختلفة من مصر .

٧) " دعم نضال الشعب المصري ، ممثلاً بقواه الوطنية والتقدمية ، لمواجهة تآمر النظام المصري على القضايا العربية المصيرية " .

٨) تأليف لجنة عسكرية من رؤساء أركان أطراف الجبهة لوضع صيغة لتشكيل القيادة العسكرية ، والتخطيط لمواجهة العدو ، وتحديد مراحل المواجهة ، وعرض ذلك على مؤتمر القمة القادم للجبهة لإقراره .

٩) دعم منظمة التحرير الفلسطينية والعمل الفدائي مالياً وعسكرياً .

ومن أهم ما انتهى إليه مؤتمر دمشق إصدار الرؤساء إعلاناً يتضمن مبادىء الجبهة القومية للصمود والتصدي وأهدافها ومؤسساتها . وأهم ما ورد في ذلك الإعلان :

١) يجب أن تكون الجبهة القومية للصمود والتصدي :

"(١) قاعدة للنضال القومي وتعبئة جماهير الأمة العربية وطاقاتها لتحقيق الأهداف العليا .

"(٢) أداة الأمة العربية في معركتها ضد الصهيونية ، والامبريالية ، ومن أجل الصمود والتحرير .

"(٣) قوة عربية منفتحة على كل القوى العربية التي ترغب في تحمل مسؤولياتها القومية " .

٢) تلتزم الجبهة بتحقيق الأهداف القومية الأساسية التالية :

(١) العمل على تحقيق الوحدة العربية ، ودعم النضال الوحدوي .

(٢) " اعتبار قضية فلسطين قضية العرب الأساسية ، وبالتالي فلا يجوز لأي طرف عربي التنازل عن هذا الالتزام أو المساس به ، أو القيام بأي إجراء من شأنه الإضرار بقضية فلسطين وبالحقوق القومية والتاريخية للشعب العربي الفلسطيني " .

(٣) " التحرير الكامل لجميع الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة " .

(٤) " الالتزام باسترداد الحقوق الوطنية الثابتة لشعب فلسطين ، بما في ذلك حقه في العودة وتقرير المصير ، وإقامة دولته الوطنية المستقلة في فلسطين ، رغم التفريط بقضية فلسطين أو المساومة عليها " .

(٥) دعم كفاح الشعب الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني .

(٦) حشد الطاقات الحربية ، العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، واستخدامها في الصراع ضد العدو الرئيسي الممثل بالوجود الصهيوني والامبريالية والاستعمار .

٣) تقوم الجبهة من أجل تحقيق أهدافها بالمهام التالية :

(١) " إقرار خطة العمل السياسي في المجالين العربي والدولي بشكل يؤدي إلى تعزيز الموقف القومي ، ويخدم أهداف الجبهة الأساسية ، ويسقط السياسات الاستسلامية والانهزامية " .

(٢) " إقرار المسائل المتعلقة بالسلم والحرب ، وتنظيم وقيادة شؤون الدفاع ، وإقرار الخطط المتعلقة بذلك " .

(٣) " اتخاذ القرارات بتوفير وسائل الدعم المالي والاقتصادي والعسكري للمواجهة " .

(٤) " مشاركة الطرف الذي يتعرض لأي عدوان ، بمختلف

الوسائل ، بما فيها القوة المسلحة ، على اعتبار أن العدوان على عضو في الجبهة هو عدوان على جميع أعضائها " .

٤) تتألف الجبهة من الأجهزة التالية :

(١) القيادة العليا : وتضم رؤساء الأطراف الأعضاء في الجبهة ، وتجتمع مرة كل ستة أشهر ، أو كلما دعت الحاجة .

(٢) اللجنة السياسية : وتضم وزراء الخارجية الأعضاء في الجبهة، ومهمتها متابعة تنفيذ قرارات القيادة العليا ، واقتراح خطط العمل السياسي . وتجتمع مرة كل ثلاثة أشهر ، أو كلما دعت الحاجة .

(٣) اللجنة الاعلامية : وتضم وزراء الإعلام الأعضاء في الجبهة . ومهمتها اقتراح الخطط الإعلامية ، ومتابعة تنفيذ القرارات المتعلقة بالإعلام . وتجتمع مرة كل ستة أشهر ، أو كلما دعت الحاجة .

(٤) القيادة العسكرية : ويتم تأليفها بقرار من القيادة العليا تحدد فيه صلاحياتها واختصاصاتها ومهامها وارتباط القوات المسلحة لأطراف الجبهة بها .

٥) يحق لكل دولة عربية تلتزم بمبادىء الجبهة وأهدافها أن تصبح عضواً فيها .

هـ ـ مؤتمر القمة السابع (طرابلس ١٩٨٠) : عاد رؤساء أطراف الجبهة إلى الاجتماع فعقدوا مؤتمر قمة رابعاً في طرابلس (ليبيا) من ١٢ إلى ١٩٨٠/٤/١٥ ، وانتهوا فيه إلى تأكيد قراراتهم التي اتخذوها في المؤتمرات السابقة بشأن تصفية فلسطين والنزاع العربي ـ الإسرائيلي ، ورأوا أن الجبهة أصبحت " نواة للموقف العربي الرافض للنهج الاستسلامي " ، ودعوا إلى تطويرها " وتجنيد طاقات أطرافها وتجسيد مؤسساتها " ليصبح عملها " أكثر فعالية في التصدي للمؤامرة وتحدياتها ، وتعميق التضامن العربي على قاعدة مواجهة مخططات كامب ديفيد وإسقاطها " .

واتخذ المؤتمر قرارات عديدة ، من أهمها :

١) تشكيل مؤسسات الجبهة الواردة في إعلان دمشق ، ومباشرتها عملها .

٢) التشديد على حق الثورة الفلسطينية في العمل من جميع الجبهات العربية ، ودعوة الأردن إلى تمكين الثورة الفلسطينية من ممارسة دورها عبر الجبهة الأردنية .

٣) مقاومة أي محاولة تستهدف الالتفاف على الموقف العربي ، ورفض أية تسوية لقضية فلسطين على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، أو أي تعديل ينطلق من القرار المذكور .

وقرر المؤتمر أيضاً " تشكيل قوة عسكرية وأمنية مشتركة للجبهة " يتولى قيادتها ضابط سوري يساعده ضباط أركان حرب من بقية أطراف الجبهة .

الجبهة المقاتلة الصهيونية : رَ : الإرهاب الصهيوني

الجبهة الوطنية الفلسطينية :

منذ الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة في عدوان عام ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) بدأت جماهير الأرض المحتلة تناضل ضد الاحتلال وإجراءاته. ثم تلاقت جميع الأطراف المقاومة للاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة مع قيادة الثورة الفلسطينية على ضرورة تأليف تنظيم جبهوي يضم الفئات والقوى ، وينظم عملية الكفاح ضد الاحتلال . وبتاريخ ١٩٧٣/٨/١٥ وزع على جماهير الأرض المحتلة برنامج للجبهة الوطنية يعلن ولادة التنظيم الجبهوي الذي يضم مجموعة من الأحزاب والتنظيمات والشخصيات الوطنية . ويتلخص برنامج الجبهة في :

١) مقاومة الاحتلال الصهيوني ، والنضال في سبيل تحرير الأرض العربية المحتلة ، واستعادة الحقوق الوطنية الثابتة للشعب العربي الفلسطيني ، ورفض كافة المشاريع التآمرية والتصفوية .

٢) الدفاع عن الأراضي والممتلكات العربية في وجه عمليات المصادرة والتهويد .

٣) التصدي لإجراءات الضم الاقتصادي وتخريب المؤسسات الاقتصادية الوطنية وطمس الثقافة الوطنية ، والعمل على إحياء التراث الشعبي الفلسطيني .

٤) الدفاع عن المعتقلين السياسيين ، والعمل على دعم التنظيمات الجماهيرية ، كالنقابات العمالية والمهنية والاتحادات والأندية .

وبعد إذاعة البيان الأول باشرت الجبهة نضالها على كافة الصُعُد تحقيقا للأهداف المعلنة ، فأصدرت العديد من البيانات السياسية ، وقامت بتنظيم التظاهرات والمذكرات وعرائض الاحتجاج . كما أصدرت صحيفة سرية باسم " فلسطين " . وقد لعبت الجبهة دورا بارزا في التصدي لكافة المؤامرات التي تستهدف تصفية القضية الفلسطينية ، إضافة إلى أنها ساهمت في رفع الروح النضالية داخل الأرض المحتلة . كما كان للجبهة دور أساسي في دفع الشخصيات الوطنية نحو الفوز في الانتخابات البلدية في الضفة الغربية لعامي ١٩٧٥ و١٩٧٦ ، الأمر الذي دفع السلطات الإسرائيلية إلى ممارسة كافة أشكال الاضطهاد ضد قيادتها وأعضائها ، فقامت هـ السلطات بزج العديد من قيادي الجبهة وأعضائها في السجون ،

إضافة إلى إبعاد بعض قياديها الأساسيين خارج الوطن المحتل . لكن الجبهة ما زالت تناضل رغم كلّ ما تلقاه من اضطهاد .

المراجع :

- بيان الجبهة الوطنية الفلسطينية بتاريخ ١٩٧٣/٨/١٥ .
- صحيفة دافار ، ١٩٧٤/٩/١ .
- صحيفة معاريف ، ١٩٧٤/٤/١٨ .

الجبهة الوطنية المتحدة في قطاع غزة :

هي التحالف الذي قام في قطاع غزة بين الحزب الشيوعي الفلسطيني ومنظمة حزب البعث العربي الاشتراكي وفرع جبهة تحرير فلسطين (ح . ت . ف) فضلاً عن بعض الشخصيات الوطنية الديمقراطية في القطاع .

قامت هذه الجبهة لمواجهة القوات الإسرائيلية التي احتلت قطاع غزة إثر حرب ١٩٦٧ * . وتشكلت سراً في أول آب ١٩٦٧ ، وظلت تمارس نشاطها حتى أواخر عام ١٩٧١ . وقد أصدرت ، منذ تشكيلها ، صحيفة "المقاومة" ، السرية الأسبوعية .

وفي أيلول ١٩٦٧ أصدرت الجبهة ميثاقها ، وفيه دعت إلى وحدة صفوف أبناء قطاع غزة ، وحشد الطاقات ، وتنظيمها ، وتصعيد المقاومة ، من أجل إحباط مشاريع الاحتلال الإسرائيلي ، وأغراض هذا الاحتلال . وأشار الميثاق إلى أن الجبهة ستناضل " بالأساليب التي تراها مناسبة " من أجل :

١) سحب قوات الاحتلال الإسرائيلي .
٢) عودة الإدارة المصرية إلى قطاع غزة .
٣) إسقاط مشاريع التصفية والتشريد .
٤) مقاطعة سلطات الاحتلال الإسرائيلي في كافة المجالات وإحباط مؤامراتها الرامية إلى تمويد الحياة في قطاع غزة .

وتدرجت الجبهة بالنضال الجماهيري ، مبتدئة بأشكال المقاومة السياسية النشطة من المنشور ، والصحيفة السرية ، والوقد ، والعريضة ،والمظاهرة ، والاضراب السياسي إلى المقاطعة والعصيان ، وصولاً إلى الكفاح المسلح . كل ذلك بما يتفق وغو القوى الوطنية في القطاع ، مما جعل الحركة الوطنية في قطاع غزة ، تأخذ، تحت الاحتلال الإسرائيلي ، مسارها الصحيح " من السياسة إلى المقاومة " .

وفي ١٩٦٧/١١/٢ نجح الإضراب السياسي العام الذي دعت هذه الجبهة إلى إعلانه في قطاع غزة ضد وعد بلفور* في ذكراه الخمسين ، وتنديدا بذكرى احتلال القوات الإسرائيلية لقطاع غزة لأول مرة (١٩٥٦ - ١٩٥٧) . وفي كانون الأول ١٩٦٧ شكلت الجبهة تنظيمها المسلح .

وقد دعت الجبهة سكان القطاع إلى التقشف والكف عن استخدام الكماليات لمواجهة الضائقة الاقتصادية وتحقيق الصمود الاقتصادي والسياسي . كما دعت إلى مقاطعة مناهج التعليم غير العربية ، والتصدي للحرب النفسية الإسرائيلية ، والبقاء على أرض الوطن ، والصمود في مواجهة إرهاب المحتل الإسرائيلي .

وعممت الجبهة شعارات : " الوطن أو الموت " ، " البقاء على أرض الوطن تحت كل الظروف " ، "الهجرة خيانة وطنية " ، " لن نتحول إلى لاجئين من جديد " . ردأبت على نشر أخبار الصعوبات المادية والنفسية التي يلقاها النازحون من قطاع غزة .

وفي مجال الدعاية الخارجية أجرت الجبهة اتصالات مع عدد من الصحفيين الأجانب في صحف " الغارديان " البريطانية و" أونيتا " الإيطالية ، و" لوماتيه " الفرنسية ، وأمدتهم بالمعلومات حول عسف قوات الاحتلال الإسرائيلي وأساليبها الإرهابية . كما أصدرت اللجنة الوطنية للمعلمين التابعة للجبهة ، بالاشتراك مع اتحاد المعلمين السري في الضفة الغربية ، بيانا في آذار ١٩٦٨ ، فضحت فيه الأساليب الإسرائيلية في تشويه الثقافة والتعليم وفي إرهاب معلمي وطلبة قطاع غزة والضفة الغربية المحتلين . وأرسلت من هذا البيان نسخا إلى الأمين العام للأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو* وجامعة الدول العربية وهيئات دولية أخرى .

كما وجهت الجبهة في صيف ١٩٦٧ نداء " إلى كافة المناضلين من أجل كرامة الإنسان وشرفه ، وإلى أنصار السلم والحرية والديمقراطية في العالم " ، ناشدتهم فيه التدخل لإيقاف الإرهاب الإسرائيلي .

وفي المجال التنظيمي اعتمدت الجبهة صيغة اللجان الوطنية ، وكانت كل لجنة لا تضم أكثر من خمسة أعضاء لا يشترط فيهم سوى الاستعداد لمكافحة الاحتلال الإسرائيلي .

وتعرضت الجبهة لضربات متلاحقة من سلطات الاحتلال الإسرائيلي جاءت على التوالي في كانون الثاني ١٩٦٨ ، وحزيران ١٩٦٨ ، وشباط ١٩٦٩ ، وتشرين الأول ١٩٧٠ . وبعد الضربة الأخيرة - التي قضت على من تبقى من قادة الجبهة - ترنحت الجبهة ، وتقطع نشاطها ، واعتراه الضعف إلى أن توقف مع نهاية عام ١٩٧١ . وفشلت محاولات إحياء الجبهة من جديد .

المراجع :

- عبد القادر ياسين : تجربة الجبهة الوطنية في قطاع غزة ، بيروت ١٩٨٠ .

جبّـــول (قريـــة ـ) :

قرية عربية تقع في الجهة الشمالية من مدينة بيسان * ، وتصلها طرق معبدة ثانوية بكل من بيسان وقريتي كركب الهوا * والحميدية * . كما تصلها دروب ممهدة بخربتي زيعة وأم صابونة . وقد عرفت في العهد الروماني باسمها الحالي .

أقيمت جبّول فوق احدى التلال التي تمثل أقدام مرتفعات الحافة الجبلية لغور بيسان . وترتفع ١٠٠ م فوق سطح البحر . ويجري في أراضيها الجنوبية وادي العشّة الذي ينحدر من المرتفعات الجبلية غربا ويخترق غور بيسان ليرفد نهر الأردن * .

بنيت بيوت جبّول من الحجر واللّبن ، واتخذ مخططها شكلا دائريا شعاعيا ، إذ تتفرع شبكة من الشوارع الضيقة لتربط بين وسط القرية والشوارع الدائرية المحيطة بالوسط . وكانت مباني القرية تمتد على شكل محاور بمحاذاة الطرق المتفرعة من جبّول نحو القرى المجاورة ، وتبلغ مساحة القرية إلى ٣٣ دونما في عام ١٩٤٥ . وقد اشتملت جبّول على جامع صغير وعلى عدد قليل من الدكاكين . وكان السكان يعتمدون على مدينة بيسان وقرية كوكب الهوا في الحصول على حاجاتهم وعلى الخدمات الأخرى مثل التعليم والصحة والتجارة وغيرها . وكانت عين المرّة الواقعة في شرق جبّول تزود السكان بالمياه . وتحتوي جبّول على بعض الآثار التاريخية القديمة كالمدافن وبقايا المباني القديمة (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

مساحة أراضي جبّول ١٥،١٢٧ دونما ، منها ١٥٨ دونما للطرق * والأودية ، و٣٠ دونما تسربت للصهيونيين . وكانت هذه الأراضي تستغل في زراعة الحبوب * والخضر * وبعض الأشجار المثمرة ، إلى جانب استغلال أقدام التلال التي تنبت عليها الأعشاب الطبيعية في الرعي * . واعتمدت الزراعة * على مياه الأمطار .

بلغ عدد سكان جبّول في عام ١٩٢٢ نحو ٢٣١ نسمة . وانخفض عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٢١٨ نسمة كانوا يقيمون في ٥٠ بيتا . وفي عام ١٩٤٥ قدر عدد السكان بنحو ٢٥٠ نسمة . وقد اعتدى الصهيونيون على جبّول عام ١٩٤٨ فطردوا سكانها العرب منها ، ودمروا بيوتهم ، واتخذ مكان مستعمرة « بيت يوسف » الواقعة شرقي جبّول يستغلون أراضي القرية العربية .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠،٠٠٠ ، لوحة ام قيس .

جـــت رمـــون : رَ : بلعـام

جـــدّة (مؤتمر ـ) :

أسفرت معركة أيلول ١٩٧٠ بين المقاومة الفلسطينية والسلطات الأردنية عن توقيع اتفاقية القاهرة التي وضعت أسس توقف القتال وسبل التفاهم بين الطرفين . وتلا ذلك توقيع اتفاقية أخرى عرفت باسم اتفاقية عمان كانت أشبه باتفاقية تنفيذ للاتفاقية الأولى . فقد حددت أماكن وجود القوات الفدائية وأساليب عملها . ولكن بعد أن وقعت معركة أحراش جرش في تموز ١٩٧١ ، وانتهى بنتيجتها وجود المقاومة الفلسطينية في الأردن ، ألغت الحكومة الأردنية من جهتها ، واقعيا ، اتفاقيتي القاهرة وعمان .

وبسبب هذا الوضع قامت وساطة مصرية ـ سعودية كان هدفها إعادة التفاهم بين منظمة التحرير الفلسطينية * والحكومة الأردنية لضمان عودة العمل الفدائي إلى الأردن من جديد . وأسفرت هذه الوساطة عن عقد مؤتمر باسم « مؤتمر جدة » أو « وساطة جدة » . وقد عقد هذا المؤتمر على مرحلتين : بدأت المرحلة الأولى في ١٩٧١/٩/١٥ وانتهت في ٩/٢٤ بالفشل . وبدأت المرحلة الثانية في ١٩٧١/١١/٨ وانتهت بعد فترة تأجيل في ١٩٧١/١١/٢٦ وانتهت بدورها إلى الفشل . ثم أعقبها في ١٩٧١/١١/٢٨ اغتيال وصفي التل ، رئيس وزراء الأردن آنذاك ، في القاهرة على يد ثلاثة شبان فلسطينيين ينتمون إلى منظمة (أيلول الأسود) . فانتهت بذلك محاولة إعادة الحوار بين منظمة التحرير والحكومة الأردنية .

كان رئيس الوفد الأردني في المفاوضات رياض المفلح ، ورئيس الوفد الفلسطيني خالد الحسن ، أما الوسيطان العربيان فكانا حسن صبري الخولي (مصر) وعمر السقاف (السعودية) .

وقد فشل اللقاء الأول للمؤتمر بسبب إصرار الوفد الأردني على إلغاء اتفاقية عمان وضرورة وضع اتفاقية جديدة تحلّ محل اتفاقيتي القاهرة وعمان ، وهما الاتفاقيتان اللتان أصر الوفد الفلسطيني على التمسك بهما حرفيا .

وفي المرحلة الثانية من المؤتمر وافق الوفد الفلسطيني ، بتفويض من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، على البحث في

تعديل اتفاقية عمان بما لا يمس جوهرها ، على ألا يعني هذا التعديل وضع اتفاقية جديدة . وقد تم ذلك بالفعل ، ولكن الوفد الأردني أصر على تعديل بند يتعلق بحق منظمة التحرير في أن تكون ممثلا شرعيا للشعب الفلسطيني أينما وجد فلسطينيون . وهو ما رفض الوفد الفلسطيني القبول به ، رغم أنه قدم للوفد الأردني تنازلات أخرى طالب هذا بها . وعند هذه النقطة فشلت المفاوضات .

المراجع :

ـ شؤون فلسطينية : العددان ٥ و ٦ ، تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٧٢ ، بيروت .

جِـدِّيـن (قريـة) :

خربة أصبحت قرية في عهد الانتداب البريطاني بعد أن استوطن فيها السكان العرب . وتعرف أيضاً باسم خربة جدّين رغم أنها عادت معمورة . تقع شمال شرقي عكا * وجنوب غربي قرية ترشيحا * . وقد أقيمت على تلة ترتفع ٤٢٠م عن سطح البحر . وتعد تلعة « جودين » التي بناها الفرنج في أواخر القرن الثاني عشر أو أوائل القرن الثالث عشر الميلاديين النواة الأولى لهذه الخربة . وكان الغرض الأساسي من بناء القلعة إيجاد نقطة حصينة يتمركز فيها الصليبيون أثناء حروبهم . وقد دمر العرب هذه القلعة الحصينة عام ١٢٨٨ م لمنع الصليبيين من استعمالها ثانية ضدهم . وبقيت القلعة مدة طويلة مهجورة حتى عادت الحياة إليها باتخاذها مقرا لصاحب بلاد صفد في أيام حكم الشيخ ظاهر العمر * . وقد أعاد الشيخ ظاهر ترميمها وتحصين جدّين ، وما زالت بقاياها ظاهرة للعيان إلى اليوم .

جدّدت هذه الخرائب الأثرية الحصينة بعض سكان المنطقة للإقامة بجوارها في ما عرف باسم خربة جدّين . وقد سكنها نحو ١,٥٠٠ نسمة من عرب الصوالحة أقاموا في نحو ١٣٠ بيتا من اللّبن ، وكانوا يعملون بتربية الماشية .

بلغ مجموع الأراضي التابعة لجدّين ٧,٥٨٧ دونما ، منها ٧,٥٣٣ دونما مكسوة بأحراج السنديان والسريس والخندول والبلان والبطم (ز : النباتات الطبيعية) . وخصص ٥٤ دونما لزراعة القمح * والشعير والتبغ . وكان العرب يملكون من هذه الأراضي ٤,٢٣٨ دونما ، والصهيونيون ٣,٣٤٩ دونما ، في أواخر عهد الانتداب البريطاني .

وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون جدّين بعد استيلائهم على قلعتها الحصينة ، فاضطر سكانها العرب إلى مغادرتها إلى القرى المجاورة في بداية الأمر ، ثم نزحوا فيما بعد إلى جنوب لبنان . وقد استغل الصهيونيون هذه البقعة الأثرية كموقع سياحي .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة عكا .

جِـدِّيـن (معركة ـ) :

أطلق قائد جيش الإنقاذ * إلى قائد فوج اليرموك الأول المقدم أديب الشيشكلي يطلب إليه أن يقوم ليلة ١٩٤٨/١/٢٢ بمهاجمة إحدى المستعمرات الصهيونية في منطقة الخليل لتغطية عبور فوج اليرموك الثاني نهر الأردن * بقيادة المقدم محمد صفا من جهة ،

وللحصول على معلومات عن قدرات الصهيونيين العسكرية ، ودرجة مناعة المستعمرات ، ونوع تحصيناتها ، من جهة أخرى .

اختار قائد الفوج الأول مستعمرة "جدّين" القريبة من ترشيحا* لتكون هدف هذا الهجوم . وكانت هذه أولى عمليات الفرج . وقد خطط لمفاجأة المستعمرة ، فتم له ذلك ، وأطبق عليها بثبات تحت ستار النيران التي تيسرت له .

قاتل الصهيونيون بعناد دفاعا عن المستعمرة ، لكن القوات العربية المهاجمة استطاعت احتلال المراكز الأمامية . فأخذ الصهيونيون يدفعون النجدات إلى جدّين ، بيد أنها أخفقت في كسر طوق الحصار والدخول إلى المستعمرة ، إذ اشتبكت مع جنود الفوج فهزموها ودمروا عددا من مصفحاتها ، وكبدوها خسائر في الأرواح .

ظل ضغط الهجوم على المستعمرة ، ومن فيها مستمرا ، واشتملت النيران في بعض المباني ، وتراجع المدافعون إلى حصن المستعمرة حيث تابعوا المقاومة إلى أن وصلت قوة بريطانية لنجدتهم ظهر يوم ٢٣ كانون الثاني ، فتراجعت قوات فوج اليرموك تنفيذا للتعليمات التي تلقتها ، وتحينا للصدام مع القوات البريطانية التي لولا تدخلها لسقطت المستعمرة بأيديهم .

كانت خسائر الفوج الأول ١٨ شهيدا هم أول شهداء جيش الإنقاذ . وكانت خسائر الصهيونيين خارج المستعمرة أكثر من داخلها ، فقد دمر القسم الأكبر من النجدات الصهيونية وردّ الباقي على أعقابه .

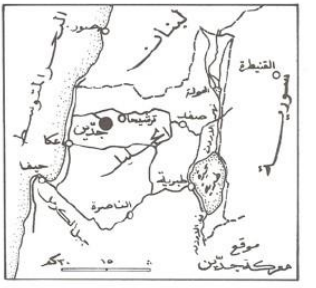

وعلى الرغم من أن معركة جدّين هي المعركة الأولى التي خاضها جيش الإنقاذ في فلسطين تحت ضغط الظروف الطارئة آنذاك ، وقبل استكمال تجهيز قطعاته وتدريب جنوده ، على الرغم من ذلك حققت المعركة عدة نتائج هامة . فقد رفعت الروح المعنوية وإرادة النضال لدى أبناء الشعب العربي الفلسطيني ، وقدّمت للقيادة العربية معلومات وافية عن قوة المستعمرات الصهيونية ، ومناعتها ، وتحصينها ، وأساليب الدفاع عنها . كذلك حققت غايتها الأولى ، ومكّنت فوج اليرموك الثاني من عبور نهر الأردن إلى النطقة المخصصة له في فلسطين .

المراجع :

– خيرية قاسمية (إعداد) : مذكرات فوزي القاوقجي ، بيروت ١٩٧٥ .

جـــذام (قبيلة –) :

تنتسب إلى عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة بن كهلان . وهي تدّعي أنها يمانية ، وهناك روايات تشير إلى أنها من مضر ، ولكنها عاشت بين قبائل قحطان في اليمن ، فنُسي أصلها بتقادم الزمن ، وعدّت من القحطانية .

وجذام من القبائل البدوية التي استقرت قبل الإسلام * عند حدود سورية وفلسطين الجنوبية (ر : العرب قبل الإسلام في فلسطين) . وعند ظهور الإسلام كانت جذام تستوطن في أرض حسْمَى ، وهذه نفسها هي مواطن ثمود * في القرن الثاني للميلاد . وانتشرت بطونها في وادي القرى وتبوك وأيلة ، وفي طور سيناء ، وهي على طريق مرور القوافل التجارية ، تتولى حراستها وجباية رسوم المرور منها .

وبسبب الاتصال بالبيزنطيين تنصرت أفخاذ من جذام . ويبدو أن نصرانيتهم لم تكن عميقة ، حتى ان ابن الكلبي يصفهم ضمن أقوام سورية الذين عبدوا الأوثان .

وقفت جذام إلى جانب البيزنطيين في مجابهة الجيش الإسلامي في موقعة مُؤتة ، ثم اشتركت إلى جانب البيزنطيين في معركة اليرموك سنة ١٥هـ/٦٣٦م . ولكن لم يمض وقت طويل حتى دخلت جذام الإسلام ، وشاركت الجيش الإسلامي في تحرير سورية من البيزنطيين .

وخلال العصر الأموي * كانت جذام تستوطن القسم الأكبر من جند فلسطين ، ووقفت مع كلب * في الصراعات القبلية ، وكوّنت معها حجر الأساس في التكتل اليماني في بلاد الشام . ووقفت أثناء الحرب الأهلية مع الكتلة اليمانية إلى جانب مروان بن

الحكم حتى انتصر . واستمرت جذام في ولائها للأمويين ، وأثبتت أنها سند لهم في أغلب الصراعات السياسية التي واجهوها .

المراجع :

– ابن السائب الكلبي : الجمهرة في الأنساب ، مخطوط .
– جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٦٨ .
– محمد كرد علي : خطط الشام ، ج١ ، دمشق ١٩٢٦ .

ابن الجرّاح الأزدي :

ينسب إلى ابن الجراح الأزدي ثلاثة : أب ، وابنه وابن عم لهما . والجميع من عصر واحد هو القرن الثالث الهجري . فأما الأب فهو محمد بن عمرو بن الجراح الأزدي الفلسطيني الغزي ، وأما الابن فاسمه أبو العباس عبد الله . وأما ابن العم فهو داود بن الجراح . وكان الثلاثة من رواة الحديث والفقهاء .

والسابق منهم في العمر والظهور هو داود الذي كان يسكن فيما يظهر عسقلان وينسب إليها . وقد عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري وكان له عدد من التلاميذ . ولعله توفي أواسط القرن الثالث الهجري .

واشتهر أبو عبد الله محمد بن عمرو بن الجراح بعد أن درس في مكة على مالك بن أنس ، وفي دمشق على يد الوليد بن مسلم وأبي زرعة الرازي ، واستقر في غزة * . وفي تلك الفترة عرفت فلسطين أواخر أيام الارتباط بالعراق وحكام سامراء ، وعرفت ثورة حاكمها العباس بن السليل ، ثم حكم الوالي التركي أماجور قبل أن تنتقل منذ سنة ٢٦٤ هـ إلى حكم أحمد بن طولون ، ثم ابنه خمارويه في مصر . لكن فلسطين بعد هذا وذاك كانت قد بمرحلة من النشاط الاقتصادي والفكري ، وكان يفد إليها الكثيرون من خراسان والعراق سواء للتجارة أو لطلب ما لدى علمائها من الحديث . وكان ممن زارها البخاري والترمذي وأبو داود وابن ماجه من أقطاب علم الحديث وغيرهم كثيرون .

وقد تلمذ أبو داود سليمان بن الأشعث المحدّث الكبير صاحب « السنن » لأبي عبد الله بن الجراح وأخذ عنه . وقد عرف هذا الأخير أنه حافظ كثير الحفظ وأنه ثقة في العلم وأنه عابد كثير الصيام في المتّقين ، وقد بقي في حدود سنة ٢٨٠ هـ ، وتوفي وقد بلغ الثمانين أو جاوزها .

وبرز معه ومن بعده ابنه أبو العباس عبد الله الذي أخذ عنه أبو داود أيضا وابن جرير الطبري والاسفراييني وآخرون ، ولم يكن يقل عن أبيه في الثقة والعلم . ولا نذكر المصادر تاريخ وفاته ، ولعله توفي بين أواخر القرن الثالث ومطالع الرابع الهجريين .

المراجع :

– ابن حجر : تهذيب التهذيب ، حيدر آباد ١٣٢٥ ـ ١٣٢٧ هـ .
– ياقوت : معجم الأدباء ، بيروت ١٩٦٨ .

جَـرّافِـي (وادي ـ) :

من أكبر أودية جنوب فلسطين طولا ومساحة حوض . ومن أهمها لكونه فاصلا تضريسيا واضحا في هضبة النقب * يقسمها إلى وحدة شمالية وأخرى جنوبية . وهو من أبرز الروافد اليسرى لوادي عربة ، يحمل إليه مياه السيول الجارية في معظم منطقة وسط وجنوب النقب ، إضافة إلى تصريفه مياه سيول مساحة كبيرة من شرق شبه جزيرة سيناء ، بين العقبة * في الجنوب وجبل سماوي في أقصى الشمال . ويدخل وادي جرافي الحدود الفلسطينية شمال الكنتيلة .

تشكل جبال البيار في الجنوب ، وأم وتاد في الجنوب الشرقي ، وجبل الحمرا في الشرق ، وجبل خشم النطارف في الشمال الغربي والغرب ، تشكل المرتفعات والجبال المحيطة بمنخفض واسع تنحدر إليه مياه سيول عشرات الأودية الجافة المكوّنة للمجرى الأعلى لوادي جرافي في سيناء غرب منطقة العقبة . وتراوح ارتفاعات الجبال المذكورة بين ٨٦٠ م و١٠٢٦ م ، في حين يبلغ الارتفاع المتوسط للحوض المذكور ما بين ٦٧٥ م و٧٢٥ م . ويخرج الوادي من هذا المنخفض متجها شمالا ، ومارّا بين كتلتي جبل الحمرا وجبل خشم النطارف ، ومخترقاً هضبة سيناء الشرقية المحاذية للحدود ، حتى يصل إلى موقع الكنتيلة قاطعاً مسافة ٤٠ كم بعد خروجه من المنخفض . وتساير الوادي في هذا القطاع أودية كثيرة ، تتجه شمالا أيضا لتُرفد وادي التمراني القادم من الجنوب الغربي لسيناء رافداً وادي جرافي عند الحدود الفلسطينية ـ المصرية . ومنها ينتهي المطاف بالأودية القادمة من سيناء من جميع الاتجاهات (ولا سيما الشمالية والغربية والجنوبية الغربية) في وادي جرافي الذي يصبح اتجاهه شمالياً شرقيا بعد موقع الكنتيلة . ومن أشهر هذه الأودية وادي خداخد ووادي أم حلوف .

إن القطاع الأنف الذكر من وادي جرافي الذي يقدر طوله بنحو ٨٠ كم يقع خارج الحدود السياسية * لفلسطين ، وهو يشكل المجرى الأعلى وجزءاً من المجرى الأوسط لكامل وادي جرافي . ويتصف باتساع واضح قد يصل إلى كيلومتر واحد ، وبعمق قليل لا يتجاوز بضعة أمتار ، كما تقل على جوانبه الحافات الجرفية

الواضحة لأنه يسير في منطقة صخور طرية ـ لينة مؤلفة من الانقاض واللحقيات وغطاء الحمادة من الحقبة الرابعة الجيولوجية .

يدخل وادي جرافي أراضي فلسطين من موقع لا يتجاوز ارتفاعه ٤٧٥ م ، ويسير على امتداد محور عام يتجه شمالا شرقيا مع تمرجات ومنعطفات واضحة على طول مجراه مسافة ٣٨ كم ، حتى يصل قريبا من بئر عادة (رَ : الآبار أو ابن عودة). ويتعمق الوادي في هذا القطاع في صخور صحراء الجرافي المؤلفة من الحجر الجوّاري ـ الكلسي العائد للكريتاسي الأعلى (السانونن والكامبان) ، وتتخلله مسافات من الصوان . فالوادي يحفر مجراه في الصخور الصلبة نسبيا

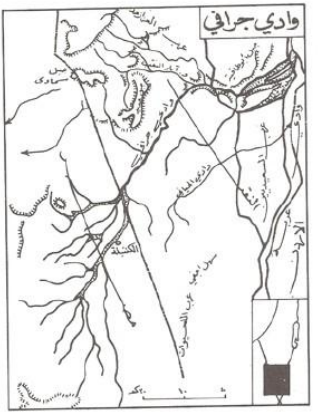

في صحراء الجرافي ، وتظهر حافاته على شكل جروف قائمة نحو الشمال الشرقي . وكلما تعمق الوادي تناقص اتساعه ، فلا يتجاوز عرضه ٣٠٠م أو ١٠٠ م باتجاه بئر عادة حيث يرسم الوادي خوانق واضحة . ويلاحظ في هذا القطاع تناقص بيّن في عدد الأودية السيلية الرافدة لوادي جرافي وأهميتها بالمقارنة مع شبكة الأودية الكثيفة التي ترفده في القطاع الأول قبل الحدود .

يتجه وادي جرافي من شمال بئر عادة نحو الشرق بعد التقائه برافد هام قادم من غرب الشمال الغربي هو وادي آبار النقب* . ثم يخرج من المجرى الأوسط ويدخل مجراه الأدنى شاطرا هضبة النقب إلى جزء شمالي وآخر جنوبي . تأثر وادي الجرافي في مجراه الأدنى بالوضع البنائي السائد في تضاريس المنطقة ، والمتمثل بخط صدع (انكسار) رئيس كبير يقطع هضبة النقب من موقع بئر المعين في أقصى الغرب حتى قمة جبل أبو شمّاعة المطل على وادي عربة والحدود الفلسطينية ـ الأردنية في أقصى الشرق . وقد فرض هذا الصدع على وادي جرافي خط سيره المذكور . ويتابع الوادي سيره بعد التقائه بوادي آبار النقب شرقا حتى مرتفعات جرافي ، ويتلقى قبلها رافداً أيسرَ هامًا آخر هو وادي عديد على بعد ٧ كم من مصب وادي آبار النقب . وفي هذا القطاع القصير يتسع الوادي حتى يصل عرضه إلى نحو كيلومتر ، ثم يضيق إلى أقل من ١٠٠ م ، وتشرف عليه جوانبه بجروف صخرية قاسية .

وبعد ٦ كم من مرتفع جرافي ، وإلى الشمال الغربي من جبل أبو حمد ، يخرج الوادي من المرتفعات الوعرة المخدّدة بالمجاري السيلية ليدخل أرضا سهلية منبسطة مثلثة الشكل ، رأسها في الغرب وقاعدتها في الشرق والشمال الشرقي عند وادي عربة ، تشكل سهلاً يرجع نشوؤه إلى تباعد التلال والمرتفعات المشرفة على وادي جرافي في كتلة جبل حدُود في الشمال وجبل أبو حمد وامتداده الشرقي في جبل أبو شمّاعة في الجنوب . ومع انبساط الأرض وانفراجها تنفرش أرض الوادي ليزيد عرضها على كيلومتر ، ويصبح محور سير الوادي شماليا شرقيا مسافة ١٧ كم حتى يلتقي أخيراً بوادي عربة في مصب يبلغ عرضه ١,١٠٠م . ويتميز وادي جرافي في هذا القطاع بكثرة تفرعاته وتعرجها على أرض السهل المنبسطة ، وبتلقّيه سيول وادي الهيا الذي يرفده من الجنوب قبل كيلومترين من التقائه بوادي عربة .

وهكذا يقطع وادي جرافي مسافة ٦٧ كم بعد الحدود الفلسطينية . وهو يدخلها على ارتفاع ٤٧٥ م ، وينتهي في مصبه على ارتفاع ٧٥ م فوق مستوى سطح البحر ، أي بفارق ٤٠٠ م ، وانحدار عام قدره ١ : ١٦٨ تقريبا . أما طول الوادي الكامل فيبلغ ١٤٧ كم ، بفارق ارتفاع عام يصل إلى ٧٠٠ م بين بدايته ومصبه وبانحدار قدره ١ : ٢١٠ . أما أشد أجزاء الوادي انحدارا فهو المجرى الأوسط الذي تعمق في صخوره . وفيما عدا ذلك يحفر وادي جرافي طريقه ضمن توضعاته ونرسباته من الحقبات والفاصل الحقبة الرابعة الجيولوجية التي تغطي قاعه ، وتنفرش على أرض سهل الهيا عند مصبه .

أما نظام جريان المياه في وادي جرافي فتتحكم فيه تحكماً مباشراً الأوضاع المناخية الصحراوية السائدة في منطقة حوضه حيث تنعدم العيون والينابيع . فدرجات الحرارة السنوية المتوسطة في المنطقة تراوح بين ٢٣° و٢٥° ، وترتفع في شهر آب إلى متوسط شهري بين ٣٠° و٣٢° . أما متوسط شهر كانون الثاني فما ينخفض عن

١٢° - ١٤°. ولا تتجاوز كميات الأمطار السنوية ١٠٠ مم، ويبلغ متوسطها نحو ٥٠ مم . ويقابل هذا تبخر مرتفع يراوح بين ١٨٠٠ و٢,١٠٠ مم سنوياً . ويعكس ذلك كله طبيعة المناخ الصحراوي (ز : المناخ) السيطر على هذا الجزء من فلسطين بصورة جلية . ولهذا فإن نظام الجريان في وادي وحوض جراني سيلٌ غير منتظم ، يرتبط بزخّات الأمطار الفاجئة في فصل الشتاء . وينـدر أن تعمّ الأمطار أجزاء الوادي كلها . فوادي جراني هو نموذج مثالي للأودية الصحراوية في فلسطين .

وحوض وادي جراني الصحراوي من أفقر مناطق فلسطين على الإطلاق ، فسطح الأرض صخري حجري وعر ، والمياه معدومة ، باستثناء بعض الآبار القديمة القليلة العذوبة . والمناخ * قاس متطرف في قاريته وجفافه . كما أن طرق المواصلات فيه مقتصرة على بعض الدروب والمسالك الضيقة ، إلى جانب طريق واحدة تقطع مجرى الوادي وتصل بين بير السبع * وخليج العقبة . أما الثروات الباطنية فتقتصر على وجود كميات محدودة من الفوسفات * والنحاس * ليست لها أهمية اقتصادية تدعو إلى استثمارها . ولذا كانت منطقة الوادي والمساحات المحيطة بها مسرحا لتنقّل القبائل العربية وقطعان الأغنام والجمال منذ القدم . وتعتبر المنطقة حرما لغزلان الأحيوات والسعيديين ، إضافة إلى امتداد مجال تجوال قبيلة العزازمة في الشمال إلى منطقة الجرافي . وهكذا ، فإن المنطقة ذات كثافة سكنية تقل عن شخص واحد في الكيلومتر المربع ، وهي خالية من آثار تجمعات سكانية سابقة ، فهي صحراء طبيعيا ، وبشريا ، واقتصاديا .

المراجع :

ـ خريطة فلسطين ، مقياس ١: ١٠٠,٠٠٠ لوحتا الكثيلة وبئر المعين .

الجرجاشيون :

من الأقوام السامية التي كانت تستوطن أرض كنعان (فلسطين) قبل الغزو الإسرائيلي . وتردد اسم الجرجاشيين في عدد من أسفار التوراة * حيث اعتبروا من سلالة كنعان * (سفر التكوين ١٠ : ١٦) . ولذلك يرجح بعض الباحثين أنهم كانوا من الشعوب السامية . ولم تحدد التوراة مناطق إقامتهم في فلسطين ، وهناك من يعتقد أنهم كانوا يقيمون في المنطقة الجبلية المحيطة بمدينة القدس ، وأن لهم صلة باليبوسيين * سكان هذه المدينة التي كانت تعرف باسم « يبوس » . بيد أن هناك من يرى في صيغة اسمهم التي وردت في التوراة ما يشير إلى رجوعهم إلى أصل حوري . فإذا صحّ هذا الرأي كان الجرجاشيون من الشعوب غير السامية التي كانت مستقرة في فلسطين ، كالحثّيين * والحوريين * ، إلى جانب الشعوب السامية كالكنعانيين والعموريين * ، قبل مجيء الإسرائيليين . ويرجح العلماء ان المصريين أشاروا إلى الجرجاشيين باسم « كركاشي » الذي ورد في قائمة اكتشفت في مصر تضم أسماء الشعوب التي وقعت إلى جانب الحثيين في حربهم مع الملك المصري رعمسيس الثاني .

يبدو مما تقدم أن الرأي ما زال مختلفاً في تحديد هوية الجرجاشيين القومية ، ولعل أكثر الآراء قبولاً في ضوء ما يتيسر من الأدلة في الوقت الحاضر هو الرأي القائل إنهم من الشعوب السامية .

وكان الجرجاشيون على ما يبدو مما ورد في سفر يوشع (١١ : ٢٤) من الشعوب التي حاولت الوقوف في وجه الغزو الإسرائيلي ، إلا أنهم وقعوا أخيراً تحت نفوذهم وسلبت أراضيهم كما سلبت أراضي الشعوب الأخرى .

المراجع :

ـ أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، بغداد ١٩٧٢ .

— Masler B.: in Zeitschrift fuer die altestamentliche Wissenschaft und die Kunde des nachbiblischen Judentum (ZAW) 50, 1952.

جَرَش (قـرية ـ) :

قرية عربية تبعد مسافة ٢٨ كم إلى غرب الجنوب الغربي من مدينة القدس * ، وتربطها طريق فرعية معهدة تمر بقرى سفلى * وبيت عطاب * وعلّار * بطريق بيت جبرين ـ بيت لحم ـ القدس الرئيسة المعبدة . وتربطها طريق معهدة أخرى بقرية دير أبان * أكبر القرى المجاورة لها . وهي قريبة جداً من خط الحدود الإدارية بين قضائي القدس والخليل .

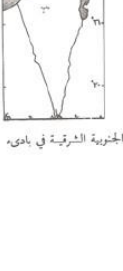

أقيمت جرش على السفح الغربي الأدنى لأحد جبال القدس * وتطل بارتفاعها الذي يبلغ ٤٢٥م فوق سطح البحر على وادي أبو صليح المتجه شمالاً ليرفد وادي الصرار . وتنحصر جرش بين وادي أبو صليح ، وهما وادي الدّالية شمالاً ووادي المغارة جنوباً . ولذا اكتسبت منذ القديم موضعاً دفاعياً مهماً يسّهل عملية الدفاع عنها ويعطيها الحماية .

تألفت معظم بيوتها من الحجر ، واتخذ مخططها شكلاً طولياً ، وسار نموها العمراني نحو الجهتين الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية في باديء

الأمر ، ثم أخذت المباني تمتد في أواخر فترة الانتداب البريطاني على شكل محور بمحاذاة الطريق المؤدية إلى قرية سمّل المجاورة . وبالرغم من ذلك لم تتجاوز مساحتها حتى عام ١٩٤٥ خمسة دونمات. وإلى جانب البيوت السكنية التي قدر عددها في أواخر فترة الانتداب بنحو خمسين بيتاً ، اشتملت القرية على بعض الدكاكين الصغيرة . وكانت تفتقر إلى المرافق والخدمات العامة ، ولذا اعتمدت على قرية دير أبان المجاورة في تلبية حاجات سكانها . وحصل السكان على مياه الشرب من آبار جمع مياه الأمطار ومن عين الدلبة المجاورة .

تبلغ مساحة أراضي جرش ٣,٥١٨ دونماً لا يملك الصهيونيون منها شيئاً . وكانت هذه الأراضي تزرع بالحبوب * في بطون الأودية والمنخفضات ، وبأشجار الزيتون * والعنب * على سفوح المنحدرات الجبلية . وإلى الشرق من جرش تمتد الأشجار والأعشاب الطبيعية في مساحات واسعة فوق قمم الجبال وعلى منحدراتها ، وهي مصادر غنية لرعي * الحيوانات وللحطب . واعتمدت الزراعة * والنباتات الطبيعية * على مياه الأمطار التي تهطل بكميات سنوية كافية .

كان في جرش عام ١٩٣١ نحو ١٦٤ نسمة ، وقدر عدد سكانها في عام ١٩٤٥ بنحو ١٩٠ نسمة . وقد استولى الصهيونيون على جرش خلال حرب ١٩٤٨ * وطردوا سكانها العرب ودمروا بيوتهم .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لرئاسة القدس .

جَرْمُ بن عمرو بن الغوث بن طيّىء :

هو جدّ بني جَرْم (بفتح الجيم وتسكين الراء) ، وهم بطن من طيّىء* من القحطانية . (وهناك بنو جرم ثلاثة آخرون غير هؤلاء . وهم بنو جرم بطن من نَجيلَة من أنمار بن أراش ، وبنو جرم بن زَبّان بطن من نضاعة * ، وبنو جرم بطن من عاملة * ، وهم من بني عدي . وبطون جرم الأربعة جميعاً يُمنيّون من القحطانية) .

اسم جرم بن عمرو بن الغوث الأصلي ثُعلبة . ويقال إن جرم هو اسم أمه التي حضنته فعرف بها وغلب عليه اسمها . ويقدر أنه عاش في القرن الرابع الميلادي . ويذكر المؤرخون أنه كان لأبيه عمرو بن الغوث ستة عشر ولداً من الذكور . وأما جرم فقد كان له من الولد ثلاثة هم جيدان وشمجى (أو شمجي) وقمران . ومن بطون جرم طيّىء: جذيمة ، وشيل ، ورضيمة ، وبنو تمام ، وبنو جميل ، وبنو سهيل ، وبنو خولة ،وبنو هرماس، وبنو عيسى ، وبنو كور ، وبنو غوث ، وبنو العاجلة وفروعهم .

سكنت بطون بني جرم الكثيرة هذه بلاد فلسطين ، خصوصاً غزة * والدارم (دير البلح *) وبلد الخليل * . وفي القرن الثامن والقرن التاسع المهجريين ، كان لقبيلة جرم شأن في جبال نابلس * والقدس * . وكان من أمرائهم في القرن التاسع أبو بكر ، وابنه ابو العُوَيس ، وثابت الرميثي ، ومحمد بن إبراهيم الذي تولى الإمارة عليهم سنة ٨٩٤هـ .

ومن ينتسب إلى بطون جرم في فلسطين اليوم : عائلة العويسات في قريتي البرج * وبير معين * من أعمال الرملة * ، وعائلة عويس في يافا * ، وعرب الجرامنة في قرية المحمودية * (المرّ) من أعمال يافا ، وقد شتّتهم الصهيونيون . ومنهم آل عوسجة ، وآل أحمد ، وآل محمود ، وهم من بني جذيمة الذين يسكنون بلاد غزة . ومنهم حمولة الرّبابعة في ميثلون * من أعمال جنين * ، وعائلة بسيسو الذين ينسبون إلى بني سُهَيْل ، وعائلة مَسْورة في الخليل ، وآل الماضي من إجزم * بقضاء حيفا .

المراجع :

ـ ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، القاهرة ١٣٥٧هـ .
ـ ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب ، القاهرة ١٩٦٢ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : القبائل العربية وسلالتها في فلسطين ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ السمعاني : الأنساب ، حيدر آباد الدكن ١٩٦٣ .
ـ محمد أمين السويدي : سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، النجف ١٩٢٦ .
ـ القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، القاهرة ١٩٥٩ .
ـ أحمد بن علي المقريزي : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، القاهرة ١٩٦١ .

جُرَيْشة (قرية ـ) :

تلفظ « إجريشه » من جرش الحب والقمح : طحنه . ودعيت بذلك لأن طواحين القمح أقيمت عندها . وهي قرية عربية تقع على بعد ٥ كم شمالي الشمال الشرقي لمدينة يافا * ، على الضفة الجنوبية لنهر العوجا الأدنى قبيل مصبه في البحر المتوسط . وتمر بطرفها الشرقي طريق يافا ـ حيفا الساحلية الرئيسة المعبدة . وتصلها دروب ممهدة بقرى الشيخ مونّس *والجماسين * .

نشأت جريشة فوق رقعة منبسطة من أرض السهل الساحلي * تنحصر بين مجرى نهر العوجا الأدنى (نهر جريشة) ووادي مسراجة (وادي

سلمة) الذي يوفد نهر العوجا . والقرية حديثة النشأة ، وترتفع نحو ١٥م فوق سطح البحر ، وتعد منتزهاً لسكان يافا الذين يؤمونها في أيام العطل للترويح عن أنفسهم ، لأنها تتميز بموقع جميل يطل على مجرى النهر والأشجار التي تحف به ، إضافة إلى إشرافه على البحر المتوسط الذي يمتد إلى الغرب منها مسافة ٣ كم تقريباً .

بنيت بيوتها من الإسمنت والحجر واللبن والخشب ، واتخذ مخططها شكلاً مستطيلاً يسير العمران في نموه من الجنوب إلى الشمال . وتتوافر مياه الآبار * في القرية وحولها ، وتستعمل لأغراض الشرب والري . وتكثر فيها المقاهي والمنتزهات وهي حالية من المساجد أو المدارس ، كما أنها صغيرة المساحة .

بلغت مساحة أراضي جريشة ٥٥٥ دونماً ، منها ٤٤ دونماً للطرق * ، و ٩٣ دونماً للصهيونيين . وتتميز أراضيها الزراعية بخصب تربتها وتوافر مياهها ، فهي تنتج كثيراً من المحاصيل الزراعية كالخضر* والفواكه . وقد غرس الأهالي الحمضيات * في نحو ٣٥٧ دونماً ، واللوز في نحو ٢٢ دونماً . وتعتمد جريشة على مدينة يافا في تسويق إنتاجها الزراعي .

كان في جريشة عام ١٩٢٢ نحو ٥٧ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١٨٣ نسمة ، كانوا يقيمون في ٤٣ بيتاً ، وفي عام ١٩٤٥ قدر عدد السكان بنحو ١٩٠ نسمة . وقد احتلها الصهيونيون عام ١٩٤٨ ، وهجروها بعد أن طردوا سكانها ، وزحفت إليها مدينة تل أبيب * عمرانياً ، فدخلت ضمن حدودها الحضرية .

المراجع :

– مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
– خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة يافا .

الجـــزّار : ر : أحمد باشا الجزار
ر : عبد الله باشا الجزار

الجـــزر (تـــل –) :

يقع تل الجزر على بعد ٨ كم إلى الجنوب الشرقي من الرملة * ، بالقرب من قرية أبو شوشة * ، على حافة سلسلة الجبال الممتدة بين القدس والساحل الفلسطيني . ويظهر أن لاسم الموقع الحالي علاقة بالاسم القديم للمدينة ، إذ يرد اسم الموقع في المصادر الأكادية *Gazur* وفي المصرية *Qdr* منذ زمن الفرعون تحتمس الثالث * وحتى مرنبتاح (حوالي ١٢٢٠ق.م.) ويذكر اسم الموقع *Gu-az-ru* في إحدى حملات تغلات فلاسر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٨ ق.م.) التي وجدت موثقة في لوحة حجرية في قصر الملك الأشوري في نمرود . وتذكر التوراة هذا الموقع في أمكنة مختلفة . كما وجد في الموقع عدة مصادر مكتوبة ، من بينها حجر حدود يذكر الاسم القديم قريباً من الاسم الحالي ، ووجدت أيضاً رقم طينية من فترة رسائل العمارنة (حوالي ١٤٠٠ ق.م.) ، وكذلك الكتابات المعروفة بتقويم تل الجزر من العهد الاشوري الحديث (القرن السابع قبل الميلاد) .

للموقع أهمية استراتيجية ، فهو يسيطر على مناطق واسعة من جميع الجهات ، وهذا علاقة بتاريخ الموقع وخلفاته الحضارية التي تبدأ في العصر الحجري النحاسي (الألف الرابع قبل الميلاد) وحتى العهد الروماني . وقد لفت الموقع أنظار الكثيرين من العاملين في الآثار منذ القرن التاسع عشر عندما قام كليرمونت غانو Clermont - Ganneau عام ١٨٧١ بربط تل الجزر بالمدينة القديمة «جيزر» . كما قام ماكلستر *Macalister* في سنة ١٩٠٢ بحفريات في الموقع نيابة عن صندوق استكشاف فلسطين . وواصلت العمل في السنوات الأخيرة ، منذ سنة ١٩٦٤ ، بعثة أمريكية بإشراف رايت *Wright* وديفر *Dever* ولانس *Lance* وغيرهم .

يظهر أن لتل الجزر دوراً هاماً في العصر البرونزي القديم (الألف الثالث قبل الميلاد) ، فقد كشف النقاب عن مدينة محصّنة أعيد بناؤها وترميمها أكثر من مرة . كبر حجم الموقع في العصر البرونزي المتوسط (حوالي ١٨٠٠ ق.م) ، وكشفت الحفريات عن مجموعات من المنازل التي عثر فيها على عدد من الأواني والتماثيل المصرية الأصل . وأعيد تحصين الموقع في فترة متأخرة نسبياً من العصر البرونزي المتوسط (القرن ١٧ قبل الميلاد) أيام حكم الهكسوس * لفلسطين . ومن بين المخلفات المعمارية لهذه الفترة قصر كبير يتخلله عشرة أعمدة حجرية . وقد استمر ازدهار المدينة حتى العصر البرونزي الأخير (القرنين ١٥ و ١٤ ق . م) . ومع نهاية هذا العصر ودخول الفلسطينيين إليها (حوالي القرن ١٢ ق.م) احتلت المدينة مكانة هامة في تلك الفترة ، وقد تكون المنقبون من تمييز عدة طبقات لهذه المرحلة . واستمرت سكنى الموقع في فترات

متقطعة حتى العهد المملوكي الذي لم يلق على ما يبدو اهتمام المتقين .

المراجع :

— Clermont -Ganneau,C. :**Archaeological Researches in Palestine 2,** 1899.
— Macalister, R.A.S.: **The Excavation of Gezer,** London 1912.
— **Palestine Exploration Quarterly:** 1935, 1937, 1962, 1973.

جُستِنيان (٤٨٢ - ٥٦٥ م) :

واحد من أباطرة الدولة البيزنطية . اعتلى العرش سنة ٥٢٧ م ، وكان ضعيفا فكاد يتنازل عن العرش لولا زوجه تيودورا التي أنقذت عرشه وثبتت دعائمه ، وسعى بمساعدتها لإعادة الإمبراطورية الرومانية إلى سالف مجدها .

واجهت بيزنطة في عهده أخطارا كثيرة من الغرب والشرق . واضطر جستنيان إلى اتباع سياسة دفاعية في الجبهة الشرقية حيث الخطر الفارسي بقيادة كسرى أنوشروان .

قام جستنيان بإصلاحات داخلية في مجال الإدارة والتشريع والبناء . وقد أبدى اهتماما كبيرا بفلسطين ، واستعان بالمساسنة * لإخماد ثورة السامريين سنة ٥٢٩ م ، وكافأ الملك الحارث بن جبلة فعينه « سيداً » على جميع القبائل العربية في الشام ، وعيّن أخاه أبا كرب عاملا على عرب فلسطين .

وعُني بالأمور الاقتصادية ، وشجع الحركة التجارية في حوض البحر المتوسط ، وأمر بجلب شرانق دود القز من الصين ، وشجع صناعة الحرير في غزة * وعسقلان . وقد أرسل الأموال إلى فلسطين لترميم المدن التي خربتها الزلازل * ، وأعفى السكان من دفع الضرائب * ثلاث سنوات . وفي عهده تمّ تجديد بناء كثير من الكنائس في مختلف مدن فلسطين ، من بينها كنيسة المهد في بيت لحم ، والكنيسة التي أقيمت على ضريح القديس جاورجيوس في اللد .

لكن جستنيان لم يوفق في إيجاد حلّ للخلاف الديني بين كنيسة القسطنطينية والرعايا المسيحيين في ولايات الدولة الشرقية ـ وفيها فلسطين ـ الذين انتشرت فيهم المونوفيزية * (مذهب الطبيعة الواحدة) ، وكانت الدولة تعارضه .

نسبت أعمال جستنيان في إرهاق الدولة واستنزاف مواردها ، فعجزت عن المحافظة على النتائج التي وصل إليها الإمبراطور جستنيان .

المراجع :

ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، بيروت ١٩٥٨ .
ـ فازيلييف : العرب والروم (مترجم) ، القاهرة ١٩٣٥ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧١ .
— Bury,J.: **The Late Roman Empire,** London 1923.
— Diehl, C.: **Justinien et la civilisation Byzantine au VIe Siècle,** Paris 1901.
— Downy, G.: **The Late Roman Empire,** New York 1969.

جسر المجامع (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على طريق بيسان ـ طبرية إلى الشمال الشرقي من بيسان * ، وعلى خط سكة حديد بيسان ـ سمخ حيث توجد محطة جسر المجامع جنوبي القرية . وتربطها طرق فرعية ممهدة بقرى وادي اليرة وكوكب الهوا * واليرة * وخربة عين الحية وسيرين * .

أقيمت قرية جسر المجامع على الضفة الغربية لنهر الأردن * ، على جانب الجسر الذي أقيم فوق النهر ، وتتجمع عنده الطرق من كل حدب وصوب ، ومن هنا كانت تسمية القرية بهذا الاسم . وتنخفض القرية نحو ٢٣٠ م عن مستوى سطح البحر . وكان تجمع الطرق في هذا الموضع عاملا مهما في ازدهار الوظيفة التجارية منذ النشأة الأولى للقرية .

بنيت معظم بيوت جسر المجامع من الإسمنت واللبن ، واتخذ مخططها شكلا مستطيلا . وبالرغم من امتدادها العمراني نحو الجنوب الغربي بقيت صغيرة المساحة قليلة السكان . واشتملت جسر المجامع على بعض المرافق والخدمات العامة كالدكاكين الصغيرة ومخفر للشرطة ومركز للجوازات لكونها إحدى نقاط الحدود بين فلسطين وشرق الأردن . وقد أقيمت على مسافة قريبة إلى الشمال من القرية محطة لتوليد الكهرباء على نهر الأردن (مشروع روتنبرغ) . وتحتوي جسر المجامع على آثار جسر قديم وخان مهدم وعقود بناء (ز : الحرب والأماكن الأثرية) .

ازداد عدد سكانها من ١٢١ نسمة في عام ١٩٢٢ إلى ٢٥٠ نسمة في عام ١٩٤٥ . وكان سكانها يمارسون حرفتي التجارة * والزراعة * إلى جانب عمل بعضهم في محطة توليد الكهرباء . وتتركز

معظم الأراضي الزراعية للقرية في الأزوار حول النبر ، وتستغل في زراعة الخضر * والأشجار المؤز * والنخيل والحمضيات * . وقد تمكن الصهيونيون أثناء فترة الانتداب البريطاني من شراء مساحات واسعة من أراضي القرية ، ومن امتلاك معظم بيوتها إلى جانب حصولهم على امتياز توليد الكهرباء من مياه نهر الأردن شمالي جسر المجامع . وما إن حل عام ١٩٤٨ حتى أصبحت القرية شبه خالية من سكانها العرب . وقد احتل الجيش العراقي القرية خلال حرب ١٩٤٨ * ، وهرب الصهيونيون منها . ثم عادوا فاحتلوا جسر المجامع وأقاموا على أراضيها ، وإلى الجنوب الغربي من القرية المهدمة ، مستعمرة « جيشر » .

المراجع :

– مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
– خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة أم قيس .

الجسور المفتوحة :

الجسور المفتوحة عبارة ترمز إلى السياسة التي انتهجتها السلطات الإسرائيلية في أعقاب احتلالها الضفة الغربية لنهر الأردن سنة ١٩٦٧ (زر حرب ١٩٦٧) . وقد حرصت سلطات الاحتلال على فتح جسري اللنبي (جسر الملك حسين) وداميه (جسر الأمير محمد) اللذين يربطان بين الضفتين الغربية والشرقية لنهر الأردن أمام تنقل السكان العرب .

أرسى قواعد هذه السياسة ، وأشرف على تنفيذها ، موشي دايان الذي كان في ذلك الحين وزيرا للدفاع ومسؤولا عن إدارة شؤون المناطق المحتلة . وعلى الرغم من أنه لم يُخفِ الأهداف السياسية والاقتصادية الحقيقية التي سعت (إسرائيل) إلى تحقيقها من سياسة الجسور المفتوحة ، فقد حاول أول الأمر تغليف هذه الأهداف بذرائع « إنسانية » . وقد أعلن دايان في مناسبات كثيرة أن سياسة الحدود المفتوحة منحت سكان الضفة الغربية ، على صعيد الاتصالات الشخصية ، « بعض التعويض الإنساني » عن « متاعب الحرب » . وقال في مناسبة أخرى إن « حكومة إسرائيل التي تعتبر نفسها تتحمل المسؤولية الرسمية إزاء سكان الضفة الغربية تريد منهم أن يدركوا أنها حكومة تقدمية تهتم بإيجاد مصادر العمل للعاطلين وتوفير الأسواق لمنتوجاتهم الزراعية » .

والحقيقة أن (إسرائيل) ابتغت من وراء فتح الجسور أمام تنقل المواطنين العرب بين الضفتين عدة أهداف منها :

١) تيسير عمليات تهجير المواطنين العرب ، وإفراغ الضفة الغربية من سكانها ، تسهيلا لضمها ومصادرة أراضيها وإقامة المستعمرات اليهودية عليها . وقد عبّر دايان عن هذا التوجه بعد أقل من أسبوعين من نشوب الحرب ، عندما قال في الكنيست * : « إن سياستنا هي السماح لكل شخص يريد الانتقال إلى الأردن أن يفعل ذلك بحرية . فالأسباب التي دعت إلى مغادرة السكان تعود إلى رغبة المواطنين العرب في الإقامة في الأردن ، وليس في منطقة تحتلها إسرائيل . ولو كنت مكانهم لتصرفت مثلهم . إن مصادر الرزق للكثيرين منهم متوفرة في الكويت ، وودائعهم المالية موجودة في بنوك عمّان ، ولا يستطيعون العيش دون الحصول على هذه الأموال » .

٢) محاولة امتصاص نقمة سكان الضفة الغربية على الاحتلال ، وتخفيف مقاومتهم له باستمرار ، والاتصال مع ذويهم وأنسبائهم في الضفة الشرقية ، وتصدير منتوجاتهم إليها . وبذلك تكون (إسرائيل) قد خففت من الأعباء المعيشية التي واجهها سكان الضفة الغربية نتيجة للاحتلال ، محاولة إعفاء نفسها من تحمل قسط من هذه الأعباء .

٣) خلق سابقة لفرض أمر واقع سياسي ، (فإسرائيل) تعدّ سياسة الجسور المفتوحة أنموذجا للتسوية الإسرائيلية التي تريد فرضها على المنطقة العربية بأسرها . وتعتبر الضفة الغربية « حقل اختبار » لسياسة (إسرائيل) في هذا المضمار . فقد أعلن دايان أن جسور نهر الأردن هي أنموذج لجزء من التسويات السلمية التي تتطلع إليها (إسرائيل) في المستقبل . وزعم أن مثل هذه الخطوة تكتب مزاياها السلمي بالانتقال الحر ، مثل عبور الجسور وتشغيل العمال العرب في (إسرائيل) .

٤) الهدف الاقتصادي : فقد تجسدت سياسة الجسور المفتوحة ، على الصعيد الاقتصادي ، في الصيغة الجديدة التي أرستها (إسرائيل) بين الضفتين : تفليض الوارد من الأردن إلى المناطق المحتلة عبر الجسور ، نتيجة الحماية الجمركية الإسرائيلية ، والقيود الأمنية ، والقيود على استيراد الحيوانات . وبالمقابل ، تصدير كميات كبيرة من بضائع الضفة الى الشرق . وقد تضاعفت قيمة صادرات المناطق المحتلة الزراعية عبر الجسور بين سنتي ١٩٦٨ و١٩٧٢ ، وبلغ فائض صادرات المناطق على الواردات عبر الجسور في تلك السنة ١٠٢,١ مليون ليرة إسرائيلية (بأسعار ١٩٧٢) .

وتشكل الضرائب التي تجبيها السلطات الإسرائيلية موردا ماليا لها ، إذ بلغت قيمة الجمارك التي فرضتها سلطات الاحتلال على الجسرين في سنة ١٩٧٤ نحو ١٨ مليون ليرة إسرائيلية . وبلغت واردات الجمرك الإسرائيلي على جسر اللنبي وحده ٣٠ ألف دينار يوميا .

٥) استغلال الجسور المفتوحة وسيلة إعلامية ودعاوية ، فقد سمحت السلطات الإسرائيلية للفلسطينيين بزيارة (إسرائيل) عبر

الجسور بتصاريح خاصة ضمن إطار ما أطلق عليه « زيارات الصيف » وة لُّ الشمل » .

وقد أعلن دايان في سنة ١٩٧٩ « كبرهان على إمكان التعايش السلمي » أن ٧٥ ألف شخص يأتون سنويا من مختلف الأقطار العربية . وقال إن هدف الجسور المفتوحة هو ضمان قيام رابطة بين عرب الضفة الغربية والدول العربية . وعبّر عن الأمل في أن يتمكن الإسرائيليون أيضا في المستقبل من عبور هذه الجسور لزيارة شرقي الأردن .

أما موقف الدول العربية من سياسة الجسور المفتوحة فيتمثل بالرفض الكامل لأسبابها كما تطرحها (إسرائيل) . غير أن بعض الدول العربية لا تمانع في أن تستخدم هذه الجسور لزيارة الفلسطينيين المقيمين خارج الوطن المحتل أهلهم في فلسطين ، ولتصدير الحمضيات الفلسطينية إلى الأقطار العربية ، بدل اضطرار فلسطيني الأرض المحتلة ليعمها لسلطات الاحتلال . أما منظمة التحرير الفلسطينية * فقد أكدت غير مرة رفضها المطلق لسياسة الجسور المفتوحة .

المراجع :

ـ موشي دايان : خارطة جديدة وعلاقات مختلفة ، (بالعبرية) ، تل أبيب ، ١٩٦٩ .
ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
ـ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ، بيروت .

الجُسَيْر (قرية ـ) :

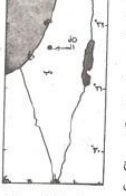

قرية تقع على بعد ٤٦ كم شمالي شرق غزة * ، وعلى بعد ٤ كم شمالي الشمال الشرقي من الفالوجة * . لذلك تعتمد على الفالوجة اعتمادا كبيرا في جميع شؤونها الإدارية والتجارية والثقافية .

كانت الجسر واحدة من محطات الحجاج أقيمت بين جسرين على رادي الجراح . وكانت تعرف حينئذ باسم محطة الجسرين .

ترتفع القرية ١٠٠م فوق سطح البحر . وكانت مبانيها قائمة على مساحة ٥٤ دونما من الأرض المنبسطة شرقي رادي الجراح . وقد امتد عمرانها على شكل طولي تقريبا من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي . وكانت بساتين الفاكهة تحيط بالقرية من الجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية . تضاف إلى ذلك بقايا آثار الجسور والصهاريج والقنوات القديمة . وكان في القرية مسجد ، ومدرسة ابتدائية للذكور ، وبئر للشرب عمقها ٣٢ م .

بلغت مساحة أراضي الجسير ١٢,٣٦١ دونما ، منها ٢٥٨ دونما للطرق * والأودية . واشتهرت بزراعة الحبوب * وصنع البسط والسجاد . وقد زاد عدد سكانها من ٥٧٩ نسمة سنة ١٩٢٢ إلى ١,١٨٠ نسمة سنة ١٩٤٥ .

طرد الصهيونيون سكان القرية عام ١٩٤٨ ، ردمروها ، وبنوا فوق أراضيها عددا من مستعمراتهم منها « زفدئيل ، ومنوحا ، ونيريانيم » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١: ٥٠,٠٠٠ ، لوحة بيت جبرين .

جشـــم العـربـــي :

ملك عربي من قبيلة قيدار * عاش في القرن الخامس قبل الميلاد . ويظهر اسم هذا الملك في النقوش النحاتية من العُلا التي أرخت على الأغلب في عهده ، وكذلك في النقوش الآرامية في تل المسخوطة في مصر ، وهي تشير إليه على أنه ملك قيدار ، وتشير كذلك إلى وجود قيداريين على حدود مصر الشرقية استوطنوا هناك بتوجيه من الفرس لحماية الحدود الغربية للدولة الفارسية (ر : قيدار ، قبيلة) . ويبدو ، حسب هذه النصوص الأثرية ، أن تأثير قيدار في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد امتد فشمل فلسطين وشرقي الأردن إلى حدود مصر الشرقية وشمالي جزيرة العرب ، وهي تلك المنطقة التي كانت مسرحا لنفوذ الأنباط * فيما بعد .

ونشير النصوص إلى أن جشم العربي كان يملك أصلا سلطة إدارية في المنطقة الواقعة جنوبي فلسطين والمعروفة باسم أدوم . وبما يذكر عنه كذلك اعتراضه على بناء حائط بيت المقدس من قبل نحميا *Nehemiah* في حدود ٤٤٠ ق.م. بعد العودة من السبي البابلي * . وقد اتفق جشم العربي مع سنبلط الحوروني وطوبيا العبد العموني على معارضة نحميا ومنعه من إعادة بناء السور ، فأخذوا يتهمونه

بالتمرد والعصيان لإثارة الحكام الفرس عليه . ولكن محاولة التآمر هذه أخفقت .

المراجع :

– جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٦٨ .
– التوراة : سفر نحميا .
— The Interpreter's Dictionary of the Bible, New York 1962.
— Winnett, F.W.: A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions, 1937.

الجـصّ : رَ : المعادن

جعَـارة (قريـة) :

قرية عربية تقع على بعد ٢٧ كم جنوبي شرقي حيفا * ، منها ٧ كم طريق معبدة من الدرجة الثانية هي التي تصلها بطريق مرج ابن عامر * .

نشأت القرية في جبل الكرمل * على ارتفاع ٢٣٥ م فوق سطح البحر ، في سفح يطل على الجنوب ، في منطقة تقسيم المياه بين الروافد العليا لوادي القصب أحد روافد نهر القطُم * ، والروافد العليا لوادي المزرعة . ومن عيونها عين الكران الواقعة في شمالها الغربي .

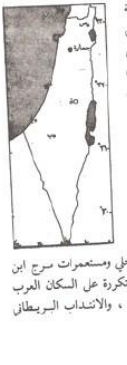

بلغ عدد سكان جعارة ٩٤ نسمة من العرب عام ١٩٢٢ ، وانخفض إلى ٦٢ نسمة عام ١٩٣١ ، ثم ارتفع إلى ٧٠ نسمة عام ١٩٣٧ . وكان الصهيونيون قد ابتاعوا أراضي هذه القرية من بعض الإقطاعيين ، وأسسوا كيبوتس « عين هاشوفت » في ١٩٣٧/٧/٥ على بعد أقل من كيلومتر واحد إلى الغرب من القرية العربية . وبُني هذا الكيبوتز ليكون برجا للمراقبة ولتدريب الصهيونيين على الأسلحة والاعتداء على السكان العرب ، ولتأمين المواصلات بين مستعمرات السهل الساحلي ومستعمرات مرج ابن عامر . ونتيجة للاعتداءات الصهيونية المتكررة على السكان العرب خلت جعارة من سكانها منذ عام ١٩٤٥ ، والانتداب البريطاني قائم .

انضم إلى الكيبوتز مهاجرون جدد من صهيوني بولونيا ولتوانيا وهنغاريا وبلغاريا ، فأصبح عدد سكانه ٥٦٣ نسمة عام ١٩٥٠ ، و٦٠٠ نسمة عام ١٩٧٠ .

المراجع :

– أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ - ١٩١٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
– مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج١ ، ق١ ، بيروت ١٩٧٣ مج ٢ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
– خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحتا أم الزينات ومجدو .
– خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة زخرون يعقوب .

الجفـــاف :

الجفاف مصطلح نسبي ، فنقص الأمطار في سنة ما بمقدار ١٠٠ مم مثلا قد لا تشعر به الأجزاء الشمالية من فلسطين ذات الأمطار الكثيرة ، في حين تشعر به الأجزاء الجنوبية قليلة المطر . ومن جهة ثانية يتغير تأثير المطر في المناطق الجافة وشبه الجافة بارتفاع درجات الحرارة وقيم التبخر والنتح ، وبزيادة سرعة الرياح وغيرها من المؤثرات . ويصبح أثر الأمطار في تلك المناطق ضعيفاً إذا قورن بأثره في المناطق الرطبة وشبه الرطبة . ولهذا فإن الشعور بالجفاف يكون قويا في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية ، وثقل شدته في المناطق الجبلية والساحلية شبه الرطبة .

أ – أسبابه : للجفاف علاقة كبيرة بكمية الأمطار التي تهطل على فلسطين ، وبقيم التبخر والنتح التي تحدد مدى تأثير هذه الأمطار . وترتبط معظم الأمطار التي تهطل على فلسطين بممرود المنخفضات الجوية التي تعبر البحر المتوسط متجهة نحو الشرق . فإذا توقف مرور هذه المنخفضات لفترة قصيرة أو طويلة أدّى هذا التوقف إلى انحباس الأمطار وقلة كميتها . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ترتبط قيم التبخر والنتح بدرجات الحرارة وسرعة الرياح ، إذ تكبر هذه القيم عندما ترتفع درجات الحرارة وتقوى سرعة الرياح (رَ : المناخ) . فإذا انخفضت كميات الأمطار الفصلية أو السنوية وارتفعت قيم التبخر والنتح ضعفت فاعلية هذه الأمطار وحدث الجفاف .

والنظر في السنوات الجافة التي مرت بها فلسطين خلال القرن الحالي يبيّن أن فترات الجفاف كانت تتخلل موسم الأمطار ، بل كانت تحدث أيضا في منتصف موسم الأمطار ، أي في فصل الشتاء الحقيقي . وقد تعاقب السنوات الجافة بشكل مستمر ، فقد عانت فلسطين من فترات جفاف امتدت من عام ١٨٦٩ إلى عام ١٨٧٣ ، ومن عام ١٩٢٤ إلى عام ١٩٣٦ ، ومن عام ١٩٥٨ إلى عام

١٩٦٣ . وكان عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ من أكثر الأعوام جفافا في فلسطين .

والأمطار التي تهطل على فلسطين غير منتظمة ، ويختلف مدى التغير من إقليم لآخر باختلاف معدلات الأمطار ، وبعوامل أخرى كالمنسوب (أي الارتفاع) والموقع ودرجة التأثر بمرور المنخفضات الجوية ، وتتناقص قيم معامل التغير مع الاتجاه نحو الشمال والغرب ، وتتزايد بالاتجاه نحو الجنوب والشرق . وتبلغ قيم معامل التغير في الأمطار في عكا * ٢٠٪ ، وفي نابلس * ٢٣٪ ، وفي القدس * ٢٥٪ ، وفي بير السبع * ٣٥٪ وفي عسلوج * ٧٠٪ . أي أن درجة الاعتماد على الأمطار في الأقاليم المناخية الرطبة وشبه الرطبة أعلى منها في الأقاليم الجافة وشبه الجافة .

ففي إقليم النقب * الصحراوي يكون هطول المطر غير مضمون في معظم السنوات ، ويغلب الجفاف فيه ، ولا سيما في النقب الجنوبي . وقد أوضحت نتائج الدراسات التي قامت حول هذا الموضوع عام ١٩٦٦ أن كميات الأمطار في مرتفعات النقب الوسطى تتذبذب حول معدل ٨٦ مم في السنة ، وأنها تمر بدورة مدتها خمسون عاما ، وأن الأمطار تزيد أو تقل خلال كل دورة من هذه الدورات المناخية عن المعدل العام للأمطار بمقدار ٢٨ مم . وبتعبير آخر فإن هناك خمسين عاما تزيد فيها الأمطار عن المعدل العام ، تتلوها خمسون عاما أخرى تقل فيها الأمطار عن هذا المعدل . واتضح من هذه الدراسة أن صحراء النقب تمر الآن بفترة تتناقص فيها الأمطار عن المعدل العام ، وسوف تستمر حتى نهاية هذا القرن .

ب ـ توزيع الجفاف : بتطبيق معادلة عامل المطر (التي وضعها لانغ عام ١٩٢٠) والتي يحسب بموجبها عامل المطر على أساس قسمة المتوسط السنوي لكمية الأمطار بالملمتر على المتوسط السنوي لدرجة الحرارة المئوية ، يتبين أن عامل المطر ينخفض من ٥ إلى ٥٠ داخل فلسطين ، وأنه يراوح بين ٥ و١٤ في الأقاليم الجافة ، وبين ١٥ و٢٩ في الأقاليم شبه الجافة ، وبين ٣٠ و٥٠ في الأقاليم شبه الرطبة . وينخفض عامل المطر في الأقاليم الجافة دون ١٥ ، لأن الأمطار السنوية ذات كميات قليلة نسبيا ، ودرجات الحرارة ذات قيم مرتفعة نسبيا . وعلى سبيل المثال يبلغ عامل المطر في أسدوم ـ جنوب البحر الميت * ٢ ، وفي أريحا * ٦ ، وفي غور الفارعة ٩ ، وفي بير السبع ١١ . وفي المقابل يرتفع هذا العامل في الأماكن المرتفعة شبه الرطبة إلى ٣٢ في القدس ، وإلى ٣٥ في الناصرة * ، وإلى ٤٩ في صفد * . فالجفاف يتزايد بالاتجاه نحو الجنوب ، ويتزايد أيضا بالاتجاه نحو الشرق .

إن إلقاء نظرة على خريطة توزيع الأمطار السنوية في فلسطين كفيل بتحديد مناطق الجفاف وشبه الجفاف . فخط المطر ٣٥٠ مم هو الحد الفاصل بين المناطق الرطبة وشبه الرطبة ، وخط المطر ٢٠٠ مم هو الحد الفاصل بين المناطق الجافة وشبه الجافة . ويمكن الفصل بين الإقليمين الصحراوي الجاف والمتوسطي الرطب بخط مطر ٣٥٠ مم الذي يبدأ من غزة * ويسير شرقا حتى يصل إلى جنوب الخليل * . وإلى الشرق من الخليل يتخذ اتجاها نحو الشمال ، ويسير موازيا لخط تقسيم المياه جبال فلسطين الوسطى على مسافة ١٠ كم إلى الشرق منه ، ثم يعبر سهل مرج ابن عامر * في طريقه إلى مرتفعات الجليل (رَ : الخليل ، جبال ـ) ، ثم ينتهي بالقرب من طبرية * .

ويعتقد غوتمان أن فلسطين تشتمل على إقليمين مناخيين كبيرين ومتساويين في المساحة ، الأول في شمالي غرب فلسطين ومساحته ١٣،٠٠٠ كم٢ ، والثاني في الجنوب والجنوب الشرقي . ويسود في الأول مناخ البحر المتوسط ، ويتلقى ما يزيد على ٣٥٠ مم من الأمطار السنوية، في حين يسود المناخ الصحراوي في الثاني ، ويتلقى في معظم اجزائه كمية أمطار تقل في متوسطها عن ٢٠٠مم في السنة .

لكن من الصعب تحديد إقليم المناخ الصحراوي الجاف وشبه الجاف كما حدده غوتمان ، لأن مساحة هذا الإقليم تختلف من سنة لأخرى تبعا لتغير الأمطار . ولا تستقر أطرافه الهامشية على حال معينة ، بل تتقدم نحو الشمال والغرب في السنوات الجافة ، وتتقهقر نحو الجنوب والشرق في السنوات المطيرة . وينبع ذلك تغير استخدام الأرض وعدم استقراره . ففي السنوات الجافة تترك المناطق الهامشية للصحراء دون زراعة وتستغل في الرعي * فقط . وفي السنوات المطيرة تزرع الحبوب في هذه المناطق الحدّية ، ولا سيما الشعير . وفي فصل الصيف الجاف ينتقل الرعاة البدو بمواشيهم من حافات الصحراء إلى الأرض الزراعية لرعي ما فيها من بقايا المحاصيل الزراعية بعد حصادها .

جـ ـ الآثار الناجمة عن الجفاف : تنتج عن الجفاف آثار كثيرة يشعر بها جميع سكان فلسطين من بدو وفلاحين وحضر ، وينتابهم القلق الشديد لما يلحق بهم من خسارة فادحة . فالمحاصيل الزراعية تتلف ، أو تنضج قبل مواعيدها المقررة ، ويكون الإنتاج الزراعي قليلا في كميته ، رديئا في نوعه . ويفضل المزارعون في الغالب إطلاق مواشيهم في المزارع،تأكل المحاصيل وهي قائمة على سوقها . وأما سكان النقب من البدو فإنهم يهاجرون نحو الشمال بحثا عن الماء والكلأ لمواشيهم التي يتعرض عدد كبير منها للموت عطشا أو جوعا .

ولا يقتدى دخل مختلف المزارعين فحسب ، بل يقتدى أيضا دخل أصحاب الحرف الأخرى ذات العلاقة المباشرة أو غير المباشرة بحرفة

الزراعة * . وتراكم الديون على الفلاحين ويعجزون عن سدادها . ويضطر بعضهم إلى بيع أراضيه بأسعار منخفضة من أجل سداد ديون التجار أو المرابين .

ويؤثر الفقر الناجم عن الجفاف في سطاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان ، فتتوقف المشروعات الاقتصادية ، أو تنفّذ ببطء شديد ، وتعم البطالة ، ويزداد الطلب على الماء فتتعرض مستويات المياه الجوفية في الآبار * للهبوط .

المراجع :

— حسن عبد القادر صالح : الاساس الجغرافي للنزاع العربي ـ الإسرائيلي حول مياه نهر الأردن ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، عمان، كانون ثاني ١٩٧٢ .

— Gottmann, J.: Etudes sur l'Etat d'Israel et le Moyen Oriest, Paris 1959.

— Neumann, J.: On the Incidence of Dry and Wet Years, 1956.

جِفْعاتيم (مدينة ـ) :

مدينة صهيونية تأسست في ١٩٢٢/٤/١٧ في موقع ظهر سلمة بقضاء يافا . تقع شمالي شرقي يافا ـ تل أبيب ، وتعد ضاحية كبيرة من ضواحيها ، وإحدى مدن التجمع الحضري لمنطقة يافا ـ تل أبيب .

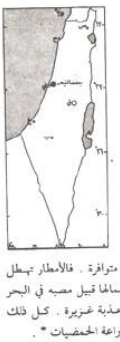

نشأت في أوائل فترة الانتداب البريطاني مستعمرة صغيرة تابعة لمدينة تل أبيب * . وقد اختير موضعها في رقعة منبسطة من أرض السهل الساحلي * لا يتجاوز ارتفاعها ٥٠ م فوق سطح البحر . وأقيمت فوق بقعة القطاع بين الكثبان الرملية الشاطئية وأراضي السهل الساحلي الزراعية . وكان الغرض الأساسي من إقامتها أن تكون إحدى المستعمرات التي تعمل على ترسيخ الاستيطان الزراعي الصهيوني في فلسطين . ولذا أنشئت في وسط رقعة زراعية ذات تربة خصبة ومياه متوافرة . فالأمطار تهطل عليها بكميات كافية ، ونهر العوجا يمر بشمالها قبيل مصبه في البحر المتوسط ، والآبار تقدم لها مياها جوفية عذبة غزيرة . كل ذلك ساعد على نجاح الزراعة فيها ، ولا سيما زراعة الحمضيات * .

أخذت المستعمرة تنمو وتتوسع من الناحية العمرانية بزيادة عدد سكانها وممارستها وظائف جديدة غير الوظيفة الزراعية ، كالوظائف الصناعية والتجارية والثقافية وغيرها . وأصبح لها مجلس محلي في عام ١٩٤٢ ، وبلدية مستقلة في عام ١٩٥٩ بعد توحيد خمس من ضواحيها . وارتفع عدد سكانها من ٩,٦٣٢ نسمة عام ١٩٤٨ إلى ٢٠,٣٥٠ نسمة عام ١٩٥٦ وإلى ٣١,٠٠٠ نسمة عام ١٩٦١ وإلى ٤٤,٤٠٠ نسمة عام ١٩٦٩ ، ووصل عددهم إلى ٥٠,٤٠٠ نسمة عام ١٩٧٣ .

وتعد المدينة حاليا من المدن الصناعية التي تشتهر بإنتاج المواد الغذائية المحفوظة والمواد الطبية والفخار والخزف والرخام والسجاد والمنسوجات . وتشتمل المدينة على ٢٦ كنيسا وعدد من المؤسسات الثقافية والدينية .

المراجع :

— أنيس صايغ : هلداتية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
— خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة يافا .
— مكتب الإحصاء الإسرائيلي : سكان المستعمرات الصهيونية ، ١٩٧٤ .

آل جفشة : رَ : الفاسنة

جفشي (لجنة ـ) : رَ : القدس (تهويد ـ)

جلال الدين الصفوري : رَ : محمد العمري

جلال كمّوش (١٩٢٤ ـ ١٩٦٦) :

أول شهيد للمقاومة الفلسطينية فوق الأرض اللبنانية . ولد في قرية ميرون * ، قضاء صفد ، وتلقى دراسته الابتدائية في قريته . وفي سنة ١٩٤٨ هاجر مع عائلته إلى لبنان ، وأقام في مخيم عين الحلوة للاجئين في مدينة صيدا . قضت إحدى المحاكم اللبنانية بحبسه خمس عشرة سنة لإقدامه على نسف السفارة الفرنسية ببيروت عام ١٩٥٧ انتقاما من الجرائم الفرنسية في الجزائر ، لكنه نجح في الهرب من سجن بعلبك أثناء الثورة الوطنية اللبنانية في سنة ١٩٥٨ ، وتوجه إلى سورية ، ومنها عاد مع بعض المسلحين ، وانضموا جميعا إلى الثوار في منطقة صيدا . وغدا جلال كموش القائد العسكري لهذه المنطقة .

انضم في أواسط الستينات إلى حركة فتح (رَ : حركة التحرير الوطني الفلسطيني) . وفي يوم ١٩٦٥/١٢/٢٣ اعتقله رجال المكتب الثاني اللبناني ، ثم ما لبثوا أن أطلقوا سراحه ، ليعيدوا اعتقاله بعد خمسة أيام . وفي ١٩٦٦/١/٩ سلم رجال المكتب الثاني اللبناني جلال كعوش جثة هامدة إلى ذويه . وأصدرت وزارة الدفاع اللبنانية بلاغا حول مقتله اعترفت فيه باعتقاله من «مخيم عين الحلوة ، الواقع ضمن المنطقة العسكرية . للتحقيق معه بقضية تتعلق بسلامة القوى العسكرية ، وأنه « أثناء التحقيق معه ، غافل المحققين وقفز من غرفة التحقيق في الطابق علوي ، محاولا الفرار ، فأصيب بجراح ورضوض » انتهت بوفاته بعد ثلاثة أيام .

ولكن الكشف الطبي أشار أنه تعرض لكدمات عنيفة كانت السبب في نزيف حاد عجز الأطباء عن السيطرة عليه ، مما تسبب في وفاته .

شيع جلال كعوش في ١٩٦٦/١/١٠ في موكب مهيب في مدينة صيدا ، ودفن في مقبرتها .

المراجع :

ـ اليوميات الفلسطينية : المجلد ٣ ، أيار ١٩٦٧ ، بيروت .

جلجال :

قرية فلسطينية تقع شرقي أريحا * وشمالي شرق القدس * ، وتبعد قرابة ٧ كم إلى الغرب من نهر الأردن * .

إن جلجال أول بلدة فلسطينية اغتصبها الغزاة الإسرائيليون بعد عبورهم نهر الأردن ، واتخذها يشوع زعيمهم مركزا تنطلق منه هجماته على الكنعانيين سكان البلاد الأصليين . كانت مقرّا لتابوت العهد (الشهادة) إلى أن نقل منها إلى بلدة « شيلوة » ثم ما لبث أن أعيد إلى جلجال . يعتقد بعض الباحثين أنها تقوم في موضع جلجلية اليوم .

وجلجال لدى اليهود بلد المعابد المباركة لأنها أول بلدة اغتصبوها من فلسطين واستقروا فيها زمنا طويلا . ومن الطبيعي أن يقيموا أول معابدهم هناك . وبالنظر إلى أن لفظة جلجال تعني الدائرة ، وكانت الدوائر شائعة في ذلك العصر ، فإن جلجال على ما يعتقد كانت مقرّا لمعبد أو معابد كنعانية دائرية قبل أن تطأها أقدام الغزاة الجدد . ونظراً لأهمية جلجال الدينية انصبّت جهود كثير من الباحثين التوراتيين على دراسة آثار الموضع وطبيعة المناطق المحيطة به من النواحي التاريخية والجغرافية . وتحقيقا لهذا الهدف جرت تنقيبات أثرية في خربة المفجّر * وخربة الأثلة وأريحا ، كما جرت دراسات استكشافية أخرى لتحقيق الغرض نفسه .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ .
ـ جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٨٩٤ .
— Muilenburg, J.: The Site of Ancient Gilgal, **BASOR**, 140.
— Olmstead, A.T.: **History of Palestine and Syria**, New york, 1939.

الجلجلة :

جاء في الأناجيل المقدسة أن المسيح ، يوم حمل الصليب ، خرّج إلى هذا المكان ويدعى « الجُلْجُثة » في الآرامية ، والجلجلة ، أو الجولجوليث في العبرية . ويقع المكان خارج القدس * ، قريبا من بابها ومن بستان مجاور (انجيل القديس يوحنا ١٩ : ١٧ ، ٢٠ ، ٤١) . والجلجلة تعني الجمجمة ، وتشير إلى مرتفع صغير من صخر .

وتدل الحفريات الأخيرة على أن المنطقة كانت محجرا جُعل بستانا ، في حين ظلّ مرتفع الجلجلة على حاله لأن صخره لا يصلح للبناء . ولمّا حوّط الملك هيرودس أغريباس (٤١ ـ ٤٤ م) المدينة بسور جديد صارت الجلجلة ضمن الأسوار * .

هذا هو المكان الذي كان يقتل فيه المحكوم عليهم بالموت ، والذي يعتقد المسيحيون أن المسيح صلب ومات فيه . وقد أصبح بذلك أعظم مشارف المسيحية * ، وخصّه المسيحيون بأعظم إكرام منذ اليوم الأول ، حتى بعد تدمير الرومان للمدينة (٧٠ م) ، وما يزحوا على ذلك عبر القرون . واليوم يتوافدون إليه من جميع أطراف الأرض .

وقد تقلب التاريخ على الجلجلة . فعندما جعل أدريانس (١٣٥ م) من القدس مدينة رومانية ، قام الفوروم والكابتول في منطقة الجلجلة والقبر المقدس . فغطّى القبر ، وغطّى الجلجلة ، وجعلها مشرفا لتمثال فينوس وعبادتها . وهذا مما عمل على تخليد الموضع .

ولمّا أسس قسطنطين * (٣٢٥ م) بتزيين هذا الموضع بأجمل الكنائس أزيلت الآثار الوثنية ، وشيّدت كنيسة القيامة * . وكانت الجلجلة تحتل الزاوية الجنوبية الشرقية من ساحتها . وقد أقيم عليها صليب تعلوه قبّة (٤٢٨ م) .

تعرضت الجلجلة لصير كنيسة القيامة فدمرت وأحرقت ورممت

أكثر من مرة ، إلى أن كان بناء الصليبيين للكنيسة الحالية ، مع ما طرأ عليها عبر القرون .

وهذه الكنيسة تضم الجلجلة وجميع المزارات في وحدة واحدة . ولم تفلت من آفات الزمان ، وضربات الطبيعة ، وتناقص الكاثن ، وحريق ١٨٠٨ م . والجلجلة ، في هذا الإطار، ترتفع أربعة أمتار ونصفاً عن مستوى الأرض ، ومساحتها ١١,٤٥ م في ٩,٢٥ . وتشتمل على مذبح لصلب المسيح ، وآخر للعذراء المتألمة ، وثالث للمسيح المصلوب ، ويرى فيها وتحتها بعض صخر التل .

أما الطريق التي سلكها المسيح إلى الجلجلة فتبتدىء في مكان دار ولاية بيلاطس الروماني ، متوجهة نحو الباب القديم مقابل الجلجلة . وقد تكون هذه الدار في قصر هيرودس الكبير ، غربي المدينة ، وقد تكون في قلعة أنطونيا ، شرقي المدينة . وهذه هي الطريق التقليدية المعروفة اليوم « بدرب الآلام » ، ويسلكها السيحيون كل يوم جمعة بعد الظهر ، وحجّاج العالم كله عندما ينزلون بالمدينة المقدسة .

المراجع :

— Bagatti, B and Testa. E.: **Il Golgota e la crove**, Jerusalem 1978.
— Baldi, D.: **Enchiridion Locorum Sanctourum**, Jersualem 1955.
— DeSandoli, S.: **Calvary and the Holy Sepulchre**, Jerusalem 1977.
— Finegan, J.: **The Archeology of the New Testament**, Princeton 1969.
— Hoade, E.: **Guide to the Holy Land**, Jerusalem 1970.

الجَلْدِيّـة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في الشمال الشرقي من غزة * على مسافة ٤٥ كم منها . بنيت في موضع يزيد ارتفاعه على ٨٠ م فوق سطح البحر ، ويحيط بها من الجانب الجنوبي الغربي وادي الجلدية ، أحد روافد وادي قريقع الذي ينتهي في وادي صقرير . وتجدر الإشارة إلى أنه كانت تقوم في بقعتها قلعة « جلاديا » الصليبية .

بناء القرية من اللّبن . وقد بلغت مساحة أراضيها ٤,٣٢٩ دونما ، تعتمد الزراعة * البعلية ، إذ يبلغ معدل الأمطار ٤١٥ مم .

ضمت القرية مدرسة ابتدائية للذكور . وبلغ تعداد سكانها عام ١٩٤٥ نحو ٣٦٠ نسمة أجبروا على الهجرة من القرية عام ١٩٤٨ . وقام الصهيونيون بتدميرها ، وألحقوا أراضيها بمستعمرة « زراحيا » .

المراجع :

— مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١، ق ٢، بيروت ١٩٦٦ .
— خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة حجور .

الجَلَمَـــة (قريـــة ـ) :

قرية عربية تقع إلى شمال الشمال الغربي من طولكرم * . وهي غير قرية الجلمة الموجودة في قضاء جنين . وتبعد القرية ٣ كم غربي طريق طولكرم ـ حيفا الرئيسة المعبدة ، وترتبطها بها طريق فرعية ممهدة . ويمر خط سكة حديد طولكرم ـ حيفا على مسافة ٢ كم تقريبا إلى الغرب منها . وترتبطها دروب ممهدة بقرى عتيل * وزيتا * ودير الغصون * وخربة يمّة ودير السكّة .

نشأت الجلمة فوق رقعة منبسطة من أراضي السهل الساحلي * الشمالي . وترتفع ٥٠ م فوق سطح البحر . وكانت هي ومزرعة الزافنة في الأصل مزارع لسكان عتيل الذين تزوجوا من نسوتهم المحلية ، واستقروا في مزارعهم ، وشيدوا فيها بيوتا لهم . وبنيت تلك البيوت من اللّبن والإسمنت في شكل مخطط تتراص فيه البيوت في الوسط ، وتتباعد في الأطراف . وكانت الجلمة صغيرة المساحة ، محدودة النمو العمراني ، خالية من المرافق والخدمات العامة .

ويشرب أهاليها من بير جلمة التي تقع على الضفة اليمنى لوادي جلمة ، المار بالطرف الغربي للقرية متجها نحو الشمال الغربي ليرفد وادي الحناحنات . وتحتوي الجلمة على آثار لأسس وجدران وبئر ومدافن . وقد أقطع الظاهر بيبرس * هذه القرية بعض أبناء الأمراء الأيوبيين الأصل في عام ١٢٦٥ م .

تبلغ مساحة أراضي الجلمة وزلفة ٧,٧١٣ دونما . وتزرع فيها الحبوب * والخضر * والبطيخ والبرتقال . وتعتمد الزراعة * فيها على مياه الأمطار وبعض الآبار * . ولم يكن في الجلمة عام ١٩٢٢ سوى ٢٩ شخصا . وازداد عدد سكانها إلى ٧٠ شخصا في عام ١٩٤٥ .

وفي عام ١٩٤٨ استولى الصهيونيون على الجلمة وطردوا سكانها ودمروها ، ثم أقاموا على أراضيها مستعمرة « أميتف » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٣ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة يعبد .

الجلـــود (صناعة ـ) :

تضم هذه الصناعة دباغة الجلود ، وصنع الأحذية والحقائب والمحافظ والأحزمة والفراء والقِرَب . وتمارس صناعة الجلود في البوادي والأرياف والمدن ، وتعتمد اعتمادا مباشرا على الثروة الحيوانية التي كان معظمها ملكا للعرب (ر : الحيوانات الأليفة) . ويرتبط حجم إنتاج الجلود بعدد الذبائح السنوية . وقد كان هذا العدد في تصاعد مطرد نتيجة ازدياد عدد السكان ، وارتفاع مستوياتهم المعاشية ، وازدياد استهلاكهم للّحوم .

كان عدد مصانع الجلود في فلسطين سنة ١٩١٨ نحو ٢٩ مصنعا تركز معظمها في القدس * ويافا * وحيفا * ونابلس * وغزة * . ثم ارتفع العدد سنة ١٩٢٧ إلى ٨٢ مصنعا ، ووصلت قيمة الإنتاج إلى ١٦,٢١٤ جنيها فلسطينيا .

نما إنتاج الجلود بين سنتي ١٩٢٧ و١٩٣٧ نموا بطيئا ، ثم أسرع النمو بين سنتي ١٩٣٨ و١٩٤٨ ، حتى قدّر عدد مصانع الجلود عام ١٩٤٦ بنحو ١٨٠ مصنعا . ويعود ذلك إلى ظروف الحرب العالمية الثانية التي أدت إلى نمو جميع الصناعات في فلسطين (ر : الصناعة) .

تطورت صناعة الجلود بعد عام ١٩٤٨ في الضفة الغربية وفي قطاع غزة ، كما تطورت في فلسطين المحتلة . وازدادت كميات الإنتاج وتحسنت النوعيات . ورغم ذلك عجزت موارد الجلود المحلية عن تلبية حاجات المصانع المتزايدة بنتيجة ازدياد طلب المصنوعات الجلدية . لذلك مالت صناعة الجلود في فلسطين إلى الاعتماد على استيراد ما ينقصها من الخارج .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ١ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ علي محمد علي وإبراهيم الحمصاني : فلسطين في ماضيها العربي وحاضرها الصهيوني ، القاهرة ١٩٦٣ .

جِلْبُـــا (قرية ـ) :

قرية عربية تقع إلى الجنوب من مدينة الرملة * . وتربطها بالقرى المجاورة ، وبطريق غـزة ـ جـولس ـ القدس دروب ممهدة . وتجاورها قرى قزازة * وسجد والخيمة * وإذْنِبّة * .

نشأت قرية جلبا فوق رقعة منبسطة إلى منحدرة من أرض السهل الساحلي * ترتفع نحو ١٣٥ م فوق سطح البحر . وهي بالقرب من الأقدام الغربية لجبال القدس * . وتنحدر أراضيها تدريجيا نحو الشمال الغربي . ويجري وادي المناخ في طرفها الجنوبي الغربي متجها نحو الشمال ليرفد وادي المالح أحد روافد وادي الصرار . بنيت معظم بيوت جلبا من اللّبن ، وقامت على أنقاض قرية جلا الرومانية . وفيها آثار أسس قبور منقورة في الصخر وبئر قديمة . اشتملت القرية على مسجد وبعض الدكاكين ، ومدرسة ابتدائية تأسست عام ١٩٤٦/٤٥ بينها وبين قريتي قزازة ومسجد المجاورتين لها ، وكان الأهالي يشربون من بئر القرية . واتخذ غطاؤها التنظيمي شكلا طوليا اتجه فيه امتدادها العمراني من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي . وكانت القرية تنمو في محور يحاذي الدرب الشمالي الغربي المؤدي إلى الخيمة والمسمية * ، وقد شغلت مساحة ٧ دونمات .

بلغت مساحة أراضي جلبا ١٠,٣٤٧ دونما جميعها ملك لأهلها العرب . وتزرع في أراضيها جميع أصناف الحبوب * ، وبعض أصناف الخضر * والفواكه . وقد غرس الأهالي أشجار البرتقال في مساحة ٤٠ دونما من أراضيها . وتشتهر زراعة الأشجار المثمرة في الجهتين الشمالية والغربية حيث تروى البساتين بمياه الآبار * . أما الحبوب فإن زراعتها تمتد في الجهتين الجنوبية والشرقية ، في حين تترك بعض الأراضي المرتفعة شرقي القرية مراعي طبيعية لمواشي القرية . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار التي تهطل بكميات سنوية كافية .

بلغ عدد سكان قرية جلبا في عام ١٩٢٢ نحو ٢٦٩ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٢٧١ نسمة يقيمون في ٦٣ بيتا ، وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ٣٣٠ نسمة ، وفي عام

١٩٤٨ احتل الصهيونيون قرية جليا ودمروها بعد أن أجلوا سكانها عنها .

المراجـــع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس رسم ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة عجور .

الجليـــل (انتفاضـــة ـ) :

خصص قرار تقسيم فلسطين * لعام ١٩٤٧ منطقة الجليل الغربي للعرب ، وشملت المنطقة قضائي عكا والناصرة ونرشيحا امتدادا لحدود لبنان الجنوبية . وقد سقطت مدينة عكا في الجولة الأولى من القتال التي جرى بعد انتهاء الانتداب ، وبقيت الأقسام الأخرى من الجليل الغربي بيد العرب . وقد احتلت (إسرائيل) هذه الأقسام يومي ٣٠ و١٩٤٨/١٠/٣١ وضمتها إليها . وكانت هذه المنطقة ذات أغلبية سكانية عربية . ولتغيير هذا الواقع طرح حكام (إسرائيل) تنفيذ مشروع التهويد تحت أسماء مختلفة مثل « التطوير » و« توزيع الأرض » ، وأخيرا برز مشروع تحت اسم « مشروع تطوير الجليل » ، وجاء في نصه ما يلي : " القضية الخاصة بالجليل هي قلة السكان اليهود بالنسبة إلى غير اليهود الذين يؤلفون ٧٠ بالمئة من مجموع السكان . وفي أطراف الجليل هناك ٤٠ ألفا من السكان غير اليهود يقطنون ضواحي حيفا وعكا وطمرة وشفا عمرو " .

ويظهر جليا ان هذا المشروع يهدف إلى تحويل إقليم الجليل الجبلي إلى منطقة ذات أكثرية يهودية . وقد تقرر تنفيذ المشروع على مرحلتين : المرحلة الأولى تنتهي عام ١٩٨٠ ، وتنتهي المرحلة الثانية عام ١٩٩٠ . وهكذا بدأت الحكومة الإسرائيلية زحفها لمصادرة أراضي منطقة الجليل . ففي يوم ١٩٧٦/٣/١٢ صدر أمر الشرطة الإسرائيلية بمنع دخول السكان إلى المنطقة المعروفة بالمنطقة التاسعة . وتتألف هذه المنطقة من أرض معظمها سهل صالح للزراعة . وتزرع بأشجار الزيتون * ، والفواكه ، الحنطة ، ويزرع في أقسام منها جميع أنواع الحبوب * والخضر * . وتبلغ مساحة الأرض الزراعية التي تقع ضمن المنطقة التي أعلنت حولي ١٧ ألف دونم ، وهي ملك لأصحابها العرب بموجب شهادات تسجيل صادرة عن دائرة تسجيل الأراضي في (إسرائيل) .

وقد مس أمر الشرطة الإسرائيلية على " أن من يدخل إلى المنطقة المذكورة ، ولأي غرض كان ، يعرض نفسه لطائلة القانون ، وحكمه كحكم من يدخل ثكنة عسكرية دون إذن " . وأحس المواطنون العرب بالخطر الداهم للاستيلاء على أراضيهم فتنادوا إلى رفع احتجاج صارخ ضد السلطة المحتلة تجسد في مؤتمر سخنين ـ قضاء عكا ـ الذي انعقد يوم ١٩٧٦/٢/١٤ . وصدرت صيحات الاحتجاج بلسان جميع سكان الجليل ، في جميع وسائل الإعلام ، مما اضطر وزارة الدفاع الإسرائيلية إلى دعوة ممثلي السكان ، وانتهى الأمر إلى حل وسط ، فجرى تقسيم المنطقة إلى قسمين ، قسم يستطيع فيه العرب ممارسة عملهم الزراعي ، ولا تجري فيه المناورات العسكرية ، ويدخله الأهالي بموجب تصريح لممارسة الأعمال الزراعية ، وقسم ثان تجري فيه المناورات العسكرية ولا يدخله إلا من يحمل تصريحا خاصا من الجيش . وعلى ذلك فقد بقيت الأرض لأصحابها ، ولم تتم مصادرة أي أرض في أي من القسمين .

غير أنه ثبت أن الوعود التي تلت مؤتمر سخنين كانت وعودا كاذبة ، فلم ينقض أسبوعان على هذا المؤتمر حتى بدأت (إسرائيل) بمصادرة الأراضي في الجليل لإقامة مستعمرات جديدة ومعسكرات للجيش . وأعلنت الحكومة الإسرائيلية أنها ستنفذ خططا لاستملاك حوالي ١٥٠٠ فدان من الأرض في المنطقة التاسعة . عندئذ دعت « لجنة الدفاع عن الأراضي العربية » إلى اجتماع في مدينة الناصرة يوم ١٩٧٦/٣/٦ حضره رؤساء المجالس البلدية والمحلية . وقرر المجتمعون إعلان يوم ١٩٧٦/٣/٣٠ إضرابا عاما للعرب في (إسرائيل) احتجاجا على سياسة الحكومة بإعلان مصادرة أراض عربية في الجليل (يوم الأرض) .

ولبى دعا اجتماع الناصرة إلى الإضراب يوم ١٩٧٦/٣/٣٠ كانت السلطات الإسرائيلية تدرك أن عرب المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ سيقومون بإضراب سلمي تعبيرا عن عدم رضاهم عن سياسة الحكومة الإسرائيلية في مصادرة الأراضي العربية ، ولكنها كانت تبيت لهم الشر ، فأرسلت ليلة ٣٠ آذار قوات كبيرة من الشرطة والجيش تركزت في مدن وقرى الجليل .

شمل الإضراب عرب الأرض المحتلة عام ١٩٤٨ ، وعرب الضفة الغربية وقطاع غزة الذين هبوا لمؤازرة اخوانهم عرب الجليل ، وسارت مظاهرات صاخبة في القدس ونابلس ورام الله والخليل وبيت لحم وجنين وطولكرم . وفي القدس جرت مظاهرات أمام الكنيست * الإسرائيلي ، وفي نابلس ألقيت قنبلة على سيارة دورية إسرائيلية ، وهاجم المتظاهرون جنود العدو بالحجارة ، وجرت مصادمات عنيفة في جميع مدن الضفة والقطاع ، وفرض العدو حظر التجول في القدس والأماكن الأخرى .

أما في منطقة الجليل فقد جرى تسلسل الحوادث كما يلي : اقتحمت القوات الإسرائيلية في الناصرة منزل توفيق زياد رئيس البلدية ، وأحرقته ، وأصابت أفراد أسرته بجروح . وهاجم المتظاهرون جنود العدو في كافة الشوارع بالحجارة . وكانت هتافات

البطلاب تتصدى للعدو في جميع الأماكن ، فقتل ثلاثة جنود إسرائيليين وأصيب ١٢ جنديا إسرائيليا بجروح مختلفة ، واستشهد ثلاثة مواطنين عرب ، وأصيب ٢٧ بجروح مختلفة .

وفي بلدة شفا عمرو قتل جنديان إسرائيليان وأصيب تسعة آخرون ، واستشهد أربعة مواطنين عرب وجرح ١٨ مواطنا عربيا . واعتقلت السلطات الإسرائيلية حوالي عشرين عربيا من الزعماء الذين دعوا للإضراب .

أما في بلدة سخنين فقد استمر التباك عنيف لمدة ساعة ، واستشهد أربعة مواطنين عرب بينهم سيدة ، وجرح ١٧ مواطنا، وقتل أربعة من جنود العدو وجرح ستة . وقد قذف أبناء سخنين قوات العدو بالقنابل البترولية والحجارة .

عمت المظاهرات والاشتباكات باقي نرى الجليل مثل عرابة البطوف ، ودير حنّا ، ومجد الكروم ، من قضاء عكا . وفي قرية نانا بالجليل الأعلى كانت حصيلة الاشتباكات قتل جنديين إسرائيليين وجرح خمسة ، على حين استشهد ثلاثة عرب وجرح ١٢ آخرون . وقد أصيب قائد القوات الإسرائيلية في الجليل بجراح خطيرة وهو يشارك جنوده إطلاق الرصاص على العرب ، ونقل إلى المستشفى . واعترف البيان الرسمي الإسرائيلي بهذه الأحداث وأشار إلى مقتل ٧ أشخاص ، وإصابة أكثر من مئة بجراح ، ثلثهم من قوات الأمن ، وتم إلقاء القبض على مئتين وخمسين عربيا . وكانت أعمال العدو سلسلة من القظائع ، وتصرف جنوده بكل قسوة ووحشية ، تؤكد عنصرية النظام (والدولة) . أما الانتفاضة العربية في الجليل نجاحت لتؤكد للعالم كله رفض الاحتلال الإسرائيلي مهما مر عليه من الزمن .

هذا ، وقد أصبحت انتفاضة ٣٠ آذار عيدا وطنيا ثوريا تحتفل به المقاومة الفلسطينية والأمة العربية باسم يوم الأرض * .

المراجع :

ـ دائرة المطبوعات ، وزارة الإعلام الأردنية : سجل الرصد الصحفي .

الجليل (بحر ـ) : ز : طبرية (بحيرة ـ)

الجليل (جبال ـ) :

كانت تسمية الجليل في الماضي تشمل ما هو اليوم السلسلة الغربية المسايرة لساحل الشام حتى خط عرض حمص (ياقوت : الجليل) ، على حين تعني جبال الجليل في الوقت الحاضر مرتفعات شمال فلسطين حتى جبل عامل في جنوب لبنان . وهي تغطّي المنطقة الشمالية من فلسطين التي تضم أقضية صفد وطبرية وبيسان وعكا ، وتعرف بلواء الجليل (ز : الإدارة) .

أ ـ حدود الجبال : تتألف منطقة (لواء) الجليل من مساحات سهلية وتلّية وأخرى هضبية وجبلية ، تحدّها البحر المتوسط غرباً ، وحدود فلسطين مع لبنان شمالاً ، والحدود السورية ـ الأردنية مع فلسطين شرقاً . أما جنوباً فيرسم خط المنخفضات المتالية عبر وادي نهر جالود * وسهل مرج ابن عامر * ووادي نهر المقطّع * حدود منطقة الجليل . وتشغل المرتفعات الجبلية والهضاب معظم أجزاء المنطقة ، وتحتل منها أقسامها الوسطى والشمالية . وهي محاطة بوحدات جغرافية طبيعية ، هي في الشرق الأجزاء الشمالية من

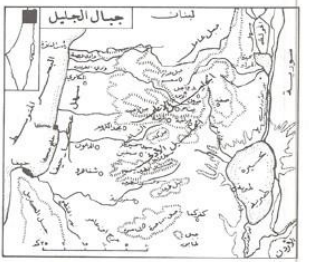

الغور الانهدامي في فلسطين المؤلفة من سهل الحولة * وبحيرة طبرية * ووادي الأردن بين غور بيسان وبحيرة طبرية . وتنتهي مرتفعات وجبال الجليل من جهة الغرب بسهل عكا ـ حيفا . أما من الشمال ومن الجنوب فحدود المرتفعات والجبال هي نفسها حدود منطقة الجليل الآنفة الذكر . ويبلغ العرض المتوسط للجبال بين وادي الأردن والسهول الساحلية نحو ٤٠ كم في حين يصل طولها إلى ٦٠ كم .

ب ـ جغرافية جبال الجليل : في جبال الجليل وحدتان تضاريسيتان بارزتان هما : جبال الجليل الأعلى ، وجبال الجليل الأدنى . وتمتد الحدود الفاصلة بين هاتين الوحدتين شرقاً بغرب مسايرة لطريق السيارات الخارجة من مدينة عكا * إلى منطقة صفد عبر الجبال . ويتفق محور الطريق مع محور الأودية والمنخفضات الواقعة عند أقدام سلسلة من الجروف الصخرية والجبال العالية ،

٧٥٠ ـ ١,٠٠٠م ، يشغلها مجرى سيل الشاغور ، ومجرى سيل مجد الكروم وسهل الرامة ، وأحد الروافد الغربية لوادي عسوه * في الشرق .

١) الجليل الأعلى : إلى الشمال من الحد الفاصل بين الجليلين تبرز كتلة جبال الجليل الأعلى مكوّنة هضبة ترتفع أكثر من ٨٠٠م فوق سطح البحر في الوسط والشرق ، وأقل من ٧٠٠م فوق سطح البحر في الغرب ، وللكتلة شكل مستطيل تقريباً طوله يمتد من الشرق نحو الغرب بين وادي الأردن والسهول الساحلية . وتتميز في الشرق والجنوب بحدود واضحة ترسمها الجروف والسفوح الجبلية الشديدة الانحدار على أرض سهل الحولة وسهول شمالي غرب طبرية في الشرق ، وعلى أودية ومنخفضات الحد الفاصل بين الجليل الأعلى والجليل الأدنى في الجنوب . في حين لا يلاحظ في الشمال أي انقطاع في استمرار المرتفعات والانحدارات حيث تلتحم كتلة الجليل الأعلى مع كتلة جبل عامل (عاملة) في لبنان . أما في الغرب فإن سفوح الكتلة تنحدر بانخفاض ، وبشكل تدريجي ،حتى تندمج نهاياتها ومهاميزها التلّية بمنبسطات السهول الساحلية دون أي انقطاع في الانحدار الملطيف نسبياً .

ونتيجة لهذا الوضع الطوبوغرافي ـ التضريسي تركزت شبكة تصريف المياه في الجليل الأعلى في الأودية المنحدرة عنه إلى السهل الساحلي فالبحر غرباً وشمالاً غربياً حيث عدد الأودية أكبر وأكثر طولاً من مثيلاتها في الشرق والجنوب الشرقي . وفي الواقع يحتل خط تقسيم المياه بين وادي الأردن والبحر المتوسط موقعاً شرقياً قريباً جداً من وادي الأردن ، مما يجعل الأودية والأنهار المنتهية إليه قصيرة جداً وقليلة العدد . إذ يمرّ الخط المذكور من حدود فلسطين مع لبنان متجهاً إلى جبل عدالثر فأراضي قرية سعسع * ومنها إلى جبل الحرمق ، ثم عبر المنطقة الواقعة بين قريتي ميرون * وبيت جن حتى موقع القراضة شمالي قرية المنصورة . وهكذا فإن الانحدارات العامة لكتلة الجليل هي ذات محور شمالي غربي ـ غربي سائد . ويساعد هذا الانحدار الشمالي الغربي وانخفاض الجبال باتجاه لبنان على تشكّل عدد من الأودية الرافدة لنهر الليطاني في لبنان . وتقع أعلى أجزاء الجليل الأعلى في الوسط الشرقي ـ الجنوبي الشرقي من الكتلة حيث تنبض فوقها بارتفاعات تتجاوز ١,٠٠٠م في قمة الجرمق ١,٢٠٨م أعلى قمة في فلسطين كلها ، والقمم القريبة منها ، وقمة جبل حيدر ١,٠٤٧م ، وجبل عدالثر ١,٠٠٠م .

ومن الظواهر التضريسية المميزة لوسط جبال الجليل الأعلى بروز كتل جبلية صغيرة فوق سطحه العام موزعة بنوريماً غير منتظم على محاور معينة . وتختلف هذه الكتل الجبلية في ارتفاع قممها وأحجامها ، وتفصل بينها أودية ومنخفضات استغلتها المياه والسيول وعمّقت فيها مجاريها . لكن يلاحظ مع الاقتراب من الأقسام الغربية للجبال ظهور محاور منتظمة واضحة للتضاريس ، فتتعاقب الشرطة من المرتفعات تفصل بينها أودية مسايرة لها على امتداد شرقي ـ غربي مسيطر . ومن أودية الجليل الأعلى الغربي وادي نهر البصّة في الشمال ، ثم وادي القرن * ، فوادي الصاعوق ، ثم وادي بيت العمق ، فوادي نهر يوسف ، ثم وادي مجد الكروم في الجنوب . وتعود التضاريس إلى الانتظام على محاور واضحة ، شمالية ـ جنوبية ، في جبال وأحواض الجليل الأعلى الشرقي ، في الكتلة المحصورة بين سهل الحولة شرقاً وممرى نهر عسوه وجبل عامل على امتداد الحدود بين سهل الحولة ولبنان غرباً .

ولا يمكن تفسير هذه الاختلافات في كتل الجليل الأعلى الشرقية والوسطى والغربية بأعمال الحت والتعرية للمياه الجرية والسيلية ، أو بأعمال التحلّل الضمني للصخور الكلسية وظهور الأشكال (الكارستية) فقط ، لأنّ الحركات البانية التي ضربت المنطقة أدت الدور الأول في رسم خطوط وملامح التضاريس الأساسية في الجليل الأعلى . وتوضح خريطة فلسطين الجيولوجية ـ التكتونية أن جبال الجليل ، ولا سيما الجليل الأعلى ، كانت أكثر تأثراً بالحركات البنائية ، خاصة الصدوع والانكسارات ، من أية بقعة من بقاع فلسطين الأخرى . فالصدوع تغطّي المنطقة بشبكة كثيفة من الخطوط التي تخلّفت على جوانبها وامتداداتها التضاريس والطبقات الصخرية . ويغلب على هذه الطبقات الحجر الكلسي والدولوميتي العائد للحقبة الثانية الجيولوجية (السينومانى والتورونى) وكذلك (السينونى) . ونتيجة لذلك تشوهت تضاريس المنطقة ، فنهضت كتل منها بشكل منفصل عن جاراتها ، وخفضت أجزاء أخرى مشكّلة الأحواض والأودية بين النجود المرتفعة ، مما يجعل فروق الارتفاع كبيرة ، على مسافات قصيرة ، بين تضاريس الجليل الأعلى . ويغلب على صدوع منطقة صفد والجليل الأعلى الشرقي الاتجاه الشمالي الجنوبي المتأثر باتجاه وادي الأردن الانهدامي . في حين يغلب على صدوع الجزء الغربي الاتجاه الشرقي الغربي . وبين هذين الاتجاهين المتعامدين قامت المنطقة الوسطى للجليل الأعلى ذات الوضع الانتقالي بين المؤشرات الصدعية الشرقية والغربية حيث تتلاقى خطوط الصدوع وتتقاطع بزوايا مختلفة ، مما أدى إلى تطويق وعزل كتل صغيرة من المنطقة نهضت ، أو خفضت ، حسب القوى المكوّنة لها . وخير مثال على ما تقدم جبل الجرمق المطوّق من جميع أطرافه بالصدوع التي سببت ارتفاعه الكبير نسبيًا حوله عن الأراضي .

وقد أثرت العوامل الخارجية للمناخ * والمياه فنرادت تشويه التضاريس وفروق الارتفاع فيها ، فقامت السيول والأنهار بحفر أوديتها وتعميقها ضمن الصخور * القاسية بشكل عنيف سيطر فيه

الحت الرأسي للأودية على تراجع جوانبها فجعلها غنية بالفجاج والخوانق والانحدارات الشديدة في مجاريها الطولية . ومعظم أودية الجليل الأعلى من النوع المعروف بالأودية البنائية او المفروضة ، أي الأودية التي فرضت عليها الحركات البنائية (هنا الصدوع) محاور سيرها واتجاهاتها الأول . وتتقدم أودية غربي الجليل الأعلى أمثلة نموذجية على توافق خطوط الصدوع ومحاور الأودية والأنهار . وإلى جانب العوامل الداخلية (الحركات الأرضية) ، والعوامل الخارجية (المياه الجارية) ، ساهمت طبيعة الصخور السائدة في المنطقة (الكلس) ، وتفاعلها مع المناخ ذي الأمطار الغزيرة في نشاط الأعمال الكارستية (أي تحلل الصخور بالمياه المطرية) ، مما أدى إلى ازدياد تشويه تضاريس الجليل الأعلى . وتظهر أعمال تحلّل الصخور الكلسية على السطح في شكل خدوش ومبازيب تفصل بينها علوات خطية من الصخور ، أو حفر مغلقة خانقة مخروطية الشكل تعرف بالجورية (أو الدولين) . وتنتشر في هذه الصخور حفر بالغة (بالوعات) تتسرب المياه من خلالها إلى باطن الأرض . وتقدم أعمال التحلل أشكالاً ضمنية تتمثل بالكثير من المغاور والسراديب المتوغلة في جسم الكتل الصخرية في شتى أنحاء الجليل الأعلى .

ولقد كان للمناخ في الماضي والحاضر أثر فعّال في رسم الصورة الحالية للتضاريس لما يتمتع به من خصائص غير موجودة في أية بقعة أخرى من بقاع فلسطين . فالأمطار غزيرة لا تنخفض إلى أقل من ٦٠٠ مم بل تزيد في المرتفعات على ١,٠٠٠ مم سنوياً . والجليل الأعلى هو المنطقة الوحيدة بين مناطق فلسطين التي تسقط الثلوج على مرتفعاتها سنوياً تقريباً . وينخفض التبخر السنوي في أعالي المنطقة إلى أقل من ٩٠٠ مم ، أي أن كمية الأمطار تفوق نسبة التبخر ، على عكس بقية مناطق القطر الفلسطيني التي تكون فيها الحصيلة لصالح الجفاف " . وتنسجم درجات الحرارة السنوية المتوسطة مع الموقع والارتفاع ، فتحوم حول ١٢° في المرتفعات العالية ، وحول ١٨° في الجبال والهضاب المنخفضة .

ويؤثر هذا الوضع المناخي في الغطاء النباتي في الجليل الأعلى حيث توجد أكبر كثافة للنبات بالنسبة إلى فلسطين . ويتألف الغطاء النباتي من أشجار وشجيرات غابية ـ حراجية ، وغطاء من أعشاب وأنجم صغيرة ونباتات قصيرة (زَ : النباتات الطبيعية) . ويضم الغطاء النباتي للجليل الأعلى أنواعاً كثيرة ، ومن أكثر الأشجار الغابية المنبقية في المنطقة أنواع الصنوبر المختلفة ، ولا سيما الصنوبر المقدسيّ ، والصنوبر الحلبي ، ثم البلوط وأنواع الطمبات المتعددة والخرنوب والقطلب (زَ : النباتات الطبيعية) . وقد انقرض معظم أنواع النباتات ، وخاصة الأشجار الغابية ، حتى اقتصرت على مجموعي البلوط والبطميات تقريباً . وتنتشر أدغال الماكي الشوكية الأشجار في الجليل الأعلى الغربي ، وكذلك مساحات من الغارغ ، وهما من أدغال البحر المتوسط القزمة ١ ـ ٢,٥م .

٢) الجليل الأدنى : يمتد إلى الجنوب من نطاق الأودية والمنخفضات الفاصلة بين الجليلين ، من الخط الواصل بين سهل عكا ـ حيفا في الغرب وبحيرة طبرية وغور الأردن في الشرق ، حتى سلسلة منخفضات وادي جالود وسهل مرج ابن عامر ووادي نهر المقطّع جنوباً . وهو يختلف عن كتلة جبال الجليل الأعلى المرتفعة المشرفة بحافات جبالها وجروفها الصخرية على النطاق الفاصل بين الجليلين . وتسمية هذا الجزء بالأدنى منطبقة على واقع جغرافي يتميز بانخفاض عام واضح للمنطقة . إذ تقع أعلى قمم الجليل الأدنى في حدود ٥٠٠ ـ ٥٥٠م فوق مستوى سطح البحر ، أما الارتفاع المتوسط فلا يتجاوز ٣٠٠ ـ ٣٥٠م إذا أخذت المنخفضات والسهول الجبلية في الحساب .

ولا يقتصر التمييز بين الجليلين على فروق الارتفاعات وحدها بل على توزيع وانتشار التضاريس أيضاً . فالجليل الأدنى مؤلف من وحدتين تضريسيتين متباينتين : الجليل الأدنى الشرقي ، والجليل الأدنى الغربي ، ويشكل الجزء الشرقي هضبة واسعة من مرتفعات وتلال شمالي غرب وغربي طبرية ، واستمرارها جنوباً حتى وادي نهر جالود بعرض متزايد في اتجاه الجنوب يصل الى ١٥ كم وارتفاع متوسط لا يتجاوز ٣٠٠م فوق مستوى سطح البحر . لكن هذا الارتفاع المتوسط يأخذ بالازدياد مع الاقتراب من وادي غور الأردن حيث يضاف مقدار الانخفاض دون مستوى سطح البحر في الغور إلى الرقم السابق فيصبح الارتفاع المتوسط للجليل الأدنى الشرقي وهضابه بالنسبة إلى غور الأردن ٥٠٠ ـ ٥٥٠م . ولما كانت حافات الجليل الأدنى المشرفة على الغور " ذات سفوح شديدة الانحدار ومجزأة بأودية سيلية كثيرة منتهية في بحيرة طبرية ولي نهر الأردن ، فإن المناظر إليها من جهة الشرق يرى فيها جبالاً متوسطة الارتفاع وهضاباً منخفضة تقف عائقاً أمام الاتصال بين الغور وقلب الجليل الأدنى ، إلاّ عن طريق ممرات الأودية ، كوادي طابور ووادي جالود .

ولقد أدت جيولوجية المنطقة وصخورها دوراً أساسياً في رسم الصورة الجغرافية ـ التضريسية للجليل الأدنى الشرقي حيث تنخفض كثافة خطوط الصدوع ، فيها عدا الأجزاء الشمالية الواقعة غرب وشمال غرب بحيرة طبرية . وبالتالي تقل فروق الارتفاعات الناتجة عن تحلّع التضاريس . يضاف إلى ذلك أن معظم الطبقات الصخرية الرسوبية العائدة للأيوسين والنيوجين ، والمؤلفة من صخور طريّة نسبياً ، منشأة بغطاء من الحمم الاندفاعية البركانية العائدة للحقبة الثالثة الجيولوجية الحديثة (النيوجين) وللحقبة الرابعة الجيولوجية،

مما وسم الجليل الأدنى الشرقي بسمة الهضاب المنبسطة التي تتوج الحمم أعالياها . أما تجزّز الغطاء الاندفاعي إلى قطع هضابية فسبب أعمال الحفر والتعمق الكبيرة للأنهار والسيول المنحدرة إلى غور الأردن شرقاً ، تلك الأعمال التي يغلب عليها الحتّ والتعمق البرأسيان نتيجة فروق الارتفاع الكبيرة بين بداية ونهاية الأنهار والسيول التي تتجاوز ٤٠٠م على مسافات لا تتجاوز ٢٠كم . وهذا واضح في وادي عمرود ووادي طابور وغيرهما من الأودية السيلية التي اخترق فيها عمل الحتّ الغطاء الاندفاعي حيثما وجد ، وأخذ يتعمق في جسم الصخور القاعدية الرسوبية الطريّة بسرعة أكبر .

أما في الجليل الأدنى الغربي فالصورة مختلفة عمّا تقدم . فهنا تسيطر ظاهرة الأحواض والسهول المنخفضة الفاصلة بين سلاسل جبلية ـ تلّية متطاولة على امتداد محاور شرقية ـ غربية عامة . فإلى الجنوب من نطاق الأودية والمنخفضات الفاصلة بين الجليلين ومن وادي مجد الكروم ترتفع سلسلة جبال الشاغور على محور شرقي ـ غربي مقسم بوادييّ الشاغور وسلامة إلى ثلاث وحدات جبلية تقع قممها على علو٥٢٠ ـ ٥٧٠م . وتشرف جبال الشاغور على سهل سخنين وسهل عرابة المسايرين لمحور الجبال من الجنوب . وينحصر منخفض سخنين ـ عرابة بين جبال الشاغور في الشمال وسلسلة جبال البطوف ـ سخنين في الجنوب فتصل قممها الى ٥٢٦م في جبل البطوف و٤٨٠م في جبل سخنين . وهذه الجبال المحور السابق للنضاريس نفسه . وإلى الجنوب من هذه الجبال ، وعلى محور غربي ـ شرقي ، مع انحراف نحو الجنوب الغربي ، يمتد منخفض سهل البطوف فسيحاً متطاولاً بين سلسلة البطوف ـ سخنين وجبل طرعان وسلسلته في الجنوب . وأخيراً ترتفع سلسلة جبال الناصرة جنوبي منخفض طرعان الصغير المحصور بين جبل طرعان في الشمال وجبال الناصرة في الجنوب . وترتفع قمة جبل طرعان إلى ٤٨٠م ، وقمة جبل الشيخ أعلى قمة في جبال الناصرة ، إلى ٥٧٣م . وتتصل السفوح الجنوبية لجبال الناصرة بأكبر منخفض سهلي في المنطقة ألا وهو سهل مرج ابن عامر ، وامتداده شرقاً بجنوب في وادي بير جالود حيث تنتهي منطقة الجليل لتبدأ منطقة جبال فلسطين الوسطى .

إن تعاقب تضاريس الجليل الأدنى الغربي على شكل منخفضات متطاولة تفصل بينها سلاسل جبلية ضيقة يظهر بوضوح في فروق الارتفاع بين المنخفضات التي تقع على مستوى أقل من ١٠٠م فوق سطح البحر في سهل مرج ابن عامر ، وأعلى من ٢٢٠م في وادي مجد الكروم ، والجبال التي ترتفع أعاليها إلى أكثر من ٥٠٠م فوق مستوى سطح البحر . وتتفق الجبال الفاصلة بين المنخفضات بتدرّجها في الانخفاض باتجاه الغرب حتى تنتهي بتلال تلتحم بالسهل الساحلي الشرقي لخليج عكا * . أما في الشرق فتندمج في جسم الجليل الأدنى الشرقي وهضابه التي سبق الحديث عنها دون أي انقطاع في سير التضاريس . وهكذا تصبح المنخفضات مطرّقة من الشمال والجنوب والشرق بمرتفعات بارزة فوق أرضها السهلية ـ المنبسطة ، عامة ان معظم سفوح السلاسل الجبلية الفاصلة تسقط على حافات المنخفضات بانحدارات شديدة تزيد في وضوح الفروق التضريسية . وأما في الغرب فإن هذه المنخفضات مفتوحة على السهل الساحلي * بفتحات ضيقة على الغالب تشغلها أودية سيلية تصرف مياه المنخفضات والسفوح المطلة عليها ، ابتداء من وادي مجد الكروم في الشمال وانتهاء بوادي نير المقطّع في الجنوب . ولّما كانت أرض المنخفضات ضعيفة الانحدار تخترقها خطوط الأودية السيلية ، فإن مياه الفيضان في الشتاء تحتل في أكثر الأوقات مساحات منها تعرقها وتشكل مستقعات فيها . كذلك جرى استغلال الأجزاء المنخفضة منها لتكون خزانات وأحواضاً مائية ، كخزان البطوف وخزان طرعان .

ولا يمكن تفسير الوضع التضريسي في الجليل الأدنى الغربي ، كما هي الحال في الجليل الأعلى ، دون معرفة الأسس الجيولوجية والحركات الأرضية التي أثّرت في المنطقة . فالصخور السائدة في هذا الجزء من فلسطين رسوبية يغلب عليها الكلس والدولوميت والحوّار في السلاسل الجبلية ، في حين تملأ المواد اللحقية والفضية أرض المنخفضات والأحواض وبطون الأودية . ولقد شرعت الحركات الأرضية المنطقة فشوشت وضع الطبقات الرسوبية السابقة التي كانت تشكّل كلاً متماسكاً ، مما سبب هبوض أجزاء منها كوّنت السلاسل الجبلية مقابل خفض أجزاء أخرى شكّلت المنخفضات والأحواض بينها . ويجري ذلك على امتداد محاور الصدوع والانكسارات التي سيطر عليها الاتجاه الشرقي ـ الغربي العام . فالجليل الأدنى الغربي منطقة نموذجية للتضاريس الصدعية التي تتعاقب فيها النجود والأغوار الصغيرة الناتجة الأصل التي جاءت الأعمال المناخية من حتّ وتعرية وترسيب ، لتبرز فيما بعد الفروق بينها ، وتقدم الصورة الحالية الطبيعة تضاريس المنطقة .

ويرافق اختلاف الوضع التضريسي في الجليل الأدنى عن شبيهه في الجليل الأعلى اختلاف وتغير في المناخ والغطاء النباتي ، إذ تنخفض كميات الأمطار السنوية الى ٥٠٠ ـ ٦٠٠ مم وترتفع الحرارات السنوية المتوسطة إلى ١٩° ـ ٢٠° وتتجاوز مقدار التبخر ١,٠٠٠ ـ ١,١٠٠ مم سنوياً . أما الغطاء النباتي فإنه ، وإن كان امتداداً لأدغال وشجيرات وأعشاب الجليل الأعلى من حيث الأنواع والأصناف ، ذو كثافة أقلّ تزداد في السلاسل الجبلية والمرتفعات ، وتكاد تنعدم في سهول المنخفضات المستغلة للزراعة .

جـ ـ الجليل عبر التاريخ : الجليل من الجلجال ، والجلجال

لفظ سامي يرجح أن يكون كنعاني الأصل ، ومعناه الحجر المستدير الشكل .

أقدم من سكن بقاع فلسطين ، ومنها بلاد الجليل ، هو إنسان العبيدية قبل ١,٧٥٠,٠٠٠ سنة . وقد وجدت بقايا هيكله العظمي وآلاته الحجرية في تل العبيدية بالغرب من بحر الجليل (ر : العصور القديمة) ، ووجدت في مغارة الزطّية شمال غرب الجليل (ر : الزطّية ، كيف -) وفي كهوف جبل الكرمل آثار إنسان نياندرتال الذي عاش قبل ١٠٠,٠٠٠ سنة ، ووجدت في مغارة الأميرة بالقرب من بحر الجليل آثار الإنسان العاقل في العصر الأوريغناشي قبل ٣٠,٠٠٠ سنة . ومن المدن التي نشأت في شمال فلسطين في عصور ما قبل التاريخ مجدّو (اللجون *) التي شهدت في عصورها التاريخية معارك طاحنة بين الكنعانيين والمصريين زمن الفرعون

تحتمس الثالث * عام ١٤٨٠ ق.م. وتأسست بدبار الجليل في عصور ما قبل التاريخ مدينة بيسان . ولما نزل الكنعانيون هذه المنطقة بنوا فيها مدينة سمّوها بيت شان ، نسبة للإله شان . وتوجد آثار هذه المدينة اليوم بتل الحصن القريب من مدينة بيسان . ونزلت قبيلة الجرجاشيين * الكنعانية بجوار بحر الجليل ، ولذلك سمي البحر باسمهم . ونزلت قبيلة الحويين * الكنعانية شمال البلاد حتى جبل الشيخ وجبل لبنان ، وسكن الفينيقيون (الكنعانيون) السواحل الفلسطينية واللبنانية أيضاً . وفي عام ٧٢٢ ق.م. احتل الأشوريون منطقة الجليل ، ونقلوا منها بعض الأسرى ، وخضعت بلاد الجليل بعد ذلك لحكم الفرس والسلوقيين * . وفي عام ٦٣ ق.م. احتل الرومان فلسطين ، وأصبحت دبار الجليل تابعة لهم . وبعد أن أحرق الإمبراطور فسباسيانوس * القدس عام ٧٠م، منع اليهود من الإقامة فيها ، فأصبح الجليل في فترة من الزمن مركزاً للدراسات التلمودية بعد أن انتقل إليه المجمع الديني اليهودي الأعلى المعروف بالسنهدرين .

للجليل ذكريات خالدة في أذهان المسيحيين لأن السيد المسيح نشأ وترعرع فيه ، وقضى أكثر أيامه بمدينة الناصرة حيث بشّر بمعظم رسالته ، وكان يعرف بيسوع الجليلي (متى ٢٦ : ٦٩) . وفي الجليل نشأ بعض الحواريين الذين آزروا المسيح . واختار المسيح بعض أصدقائه مثل القديس بطرس * من أهل الجليل . وفي الجليل اليوم كنائس وأديرة كثيرة بنيت تخليداً لذكرى يسوع الناصري .

وكان الجليل في التنظيم الإداري الروماني جزءاً من فلسطين الثانية التي شملت شمال فلسطين وشمال شرق الأردن ودرعا وصور . وبعد الفتح العربي الإسلامي أصبحت دبار الجليل من جند الأردن ، وكانت قصبتها طبرية . وظلت كذلك مدة أربعة قرون ونصف . ونزلت بالجليل بعد الفتح العربي قبائل عربية كثيرة أهمها قبيلة عاملة * التي نزلت الجبل الذي نسب إليها في جنوب لبنان وشمال فلسطين ، وقبيلة جذام * التي نزل فخذ منها فيما يلي طبرية إلى اللجون وعكا ، وقبيلة الأشعريين وكانوا الغالبية في طبرية ، والغساسنة * ومنهم جماعة استقرت في الأردن ، وبنو عامر الذين نزلوا المرج الفلسطيني الذي عرف باسمهم (ر : مرج ابن عامر ، سهل -) ، والجراجمة الذين استقروا بجبل جرمق بصفد وجنوب لبنان قبل الفتح العربي . والمعروف أن جميع هذه القبائل نحطانية .

شهدت دبار الجليل أحداثاً كثيرة أثناء الحروب الصليبية . وبعد أن تملك منها الصليبيون اهتم بها المماليك * وازدهرت في عهدهم . ولما سيطر العثمانيون عليها عام ١٥١٧م أصبحت عكا قصبة الجليل . وتأسست في العهد العثماني بالجليل إمارة الشهابيين ، ثم إمارة ظاهر العمر الزيداني * . وظلّت عكا عاصمة الجليل حتى الاحتلال البريطاني عام ١٩١٨م فأصبحت حيفا أعظم مدن الشمال .

وينسب الى منطقة الجليل بحر الجليل وهو بحيرة عذبة تستمد مياهها من نهر الأردن ، وقد سمي بهذا الاسم لأول مرة في العهد الجديد (متى ٤ : ١٨ ، لوقا ٥ : ١ ، يوحنا ٦ : ١) وكان في السابق يعرف باسم بحر كنروت وبحر كنّارة (العدد ٣٤: ١١)وبحر جنيسارت . وهو ، حالياً ، بحيرة طبرية .

وينسب إلى منطقة الجليل الجليليون * ، وهم أتباع يهودا الجليلي الذي ظهر قبل الميلاد وكان يقول ان لا ملك لليهود غير الله . ويظهر أن هذه الطائفة الدينية انصرفت إلى الشؤون الدينية ورفضت العنف .

احتل فخر الدين المعني مكانة هامة في الجليل في القرن السابع

عشر ، واتخذ صفد حصناً لحماية أملاكه ، ولكن الأشراف قضوا عليه . وفي القرن السابع عشر تأسست في الجليل إمارة للشهابيين . وفي أواخر ذلك القرن عيّن الشهابيون عمر بن زيدان شيخاً على صفد لمساعدتهم ، وفي عام ١٧٥٠م استقل ولده ظاهر ، واتخذ من عكا مقرّاً له . وفي عهده نشطت الزراعة والتجارة ، وشعر الناس بالأمان .

د ـ النشاط البشري والاقتصادي : انتشرت التجمعات السكانية في الجليل على شكل قرى أو مزارع صغيرة تتخللها الخرب القديمة المهجورة (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . وتتبع هذه التجمعات السكانية مراكز صفد * أو طبرية * أو بيسان * أو عكا . لكن مدينة صفد هي عاصمة بلدان جبال الجليل الأعلى ، لموقعها الجبلي ، على عكس طبرية أو بيسان أو عكا الواقعة في السهول والمنخفضات . وأما في جبال الجليل الأدنى فمدينة الناصرة هي أكبر مركز بشري يشرف على سهل مرج ابن عامر والعفّولة * في الجنوب .

يغلب على قرى الجليل قيامها في مواقع تلتقي فيها أقدام الكتل الجبلية بأطراف سهول المنخفضات ومخارج الأودية من الجبال . وفي هذا توفير للأرض الزراعية ، وابتعاد عن مناطق الفيضان والمستنقعات في السهول ، وعن الغطاء النباتي الغابي في المرتفعات وسفوحها . ويعتمد السكان على بعض الينابيع او الآبار * المحفورة لتأمين مياه الشرب والاستعمال المنزلي . وقد مدت أنابيب مياه الشرب إلى معظم التجمعات السكانية في الجليل .

أما الزراعة * ، وهي النشاط البشري ـ الاقتصادي الأول لسكان الجليل ، فاعتمادها الأساسي على الأمطار التي تسمح كمياتها السنوية بقيام زراعة بعلية دون خوف . ولم يكتف الفلاح الفلسطيني في الجليل بزراعة السهول وسطوح الأودية والسطوح المرتفعة ذات الانحدار والتربة * المناسبة ، بل بذل جهوداً جبّارة في إقامة المدرجات الزراعية على سفوح التلال والجبال ، وغرس أشجار الزيتون * وغيرها من الأشجار المثمرة فيها . ومن المحاصيل الهامة في جبال الجليل ومنخفضاتها الحبوب ، وعلى رأسها الحنطة ، ثم البقول ، والذرة ، والبطيخ ، والعنب * ، والتين ، والزيتون ، واللوز ، والخضر بأنواعها . وتُمثل تربية المواشي ، وفي مقدمتها الغنم والبقر ، المرتبة الثانية بعد الزراعة في ريف الجليل . وأما المعز فقد تناقصت أعداده مقابل تزايد العناية بتربية الدواجن للحمها وبيضها .

ومن أوجه النشاط الأخرى العمل في الصناعات المحلية التقليدية ، كصناعة الحصر والبسط والمنسوجات البيتية القليلة الانتشار (رَ : النسيج ، صناعة ـ) ، إلى جانب الصناعات الغذائية المعتمدة على المواد الأولية المحلية (رَ : المواد الغذائية ، صناعة ـ) وكذلك صناعة أدوات العمل الزراعي في المراكز السكانية الكبرى ، كالناصرة أو صفد وغيرها . ومنطقة جبال الجليل عامة ذات نشاط بشري ـ اقتصادي قديم في فلسطين ، يضاف إليه طبيعة المرتفعات وغاباتها وطيب هوائها ، مما يجعلها منتجعاً صيفياً لسكان المنخفضات والسهول يزيد في دخل السكان (رَ : السياحة) .

أما طرق المواصلات في جبال الجليل فتقتصر على طرق السيارات (رَ : الطرق) . وهي تسير متفقة مع محاور التضاريس الرئيسة . فهناك محور شمالي جنوبي مسايرٍ لأقدام وأطراف الجليل في الشرق ، أي مسايرٍ لوادي الابندام وغور الأردن ، وآخر مسايرٍ له يبدأ في الشمال من الحدود الفلسطينية ـ اللبنانية مخترقاً الجليلين وماراً بحطّين * وجبل طابور حتى العفّولة في سهل مرج ابن عامر .

وتتقاطع مع المحاور المذكورة محاور طرقات ذات اتجاه شرقي غربي ، وهي أكثر عدداً وأجود نوعاً ، وتمرّ عبر السهول والمنخفضات والأودية لتصل بين الساحل في الغرب وسهل الحولة وحوض بحيرة طبرية وغور الأردن في الشرق .

المراجع :

ـ صفر الأبين : خطط جبل عامل ، بيروت ١٩٦١ .
ـ معطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦، ق ١ ، رج ٣ ، ق ١ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ العهد الجديد : إنجيل متى ، إنجيل لوقا ، إنجيل يوحنا .
ـ العهد القديم : سفر العدد ، سفر الملوك الثاني .
ـ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٨٧٧ .
ـ ياقوت حمّي : لبنان في التاريخ (مترجم) ، بيروت ١٩٥٩ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠،٠٠٠ ، لوحات الحولة ، بنت جبيل ، الناقورة ، صفد ، فيق ، حيفا ، الخمة ، الناصرة ، مرج ابن عامر .
ـ خريطة فلسطين الجيولوجية : مقياس ١ : ٢٥٠،٠٠٠ .

— Beals, R. and Hoijar, H.: **An Introduction to Anthropology,** New York 1971.
— Chard, C.: **Man in Prehistory,** New York 1969.
— De Vaut, R.: **Ancient Israel, Its Life and Institutions** , London 1961.
— Fitzgerald, G.: The Earliest Pottery of Beth-Shan, **The Museum University of Pennsylvania**, XXIV. 1935.
— Garrod, D. and Bate, D.: **The stone Age of Mount Carmel,** Oxford 1937.
— Gordon, C.: **The Ancient Near East,** New York 1965.
— **The Interpreter's Dictionary of the Bible,** E-J, New York 1962.
— Kohler, H.: **Rome and Her Empire**, London 1963.
— Neuville, R.: Jabal Qafze: **The Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine,** Vol. IV, 1934.

— Rowe, A.: **The Topography and History of Beth-Sahn,** Philadelphia 1936.
— Smith, G.: **The Historical Geography of the Holy Land,** London 1896.
— Truville-Petre: **Researches in Prehistoric Galilee, London 1927.**

الجليـــل (قوات ــ) : ر : طلائع حرب التحرير الشعبية

الجليليـــون :

هم سكان منطقة الجليل في شمال فلسطين . وقد تحولوا إلى الديانة اليهودية في القرن الثاني قبل الميلاد ، وصاروا من أشد اليهود تعصبا وعنفا . وقع الجليليون تحت تأثير يهودا * الجليلي الذي نشر دعوته بينهم ، وهي تتلخص في أنه ليس لليهود ملك غير الإله « يهوه » ولا يجوز الخضوع لملك غيره . ولا يزال المؤرخون غير متأكدين أكان يهودا الجليلي هو يهودا بن حزقيا الذي أراد إعدامه الحاكم الروماني هيرود فلجأ إلى إثارة الفتن بعد وفاة هيرودس ٤ ق م ، أم أن يهودا شخص آخر ؟

نجحت دعوة يهودا بين سكان الجليل ، وخاصة الشباب منهم . وتعصب الجليليون ، وأباحوا كل تضحية في سبيل نشر الدعوة . فكانوا يحتملون التعذيب والموت ، ولا يبالون بما يصيب أقرباءهم وأصدقاءهم من تنكيل بسبب تصرفاتهم المناوئة للحكم . ومما ساعد على التفاف الناس حول يهودا سوء الأحوال الاقتصادية والضرائب * الفادحة التي فرضها الرومان على السكان . وانتقد المؤرخ اليهودي يوسيفوس تصرفات يهودا ، واتهمه بقصر النظر وعدم النضج ، لأن حركته أوقعت اليهود في حرب طاحنة مع الدولة الرومانية أصيبوا فيها بخسائر فادحة .

كان أتباع يهودا يضمون عناصر مختلفة الأهداف ، منهم من حارب من أجل الحرية والاستقلال ، ومنهم من هدف إلى النهب والقتل ، وإشاعة الفوضى والاضطراب . وعلى الرغم من نجاح الرومان في حروبهم مع الجليليين فإن حركة هؤلاء التي قامت في أوائل القرن الأول للميلاد كان لها تأثير واضح في التاريخ اليهودي ، وظل تعصّبهم مثلا للأجيال اليهودية المتعاقبة .

المراجـع :

— Jones, A.H.: **The Herods of Judea,** 1938.
— Grant, M.: **The Jews in the Roman World,** London 1973.

الجمّـاسيـن الشرقي والغربي (قريـة ــ) :

قرية عربية تقع قبل مصب نهر العوجا بنحو ثلاثة كيلومترات . واسمها مأخوذ من عمل سكانها في تربية الجواميس ، لأن أراضي القرية سهلية منخفضة تكثر فيها المستنقعات * ، وتصلح لتربية الجواميس التي تحتاج إلى الماء الكثير .

تنقسم الجماسين من الناحية الإدارية إلى قسمين شرقي وغربي :

أ ـ الجماسين الشرقي : تربة هذا القسم طينية سمراء، وتعتمد في ريها على مياه الأمطار المتجمعة ، وعلى ما يجلبه الأهلون من مياه نهر العوجا . ولم تتجاوز مساحة أراضي الجماسين الشرقي ٣٥٨ دونما ، زرع منها ١٠٥ دونمات بأشجار الحمضيات * . ولم يتمكن الصهيونيون من امتلاك أكثر من ٥٤ دونما منها .

بلغ عدد سكان هذا القسم في أواخر عهد الانتداب ٧٣٠ نسمة فقط . وهم يعودون بأصولهم إلى منطقة غور الأردن ، لكنهم انتقلوا إلى هذه البقعة في آخر القرن الثامن عشر الميلادي ، وكانوا أول الأمر يحيون حياة البداوة . ثم أخذوا في الاستقرار وبناء البيوت البسيطة ، ومعظمها خصاص وبعضها بني بالطوب . وكان نمو القرية العمراني ضعيفاً جدا . ويكاد عيش أبنائها يقتصر على تربية الجواميس وبيع ما تنتجه من حليب ومشتقاته في سوق يافا . وقد عمل نفر من أبناء القرية في بساتين البرتقال في القرى المجاورة ، ولا سيما « سارونا » الألمانية .

لم يكن في الجماسين الشرقي مدرسة ، وكان أطفال القرية يذهبون إلى قرية الشيخ مونس * طلبا للعلم .

ب ـ الجماسين الغربي : يشترك هذا القسم مع القسم الأول في صفات واحدة للأرض والتركيب السكاني والعمراني . وتبلغ مساحة أراضيه ١,٣٦٥ دونما ، تسرب منها ٧١٤ دونما إلى الصهيونيين . وتعد الحمضيات أهم زراعات الجماسين الغربي ، وقد بلغت مساحة ما زرع بأشجار الحمضيات ٤١٤ دونما .

وصل عدد سكان الجماسين الغربي عام ١٩٤٥ إلى نحو ١,٠٨٠ نسمة كانوا يعملون في الزراعة * وتربية الجواميس .

احتل الصهيونيون الجماسين بقسميها الشرقي والغربي عام

١٩٤٨ ، ودمرهما ، وجعلوا أرضهما جزءاً من مجمع مدينة تل أبيب * الحضري .

المراجع :

– مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٤ .
– أنيس صايغ ، بلداتية لفلسطين المحتلة ، بيروت ١٩٦٨ .

إبن جماعة :

ر : إبراهيم بن سعد الله بن جماعة .
ر : إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن جماعة .
ر : إبراهيم بن عبد الرحيم بن جماعة
ر : إبراهيم بن محمد بن محمد بن جماعة .
ر : سلامة بن إسماعيل بن جماعة
ر : عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم بن جماعة

الجماعة الاقتصادية الأوربية :

لا يمكن البحث في موقف مشترك محدد للجماعة الاقتصادية الأوربية إزاء قضية فلسطين إلاّ بعد أن أثمرت مؤتمرات قمة الجماعة في لاهاي (كانون الأول سنة ١٩٦٩) ثم في باريس (سنة ١٩٧٢) أشكالا متقدمة من التعاون في السياسة الخارجية لأعضائها إلى جانب تعاونها الاقتصادي الذي كان قائما منذ الخمسينات . وقد وضعت الجماعة في تقرير اللكسمبورغ الصادر في ١٩٧٠/٧/٢٠ أهداف التعاون العملي في السياسة الخارجية ووسائل هذا التعاون ، من اجتماعات دورية للمديرين السياسيين في وزارات الخارجية ، إلى اجتماعات " فرقاء العمل " الذين يتم تأليفهم لمعالجة موضوع محدد ، ومن اجتماعات دورية لوزراء الخارجية إلى مؤتمرات القمة . وقد أنشأ مؤتمر القمة المنعقد في كانون الأول سنة ١٩٧٤ " المجلس الأوربي " الذي يضم رؤساء الدول والحكومات ووزراء الخارجية ، ويجتمع ثلاث مرات في السنة ليدرس مشكلات أوربا الداخلية والخارجية وكل المسائل الدولية التي تمس مصالح الجماعة سعيا لاتخاذ مواقف مشتركة . وقد تبلور أول موقف موحد للجماعة إزاء أزمة الشرق الأوسط وقضية فلسطين بعد أن أرست قواعد هذا التعاون السياسي وأنشأت أجهزته في الإعلان الصادر عن وزراء خارجيتها في ١٩٧٣/١١/٦ ، على أثر حرب تشرين (ر : حرب ١٩٧٣) . وقد نصت الجماعة في هذا الإعلان على أن اتفاق السلام يجب أن يبنى على المبادىء التالية :

" ١) عدم جواز اكتساب الأرض بالقوة .

٢) ضرورة إنهاء إسرائيل احتلال الأراضي الذي ما زال مستمرا منذ نزاع سنة ١٩٦٧ .

٣) احترام السيادة والسلامة الإقليمية والاستقلال لكل دولة من دول المنطقة وحقها في العيش في سلام ضمن حدود آمنة معترف بها .

٤) الاعتراف بأنه في حال إقامة سلام عادل ودائم يجب أن تؤخذ بالحسبان الحقوق المشروعة للفلسطينيين " .

كانت هذه المرة الأولى التي تخص فيها الجماعة بالذكر الصريح " الحقوق المشروعة للفلسطينيين " ، رغم ما في هذا التعبير من غموض . وكان ذلك تطورا ملحوظا إيجابيا نحو القضية الفلسطينية دفع مؤتمر القمة العربي * المنعقد في الجزائر في تشرين الثاني ١٩٧٣ إلى الترحيب بإعلان الجماعة ، وإلى إرسال وفد من وزراء الخارجية العرب ليبلغ وزراء خارجيتها الذين كانوا مجتمعين في مؤتمر القمة الأوربي في كوبنهاغن التقدير العربي لهذه البادرة ، ويقترح على الجماعة الدخول في حوار عربي ـ أوربي يهدف إلى تمييز الملاقات في كل المجالات . وقد أسفرت هذه الزيارة آنذاك عن ولادة الحوار العربي ـ الأوربي .

على أن هذا الحوار لم يبدأ في أوائل سنة ١٩٧٤ ، كما كان متوقعاً له ، لأن الجانب الأوربي عدّ اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية * في الوفود العربية اعترافا من الجماعة الأوربية بالمنظمة ، وهذا أمر لم تقرره ، في حين أصر الجانب العربي على اشتراك المنظمة كعضو من أعضاء جامعة الدول العربية ، وكاد الحوار يتعطل بسبب هذه العقبة لولا أن اقترحت الحكومة الفرنسية صيغة وسطا للحوار ، فيجري بين وفد أوربي ووفد عربي ، ولا يجمل أعضاء كل من الوفدين أسماء البلاد التي ينتمون إليها . وبذلك يحق لكل وفد إدخال من يشاء بين أعضائه من الخبراء ، ولا تعود قضية الاعتراف مطروحة . وقد قبل الجانبان هذا الحل الوسط تيسيرا لبدء الحوار . غير أن الجانب العربي ظل يطالب الجانب الأوربي بالاعتراف اعترافا كاملا بالمنظمة ، ويصر على أن يكون الحوار شاملا للنواحي السياسية والاقتصادية لا مقتصرا على الأخيرة فقط . وبالفعل تميزت الدورة الأولى للجنة العامة للحوار العربي ـ الأوربي المنعقدة في اللكسمبورغ في أيار سنة ١٩٧٦ على مستوى السفراء بتطرقها للقضية الفلسطينية وأزمة الشرق الأوسط ، وجاء البيان المشترك الصادر عنها يقرّ ، إلى جانب ارتباط الأمن الأوربي بأمن منطقة البحر المتوسط والمنطقة العربية ، بأن " حل القضية الفلسطينية المبنيّ على الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني هو عامل حاسم في تحقيق سلام عادل " .

وهكذا طرأ عامل جديد على موقف الجماعة الأوربية ، إذ أصبحت " الحقوق المشروعة " التي تعترف بها حقوقا " للشعب

الفلسطيني " . أي أنها اعترفت للمسرة الأولى بهوية للشعب الفلسطيني .

تقدمت الجماعة الأوربية خطوة أخرى إلى الأمام في النصف الثاني من سنة ١٩٧٦، فوضّحت بعض جوانب الهوية التي أصبحت تعترف بها للشعب الفلسطيني . وأعلنت في ٢٨ أيلول خلال المناقشة العامة أمام المجمع العام للأمم المتحدة على لسان مندوب هولندا - وكانت لها رئاسة المجموعة آنذاك - أن " حلا للنزاع في الشرق الأوسط لن يكون ممكنا إلاّ إذا تـرجم إلى الواقـع حق الشعب الفلسطيني بالإعراب الفعلي عن هويته الوطنية " .

واعتبر هذا التصريح خطوة في اتجاه الاستجابة للمطلب العربي الذي كان الجانب العربي يؤكده في كل مناسبة في الحوار العربي - الأوربي ، وهو أن يكون الاعتراف الأوربي بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني مقرونا بموقف عملي لتحقيق هذه الحقوق فعلا . وجاء نعت الهـوية بالـوطنية تقـدما آخر نحو الاعتراف بالحقـوق الوطنية الثابتة لهذا الشعب ، لأن تعبير الحقـوق المشروعة يحتمل الكثير من التأويل ، وترجمة هذه الهوية الوطنية إلى واقع معناه أن يكون لهذا الشعب كيانه الخاص .

وقد تبلور هذا الايضاح بكلمة أخرى ألقاها مندوب هولندا أمام الجمعية العامة إبّان مناقشتها لقضية الشرق الأوسط ، إذ أعلن أن الجماعة الأوربية ترى أن " ممارسة الشعب الفلسطيني لحقه في الإعراب الفعلي عن هويته الوطنية يمكن أن يضم قاعدة على الأرض في إطار تسوية متفاوض عليها " . ومعنى ذلك أن الجماعة أصبحت تعترف بإمكان أن يقوم هـذا الكيان الفلسـطيني الخاص عـلى وطن للشعب الفلسطيني ، وإن تحاشت تعبير " الوطن " .

وقد سارت مواقف الجماعة الأوربية خلال سنة ١٩٧٧ خطوات جديدة نحو تفهم القضية العربية العادلة ، لـولا أن انتهت السنة بإقدام الرئيس المصري أنور السادات على زيارة القـدس المحتلة ثم دخوله في مباحثات منفردة مع (إسرائيل) ، فتعقد الموقف بعـد أن كاد يجنح إلى الوضوح والاقتراب من توافر العناصر النظرية للحل الشامل العادل :

١) ففي الدورة الثانية للجنة العامة للحوار العربي - الأوربي التي عقدت في تونس في أوائل شباط ١٩٧٧ لم يكرر الجانب الأوربي موقفه فقط من " أنه لا يمكن حل النزاع في الشرق الأوسط ما لم تتم ترجمة حق الشعب الفلسطيني في التعبير الفعّال عن هويته الوطنية إلى واقع " ، بل تعدى ذلك إلى الإعراب عن " قلق الدول التسع إزاء استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية منذ عام ١٩٦٧ " ، وعن "تمسكها بأن اتفاقية جنيف الرابعة تنطبق على الأراضي العربية المحتلة " ، وعن " معارضتها لسياسة إقامة المستعمرات لأنها لا بد أن تلحق الضرر بإمكانات السلام " ، وعن " معارضتها لأي عمل من طرف واحد لتغيير الوضع في القدس " .

ولم يسبق للجماعة الأوربية أن اقتربت إلى هذا الحد من إدانة (إسرائيل) بسبب استمرار الاحتلال وممارساتها في الأراضي العربية المحتلة .

٢) وفي ١٩٧٧/٦/٢٩ أصدرت الجماعة الأوربية بعد اجتماع مجلس وزرائها بيانا يعدّ الوثيقة الأساسية الجديدة التي تحلّ محل بيان ١٩٧٣/١١/٦ . إذ يفسّر بتفصيل موقف الجماعة من أزمة الشرق الأوسط ، ويطوّر البيان الأسبق تطويرا ملموسا . فإلى جانب المطالبة بالمبادىء الأساسية التي تضمنها بيان ١٩٧٣/١١/٦ ذكر البيان الجديد أن " الدول التسع مقتنعة بأن حلا للنزاع في الشرق الأوسط غير ممكن إلاّ إذا ترجم إلى الواقع الحق المشروع للشعب الفلسطيني بالإعراب الفعلي عن هويته الوطنية ، وأن (هذا الحل) يجب أن يأخذ بالحساب ضـرورة أن يكون للشعب الفلسـطيني وطن . وهي (أي الدول التسع) تعتبر أن ممثلي أطراف النزاع ، بما فيهم الشعب الفلسطيني ، يجب أن يشتركوا في المفاوضات بشكل مناسب يحدّد بالتشاور بين جميع الأطراف المعنية . وفي إطار تسوية شاملة يجب أن تكون إسرائيل مستعدة للاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسـطيني ، وكـذلك يجب أن يكـون الجـانب العـربي مستعـدا للاعتراف بحق إسرائيل في العيش بسلام داخل حدود آمنة معترف بها . فأمن دول المنطقة لا يقوم عن طريق اكتساب الأراضي بالقوة ، بل على تعهدات سلام تتبادلها كل الأطراف المعنية في إطار من تصور إنشاء علاقات سلمية حقيقية " .

هذا ما ورد في بيان ١٩٧٧/٦/٢٩ ، ويلاحظ أن فيه تحيّنا لذكر منظمة التحرير الفلسطينية التي استمر أعضاء الجماعة على موقفهم من عدم الاعتراف بها اعترافا كاملا إلاّ إذا كانت المنظمة مستعدة للاعتراف بحق (إسرائيل) في الوجود ، أو تعديل ميثاق المنظمة ، فلا تدعو إلى إزالة (إسرائيل) .

كما يلاحظ أن عبارات البيان تحاشت ذكر حق تقرير المصير صراحة ، وإن كان الإعراب الفعلي عن الهوية الوطنية ، وشمول التسـوية لقـاعدة أرضيـة ، يعـدان خـطوة نحـو تمكـين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير المصير والعودة . كـذلك يجعـل البيـان اشتراك ممثلين عن الشعب الفلسـطيني في المفاوضـات عـددا بالتشاور بين جميع الأطراف المعنية . ومعروف أن (إسرائيل) تقف عقبة في وجه التمثيل الفلسطيني المستقل .

ولكن البيان على كـل حال يعترف للشعب الفلسطيني بهوية وطنية ، ووطن ، وممثلين ، وبحق الشعب الفلسـطيني ، بل بضرورة اشتراك ممثليه في المفاوضات .

وأخيرا تبدو التسوية الشاملة في نظر الجماعة الأوربية غير ممكنة بدون مراعاة هذه العناصر الاساسية المتركزة على القضية الفلسطينية وتفرعاتها .

٣) أكدت دورة اللجنة العامة للحوار العربي - الأوربي المنعقدة في بروكسل في تشرين الأول ١٩٧٧ هذا البيان الذي تناولته (إسرائيل) بالنقد العنيف . وتصاعدت في بيانات رئيس الجماعة الأوربية شجب ممارسات (إسرائيل) في الأراضي العربية المحتلة . وظل العرب يطالبون الأوربيين بالاعتراف صراحة بحق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره، دون مواربة ، وبكل ما يتبع هذا الحق من إجراءات ، وبالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني .

أتت زيارة الرئيس المصري للقدس في تشرين الثاني من سنة ١٩٧٧ عوتا (لإسرائيل) في إحباط ما يقع عليها من ضغط متزايد . وكان من الطبيعي أن يستثير نبأ الزيارة في البدء بعض الحماسة في أوساط الجماعة الأوربية . ولكن لم يمض سوى وقت قصير حتى بدأت حكومات الجماعة الأوربية بالتزام الحذر في حكمها عليها وعلى نتائجها . فلقد جاء خطاب متاخيم بيغن في الكنيست * يؤكد بُعد (إسرائيل) عن الأخذ بمبدأ الانسحاب الكامل من الأراضي العربية المحتلة ، وإصرارها على إنكار وجود الشعب الفلسطيني ، بل أن تكون له حقوق وهوية وطن .

أعرب البيان الذي أصدرته الجماعة الأوربية إثر الزيارة عن الأمل بأن يفتح " هذا الحوار الذي بدأ في القدس الطريق إلى مفاوضة شاملة تؤدي إلى تسوية شاملة عادلة دائمة تأخذ بالحساب الحقوق والاهتمامات لكل الأطراف المعنية" . ولكنه أكد أن " من الملحّ أن يقوم في النهاية سلام لكل شعوب المنطقة ، بما فيها الشعب الفلسطيني ، على الأسس التي اعترفت بها الجماعة الاوربية والتي ذكرت على الأخص في تصريح المجلس الأوربي في ١٩٧٧/٦/٢٩ " . وأخيرا كان إعراب الجماعة عن أملها بأن " يكون من الممكن جمع مؤتمر جنيف في مستقبل قريب " استعدادا منها لقدرة المفاوضات الجزئية على تحقيق أي تقدم على طريق الحل الشامل .

وقد تبلور عدم تغير موقف الجماعة بسبب ما تم من مفاوضات ثنائية بشكل أوضح في التصريح الصادر عن مجلسها الوزاري في ١٩٧٨/٩/١٩ ، على أثر التوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد * . فهذا التصريح ، وإن هنأ الرئيس الأمريكي جيمي كارتر على شجاعته وقدّر جهود السادات وبيغن ، ذكّر بأن الدول التسع " كانت لسنوات عديدة تدعو إلى تسوية سلمية عادلة شاملة ودائمة على أساس قراري مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و٣٣٨ ، وأنها ما زالت ثابتة على تصريح المجلس الأوربي الصادر في ١٩٧٧/٦/١٩ " .

لكن الجماعة ظلت تهمل في تصريحاتها ذكر منظمة التحرير الفلسطينية ، مما دفع الجانب العربي في الدورة الرابعة للجنة العامة للحوار العربي - الأوربي التي عقدت في دمشق في كانون الأول ١٩٧٨ لمطالبة الجانب الأوربي بأن تتخذ الجماعة الأوربية الخطوة المطلوبة بالاعتراف الكامل بمنظمة التحرير الفلسطينية ، فقد " آن الأوان لهذا الاعتراف " . وقد أراد الجانب العربي بذلك اشعار الجماعة الأوربية بأن الحوار سيتوقف إن لم يتحقق هذا الاعتراف .

غير أن الحوار العربي - الأوربي تجمد سنة ١٩٧٩ بسبب ما أصاب الموقف العربي من نكسة بتوقيع معاهدة الصلح المصرية - الإسرائيلية * في ١٩٧٩/٣/٢٦ ، ثم كان انتقال مقر جامعة الدول العربية إلى تونس ومصادرة الحكومة المصرية لأموال الجامعة ووثائقها وما تركته هذه المصادرة من آثار سلبية على قدرة الجامعة على التحرك السريع .

في تلك الأثناء كانت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تضغط على الدول الأعضاء في الجماعة الأوربية كي تصدر تصريحا يتأيد المعاهدة . إلاّ أن التصريح الصادر عن الجماعة في ١٩٧٩/٣/٢٦ ، بالرغم من تقديره للجهود التي بذلت للوصول إلى المعاهدة المصرية - الإسرائيلية ، أصر مجددا على التذكير ببيان الجماعة الصادر في ١٩٧٧/٦/٢٩ ، والتشديد على أنه " لا يمكن إحلال سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط إلاّ في إطار تسوية شاملة ترتكز على قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ ، وتجسد في الواقع حق الشعب الفلسطيني بوطن له " ، وهذا يجب أن تشترك في الاتفاق الشامل " كافة الأطراف المعنية ، بما فيها الشعب الفلسطيني " .

وانتهى البيان إلى الإعراب عن الأمل " في أن تتحاشى كافة الأطراف المعنية أي تصريح أو عمل يناقض البحث عن السلام ، كسياسة الاستيطان الإسرائيلية في الأراضي المحتلة " فبيّن هذا التخصيص ابتعاد السلوك الإسرائيلي عن المقتضيات الجوهرية للسلام الشامل ، وهو الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني ، وعدم الانتقاص منها . فياسة الاستيطان الإسرائيلي مثلا تعارض هذه الحقوق في الجوهر .

خلاصة القول ان مواقف الجماعة الاقتصادية الأوربية تدرجت في التقدم منذ سنة ١٩٧٣ حتى آخر سنة ١٩٧٩ ، فأصبحت تاب قوسين أو أدنى من الاعتراف صراحة بحق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره ، وبتكوين كيان خاص له ، والتمتع بوطن . ولكن الجماعة ككل ، والدول التسع الداخلة فيها على انفراد ، ظلت حتى نهاية سنة ١٩٧٩ تتجنب الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية اعترافا كاملا كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني ، وحجتها في ذلك

أن سياستها في التوازن بين العرب و(إسرائيل) تقتضي منها مطالبة المنظمة بالاعتراف (بإسرائيل) حتى يكون بإمكانها هي الاعتراف بها ، والضغط على (إسرائيل) للاعتراف بها . فهي تأخذ بالتوازن الذي أقامه قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بقرنه الانسحاب من الأراضي المحتلة بالاعتراف بأن " لكل دولة من دول المنطقة الحق بالعيش داخل حدود آمنة معترف بها " . وتضيف إليه أنه ، لكي تطالب باستعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة ، يجب أن يعترف بممثلو هذا الشعب (إسرائيل) بحق الوجود . واستنادا إلى هذا المفهوم أخذت الجماعة تفكر في ابتداع عملية سلام يكون فيها الاعتراف متزامنا ، متبادلا ، قائما في الوقت نفسه على مبادىء الانسحاب والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني والاعتراف بحق كل دولة في المنطقة ، بما فيها (إسرائيل) ، بالوجود والاستقلال والسلامة الإقليمية . وهذا فقد كان الحديث في مطلع سنة ١٩٨٠ عن إمكان قيام الجماعة الأوربية بمبادرة مستقلة للخروج من جمود الوضع ، ولا سيما أن ما سمي بمفاوضات الحكم الذاتي بين مصر و(إسرائيل) والولايات المتحدة لم يسفر عن أي تقدّم في اتجاه حقوق الشعب الفلسطيني الأساسية وفي طليعتها حقه في تقرير المصير . ولعل تصريحات الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان ، أثناء زيارته بعض الأقطار العربية في آذار ١٩٨٠ ، واعترافه بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وبأن منظمة التحرير هي الممثل الشرعي لهذا الشعب ، تشكل مؤشرا لتلك المبادرة المتوقعة من الجماعة الاقتصادية الأوربية .

وقد جاء " بيان البندقية " الصادر عن مجلس وزراء الجماعة الذي اجتمع في مدينة البندقية في ١٢ ١٩٨٠/٦/١٣ يبلور آخر تطور لموقف الجماعة من القضية الفلسطينية وأزمة الشرق الأوسط ، دون أن يتضمن ذلك مبادرة محددة سوى الإعراب عن نية الجماعة في القيام باتصالات لاحقة مع كل الأطراف المعنية للاستعلام عن مواقفها بالنسبة إلى المبادىء التي تضمنها الإعلان ، تمهيدا لإقرار شكل المبادرة الأوربية المتوقعة .

وقد كرر البيان اعتبار قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ أساسا للحل ، وركز على المبدأين اللذين " قبلتهما الأسرة الدولية بالإجماع " فطالب بوضعهما موضع التنفيذ ، وهما " الوجود والأمن لكل دول المنطقة ، بما فيها إسرائيل ، والعدالة لكل الشعوب ، وهذا يتضمن الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني " ، مضيفا إلى ذلك أن التسوية يجب أن تكون مضمونة بضمانات "تقدمها الأمم المتحدة بقرار من مجلس الأمن ، وفي حالة اللزوم ، على أساس إجراءات متفق عليها بالتبادل " .

ويقر البيان بأن المشكلة الفلسطينية ليست مجرد مشكلة لاجئين ، وأن الشعب الفلسطيني " يجب أن يتمكن ، بطريقة ملائمة محددة في إطار تسوية شاملة للسلام ، من ممارسة حقه في تقرير مصيره ممارسة كاملة " ، كما ينص على أن موضوع منظمة التحرير الفلسطينية يجب أن " يربط بالمفاوضات " . وأخيرا يعلن البيان عدم قبول الدول التسع "أية مبادرة وحيدة الطرف تهدف إلى تغيير وضع القدس " .

ولعل هذا يقترب موقف جماعة التسع ـ بعض الاقتراب ولو بشكل ناقص ومقيد ـ من الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . ولكنه ما زال يقيد ممارسة هذا الحق بطريقة ملائمة تتحدد في إطار تسوية شاملة للسلام ، وهذا يعني إخضاع هذه " الطريقة الملائمة " لموافقة (إسرائيل) ، لأنها طرف في التسوية الشاملة ، فممارسة الشعب الفلسطيني لحقه في تقرير مصيره ليست مطلقة من القيود كما ينبغي أن تكون عليه وفقا لميثاق الأمم المتحدة .

كذلك يشير البيان إلى منظمة التحرير الفلسطينية دون أن يعترف بها بعد ، ويطالب " بربطها " بالمفاوضات ، ولكنه لا ينص صراحة على مشاركتها الكاملة .

أما الاتصالات التي أزمعت الجماعة إجراءها فقد تبلورت بإيفاد وزير خارجة اللوكسمبورغ ، رئيس مجلس وزراء الجماعة آنذاك ، ليزور عواصم بلاد المنطقة خلال شهري تموز وآب ١٩٨٠ ، ويستقصي مواقفها ، ويقدم تقريرا عن مهمته إلى مؤتمر رؤساء دول الجماعة .

وقد قدم وزير خارجية اللوكسمبورغ تقريره إلى مؤتمر القمة الذي انعقد في لوكسمبورغ يوم ١٩٨٠/١٢/٢ ، وضم رؤساء دول الجماعة ورؤساء حكوماتها ، وأشار هذا المؤتمر في بيانه الختامي إلى " أن مبادىء إعلان البندقية تتضمن العناصر اللازمة لتسوية شاملة وعادلة ودائمة يتم التفاوض عليها بين الأطراف المعنية " . وأوضح البيان أن المشكلات الأساسية في تحقيق تسوية شاملة تندرج " تحت العناوين الرئيسة التالية : الانسحاب ، وتقرير المصير ، والأمن في الشرق الأوسط ، والقدس " . كما أكد " أن التدابير المتوخى اتخاذها في ظل هذه العناوين الأربعة ينبغي أن تشكل كيانا مترابطا " . وأعلن المؤتمرون عزمهم على القيام باتصالات جديدة مع الأطراف المعنية " ، وكلفوا رئيس الجماعة هذه المهمة .

ولم يحدث أي تطور جديد في موقف الجماعة الاقتصادية الأوربية من قضية فلسطين خلال عام ١٩٨١ والنصف الأول من عام ١٩٨٢ .

المراجع :

ـ وثائق الجماعة الأوربية .
ـ محاضر اللجنة العامة للحوار العربي ـ الأوربي .
ـ وثائق الأمم المتحدة .

الجمّـاعيلي :

رَ : عبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي
رَ : عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي
رَ : محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي

جمـال الحسيـني (١٨٩٢ - ١٩٨٢) :

سياسي فلسطيني ، ولد في القدس * حيث تلقى دراسته الابتدائية ، وتابع دراسته الثانوية في مدرسة المطران غوبات المعروفة بصهيون * .

التحق سنة ١٩١٢ بالجامعة الأمريكية في بيروت ، ولكنه لم يقض فيها سوى عامين عاد بعدهما إلى القدس لأن الجامعة أغلقت أبوابها عند اندلاع الحرب العالمية الأولى .

كانت معرفته الجيدة باللغة الانكليزية سببا دعا إدارة الاحتلال العسكري البريطاني إلى تعيينه في وظيفة حكومية عالية ، ولكنه سرعان ما استقال وأنشأ في القدس مكتبا للترجمة.

انضم إلى الحركة الوطنية الفلسطينية ، وأخذ يساهم في مقاومتها للانتداب البريطاني وللغزو الصهيوني . فاختير أمينا عاما للّجان التنفيذية التي كانت تنبثق من المؤتمرات العربية الفلسطينية (رَ : المؤتمر العربي الفلسطيني) ، وأمينا عاما للمجلس الإسلامي الأعلى * الذي ترأسه الحاج محمد أمين الحسيني * . وكان عضوا في الوفد الفلسطيني الذي قام بجولة في بعض البلاد الإسلامية لشرح القضية الفلسطينية .

كما اختير عضوا في الوفد الفلسطيني برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني إلى لندن سنة ١٩٣٠ (رَ : الوفود العربية الفلسطينية إلى لندن) ، بعد ثورة البراق في آب ١٩٢٩ (رَ : ثورة ١٩٢٩) .

واشترك في مظاهرة القدس الشهيرة التي قادها موسى كاظم الحسيني * في ١٩٣٣/١٠/١٣ ، وفي مظاهرة يافا في ١٩٣٣/١٠/٢٧ ، وسجن على أثرها مع آخرين في سجن عكا . ولكن سلطات الانتداب أفرجت عنهم بعد أن أضربت فلسطين أسبوعا كاملا احتجاجا على اعتقالهم .

اختير جمال الحسيني رئيسا للحزب العربي الفلسطيني *(آذار ١٩٣٥) ، وعضوا في اللجنة العربية العليا * . وترأس الوفد الفلسطيني إلى لندن سنة ١٩٣٦ .

اختفى جمال الحسيني بعض الوقت عندما حلّت السلطات البريطانية اللجنة العربية العليا ونفت بعض أعضائها إلى جزيرة سيشل . ثم التحق سرا بالحاج محمد أمين الحسيني في بيروت ، وترأس الوفد الفلسطيني إلى مؤتمر المائدة المستديرة في لندن في مطلع سنة ١٩٣٩ نيابة عن الحاج محمد أمين الحسيني (رَ : لندن ، مؤتمر ١٩٣٩) .

وعقب اندلاع الحرب العالمية الثانية كان جمال الحسيني في عداد الزعماء الفلسطينيين الذين ذهبوا إلى العراق ، ثم انتقلوا إلى إيران بعد إخفاق ثورة رشيد عالي الكيلاني . وهناك ألقت السلطات البريطانية القبض عليه مع عدد من الزعماء الفلسطينيين والعرب الذين لم يتمكنوا من الهرب إلى ألمانية . ولقد زج الجميع في معتقل الأحواز ، ثم نقلوا إلى معتقل في روديسيا ، حيث أمضوا أربعة أعوام .

عاد جمال الحسيني في مطلع سنة ١٩٤٦ إلى فلسطين ، واستأنف نشاطه السياسي في رئاسة الحزب العربي الفلسطيني ،واختير عضواً في اللجنة العربية العليا ، ثم نائباً لرئيس الهيئة العربية العليا * . وترأس عدداً من الوفود الفلسطينية إلى دورات مجلس جامعة الدول العربية ، ووفد الهيئة العربية العليا إلى لندن ، ووفدها إلى هيئة الأمم المتحدة أثناء عرض القضية الفلسطينية (رَ : الوفود الفلسطينية إلى الأمم المتحدة) .

وبعد نكبة ١٩٤٨ غادر جمال الحسيني فلسطين إلى القاهرة حيث اشترك في حكومة عموم فلسطين * ، وفي المؤتمر الفلسطيني الذي عقد في غزة عام ١٩٤٨ (رَ : غزة ، مؤتمر) . ثم انتقل إلى السعودية حيث عين مستشاراً للملك سعود ، وعمل في التجارة . وقد توفي في بيروت يوم ١٩٨٢/٧/٥ ودفن فيها .

جمـال عبـد النـاصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) :

قائد ثورة ٢٣ تموز سنة ١٩٥٢ في مصر ، ورئيس الجمهورية العربية المتحدة . ولد في مدينة الإسكندرية ، وهو الإبن الأكبر لأسرة عربية مصرية من عامة الشعب ، إذ كان والده موظفا صغيرا في مصلحة البريد بقرية الخطاطبة بين القاهرة والإسكندرية . وتنتمي الأسرة إلى بني مر في صعيد مصر .

بدأ عبد الناصر تعليمه في مدرسة القرية ، ثم انتقل إلى الإسكندرية حيث نال شهادته الابتدائية (١٩٣١) ، فالتحق بإحدى مدارسها الثانوية ، ولكن اشتراكه في مظاهرات ١٩٣٣ كان السبب المباشر لتوجهه نحو القاهرة . وهناك أدخله عمه مدرسة النهضة . ونال الشهادة الثانوية سنة ١٩٣٥ ، فالتحق بكلية

الحقوق ، ولكنه لم يمكث فيها طويلا لأن حكومة الوفد ، بعد أن أبرمت معاهدة ١٩٣٦ مع الإنكليز ، أصدرت مرسوما يقضي بفتح الكلية الحربية أمام المنقوفين من الشبّان المصريين ، بصرف النظر عن طبقتهم الإجتماعية ، أو ثروتهم المادية ، فترك جمال عبد الناصر كلية الحقوق بعد ستة أشهر ، والتحق بالكلية الحربية مع عدد من رفاقه ، وسرعان ما ظهر تفوقه الثقافي والعسكري على أقرانه .

حصل على رتبة ضابط عند تخرجه من الكلية العسكرية سنة ١٩٣٨ وعيّن بسلاح المشاة في قرية منفلوط في محافظة أسيوط . وفي سنة ١٩٣٩ نقل إلى الاسكندرية . ويعيد نشوب الحرب العالمية الثانية نقل إلى كتيبة بريطانية تعسكر خلف خطوط القتال بالقرب من العلمين للتدريب لمدة شهر . ثم تنقل بين مرسى مطروح والسودان ، وعاد إلى العلمين سنة ١٩٤٢ .

حصل جمال عبد الناصر على رتبة نقيب (يوزباشي) سنة ١٩٤٣ ، وتخرج من كلية أركان الحرب في ١٩٤٨/٥/١٢ ، ومنح رتبة رائد (صاغ) والتحق بحرب فلسطين (ر : حرب ١٩٤٨) . ثم نال دبلوم أركان الحرب في أيار ١٩٥١ ومنح رتبة مقدم (بكباشي) ، وعيّن في العام نفسه مدرّسا بكلية أركان الحرب . وفي ٢٣ تموز ١٩٥٢ قاد عبد الناصر ثورة الضباط الأحرار التي قضت على الملكية في مصر ، وأعلنت الجمهورية .

أصبح جمال عبد الناصر الرجل الأول بعد الثورة ، وتقلّد عدّة مناصب سياسية ، وهي : نائب رئيس الوزارة ، ووزير الداخلية (١٩٥٣) ، ورئيس الوزراء (١٩٥٤) ، ورئيس جمهورية مصر (١٩٥٦) ، ورئيس الجمهورية العربية المتحدة بعد أن تحققت الوحدة بين مصر وسورية (١٩٥٨) . وبعد الانفصال سنة ١٩٦١ استبقى لمصر اسم الجمهورية العربية المتحدة ، وظلّ على رأسها إلى حين وفاته بالسكتة القلبية في ١٩٧٠/٩/٢٨ .

وخلال هذه الفترة ، استطاع عبد الناصر أن يقوم بكثير من الأعمال ، أهمها : إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية في ١٩٥٣/٦/١٨ وإبرام معاهدة الجلاء مع بريطانيا سنة ١٩٥٤ ، وجلاء القوات البريطانية عن مصر جلاءا تاما (١٩٥٦) ، وتأميم قناة السويس (١٩٥٦/٧/٢٦) ، وصدور دستور جمهورية مصر (١٩٥٦) ، ومجابهة العدوان الثلاثي الذي انتهى بهزيمة المعتدين في تشرين الأول ١٩٥٦ (ر : حرب ١٩٥٦) .

حضر عبد الناصر كثيرا من المؤتمرات ، في مقدمتها مؤتمر باندونغ سنة ١٩٥٥ (ر : المؤتمر الأسيوي ـ الإفريقي ١٩٥٥) الذي أسفر من الناحية السياسية عن إعلان مبدأ الحياد الإيجابي ، ثم عن إعلان قيام كتلة دول عدم الانحياز إثر مؤتمر بلغراد ١٩٦١ (ر : عدم الإنحياز ، حركة) . وأعلن بعد عودته من باندونغ كسر احتكار السلاح . وقد وصف دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة آنذاك هذا الحديث بأنه " أخطر حدث دولي منذ حرب كوريا ، بل منذ الحرب العالمية الثانية " . ودعا إلى عقد مؤتمرات القمة العربية * منذ سنة ١٩٦٤ من أجل القضية الفلسطينية ، واستمر في تنشيطها حتى وفاته .

ومن الناحية الفكرية والسياسية ، كتب جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤ كتاب " فلسفة الثورة " ، وهو يضم أهم المبادىء التي انطلقت منها أفكاره السياسية ، ثم الميثاق الوطني (١٩٦٢/٥/٢١) ، وبيان ٣٠ آذار ١٩٦٨ اللذين تبلورت فيهما تجارب عبد الناصر .

ومن ناحية التنظيمات السياسة أعلن عبد الناصر تأسيس هيئة التحرير (١٩٥٣) ، والاتحاد القومي (١٩٥٧) ، ثم الاتحاد الاشتراكي (١٩٦٢/٧/٤) .

تعود علاقة عبد الناصر بالقضية الفلسطينية إلى فترة مبكرة من حياته السياسية ، فبعد صدور قرار تقسيم فلسطين * في ١٩٤٧/١١/٢٩ كانت وجهة نظر عبد الناصر ورفاقه أن ما يحدث في مصر ، وما يحدث في فلسطين " هو جزء من مخطط استعماري يستهدف الأمة العربية كلها " . ولذلك استقر رأيهم ـ من أول اجتماع عقد للضباط الأحرار بعد التقسيم ـ على مساعدة المقاومة الفلسطينية بالانضمام إلى فرق المتطوعين التي بدأت تتشكل في دمشق وغيرها من المدن العربية . وذهب جمال عبد الناصر لمقابلة عبد الرحمن الحسيني * مفتي فلسطين ـ وكان لاجئا سياسيا في مصر ـ وعرض عليه خدمات الضباط الأحرار " كمدربين لفرق المتطوعين ، وكمقاتلين معها ، ولكن المفتي أجابه بأنه لا يستطيع قبول العرض دون موافقة الحكومة المصرية " . وعندما أنبهت بريطانية انتدابها على فلسطين رأى عبد الناصر ورفاقه " أن اللحظة جاءت للدفاع عن حقوق العرب " ، واعتبروا ما حدث في فلسطين " انتهاكا صارخا ، لا للعدالة الدولية وحدها ، ولكن للكرامة الإنسانية كذلك " .

اتخذ عبد الناصر خطوة إيجابية أخرى ـ بعد أن أبلغه محمد أمين الحسيني رفض الحكومة المصرية العرض الذي تقدم به ـ فطلب إجازة ليتمكن من الانضمام إلى المتطوعين . وقبل أن يبتّ في طلبه أمرت الحكومة المصرية الجيش المصري رسميا بالاشتراك في الحرب (ر : حرب ١٩٤٨) وخاض عبد الناصر غمار حرب فلسطين ، وتردد اسمه في معارك أسدود والنقب وعراق المنشية ، كما اكتسب شهرة في حصار الفالوجة ، ومنح وسام النجمة العسكرية تقديرا لأعماله الحربية .

وفي غمار المعركة واصل جمال عبد الناصر توسيع دائرة تنقيم الضباط الأحرار ، بعد اكتشاف الأسلحة الفاسدة من جهة ، وبعد معرفة الطريقة التي كان يتم بها تسيير المعارك من جهة أخرى . فقد انتبه الضباط إلى أن القيادة العليا كانت تهتم باحتلال أوسع رقعة ممكنة من الأرض ، دون النظر إلى قيمتها الاستراتيجية ، أو إلى أثرها في إضعاف مركز الجيش خلال المعركة .

وأثناء حصار الفالوجة تأكد عبد الناصر أن الحصار يشمل الوطن كله ، وأن " المواجهة الحقيقية للاستعمار ولإسرائيل ولعناصر الرجعية العربية التي تعاونت معها انما تبدأ في الخنيفة من داخل الوطن " .

وتحددت نقطة البداية " بأن يكون القتال في القاهرة ، وليس في فلسطين " ، حيث الانتهازيون وعملاء الاستعمار يتاجرون بالقضية ويشترون الأسلحة الفاسدة للجيش المصري .

إذن ، فقد سلمت حرب ١٩٤٨ " وما نتج عنها ، في قيام ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ ، إلى جانب عوامل أخرى خاصة بمصر .

كان أول تحرك دبلوماسي عربي لعبد الناصر بعد الثورة في إطار جامعة الدول العربية عندما ألقى في ١٩٥٢/٨/٢٥ خطابا في اجتماع رؤساء أركان الجيوش العربية قال فيه : " وفهمت شعوب العرب أنه إذا كان عليها أن تحارب حربا واحدة فان عليها قبل ذلك أن تحدد التعاون بينها وتنظمه بما يكفل تحقيق الهدف الواحد " . ومن هنا اتجه بعد اتفاقية الجلاء بين مصر وبريطانية سنة ١٩٥٤ إلى إبرام معاهدات ثنائية مع الدول العربية ، فعقد معاهدة مع سورية في ١٩٥٥/١٠/٢٠ ، ومع السعودية في ٢٧ من الشهر نفسه ، ومعاهدة ثلاثية بين مصر والسعودية واليمن في ١٩٥٦/٤/٢١ . وكان القصد من وراء ذلك إقامة " ضمان عربي جماعي جديد " يحل محل الضمان الجماعي في إطار الجامعة العربية الذي تجمد بسبب انضمام العراق إلى حلف بغداد " (١٩٥٥) . وأثناء العدوان الثلاثي على مصر (ز : حرب ١٩٥٦) وقفت الأمة العربية إلى جانب مصر في تصديها للعدوان ومن أجل تحقيق الانتصار .

خاض عبد الناصر معركة الأحلاف بنجاح ، ثم استطاع بتأييد القوى الثورية العربية أن يهزم مشروع أيزنهاور " . ومضى نحو تحقيق هدف الوحدة ، واستطاع أن يعلن باسم الأمة العربية ونضالها وتراثها ميلاد الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٨ .

وأعلن عبد الناصر تأييده للثورات العربية التي قامت بعد انفصال سورية عن مصر ، وخاصة ثورة اليمن سنة ١٩٦٢ . وكان قبلها قد أيد ثورة الجزائر منذ سنة ١٩٥٤ ، كما ساهم في محاولة إقامة وحدة ثلاثية بين مصر وسورية والعراق سنة ١٩٦٣ (ز : الوحدة الثلاثية ، مشروع) ومعاهدة دفاع مشترك مع سورية سنة ١٩٦٦ التزم عبد الناصر بموجبها بالدفاع عن سورية إزاء التهديدات الإسرائيلية . وكان يرى أن " من واجب كل عربي أن يستجيب لهذا التهديد " ، وأعلن إغلاق المضايق . ولما حدث عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ (ز : حرب ١٩٦٧) لم تتغير سياسة عبد الناصر الوحدوية ، فرفض الصلح مع (إسرائيل) ، أو الاعتراف بها ، وعبّر عن رأيه هذا في مؤتمر الخرطوم الذي عقد في آب سنة ١٩٦٧ واشتهر " باللاءات الثلاث " : لا تفاوض ، لا اعتراف ، لا صلح مع إسرائيل (ز : القمة العربية ، مؤتمرات) . وبدأت حرب الاستنزاف مع (إسرائيل) تمهيدا لتوجيه ضربة حاسمة ، ولكنه توفي قبل تحقيق هذا الهدف (ز : الاستنزاف المصرية ـ الإسرائيلية ، حرب) .

أيد جمال عبد الناصر الثورة الفلسطينية المسلحة ، واعتبرها أنبل ظاهرة في الأمة العربية . وجرى بإشرافه توقيع اتفاقية القاهرة بين منظمة التحرير الفلسطينية " والحكومة اللبنانية في نشرين الثاني ١٩٦٩ .

وأثناء أحداث أيلول ١٩٧٠ في الأردن دعا جمال عبد الناصر إلى عقد مؤتمر قمة عربي استثنائي لبحث الوضع في الأردن (ز : القمة العربية ، مؤتمرات) انتهى إلى توقيع اتفاقية القاهرة بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الأردنية .

توفي جمال عبد الناصر بعد انتهاء مؤتمر القمة العربي مباشرة إثر سكتة قلبية يوم ١٩٧٠/٩/٢٨ ، وشيّع جثمانه في أضخم حشد جماهيري شهده الوطن العربي ، إذ اشترك فيه ما يقارب ٥ ملايين مواطن ، ومعظم رؤساء وملوك الدول العربية ودول عدم الانحياز ، والدول الأخرى .

المراجع :

ـ جمال عبد الناصر : فلسفة الثورة ، القاهرة .
ـ مجموعة خطب وتصريحات جمال عبد الناصر .
ـ جمال عبد الناصر : الميثاق الوطني .

جمال عبد الناصر (عملية ـ) : ز : مباريا (عملية ـ)

الجمالي : ز : بدر بن عبد الله الجمالي

الجَمَّـامَة (قرية ـ) :

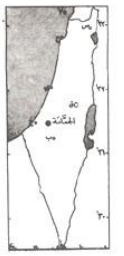

قرية عربية تقع على مسافة ٣٩ كم شمال الشمال الغربي لبير السبع * ، وتبعد عن طريق غزة ـ بير السبع مسافة تقـرب من ١٧ كم ، وتصلهـا بهـذه الطريق دروب ممهدة تجتاز كلا من قريتي الكـوفخة * والمحـرقة * . وتتصـل الجمّامة أيضاً بدروب ومسالك صالحة في معظم أيام السنة ببعض المدن والقرى المجـاورة ، منها خـربـة بـطيـح في الجنـوب ، والكـوفخـة في الجنـوب الغربي ، والقـالـوجة * في الشمـال ، وبـير * في الشمال الغربي . وبـذلك اكتسب موقعها أهمية خاصة كمفتاح لجنوب فلسطين ، كما أنه يمكن المرور عبرها من جنوب فلسطين إلى الأجزاء الشمالية والغربية من فلسطين . فهي محطة لمرور قوافل البـدو من النقب * إلى شمـال فلسطين . وقد شهدت الجمّامة في نهاية الحرب العالمية الأولى معركة بين قوات الاحتلال البريطاني وقوات العثمانيين أسفرت عن احتلال القوات البريطانية إياها والانطلاق منها نحو الشمال لاحتلال القرى العربية المجاورة .

نشأت الجمّامة فوق رقعة متموجة من أراضي النقب الشمالي على ضفة وادي الدبع الذي يرفد وادي أبو رشيد ، وينبع الـوادي الأخير ، نبعا لانحدار الأرض ، نحو الشمال الغربي حيث ينتهي في بعض الأودية الأخرى التي ترفد وادي الحسي * في طريقه نحو البحر المتوسط . وتنتشر هذه الرقعة بكثرة آثارها ، فهناك خربة جمّامة التي تحتوي على صهاريج ومعصرة زيتون وقطعة أرض مرصوفة بالفسيفساء ومدافن وتاج عمود وحجارة عمود مستديرة (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . وقد جذبت هذه الخربة بعض أصحاب الأراضي والبدو للاستقرار فيها وإقامة عدد قليل من البيوت المصنوعة من اللَّبن . ويتخذ محطط القرية شكلا مجمسا تظهر فيه البيوت متلاصقة وبينها بعض الدكاكين في الوسط . ويشرب الأهالي من بئر الجمّامة ، وتستخدم مياه البئر المجاورة لبئر الجمّامة في سقي المواشي وريّ بعض المساحات الصغيرة من الأرض المزروعة خضراً * . ترتفع الجمّامة نحو ١٥٠ م فوق سطح البحر ، وهي صغيرة بمساحتها ، قليلة بعدد سكانها . وكانت تشتمل على مدرسة ابتدائية تأسست عام ١٩٤٤ .

اشتهرت الجمّامة بزراعة الحبوب * ، ولا سيما القمح * والشعير . وتعتمد الزراعة * على الأمطار ، إذ تهطل كمية أمطار سنوية تقرب من ٣٠٠ مم . وكان الأهالي يهتمون بتربية المواشي لاتساع رقعة المراعي الطبيعية حول الجمّامة .

في عام ١٩٤٨ دارت رحى معركة بين العرب والصهيونيين أسفرت عن احتلال القوات الصهيونية القرية ، وطرد سكانها منها ، وتدميرها ، والانطلاق منها نحو الجنوب . وكان الصهيونيون قد أنشأوا مستعمرة « روحاما » على أراضيها في أواخر فترة الانتداب .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحتا كوفخة وبير .

الجماهير العربية (مؤتمر ـ) : رَ : شفاعمرو (مؤتمر ـ)

جـزو (قرية ـ) :

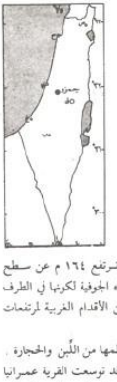

قرية عربية تقع في الجهة الشرقية من الرملة* واللد* ، وعلى مسافة ٤ كم تقريباً من اللد . موقعها هام لارتباطها بطرق ثانوية مع كل من الرملة واللد ، ومع قرى منطقة رام الله أيضاً . ويعتقد أن تسميتها ترجع إلى كثرة أشجار الجميز في المنطقة المحيطة بها . وقد ذكرت في العهد الروماني باسم « جزا » وكانت آنذاك حرا أعمال اللد .

نشأت جزو في البقعة التي كانت تقع فوقها بلدة جزو الكنعانية على الضفة الجنوبية لأحد الأوديّة الرافدية للوادي الكبير الذي يرفد نهر العوجا . وترتفع ١٦٤ م عن سطح البحر . وأراضيها متموجة تتوافر فيها المياه الجوفية لكونها في الطرف الشرقي من السهل الساحلي * بالقرب من الأقدام الغربية لمرتفعات رام الله .

تألفت جزو من نحو ٣٠٠ بيت معظمها من اللَّبن والحجارة . وهي في مجموعها تتخذ شكلاً مدمجاً . وقد توسعت القرية عمرانيا وبلغت مساحتها ٥٠ دونما . وتحتوي جزو على بئر وصهاريج قديمة ، بالإضافة إلى مسجد ومدرسة ابتدائية .

بلغت مساحة أراضيها ٩,٦٨١ دونما ، منها ٢٢١ دونما للطرق * والأودية ، ولا يملك الصهيونيون منها شبراً . وتصلح

أراضيها لزراعة الحبوب * والأشجار المثمرة ، إذ غرس الأهالي فيها نحو ١,٤٠٠ دونم بأشجار الزيتون ، ونحو ٧٧ دونما بأشجار الحمضيات * .

بلغ عدد سكانها عام ١٩٢٢ نحو ٨٩٧ نسمة . ارتفع العدد إلى ١,٠٨١ نسمة عام ١٩٣١ ، وإلى ١,٥١٠ نسمات عام ١٩٤٥ . وكان معظمهم يعملون في الزراعة * وتربية المواشي . وفي عام ١٩٤٨ طرد الصهيونيون هؤلاء السكان من ديارهم ودمّروا قريتهم وأنشأوا عام ١٩٥٠ مستعمرة « جزر » على رقعة هذه القرية العربية .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة الرملة .

الجمعيات (ـ لجنة ـ) : ر « النادي العربي (القدس) »

الجمعيات الأدبية :

كانت الجمعيات الأدبية في فلسطين عاملاً من العوامل البارزة في نهضة هذا القطر العربي الثقافية .

وما يلاحظ على هذا العامل الثقافي أنه لا يخلو من بذور سياسية ناعمة تندغم في العناصر الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، وأنه كان باعثاً على وعي التيارات السياسية التي كان المستعمر يخلقها لدفع هذا القطر وجرفه نحو نهاية بعيدة عن مصلحة الشعب العربي فيه .

غير أن الجمعيات الأدبية لم تكن مقصورة على فترة الانتداب الإنكليزي في فلسطين ، بل سبقت هذه المرحلة . فكان في فلسطين جمعيات أدبية زمن الحكم العثماني . منها في القدس جمعية « سوسنة صهيون » فرع جمعية « اتحاد الشبان المسيحيين » بلندن سنة ١٨٧٧ م ، وكان أعضاؤها عشرين . ومنها في هذه الفترة جمعية « الغيرة المسيحية » لشبان الروم الأرثوذوكس في القدس أيضاً .

وكان من جمعيات هذه الفترة المبكرة ثلاث جمعيات أنشئت في عكا * وهي : « شعلة المعارف » ، و« الجمعية الأدبية الخيرية » ، و« جمعية مار منصور » . وكانت هذه الجمعيات الثلاث تجمع الأموال وتنفقها على تعميم المعارف والثقافة ، وكذلك على مشروعات خيرية .

وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر عرفت فلسطين نشاط « الجمعية الألمانية الفلسطينية » التي عنيت بنشر المباحث المطبوعة ذات العلاقة بمختلف شؤون فلسطين . وقد وقفت على نشر المطبوعات الفلسطينية في سنة ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥ . ولكن الجمعية لم تكف عن نشر بحوثها الخاصة بشؤون فلسطين .

وفي سنة ١٨٨٢ أنشئت « الجمعية الأرثوذكسية الفلسطينية » التي كان لها مدارس ، وكان لها كذلك عناية بدرس أحوال فلسطين درساً تفصيلياً ، ووضعت كتباً كثيرة . وقد تأسست أيام الحكم العثماني « جمعية ترقي الآداب الوطنية » في يافا سنة ١٩٠٨ ، وكان من أهدافها تربية الشبيبة وتهذيبها ، وكانت تصدر نشرة تضمنها خلاصة أعمالها السنوية .

وقد عرفت بعض الأوساط في فلسطين الدواوين أو المجالس العائلية التي تشبه الجمعيات الأدبية وغير الأدبية في بعض ما تؤثره في المجتمع . ومن أمثلة هذه المجالس المجلس الذي كان ينتظم في دار عثمان بن سليمان النشاشيبي ، والد الأديب الفلسطيني المشهور محمد إسعاف النشاشيبي * . وقد كانت أصداء الفقه واللغة تتردّد في ذلك المجلس وأمثاله ، وكان ينتظم في ذلك المجلس محمد جار الله ، وعارف الحسيني ، وموسى عقل ، وأسعد الإمام ، وراغب الخالدي * ، وكامل الحسيني المفتي ، ورشيد النشاشيبي ، وعبد السلام الحسيني وغيرهم ، وكان محمد إسعاف النشاشيبي في صغره يتسلّل إلى ذلك المجلس ، ويسمع هؤلاء الشيوخ يتفاوضون الشعر ، ويتذاكرون الأدب ومسائل الفقه .

ورد في مجلة النفائس العصرية (الجزء الرابع ـ سنة ١٩١١) ما يدل على ظاهرة بارزة في تلك الأوساط الفلسطينية المشار إليها سابقاً كان لها آثار في حياة المجتمع الفلسطيني لا تقل أهمية عن آثار الجمعيات الأدبية المؤسسة بقواعد وأنظمة معروفة . ولعلّ ذلك يتضح من حكاية رواها الكاتب الروسي المعاصر ثيودورف في جريدة (ريتش) ، وهي من الجرائد اليومية المشهورة التي كانت تصدر في بطرسبرغ ، قال فيها : « اجتمعت ببعض أدباء القدس في منزل الخواجا بندلي الجوزي * أستاذ الآداب العربية في كلية قازان ، وكان معي الخواجا كراتشكوفسكي المستشرق الروسي . وكان قد جاء الشرق في مهمة علمية فأقام في مصر وسورية وفلسطين لهذه الغاية سنة ونصف السنة فاتقن اللغة العربية ، وتخلّق بأخلاق العرب وعاداتهم . أما الأدباء الذين أشرت إليهم فهم الأستاذ خليل السكاكيني * والشاعر الكاتب محمد إسعاف النشاشيبي ، وارستقراطي من سلالة الفاتحين جميل الخالدي * . وكان حديثنا بعضه بالفرنسية ، وبعضه بالإنكليزية ، وأكثره بالعربية ، وكان رفيقي المستشرق وصاحب المنزل يترجمان الحديث . وكنت أسمع ،

وأنا مسرور مرتاح ، حديث هؤلاء الشبان المتّقدين ذكاء وحماسة ووطنية . وقد علمت أموراً كثيرة مما لا نعلمه نحن الأوربيين عن هذه الأمة العظيمة بتقاليدها وتاريخها وآدابها ، ولا يخفى أن جمهور السيّاح الأوربيين إذا كتبوا شيئاً عن سورية وفلسطين إنما يلتقطون ذلك من أفواه الحوذيين والحمّالين والباعة المتجولين . . . " .

إلى ان يقول : " كنت جالساً أسمع اللهجة العربية وكأني أسمع أنغاماً موسيقية جميلة يستنشف منها القوة والعناد وكأن تلك الألفاظ نار تستعر حدة . . . " .

ثم يقول : " وبعد أن مضى هزيع من الليل اقترحت على النشاشيبي أن يسمعنا شيئاً من شعره ، فأنشدنا قصيدة في الحرية (ذكرى فتاة مكدونيا) ارتجت إليها كل الارتياح ، وأكبرت المعنى العربي العظيم في اللفظ العربي الفخيم ، وخلت كأني أسمع أصوات جمهور لا فرد . كان هذا الشاعر يقرأ قصيدته وفي كل نبرة من نبراته معان عظيمة . وقد ظهر لي وهو يقرأ نشيطاً عنيداً متحمساً . هذا الشاعر عربي قبل كل شيء ، ومسلم ، ولكنه ممتزج مع إخوانه المسيحيين امتزاج الراح والماء " .

وقد استمر هذا اللون من المجالس في المجتمع الفلسطيني ، وبخاصة في المدن . وقد عُرف عن بعض الأدباء ، مثل خليل السكاكيني ، وإسحاق موسى الحسيني ، وعادل جبر * وغيرهم اللقاء المتواصل في هذا النوع من المجالس .

على أن فلسطين عرفت أيضا الجمعيات الأدبية المنظّمة ذات النشاط المرموق في معظم مدنها ومراكزها البارزة . وحتى في بعض قراها . فكانت في القدس مثلاً « جمعية الآداب الزاهرة » تمارس نشاطها الأدبي منذ سنة ١٨٩٨ م ، وكان رئيسها داود الصيداوي ، وأعضاؤها عيسى العيسى * ، وفرح فرح الله ، وأنيس منيمنة ، وشبلي الجميل ، وجميل الحالدي ، ونخلة نرزي ، وخليل السكاكيني .

وفي سنة ١٩٠٨ سعى خليل السكاكيني في اجتماع عقد في منزل موسى شفيق الحالدي إلى تأسيس فرع لجمعية الإخاء العربي ، وانتخبوا نحو خمسة عشر شخصاً ليؤلفوا هيئتها العامة ، منهم حنا العيسى * ، والمعلم نخلة زريق * ، وكان تأسيسها للعمل النافع .

ويقول سليم سركيس حين زار القدس * سنة ١٩٢٠ ، في رسالة منه لخليل بيدس : " وقد سرني من القدس الشريف أن فيها « جامعة للأدباء » لم أوفق إلى مثلها في دمشق أو حيفا * . فقد قضيت نحو أربعين يوماً في عاصمة المملكة السورية ، وقابلت فيها عدداً كبيراً من الأدباء ، ولكن شملهم متفرق ، فلا يجتمعون في مكان معين أو زمان ، شأننا في مصر . وأما في القدس فإن ليوث الأدب يأوون إلى عرين خاص بتهيئه من لم يكن في طبقتهم . . . " . إلى أن يقول : " وقد بلغ من إعجابي بمجلسهم في القدس أنني ، كما تعلم ، كنت أول من حضر وآخر من انصرف " .

وكان النادي العربي * في القدس يقيم المسابقات الأدبية ، ويسمّيها « سوق عكاظ » سنة ١٩٢٤ ، ويوزع الجوائز على الفائزين في الشعر في مواسم النبي موسى .

وقد تأسست « لجنة الثقافة العربية في فلسطين » صيف ١٩٤٥ لخدمة الثقافة العربية بمختلف الوسائل ، وللتعاون مع المؤسسات الثقافية في البلدان العربية . وقد نظمت سلسلة محاضرات ، وكان سكرتير هذه اللجنة إسحق موسى الحسيني ، ولعل أهم ما قامت به من نشاط معرض الكتاب العربي الفلسطيني الأول الذي أقيم في نادي الاتحاد الارثوذكسي العربي بالقدس من ١١ - ١٩٤٦/١٠/٢٠ ، وأثمر كتابا بأسماء الكتب الفلسطينية التي أمكن جمعها في ذلك المعرض ، وطبع بمطبعة اللواء التجارية بالقدس .

وكان « لجمعية الشبان المسيحية » في القدس نشاط ثقافي واجتماعي ورياضي . أما حيفا فقد تأسست فيها ، على أثر الاحتلال البريطاني لفلسطين ، جمعيتان هما : « الجمعية الإسلامية » ورئيسها مفتي حيفا الشيخ محمد مراد ، و« الجمعية المسيحية » ورئيسها الوجيه فؤاد سعد . وكان لهاتين الجمعيتين الفضل في عقد أول مؤتمر فلسطيني رسمي عام مثّل جميع طبقات الشعب من جميع جهات فلسطين ، وأقرت الحكومة آنذاك لسان حال الشعب عموماً ، وقد عقد في حيفا من ١٣ - ١٩٢٠/١٢/١٩ وهو المعروف بالمؤتمر الفلسطيني الثالث العام الذي ترأسه موسى كاظم الحسيني * ، وكان نواة العمل والحياة للأمة . وقد عقد هذا المؤتمر باقتراح الشيخ سليمان التاجي الفاروقي * .

كانت في حيفا ، عدا هاتين الجمعيتين وتلك الجمعيات الطائفية الخيرية ، والأخويّات الدينية الكثيرة العدد ، « جمعية الشبيبة المسيحية » ، وهي جمعية أدبية أنشئت من أجل بحث الأمور الأدبية وتمثيل المسرحيات ، وكان رئيسها الشاب أديب الجذع . وقد أعيد تأسيس هذه الجمعية في ١٩١٩/١١/١٧ . وهي الجمعية نفسها التي كانت معروفة قبل الحرب باسم « نهضة فتيان الروم الكاثوليك » . وكان في حيفا جمعيتان نسويتان : الأولى « جمعية السيدات » (مسيحية) ، والثانية « جمعية تهذيب الفتاة » (إسلامية) .

ولعل من أبرز ما أُسس في حيفا « جمعية النهضة الاقتصادية العربية » ، وكان من أعضائها علماء وأدباء وعاملون ومفكرون وصحفيون . وكانت غايتها النهوض بالبلاد علمياً وتهذيبياً واقتصادياً وأخلاقياً . وكان من المنادين بتأسيسها نجيب نصار * صاحب

جريدة الكرمل * ، وقد احتفل بانتتاحها في ٢٢/ ١٩٢٢/٢ . وكان هذه الجمعية الحق في تكوين هيئات فرعية في القرى ، وبدأت تؤسس نقابات لكل مهنة وصنعة وفن .

وكان من بين هذه النقابات « حلقة الأدب » ، وغايتها تعزيز اللغة العربية ، وتشجيع في الخطابة ، والنظر في كل نقيصة من نقائص مجتمع حيف الأدبي وإصلاحه ، والعناية بالتعليم ، ونشر الكتب الأدبية . وقد قامت فكرة تأسيس الحلقة في رأس توفيق زيدي . وأحدثت هذه الحلقة نشاطاً كبيراً بالحفلات والمحاضرات والمسابقات للتأليف المسرحي وغيره . وهناك نواد أخرى أنشئت في حيفا : كالنادي المختلط للعائلات ، وكالنادي العربي ، ونادي موظفي السكة الحديدية ، والنادي الكاثوليكي .

أما يافا * نقد عرفت الجمعية الإسلامية المسيحة * والنادي العربي اللذين كانا دائبي النشاط في المناسبات الأدبية .

وقد أسس محمد أديب العامري * مع مجموعة من مواطنيه في يافا « نادي الطلبة » الذي كان فرعاً لمؤتمر الطلبة العربي العام المنعقد في بيروت سنة ١٩٢٥ . وكان هذا النادي في يافا مركز حركة اجتماعية أدبية سياسية أفادت من وجود هذا النادي ومن المكتبة الإسلامية بيافا . وكان يطلق على شباب هذه الحركة اسم « حملة الفكرة الاستقلالية » مما كوّن نواة لدعم العمل السياسي الذي كانت تقوم به الجمعية الإسلامية المسيحية في يافا آنذاك ، ويشاركها في المجلس الإسلامي الأعلى * وبعض الهيئات السياسة والاجتماعية الفلسطينية . وقد انضم عدل هذه المجموعة النشطة الحرة من الشباب في الدرجة الأولى إلى فتح العيون على النشاط الاستعماري البريطاني وأطماع الصهيونية . وبذلك نظمت هذه المجموعة المظاهرات والمحاضرات والرحلات لفضح التواطؤ بين الاستعمار البريطاني والصهيونية في عدوانها على فلسطين بالهجرة وا س الأراضي وبالشذاذ من القرانين .

ولعل من أنشط النوادي الفلسطينية « النادي العربي » في يافا . فقد كان أعضاؤه من الشبان الواعين الذين اهتموا بنقل مسؤولية التعليم في المدارس العربية من الإدارة البريطانية إلى إدارة عربية لأن اليهود كان لهم إدارة مستقلة في مدارسهم (رَ : التربية والتعليم) . وكان هذا النادي جمّ النشاط في الحقول الأدبية والثقافية والاجتماعية ، وخاصة في السنوات التي سبقت نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ .

ولم يقتصر نشاط الجمعيات والأندية على القدس وحيفا ويافا بل عرفته غزة * في « النادي الأرثوذكسي » وغيره ، وعرفته الناصرة * في « النادي الأدبي » ، وعرفته بيت لحم * في « نادي الشبيبة التلحمية » الذي كان يغتنم الفرص لإقامة حفلات تكريم كبيرة للأدباء والشعراء وكبار المستشرقين حين يمرون بالبلاد . فحين أراد خليل مُطْران الاصطياف في رام الله * سنة ١٩٢٥ أقيمت له حفلات التكريم في القدس وبيت لحم ، ويافا ، والبيرة * ، وطولكرم * ، ورقاقيلية * ، ورام الله نفسها .

المراجع :

ـ عبد الرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني الحديث ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ هاشم ياغي : محمد أديب العامري ، عمان ١٩٧٩ .
ـ ناصر الدين الأسد : الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن ، القاهرة ١٩٥٧ .
ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

الجمعيـــات الإسلامية ـ المسيحية :

جمعيات بدأ تشكلها منذ منتصف عام ١٩١٨ ، بعد زمن قصير من احتلال البريطانيين القسم الجنوبي من فلسطين ، وقبل جلاء الأتراك العثمانيين عن سائر أنحائها . وكانت مظهراً مبكراً للوعي السياسي المنظم في مواجهة النشاط المنظم للجمعيات واللجان الصهيونية .

ظهرت فكرة الجمعية الإسلامية المسيحية إلى الوجود بعد أن بلغ أهلَ فلسطين نبأُ وعد بلفور * ، ومع قدوم البعثة الصهيونية إليها برئاسة وايزمن في أوائل نيسان ١٩١٨ ، وأثناء سعي السلطات البريطانية إلى خلق جوّ من الوفاق العربي ـ الصهيوني ، مما زاد في مخاوف العرب من الصهيونية * ، وصعّد المعارضة لها والتنديد بأطماعها .

كان تأسيس « الجمعية الأهلية » في يافا ـ وقد انتخب لإدارتها اثنا عشر عضوا ، نصفهم من المسلمين ونصفهم من المسيحيين ـ أسبق في الظهور من الجمعيات الإسلامية المسيحية . ثم قرر زعماء القدس في أيار ١٩١٨ تشكيل جمعية عربية يجتمع فيها شملهم ، وينشطون في نطاقها في سبيل الدفاع عن كيانهم ومركزهم ، والسعي لربط مصير فلسطين بمصير سورية الاستقلالي الوحدوي . وقد رفضت السلطات البريطانية الاقتراح بتسميتها « الجمعية العربية الوطنية » حتى لا يكون ذلك اعترافا منها بحركة عربية . وألزمت زعماء القدس بتسميتها « الجمعية الإسلامية المسيحية » لتظل عملية منقطعة عن الحركة العربية وثورتها القائمة . وكان في ذلك الخبر ، لأنه قطع الطريق على دسائس الإنكليز الذين تظاهروا بالعطف على المسيحيين .

تمّ في حزيران ١٩١٨ تسجيل « الجمعية الإسلامية المسيحية » في القدس * وفقا لقانون الجمعيات العثماني الذي كان ساري المفعول آنذاك . ومن أعضاء الجمعية موسى كاظم الحسيني * رئيس بلدية القدس ، وعارف الدجاني ، وجميل الحسيني ، وأنطوني الخوري ، وخليل سكاكيني * ، ورشيد الجمال ، وجودة النشاشيبي . وابراهيم شماس . ثم حلت يافا * وغزة * محلّ القدس في تشكيل الجمعية الإسلامية المسيحية . وبعد جلاء الأتراك عن فلسطين وإعلان الهدنة تبعت مدن فلسطينية أخرى القدس ويافا وغزة فأسست جمعيات إسلامية مسيحية (ما عدا مدن المناطق الشمالية التي تأسست فيها فروع للحزب العربي * المعروف بموالاته لبريطانيا) . وكانت جمعية نابلس من أقواها وأكثرها نشاطا وتأثيرا في الحركة الوطنية .

اتخذت الجمعيات الإسلامية المسيحية رمزا لها شارة الهلال وبداخله الصليب ، وأخذت على عاتقها مسؤولية المطالبة بحقوق عرب فلسطين في وطنهم ، ومناهضة وعد بلفور ، والوقوف في وجه الهجرة الصهيونية ، والدفاع عن عروبة فلسطين والحيلولة دون عزلها عن الحركة العربية المتمثلة بالثورة العربية وقيادة فيصل . وكان أسلوبها في العمل قائما على الاحتجاجات الرسمية ، ورفع العرائض إلى الجهات الدولية وإلى السلطات البريطانية ، والمظاهرات وعقد الاجتماعات . وتولّت الجمعيات ، بهذا الاسلوب السلمي ، قيادة الحركة الوطنية خلال شهري تشرين الأول وتشرين الثاني ١٩١٨ . ومن أمثلة نشاطها الاحتجاجات الخطبة والمظاهرة الكبرى التي قادها في القدس موسى كاظم الحسيني في الذكرى الأولى لوعد لفور ١٩١٨/١١/٢ ، ومذكرة جمعية يافا إلى الحاكم العسكري في ذكرى احتلال الجيش البريطاني ليافا في ١٩١٨/١١/١٦ .

في أواخر عام ١٩١٨ ، ومع توارد الأخبار عن قرب عقد مؤتمر الصلح في باريس ، وإمكانية عرض المشكلة عليه ، ومع ازدياد نشاط الصهيونيين ، اقتضت الأسباب إعادة تشكيل الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس على أسس جديدة تجمع القرى الوطنية في المدينة وقراها ، واقتضت أيضا العمل على توحيد الجمعيات الإسلامية المسيحية في جمعية واحدة (أو مؤتمر عام) تضع برنامجا موّحدا ، وتتبنّى أهدافا واحدة تتقدم بها إلى مؤتمر الصلح .

ولتحقيق الهدف الأول أعيد تشكيل الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس ، وصادقت الحكومة على قانونها . ونبع هذه الخطوة إجراء الاتصالات بين الجمعيات الإسلامية المسيحية ، واستجابت كلها للدعوة التي وجهتها جمعية القدس أوائل كانون الثاني ١٩١٩ لتكوين الجمعية الفلسطينية ، واتفق أن تكون هذه الجمعية الفلسطينية مؤتمرا عاما ينظر في توحيد النضال والموقف . وقد أخذت الجمعيات الإسلامية المسيحية تختار مندوبيها إلى المؤتمر ، وقررت لجنة إدارة « الحزب العربي » في سيفا تمويل الحزب وفروعه في المدن الشمالية ، كالناصرة * وطبرية * وصفد * ، إلى جمعيات إسلامية مسيحية " توحيدا للقوى والمساعي ، ورغبة في التفاهم والتعاضد " .

أسفرت عمليات الترشيح عن إيفاد ٢٧ عضوا من الرجال البارزين العاملين في الحقل السياسي وأعضاء الحركات العربية ممثلو الجمعيات الإسلامية المسيحية في مدن فلسطين . وقد انعقد مؤتمرهم الذي يعدّ المؤتمر العربي الفلسطيني * الأول ، في القدس بتاريخ ١٩١٩/١/٢٧ ، وانتخب عارف الدجاني رئيسا له ، ومحمد عزة دروزة سكرتيرا . وكان أول أعمال المؤتمر ، بعد الموافقة على القانون الداخلي ، اقتراح تسمية فلسطين « سورية الجنوبية » . ثم رفع مندوبو الجمعيات برقية احتجاج إلى مؤتمر الصلح في باريس ، جاء فيها " وإننا نرفع إلى المؤتمر بيانا مفصلا بالحيف الذي سيلحق بمصالح سكان هذا البلد من مسلمين ومسيحيين ، وهم يشكلون الأكثرية المطلقة ، من جراء هجرة الصهيونيين إليه واستعمارهم إياه وجعله وطناً قوميا لهم . فنرجو من مؤتمركم العالي عدم اتخاذ أي قرار يتعلق بهذا البلد ، إلاّ بعد الوقوف على رغباتنا وأمانينا التي سنعرضها " .

وقد وضع مؤتمر القدس ثلاثة تقارير بيّن في أولها وَهْن دعاوي الصهيونيين ، وتحدث في الثاني عن مصير البلاد الأسود إذا فصلت " مقاطعتهم عن سورية العربية المستقلة " ، وكان الثالث عن الأراضي ، وطالب بمنع بيع وشراء الأراضي حتى ينتهي مؤتمر السلم من أعماله .

حدّد مؤتمر الجمعيات الإسلامية المسيحية (أو المؤتمر العربي الفلسطيني الأول) مبادىء الحركة الوطنية في ميثاق قومي تقيّد به عرب فلسطين ثلاثين عاما . وقد تضمن الميثاق رفض وعد بلفور ، والهجرة اليهودية ، والانتداب الإنكليزي ، وطالب بوحدة فلسطين مع سورية ، والاستقلال التام ضمن الوحدة العربية ، وتسمية فلسطين باسم « سورية الجنوبية » . وقرر المؤتمر إرسال وفد إلى دمشق في سبيل تحقيق الميثاق ، وآخر إلى مؤتمر الصلح في باريس للدفاع عن حقوق البلاد ، وتبليغ الميثاق مدعوما بالحجج إلى دول الحلفاء . وقد حاول الإنكليز صرف أعضاء المؤتمر عن هذا الميثاق ، أو تعديله بما يتفق وسياستهم ، خشية أن يكون له تأثير في مصير فلسطين الذي لم يكن قد تقرر رسمياً بعد .

أنهى مؤتمر القدس جلساته في ١٩١٩/٢/٩ مقررا عقد الاجتماع الثاني في نابلس بعد ثلاثة أشهر ، ومرسلا برقية إلى الصحف الأوربية والأمريكية باسم " مندوبي بلدان سورية الجنوبية

المناقدين مؤتمرهم في القدس من مسلمين ومسيحيين " يعلن لجميع الأمم المتمدنة في أوربا وأمريكا عن أمل الأمة العربية في " أن تجد من رجال السياسة العظماء في أوربا وأمريكا عدلا وإنصافا " .

اشتد نشاط الحركة الوطنية داخل فلسطين في النصف الأول من عام ١٩١٩ وفق الخطوط التي رسمها الميثاق القومي ، وبأساليب الاحتجاج والمظاهرات . وعلى الرغم من بروز عناصر ومجموعات من الشباب من أعضاء الجمعيات والنوادي الأدبية والفرق الكشفية الأخرى الذين اتخذ نشاطهم الوطني ينضج ويقوى ، على الرغم من ذلك ، ظلّت الجمعيات الإسلامية المسيحية تتزعم قيادة الحركة الوطنية ، وتبرز في ميادين العمل الوطني ، ولا سيما جمعيتي القدس ونابلس . وكانت تترسل العرائض والقرارات المختلفة ، وتنظم المظاهرات السلمية وتقودها . من ذلك عريضة الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس إلى سكرتير مؤتمر الصلح في باريس احتجاجا على التصريحات الصهيونية وتفنيدا لحججها التاريخية ، وقرارها إلى الحاكم العسكري البريطاني (في الشهر نفسه) بالمطالبة بإعادة المهاجرين اليهود إلى أماكنهم التي قدموا منها . ومن ذلك أيضاً المظاهرتان الكبيرتان اللتان نظمتهما هذه الجمعية في آذار ونيسان ١٩١٩ للاحتجاج على وعد بلفور واستمرار الاحتلال البريطاني ، وللإعراب عن تمسك الشعب بطالبه وعروبة وطنه .

وقامت الجمعيات الإسلامية المسيحية الحملة من أجل تأكيد الميثاق القومي أمام لجنة كينغ كرين* (وصلت إلى فلسطين في ١٩١٩/٦/١١) . واستعدت الجمعيات لمقابلة اللجنة وتقديم العرائض لها ، فعقدت الاجتماعات السرية والعلنية لتوحيد مطالب البلاد . وكان أهم هذه الاجتماعات ذلك الذي عقد في منزل إسماعيل الحسيني في القدس بتاريخ ١٩١٩/٤/١٢ ، والذي ضم عددا من أعضاء جمعية القدس وغيرها من المدن إلى جانب عدد من الزعماء من خارج الجمعيات الإسلامية المسيحية ، وانتهى بتوحيد المطالب أمام اللجنة في :

" ١) أن تكون سورية التي تمتد من جبال طوروس شمالا إلى ترعة السويس جنوبا مستقلة استقلالا تاما ضمن الوحدة العربية .

"٢) أن تكون فلسطين التي هي جزء لا ينفك عن سورية مستقلة استقلالا داخليا ، تختار حكامها من الوطنيين حسب رغائب أهلها وحاجات البلاد .

" ٣) نرفض مهاجرة الصهيونيين ، ونحتج على أمانيّهم في فلسطين بكل قوانا . وأما اليهود الأصليون الذين كانوا في البلاد قبل الحرب ، فإننا نعتبرهم وطنيين ، لهم مالنا ، وعليهم ما علينا " .

وقد اتفقت الهيئات والجمعيات الوطنية على تكليف الجمعية الإسلامية المسيحية تقديم طلبات الأمة هذه إلى لجنة كينغ كرين التي تبنتها مع بعض التعديلات الطفيفة . وكانت جميع العرائض التي رفعت إلى اللجنة ، وإجابات جميع الوفود التي قابلتها ، متفقة مع قرارات القدس .

على صعيد آخر ، ظهرت آثار جهود رجال الجمعيات الإسلامية المسيحية في قرارات المؤتمر السوري العام* الذي افتتح في دمشق في تموز ١٩١٩ ، وحضره ٢٣ مندوبا فلسطينيا من أصل ٦٩ مندوبا شاركوا في المؤتمر ، وكان معظم المندوبين الفلسطينيين من رجال الجمعيات الإسلامية المسيحية . فقد عملوا على إدخال مقررات القدس في قرارات المؤتمر السوري التي قدمت إلى لجنة كينغ كرين ، وحل إثباتها فيما بعد في قرار إعلان الاستقلال وملكية فيصل (٨ آذار ١٩٢٠) .

ولما رحلت اللجنة الأمريكية ، وتأخر البتّ بإصدار قرار حول مصير البلاد ، ونشطت الدعاية الصهيونية ، ازدادت المعارضة العربية في فلسطين ، وتولت جمعيتا القدس ونابلس الإسلاميتان المسيحيتان ، التعبير عن هذه المعارضة بسلسلة من مذكرات الاحتجاج إلى جميع الجهات ، وبتنظيم المظاهرات الاحتجاجية ضد البعثة الصهيونية سنة ١٩٢٠ وضد تعيين هربرت صموئيل مندوبا ساميا ، وبنشر المقالات في الصحف والمجلات . وكانت مذكرات الجمعيات الإسلامية المسيحية تعبر عن وعي وطني لما يدور في فلسطين وخارجها ،وتربط بين المصالح الاستعمارية وقضية تمزيقة العالم العربي . وقد ساد البلاد جو من التوتر السياسي ارتفعت حدته بعد صدور قرار إعلان استقلال سورية الطبيعية وملكية فيصل في ١٩٢٠/٣/٨ . وحثيث السلطات العسكرية أن يتحول التوتر إلى أعمال عنف مسلحة فأصدرت في ١٩٢٠/٣/١١ أمرا بحظر المظاهرات . ولما قررت الجمعيات الإسلامية المسيحية عقد مؤتمر ثان لها ، منعته السلطات لأسباب أمنية .

عقدت الجمعيات الإسلامية المسيحية ، إثر صدور قرارات مؤتمر سان ريمو* ، سلسلة اجتماعات سياسية لتقديم احتجاجات ضد السياسات البريطانية التي ساعدت على تقسيم سورية . ورفعت إلى مؤتمر السلم مذكرة مشتركة تحتج فيها على قرار مجلس الحلفاء الأعلى بفرض الانتداب وإدماج وعد بلفور في صكه خلافا للعهود المقطوعة للعرب .

بعد عام ١٩٢٠ ضعفت الجمعيات الإسلامية المسيحية ، وصارت ميدانا للتنافس بين الفئات الحزبية ، وانتقلت قيادة الحركة الوطنية عمليا إلى اللجنة التنفيذية التي انبثقت عن المؤتمرات الفلسطينية (رَ : المؤتمر العربي الفلسطيني) . وعلى الرغم من ذلك

ظلت الجمعيات الإسلامية المسيحية ، حتى نهاية العشرينات ، من أبرز التنظيمات السياسية في هذه المرحلة ، ومن أكثرها تماسكا . وظلت كممثلة لشعب فلسطين منذ بداية الاحتلال البريطاني ، تمارس دورها في اختيار الممثلين أو المندوبين إلى المؤتمرات الفلسطينية المتعاقبة ، وترسل المذكرات إلى الحكومة وإلى عصبة الأمم * في جميع المناسبات ، وتنظم حملات التبرعات وحركة المقاطعة وعقد الاجتماعات وتقديم الاحتجاجات . وأقدمت سلطات الانتداب ، أكثر من مرة ، على زج رجال الجمعيات في السجون ، واقتحام اجتماعاتها ، وإقفال مقرّاتها أحيانا . ونتيجة ذلك الاضطهاد أو الملاحقة جددت فروع كثيرة نشاطها وألّفت قيادات جديدة لها . وقد تمثّل بعضها من الاسم القديم ، للمعنى الطائفي الذي يحمله ، فأطلقت جمعية نابلس على نفسها اسم «الجمعية الوطنية العربية» .

لقد كان للجمعيات الإسلامية المسيحية أثر في إبراز عدد من الرجال تولّوا زعامة الحركة الوطنية في فلسطين آنذاك . ولكن هذه الجمعيات كانت تحرص على تجنب الصدام المباشر بالسلطات البريطانية ، لاعتقادها بصعوبة مواجهة قوتها ، وكانت تسعى إلى أحداث تغيير في السياسة البريطانية من خلال الاقناع الودّي والتصميم السلمي ، في حين كانت عناصر وطنية من شباب الأندية والهيئات والجمعيات الأخرى تتجه إلى الدعوة إلى أسلوب جديد لمواجهة نشاط الجمعيات الصهيونية ، وهو أنشاء الجمعيات السرية التي تعدّ للثورة المسلحة . وقد قادت هذه العناصر عمليات مسلحة ضد المستعمرات الصهيونية في شمال فلسطين . وبلغ العنف المسلح أوجه في انتفاضة القدس التي مهّد لها الجوّ السياسي السائد في البلاد في مطلع نيسان ١٩٢٠ (رَ : ثورة ١٩٢٠) .

المراجع :

ـ عيسى السفري : فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، يافا ١٩٣٧ .
ـ أميل الغوري : فلسطين عبر ستين عاماً .
ـ كامل محمود خلة : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ - ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، ج ١ ، بيروت وصيدا ١٩٥٩ .
ـ أكرم زعيتر : وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ - ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ عبد الوهاب الكيالي (جمع وتصنيف): وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال الصهيوني ١٩١٨ - ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ بيان نويهض الحوت : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٨٠ .
ـ أمداد من جرائد فلسطين ، والكوكب، والقطم لأعوام ١٩١٨ و١٩١٩ و١٩٢٠ .

الجمعيات الإسلامية الوطنية : رَ : الحزب الوطني

الجمعيات الخيرية :

بدأت الجمعيات الخيرية في فلسطين نشاطها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حين امتد نشاط الجمعيات التبشيرية إلى المنطقة ، وكان بين النشاطات التي تقوم بها نشاطات خيرية .

وقد شهدت العشرينات من القرن الحالي نمواً مطرداً في العمل الخيري ، فظهرت عدة جمعيات ، من أشهرها جمعية الإحسان الخيرية (بيت جالا) ، والجمعية الخيرية الوطنية الأرثوذكسية (بيت لحم) ، والانماء النسائي (نابلس) .

كانت الحاجة إلى العمل الخيري تزداد في أعقاب الحروب والكوارث . وقد ظهر هذا بوضوح بعد نكبة ١٩٤٨ إذ تأسست

مستشفى المقاصد في القدس

ت جمعيات استجابة لظروف الدمار والتشريد التي خلفتها الحرب . ومن أشهر هذه الجمعيات « رابطة المناضل الجريح » للعناية بمشوّهي الحرب (القدس) ، ودار الفتاة اللاجئة (القدس) ، ومؤسسة دار الطفل العربي (القدس) . وبعد ذلك انتشرت الجمعيات لتشمل معظم المدن والقرى الفلسطينية ، بالإضافة الى مخيمات العائدين . وقد شهدت سنة ١٩٦٧ تجميد نشاط كثير من الجمعيات نتيجة لقيام سلطة الاحتلال الصهيوني بالحد من نشاطاتها ، أو هجرة عدد كبيرة من قادة العمل الخيري . ثم عاد في السبعينات نشاط بعض هذه الجمعيات المجمدة ، وتأسست جمعيات جديدة . وتما شجع على ذلك تأسيس اللجنة الأردنية ـ الفلسطينية المشتركة لدعم صمود الأهل في المناطق المحتلة ، وكانت تقدم مخصصات مالية سنوية لكل جمعية ، وتموّل المشاريع التي تقوم بها .

بلغ عدد الجمعيات الخيرية في فلسطين (الضفة والقطاع) عام ١٩٧٨ نحو ١٣٠ جمعية عاملة . وهي موزعة كما في الجدول المرفق :

اسم المحافظة	عدد الجمعيات	عدد السكان	نصيب الجمعية من السكان
محافظة القدس	٥٨	٣٠٩,٠٠٠	٥,٣٣٧
محافظة نابلس	٣٧	٣٥٦,٠٠٠	٩,٦٢١
محافظة الخليل	٣٠	١٤٠,٠٠٠	٤,٦٦٦
قطاع غزة	٥	٤٦٤,٠٠٠	٩٠,٠٠٠

ويلاحظ أن العبء كبير على جمعيات قطاع غزة ، رأنه بالرغم من أن عدد سكان القطاع يقارب نصف المليون نسمة ، لا يوجد فيه سوى خمس جمعيات عاملة ، وهذا يرفع نصيب الجمعية من السكان الذين تخدمهم إلى ٩٠,٠٠٠ نسمة .

ولإعطاء فكرة عن انتشار العمل الخيري ، ووفرة عدد القائمين عليه ، والعاملين في الخدمات ، وعدد المنتفعين بهذه الخدمات لا بد من الاطلاع على الدراسة التي أجراها الاتحاد العام للجمعيات الخيرية عن ستين جمعية خيرية ، إذ يتضح من الجدول رقم (١) أن عدد المنتفعين بالخدمات ٧١,٤٤٥ منتفعاً ، أي بمتوسط ١,١٩٠ منتفعاً لكل جمعية . ولّما كان عدد الجمعيات الخيرية عام ١٩٧٨ هو ١٣٠ جمعية ، فإن عدد المنتفعين من جميع الجمعيات يصل تقريباً إلى ١٥٤,٨١٩ ، وهذا يعادل ١٠,٣٪ من مجموع السكان .

ويتضح من الكشف المذكور أن ٦٨٪ من عدد الجمعيات تقدم خدمات رعاية أطفال حوالي ٥,٨٩٨ طفلاً . ومعظم المنتفعين يتركزون في الخدمات الصحية ، فهناك ٢٢ جمعية تقدم خدماتها الصحية لحوالي ٥٦,٥٣٤ منتفعاً ، أي حوالي ٨٠٪ من جملة المنتفعين .

ويدل الجدول رقم (٢) على أن عدد أعضاء الهيئات العامة في ستين جمعية هو ٩,٣٦٧ عضواً ، بمتوسط ١٥٦ عضواً للجمعية . ويبلغ عدد المستخدمين فيها ٦٨٤ مستخدماً ، أي ١١ مستخدماً لكل جمعية . لكن ما يلفت النظر أنه لا يوجد بين المستخدمين سوى ثماني مرشدات اجتماعيات مؤهلات ، أي أن بعض الجمعيات لا يوجد لديها مرشدة مؤهلة .

وبالرغم من أن الجمعيات الخيرية شملت بخدماتها شتى حقول الخدمة فانها لم تستطع أن تصل الى مستويات جيدة ، إلّا فيما ندر . فقد كانت أهدافها إيصال خدماتها إلى أكبر عدد ممكن من المحتاجين اليها . ويتضح من الجدول رقم (٣) أنه من بين ٦٠ جمعية هناك ٨ جمعيات فقط تقدم نوعاً واحداً من الخدمات ، و١٤ جمعية تقدم أربعة أنواع من الخدمات ، وجمعية واحدة فقط تزيد الخدمات التي تقدمها على عشرة أنواع .

ويستنتج من الجدول رقم (٤) أن الجمعيات تعتمد على مصادر دخل غير ثابتة ، فباستثناء ٢٢,٠٥٪ هي عائدات خدمات ومنتوجات تعود للجمعيات ، يأتي حوالي ٨٠٪ من دخل الجمعيات من مصادر غير ثابتة . وإن حوالي ٦٠٪ من إيراداتها تبرعات وهبات

جدول رقم (١)

عدد الجمعيات وأنواع الخدمات وعدد المنتفعين بها

عدد الجمعيات	عدد المنتفعين	نوع الخدمة
٢٢	٥٦,٥٣٤	خدمات صحية (مستشفى ، عيادة ، مركز إسعاف ، رعاية أمومة)
٤١	٥,٨٩٨	رعاية أطفال (حضانة ، روضة ، مدرسة ، تغذية)
٨	٥٢٠	رعاية أيتام ومسنين (ميتم ، دور للمسنين)
١٢	٢٨٤	رعاية معوّقين (متخلفين عقلياً ومكفوفين ، صم وبكم)
٣٠	١,٧١٧	تأهيل مهني (دورات خياطة ، حياكة ، طباعة ، تجميل ، مشاغل)
٢٦	١,٤٣٨	تعليم الكبار (محو الأمية) .
١٨	٢,٧٥٣	نوادٍ (ثقافية ، رياضية ، ترويحية)
٢٥	١,٩١٩	مساعدات نقدية للفقراء
١٥	٣٩٢	مساعدات للطلاب الجامعيين
	٧١,٤٥٥	

خارجية ومساعدات من الاتحادات والشؤون الاجتماعية (عمان) .

وهذه من بنود الدخل غير الثابتة ، فهي تتأثر بالعوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . وهي متغيرة تنتقل آثارها إلى نشاط الجمعيات فتجعله خاضعاً للتقلب تبعاً للظروف المحيطة . وقد بلغ مجموع إيرادات الجمعيات المدروسة ، وعددها ٦٠ جمعية ، حوالي ٨٥٩،٦٧٨ ديناراً أردنياً عام ١٩٧٨ .

وقد تكون المشكلات الإدارية التي تعانيها هذه الجمعيات قليلة ، إذ لم تعترف سوى جمعية واحدة فقط بوجود صعوبات إدارية . ولكن الجدول رقم (٥) يظهر أن هناك ٥٣ جمعية تعاني مشكلات مادية تقيّدها وتحدّ من نشاطها .

كما يظهر أن هناك نسبة صغيرة من الجمعيات (٢٥٪ فقط) لا تعاني من عدم توفر المختصين . وتأتي هذه المشكلة في المرتبة الثانية بعد المشكلة المالية .

تقدم الجمعيات الحيرية تسعة أنواع رئيسة من الخدمات ، منها :

١) الخدمات الصحية : أدركت الجمعيات الخيرية أهمية توفير الخدمات الصحية للمواطنين ، فأقامت الندوات التثقيفية الصحية ،

جدول رقم (٢)

توزيع الجمعيات حسب عدد الخدمات التي تقدمها

عدد الجمعيات	عدد الخدمات
٨	١ لكل منها
١٠	٢ لكل منها
٨	٣ لكل منها
١٤	٤ لكل منها
٣	٥ لكل منها
٧	٦ لكل منها
٦	٧ لكل منها
٢	٨ لكل منها
١	٩ لكل منها
١	١١ لكل منها
٦٠	

جدول رقم (٣)

العاملون في الجمعيات

عدد الجمعيات	عدد أفراد الهيئات العامة	عدد المستخدمين	عدد المرشدات
٦٠	٩،٣٦٧	٦٨٤	٨

جدول رقم (٤)

الإيـــرادات

دينار	المصـــدر	النسبة المئوية
١٧،٧٢٥	اشتراكات الأعضاء	٢،٠٥
١٨٩،٥٢٢	خدمات ومنتوجات وأملاك	٢٢،٠٥
١٤٨،٣٣٧	تبرعات وهبات محلية	١٧،٢
٣١٥،٨٨٨	تبرعات من الخارج	٤٢،٥
١٧،٦٦٨	مساعدات الاتحادات	٢،٠
٣٩،٨٠٣	مساعدات وزارة الشؤون الاجتماعية / عمان	٤،٧
٧،٨٢٦	مساعدات إدارة الشؤون الاجتماعية المحلية	٠،٩
٧٢،٩٠٩	مصادر أخرى	٨،٦
٨٥٩،٦٧٨		١٠٠

جدول رقم (٥)

الصعوبات	جمعيات أجابت بنعم	أجابت بلا	لم تجب	المجموع
صعوبات مادية	٥٣	٢	٥	٦٠
صعوبات إدارية	١	٢٣	٣٦	٦٠
عدم توفر مختصين	٢٣	١٥	٢٢	٦٠
عدم تجاوب الأهلين	١٤	٢٣	٢٣	٦٠
عدم اهتمام وموازرة الهيئة الإدارية	٤	٢٦	٣٠	٦٠
عدم اهتمام وموازرة الهيئة العامة	١١	٢٣	٢٦	٦٠

وعملت على تأسيس العيادات والمستشفيات * في مختلف المدن والقرى . وخير مثال على ذلك جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية التي تشرف على المستشفى القائم على جبل الزيتون في القدس ، ويضم ٢٥٠ سريراً ، بالإضافة الى المستوصفات التي تقدم خدماتها للمواطنين بأسعار رمزية ، ومجاناً للفقراء . وقد تمّ افتتاح ثلاثة مستوصفات جديدة في عام ١٩٧٥ في الزاحرة وأبو ديس وبيت بالا ، ومستشفى التوليد التابع لجمعية الهلال الأحمر (طولكرم) .

٢) رعاية الأطفال : ركزت الجمعيات على الطفل باعتباره رجل الغد ، فنشرت رياض الأطفال ودور الحضانة حتى وصل عددها الى ٨٠ روضة . ويلاحظ أن عدد الأطفال في رياض الأطفال ودور الحضانة يأتي في المرتبة الثانية في تصنيف أعداد المنتفعين ، وتأتي الجمعيات التي تتولى هذه الخدمة في المرتبة الأولى من حيث العدد . ويقوم على هذه المؤسسات ذوو كفايات جيدة من المربين والمربيات .

٣) التعليم : نظراً لما يتعرض له التعليم الحكومي في المنطقة المحتلة من تشويه الكتب وتعديل المناهج الدراسية ، ولما لهذا الموضوع من أهمية وطنية ، فقد اهتمت الجمعيات بكل مراحل التعليم ، من دور الحضانة إلى التعليم نصف الجامعي ، بما في ذلك التعليم المهني . فسعت لفتح قاعات الدرس ، وهيأت للدارسين مناخاً جيداً لتلقي العلم . ولم تترك الذين فاتهم قطار التعليم ، فافتتحت لهم مراكز لمحو الأمية بلغ عددها في عام ١٩٧٨ نحو ١٤٥ صفاً ، وبلغ عدد الدارسين ٢,٩٢٩ شخصاً معظمهم من الإناث (٢,٤١١) . كما قدمت مساعدات للطلاب الجامعيين شملت حوالي ٤٠٠ طالب .

٤) التدريب المهني : لم تنس الجمعيات الذين لم يسعفهم النجاح في الدراسة العلمية ، وأولئك الذين يرون أنهم بحاجة إلى دخول العمل مبكرين لإعالة أسرهم ، فافتتحت لهم دورات تدريبية تستطيع أن تزوّدهم بمهنة توفر لهم مصدر دخل مستقل .

٥) المشكلات الاجتماعية : تشارك الجمعيات الخيرية المواطنين آمالهم وآلامهم . ومن ذلك رعاية الأيتام والمعوّقين على اختلاف إصاباتهم . ولا تنسى أولئك الآباء والأمهات الذين آذوا دورهم في الحياة فحق لهم أن يعيشوا شيخوخة جيدة . وكذلك تهتم بالأحداث والمنحرفين .

عنيت الجمعيات بالقرية باعتبارها دعامة المجتمع ، فركزت على الوسائل الكفيلة بالحد من هجرة الأيدي العاملة والعقول المفكرة . كما أن بعض الجمعيات أخذت تعنى بالتراث الفلسطيني والتفكير الفلسطيني من أمثال وقصص وأغان وفلكلور ، وأقامت معارض للكتاب والفن . ومن أشهر الجمعيات في هذا المجال جمعية إنعاش الأسرة في البيرة * .

المراجع :

ـ اتحاد الجمعيات الخيرية : تقرير موجز عن أعمال الجمعيات الخيرية في الضفة الغربية ، القدس ١٩٧٦ .

ـ الاتحاد العام للجمعيات الخيرية في الأردن : دليل الجمعيات الخيرية في الضفتين الشرقية والغربية ، عمان ١٩٨٠ .

ـ الجمعية الخيرية الإسلامية (الخليل) : تقرير عن نشاطاتها وأهدافها ، الخليل ١٩٧٧ .

ـ اتحاد الجمعيات الخيرية لمحافظة الخليل : التقرير السنوي عن أعمال الاتحاد لسنة ١٩٧٩ وسنة ١٩٨٠ .

ـ اتحاد الجمعيات الخيرية لمحافظة القدس : التقرير الاجتماعي لعام ١٩٧٩ ولعام ١٩٨٠ .

ـ اتحاد الجمعيات الخيرية لمحافظة نابلس ولواء جنين : التقرير الإداري والسنوي للاتحاد لعامي ١٩٧٩ و ١٩٨٠ .

ـ الهيئة الخيرية لمساعدة أبناء القطاع ـ غزة : تقرير الهيئة الخيرية لمساعدة أبناء القطاع ـ غزة ١٩٧٨ .

ـ جمعية الملجأ الخيري الأرثوذكسي العربي للمرضى والمقعدين : التقرير السنوي ١٩٧٧ ، القدس .

ـ جمعية إنعاش الأسرة : تقارير سنوية لعدة أعوام ، البيرة .

الجمعيات النسائية : رَ : الحركة النسائية

جمعية : رَ : الاتحاد والترقي
رَ : الإخاء والعفاف
رَ : الاستعمار اليهودي
رَ : الأمريكيين من أجل تفهم الشرق الاوسط
رَ : إنقاذ فلسطين
رَ : إيحود
رَ : تعاون القرى
رَ : الشبان المسلمين
رَ : الشبان ، المسيحية
رَ : العربية الفتاة
رَ : الفدائية
رَ : المشروع الإنشائي العربي
رَ : مقاومة الصهيونية
رَ : مكافحة الصهيونية
رَ : الهلال الأحر الفلسطيني

الجمعية الإسلامية الوطنية : رَ : روابط القرى

الجمعية الأمريكية لمساعدة لاجئي الشرق الأدنى :
رَ : العدالة لشعب الأرض المقدسة (نداء –)

الجمعية الإنكليزية اليهودية : رَ : الأليانس

الجمعية التأسيسية اليهودية : رَ : المجلس التمثيلي اليهودي

الجمعية الثورية العربية :

جمعية عربية سرية نشأت قبل الحرب العالمية الأولى (في القاهرة أو في استانبول) بعد إخفاق حركتي الإصلاح والمؤتمر العربي في باريس أواخر ١٩١٣ وأوائل ١٩١٤ ، وبعد وقوف الحكومة الاتحادية التركية موقف التعنت من المطالب العربية . ويعتقد محمد عزة دروزة أن الجمعية أنشأها عزيز علي المصري (مؤسس حزب العهد * أيضا) ، وينقل عن مصادر عثمانية (كتاب ايضاحات) أن الجمعية هي اسم ثان للجمعية الفحطانية * .

وزعت الجمعية الثورية العربية عدداً من المناشير في دمشق وبيروت دعت فيها بشدّة إلى الثورة ، وإلى تجاوز مطلب الإصلاحات في نطاق اللامركزية إلى الانفصال والاستقلال .

وكانت موالاة الاتحاديين للصهيونيين من جملة ما أخذته الجمعية على الاتحاديين . ففي منشور لها صدر في تموز ١٩١٤ عنوانه « صرخة الأجيال وصوت الآباء إلى الأبناء » نددت الجمعية بقروض جاويد التي أوقعت البلاد تحت رحمة الأجنبي ، ودعت إلى القيام على الترك لأسباب كثيرة منها " تمهيد حقّي وجاويد وإخوانهما السبيل لامتلاك الصهيونيين بلاد المقدس وأرض فلسطين " وفي منشور آخر عنوانه « عبرة بالغة » حرضت الجمعية العرب على القيام بثورة مسلحة ضد الأتراك . ونددت بمساوىء الحكومة التركية التي "تسعى الآن، تحت طيّ الخفاء والكتمان، بواسطة جاويد، هذا الصهيوني الملعون ، لبيع الأراضي التي كان السلطان السابق ضبطها من الأهالي (وهي التي يسمونها بالأراضي المدوّرة) إلى شركة صهيونية يهودية أجنبية . . . فهذا كله سيكون عمّا قريب ملكاً للصهيونيين الذين يطردونكم غدا من بلادكم ، ويكون كل شيء فيها لهم ، حتى أولادكم ونساؤكم أيضاً " .

المراجع :

ـ محمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة ، صيدا ١٩٧١ .
ـ محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، بيروت ١٩٦٠ .
ـ أوراق عبد الدين الخطيب .
ـ وثائق وزارة الخارجية البريطانية PublicRecord Office F. O. 371/2136/22807

الجمعية الخيرية الإسلامية :

رَ : الإخاء والعفاف (جمعية –)

الجمعية العربية الفلسطينية :

لما ثارت ثائرة العرب على قرارات مؤتمر سان ريمو* ، وعمل تعيين هربرت صموئيل مندوباً سامياً لبريطانيا في فلسطين ، وبعد رفض السلطات البريطانية السماح بعقد المؤتمر العربي الفلسطيني* الثاني في القدس ، تحركت العناصر الفلسطينية في دمشق للعمل . وفي ١٩٢٠/٥/٣١ اجتمع في النادي العربي في دمشق جمع كبير من رجال فلسطين ، وقرروا تأليف جمعية باسم « الجمعية السرية الفلسطينية » ، وانتخبوا لها لجنة إدارية من عارف العارف* ، ورفيق التميمي* ، ومحمد عزة دروزة ، ومعين الماضي* ، والحاج

محمد أمين الحسيني * ، وإبراهيم القاسم عبد الهادي ، وسليم عبد الرحمن .

اجتمعت اللجنة الإداريةوانتخبت عارف العارف كاتبا عاما ، ومحمد عزة دروزة أمينا للسال ،والحاج محمد أمين الحسيني معتمدا للجمعية . وكان أول أعمال الجمعية دعوة جميع الجمعيات والنوادي الفلسطينية للاتحاد والعمل المشترك . وأخذت الجمعية تمهّد السبيل لعقد مؤتمر فلسطيني في دمشق . واحتجت على قرارات مؤتمر سان ريمو ، وعلى تعيين المندوب السامي هربرت صموئيل ، وأذاعت بيانا عاما على المسلمين لفتت أنظارهم فيه إلى الخطر الصهيوني ، ورفعت إلى قداسة البابا احتجاجها بصدد قضية فلسطين .

المراجع :

ـ عيسى السفري : فلسطين العربية بين الأنتداب والصهيونية ، يافا ١٩٣٧ .
ـ محمود كامل خلة : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، بيروت ١٩٦٠ .

الجمعية الفلسطينية لمقاومة الصهيونية :

تأسست هذه الجمعية في نيويورك أواخر سنة ١٩١٨ . وقد أنشئت بنتيجة الظروف التي نجمت عن انتهاء الحرب العالمية الأولى ، واقتراب موعد افتتاح مؤتمر السلم لوضع التسوية النهائية لعالم ما بعد الحرب ، وما رافق ذلك من ازدياد المطالب الصهيونية والتنازلات البريطانية للصهيونيين في فلسطين . وفي الوقت الذي كانت الزعامات الصهيونية تستعد لمؤتمر السلم ، ولفرض قبول دولي بوعد بلفور * ، لم يكن لعرب فلسطين وفد يمثلهم . وكان الصوت الفلسطيني الوحيد الذي انطلق يعبر عن الرأي العربي الفلسطيني على أبواب مؤتمر السلم هو صوت الجاليات الفلسطينية في المهجر الأمريكي . وكانت تملك ، أكثر من غيرها ، القدرة على الحركة وإسماع صوتها في الأوساط الدولية ولا سيما الأمريكية .

بعثت الجمعية رسالة إلى بلفور وزير خارجية بريطانيا في ١٩١٨/١١/٢٦ ، باسم سوريي فلسطين ، تطلب السماح لهم بالإدلاء برأيهم أمام الدول حول أمر يعني الحياة أو الموت لوجودهم القومي . وقد عرضت الرسالة حججها بأسلوب هادىء ، وحاولت تحريك الحس بالعدالة عند البريطانيين ، فهذا الحس لا يمكن أن يرضى " بالموافقة على خطة تمكّن فئة غريبة من نزع أرضنا من أيدينا ، ثم تسودنا في النهاية وتفرض علينا نظام حكمهم الغريب " . وتفنّد العريضة الدعوى الصهيونية قائلة : " لماذا ندوس بأقدامنا كل ما يمليه الضمير والعدل ، ويشهد به الدين والتاريخ ؟ إن سورية كلها لنا ، ولنا وحدنا . واقتراح فلسطين وطنا قوميا لليهود ليس حلاً للمشكلة اليهودية ، بل سيدفع العالم من جديد إلى مشكلة إعادة الحل" . ويطلب أصحاب الرسالة من بلفور أن يكون لهم صوت في تقرير مصيرهم ، وأن يسمح هذا الصوت في مؤتمر السلم المقبل ، ويقولون : " إننا لا نرغب في فصل فلسطين ، سياسيا واقتصاديا ، عن بقية سورية ، ونطالب بأن يمنح الجميع فرصا متساوية " .

لكن هذه الرسالة لم تنل موافقة الخارجية البريطانية ، ولم يكن لها أي تأثير في القرارات التي كانت تعدّ آنذاك .

وقد ألّف أحد أعضاء الجمعية ، وهو حنا صلاح ، في عام ١٩١٩ كتابا عنوانه ، فلسطين وتجديد حياتها ، نشره في نيويورك ، ولخص فيه أفكار الجمعية واقتراحاتها لمقاومة الصهيونية . وقد ضمّ الكتاب عرضا للأوضاع السائدة في فلسطين ، ومحاولة لرسم صورة المستقبل باستخدام جميع أساليب التحديث . ويقول المؤلف مستشرفاً المستقبل بما يحمل من خطر التهديد الصهيوني للوحدة العربية ، كاشفاً ارتباط المطامع الصهيونية بالاستراتيجية البريطانية : " فإنّ خيبَ سياسيو إنكلترا أن إمكانية اتحاد الأمم الناطقة بالضاد ، الساكنة بشرقي القناة ، سيهدد سلامتها ، فإنهم برأي كاتب هذه السطور يؤسسون ولاية يهودية لتفصل بين العالم العربي وتميّ القناة " .

المراجع :

ـ حنا صلاح : فلسطين وتجديد حياتها ، نيويورك ١٩١٩ .
— **Public Record Office:** F.O.371 / 3420 / 206456 / 205922 F.

الجمعية القحطانية :

تشكلت الجمعية القحطانية السرية في الأستانة (استانبول) عام ١٩٠٩ بعد اتضاح نيات الاتحاديين الأتراك نحو العرب . وخلال السنوات اللاحقة انبعثت عن هذه الجمعية جمعيات أخرى كالعهد " وحزب اللامركزية " . وكانت مطالب هذه الجمعيات تتأرجح بين الحكم اللامركزي للعرب والاستقلال التام .

في سنة ١٩١٣ خرج المؤتمر العربي الأول في باريس ـ الذي دعا إليه أعضاء هذه الجمعيات ـ بقرارات تخص القضية العربية . وكان رائد هؤلاء قضية العرب جميعا على اختلاف أديانهم .ويقول عبد الغني العريسي : " فلانضتوا أنتم بالاتحاد . . التمس منكم أن لا

تفرقوا فرقاً وطوائف ، فاليوم لا مسيحي ولا مسلم ولا يهودي . . ولا لبناني ولا بيروتي . . فخط بيروت هو خط الشام وحلب وفلسطين " . .

وبالرغم من أن القضية الفلسطينية لم تدخل مادة مستقلة في برامج الجمعية القحطانية أو الجمعيات الأخرى فإن عدداً من قادتها وعوا المخاطر المحدقة بفلسطين . ويمكن الإشارة إلى اثنين من مؤسسي القحطانية ، هما عبد الكريم الخليل وشكري الـ سلي * . وقد دعا الأول في كلمته أمام الباب العالي يوم ١٩١٣/٨/٥ إلى وضع حد لانتقال الأراضي في فلسطين إلى اليهود . أما الثاني نقد هاجم في مجلس المبعوثان * التسلل الصهيوني مرارا .

ساهم الشباب العربي الفلسطيني في الجمعيات السرية والعلنية التي انبثقت عن الجمعية القحطانية ، ووقف بعضهم صُحفه على خلق وعي فلسطيني بالخطر الصهيوني ، في حين شكل آخرون جمعيات محلية لمقاومة الصهيونية . وقد أشارت بعض المصادر إلى محاولات صهيونية للاتصال ببعض أعضاء الجمعيات العربية في الآستانة وباريس .

المراجع :

ـ أحد أعضاء الجمعيات العربية : ثورة العرب: مقدماتها ـ أسبابها ـ نتائجها ، مصر ١٩١٦ .

ـ توفيق علي برّو : العرب الترك في العهد الدستوري ١٩٠٨ ـ ١٩١٤ ، القاهرة ١٩٦٠ .

ـ جورج أنطونيوس ، يقظة العرب : تاريخ حركة العرب القومية (مترجم) ، بيروت ١٩٧٤ .

الجمعية الوطنية العربية :

رَ : الجمعيات الإسلامية ـ المسيحية

الجمعية الوطنية للعرب الأمريكيين :

تأسست الجمعية الوطنية للعرب الأمريكيين *Natiional Asso-ciation of Arab Americans* في ١٩٧٢/٤/٢٤ في مدينة واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية ، وسجلت في ولاية فرجينيا كرابطة سياسية تهدف إلى تحسين العلاقات الأمريكية ـ العربية ، وإلى إجراء تغيير في سياسة الولايات المتحدة المنحازة إلى (إسرائيل) ، من خلال مجموعة ضاغطة (لوبي) تعمل في الكونغرس وفي إطار السياسيين الأمريكيين . وتتكون أغلبية أعضاء هذه الجمعية من أبناء وأحفاد العرب الذين هاجروا إلى أمريكا الشمالية في مطلع القرن العشرين . ويتحدر معظمهم من أصل سوري أو لبناني ، ويعمل كثير منهم في حقل الأعمال الحرة

تبنت الجمعية برنامجاً سياسياً يقوم على ضرورة تطبيق مشروع قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر عام ١٩٦٧ ، مع الاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني ، وبمنظمة التحرير الفلسطينية * ممثلاً شرعياً للشعب الفلسطيني . وترى الجمعية أن السياسة الأمريكية المنحازة الى (إسرائيل) تشكل العقبة الرئيسة في وجه تعاون اقتصادي شامل بين العالم العربي والولايات المتحدة .

تستخدم هذه المنظمة وسائل مختلفة لتحقيق أهدافها ، كالاتصال بالسياسيين الأمريكيين عن طريق الرسائل والبرقيات والاجتماعات الشخصية . كما أنها تعقد مؤتمراً سنوياً تركز من خلاله على مواقفها السياسية المعلنة . وتصدر كل أسبوعين نشرة من أربع صفحات *Political Focus* تستعرض فيها أهم الأنباء المتعلقة بالشرق الأوسط ، وتحتوي على افتتاحية تقدم من خلالها رأي الجمعية في الأحداث وتحليلها . وتكرس هذه النشرة اهتماماً خاصاً للبيانات الرسمية الأمريكية المتعلقة بالشرق الأوسط . وتقوم الجمعية أحياناً برفع القضايا في المحاكم الأمريكية لاختبار بعض السياسات والقوانين المتعلقة بالقضية العربية ، مثل قانون مراقبة تصدير الأسلحة . فقد اتهمت الجمعية (إسرائيل) في إحدى القضايا بمخالفة ذلك القانون حين استخدمت الأسلحة التي تزودها بها الولايات المتحدة في عدوانها على جنوبي لبنان ربيع ١٩٧٨ (رَ : العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان) . ولكنها تراجعت عن ذلك في أيلول ١٩٧٨ حينما أصدرت الخارجية الأمريكية بياناً لمّحت فيه إلى احتمال وجود مخالفة للقانون .

الجمعية اليهودية للاستعمار في فلسطين :

« بيكا » هي الأحرف الأولى من الكلمات الإنكليزية : *Pales-tine Jewish Colonization Association.* أسسها في سنة ١٩٢٤ البارون رونشيلد (١٨٤٥ ـ ١٩٣٤) لتخلف جمعية الاستعمار اليهودي * (يكا) التي أسسها هو نفسه لإدارة المستعمرات التي أقامها في فلسطين بدءاً من مطلع عام ١٩٠٠ . وجاء تأسيس الجمعية الجديدة بسبب اتساع مشروعات روتشيلد الاستيطانية ونموها . وقد عين ابنه جيمس رئيساً عليها ، واعترفت حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين بالجمعية الجديدة فور تأسيسها في عام ١٩٢٤ .

وقد أقامت « يكا » ، ومن بعدها « بيكا » مجموعة من

المستعمرات ، منها سجرا وكفار تابور ويفنيئيل وبيت غان وماتسبيه كنيرت وكفار جلعادي وتل حي وايليت هاشاحر ومحنايم وبنيامينا وبني براك ومجدئيل ورمتايم وهرتسليا * وكفار حاتيم وبرديس حنا * وتل موند وناتانيا * وهدار . كما اشتركت « بيكا » في إقامة مستعمرات مشمار هاشلوشا وغيبوعاز ومعيان تسفي وبيت قيشت وغيرها . وعملت في تجفيف مستنقعات بتاح تكفا * والحضيرة * وكفارا وسواها . كذلك ساعدت « بيكا » في إقامة مشروعات اقتصادية ، مثل معامل الخمور في ريشون لتسيون * وفي زخرون يعقوب ، ومصنع كهرباء روتنبرغ ، ومصنع إسمنت نيشر ، وشركة ملح عتليت ، والمطاحن الكبيرة في حيفا .

وبعد وفاة جيمس روتشيلد عام ١٩٥٧ ، وحسب وصيته ، توقفت عمليات بيكا ، ونقلت أملاكها ومشروعاتها إلى (دولة إسرائيل) . وقد أقيم مبنى الكنيست * في القدس من أموال هذه التركة .

المراجع :

ـ صبري جريس : تاريخ الصهيونية (١٨٦٢ ـ ١٩١٧) ، بيروت ١٩٧٧ .

الجمعية اليهودية للاستيطان :

ر : الاستيطان (مشاريع ـ الصهيونية خارج فلسطين)

جميل البحري (ـ ١٩٣٠) :

من أبناء حيفا * الذين أسهموا في بعضها الثقافية إسهاماً مرموقاً . أنشأ مجلة زهرة الجبل سنة ١٩٢١ ، ثم جعلها جريدة باسم الزهور سنة ١٩٢٧ .

وفي مجال الترجمة * كان له نشاط ملحوظ ، حتى إنه خصص القسم الأول من مجلة الزهرة للروايات التي كان معظمها منقولاً عن اللغات الأوربية . وعرف له نشاط في ميدان الأندية . فكان من المؤسسين البارزين لخلقة الأدب في حيفا سنة ١٩٢٢ ، وهي التي أحدثت نشاطاً ملموساً بما أقامت من الحفلات والمحاضرات والمسابقات للمآلف المسرحي وغيره .

وقد عرف له أيضاً إسهام وافر في ميدان التمثيل المسرحي . وحين طبعت روايته « قاتل أخيه » في أوائل سنة ١٩١٩ كتب عشاق التمثيل الأدبي يقرظونها بحماسة . وقد مثلت هذه الرواية على مسارح فلسطين وسورية وغيرهما . وقد دفعه ذلك كله إلى متابعة السير في هذا المجال ، فألف نماني روايات تمثيلية أخرى هي « سجين القصر » و « في سبيل الشرف » و « أبو مسلم الخراساني » و « الخائن » ، و « زهيرة » و « وفاء العرب » و « حصار طبرية » و « الوفاء العربي » .

ومن إنتاجه القافي : « تاريخ حيفا » ، و « اللص الظريف » و « الزهرة الحمراء » . ونظم أيضاً الشعر .

المراجع :

ـ عبد الرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني الحديث ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ عرفان سعيد أبو حمد الهواري : أعلام من أرض السلام ، شفاعمرو ١٩٧٩ .
ـ ناصر الدين الأسد : الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن ، القاهرة ١٩٥٧ .
ـ محمود الاترس : البيلوغرافيا الفلسطينية الأردنية ١٩٠٠ ـ ١٩٧٠ ، عمان ١٩٧٢ .
ـ الأب لويس شيخو : تاريخ الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين ، بيروت ١٩٢٦ .

جميل الخالدي (١٨٧٦ ـ ١٩٥٢) :

واحد من المربين والرواد في الصحافة * الفلسطينية . ساهم مع نخبة من المثقفين في تأسيس المدرسة الدستورية عام ١٩١٠ في القدس ، وهي أول مدرسة عربية حديثة في فلسطين أسست لتحسين أوضاع العرب التعليمية المتخلفة أيام الحكم العثماني . وترأس تحرير مجلة الدستور في عام ١٩١٣ خلفاً لمؤسسها خليل السكاكيني * مدير المدرسة ، وكانت تصدر مرة واحدة في الأسبوع (وقبل مرة واحدة في الشهر) وتطبع على « الجيلاتين » . وكان الهدف من إنشاء المجلة تدريب الطلاب على الكتابة الصحفية التي كانت في تلك الفترة من أهم الوسائل الجماهيرية للتعبير عن الرأي العام الوطني ، ومقاومة الحكم العثماني والحركة الصهيونية التي كانت قد بدأت تتغلغل في فلسطين للاستيلاء على الأراضي العربية .

شجع الخالدي الطلاب على كتابة المواضيع السياسية الوطنية بالرغم من كون المجلة المدرسة علمية أدبية . وقد ساهمت المجلة في تخريج عدد من طلاب المدرسة الذين برزوا في الحركة الوطنية والحقل الصحفي في زمن الانتداب البريطاني على فلسطين . وتحدى الخالدي وطلابه السلطات العثمانية سنة ١٩١٣ لإغلاقها جريدة فلسطين * الوطنية (١٩١١ ـ ١٩١٣) التي كانت آنذاك تتزعم ، مع جريدة الكرمل (١٩١٠ ـ ١٩١٤) ، مهاجمة الحكومة لتهاونها

مع الحركة الصهيونية . واصدر طلاب المدرسة عدداً واحداً من جريدة فلسطين تضامناً معها .

انتظم الخالدي أثناء الحرب العالمية الأولى في الجيش العثماني ، وبقي في يافا * طوال سني الحرب المذكورة . وفي عهد الانتداب البريطاني عيّن مفتشاً للمعارف ، وعمل أثناء ذلك على تأسيس المدارس الابتدائية في القرى العربية . وفي عام ١٩٣٥ أحيل على التقاعد ، وتوفي بغزة .

المراجع :

ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .
ـ يوسف خوري : الصحافة العربية في فلسطين (١٨٧٦ - ١٩٤٨) ، بيروت ١٩٧٦ .

جميل محمود علمي (١٩٠٧ - ١٩٧٥) :

ولد في مدينة صفد * وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها . حصل على « مشرك » فلسطين سنة ١٩٢٧ ، وعلى « مشرك لندن » سنة ١٩٢٨ ، وعلى الشهادة المتوسطة لفلسطين (*Intermediate*) في العام نفسه . وبعد أن علّم في المدرسة الثانوية بصفد مدة أربع سنوات (١٩٢٩ - ١٩٣٣) أوفدته حكومة فلسطين إلى انكلترا فحصل على درجة التخصص في الرياضيات العالية عام ١٩٣٧ .

وعيّن بعد عودته مدرّساً للرياضيات ، ثم أصبح مفتشاً أعلى للرياضيات والعلوم في إدارة معارف فلسطين حتى عام ١٩٤٨ .

غادر جميل علي فلسطين إلى دمشق ، والتحق محاضراً بقسم الرياضيات في كلية العلوم بالجامعة السورية ، وبقي فيه مدة أربع سنوات (١٩٤٨ - ١٩٥٢) . ثم عيّن أستاذاً مساعداً في قسم الرياضيات في كلية العلوم والآداب بالجامعة الأمريكية في بيروت ، وحصل على مرتبة الأستاذية المشاركة في الجامعة المذكورة ، وظل يدرّس فيها حتى وفاته .

يعدّ جميل محمود علي من الرواد في تعليم الرياضيات في المستوى الجامعي العربي ، بل من خيرتهم . وقد نشط جميل علي في أعمال الترجمة العلمية ، ومن أشهر أعماله إسهامه في ترجمة الجزءين الأول والثاني من « تاريخ العلم » لجورج سارتون عام ١٩٥٩ ، وترجمة كتاب « تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات الماكن » لأبي الريحان البيروني (٣٦٢ - ٤٤٠هـ) من العربية إلى الانكليزية ، وذلك بمناسبة « اليوبيل المئوي » للجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٦٦ .

المراجع :

ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

جميل يعقوب وهبة (١٨٩٧ - ١٩٧١) :

أحد رجالات الريعيل الأول في فلسطين . ولد في مدينة القدس * وتلقى فيها تعليمه في المدرسة الصلاحية * ، ثم في كلية روضة المعارف * ، والتحق بالجيش التركي سنة ١٩١٦ .

عاد إلى القدس بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وفي نفسه تطلعات كبيرة لخدمة وطنه عن طريق نشر العلم والعمل في مهنة التعليم ، خاصة بعد اطلاعه على كتاب « سر تقدم السكسون » ، فعمل مدرّساً في منطقة بني زيد (دير غسانة وبيت ريما) فضاء رام الله ، وأسس أول مدرسة في المنطقة ، وبقي فيها أربع سنوات ، ثم عمل مدرّساً في كلية روضة المعارف في القدس .

وفي سنة ١٩٢٥ اختاره المجلس الإسلامي الأعلى * لفلسطين مديراً عاماً لمعهد دار الأيتام الإسلامية أول تأسيسه ، فجعل جميل وهبة منه معقلاً من معاقل الحركة الوطنية الفلسطينية ، وفتح أبوابه أمام أبناء شهداء النضال الفلسطيني . كما جعل منه مركزاً صناعياً مرموقاً لتخريج الصناعيين المهرة . ولم يرق هذا لسلطات الانتداب البريطاني فزجت جميل وهبة في معتقل عوجة الحفير النائي في النقب في ١٩٣٦/٥/٣٠ . وقد اختير عضواً في اللجنة القومية العاملة بين منفى هذا المعتقل الصحراوي (ر : اللجان القومية) ، وكان أحد المؤتمرين على بيان أعدّه هؤلاء ووجهوه إلى الشعب العربي الفلسطيني طالبين منه الصمود أمام المستعمر البريطاني والطامع الصهيوني . كما كان أحد الموقعين على رسالة وجهوها إلى اللجنة العربية العليا * لفلسطين تحثها على اتخاذ الموقف الحازم وتجنب التردد أو المهادنة ، إذ كان يرفض التفاوض المهين مع سلطات الانتداب البريطاني . وقد أفرج عنه من معتقله هذا في ١٩٣٦/١٠/٢١ .

وبعد مدة من عمله في دار الأيتام ، كوّن فرقة كشفية وأخرى موسيقية كانت الوحيدة للعرب في ذلك الوقت ، واستطاع بهما أن يستقطب حول الحركة الوطنية الفلسطينية عدداً من خريجي المعهد وسكان مدينة القدس . وأوجد للمعهد مطبعة كبيرة كانت تطبع ما يلزم الحركة الوطنية من بيانات وإعلانات . كما أنجز طباعة القرآن الكريم لأول مرة في بيت المقدس سنة ١٩٥٥ (ر : الطباعة) .

بقي جميل وهبة في منصبه هذا مدة أربعين عاماً اختبر خلالها مديراً عاماً للأوقاف في فلسطين بالإضافة الى إدارة دار الأيتام .

وفي أوائل الستينات وضع وزير الأوقاف الأردني نظاماً جديداً لدار الأيتام ، فوجد جميل أن ذلك النظام ليس من صالح المعهد وآثر الاستقالة . وعمل في الأعمال التجارية الحرة ، وأسس « المجره » الذي كان من أشهر مصانع فلسطين . هذا بالإضافة الى إدارة مكتب الإعلان الصحفي في القدس . ولم يترك آثاراً علمية أو أدبية .

المراجع :

ـ أكرم زعيتر : الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٣٥ ـ ١٩٣٦) ، بيروت ١٩٨٠ .

جِنْجَـــار (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على مسافة ٥ كم إلى الجنوب الغربي من الناصرة * ، على طريق فرعية كانت تربطها بكل من حيفا * في الشمال الغربي منها ، والناصرة في الشمال الشرقي ، والعفولة * في الجنوب الشرقي . نشأت جنجار في بقعة تلّية تمثل أقدام جبال الناصرة ، وترتفع ١٢٠ م فوق سطح البحر . وكانت تشرف على سهل مرج ابن عامر * الذي يمتد مسافات بعيدة إلى الجنوب منها مشتملاً على جزء كبير من أراضي القرية .

تعد بقعة القرية موقعاً أثرياً يحتوي على مساكن قديمة منحوتة في الصخور . وكانت معمورة في العهد الروماني عندما قامت فوقها بلدة « نيجنجار » الرومانية . تألفت جنجار العربية من أبنية حجرية منحدرة على منحدرات التلال التي امتدت القرية فوقها تحاشياً للأراضي الزراعية الخصبة في الجنوب .

الزراعة * هي الحرفة الرئيسة لسكان جنجار العرب . وقد زرع هؤلاء مختلف المحاصيل الحقلية ، ولا سيما القمح * ، واستغلوا المرتفعات شمالي القرية في الرعي * وزراعة الأشجار . وكانت أراضي جنجار ملكاً للدولة ، واستثمرها السكان بطريقة التوارث عن آبائهم وأجدادهم (رَ : الأرض ، ملكية) وقد قامت الحكومة العثمانية عام ١٨٦٩ م ببيع جنجار وأراضيها لبعض أغنياء بيروت فتسربت هذه الأراضي الخصبة بمرور الزمن إلى أيدي الصهيونيين الذين اشتروها من مالكيها اللبنانيين .

ما إن جاء عام ١٩٢٢ حتى تمكن الصهيونيون من طرد سكان جنجار الذين يبلغ عددهم ١٧٥ نسمة . وتم هُم إنشاء مستعمرة « جنيجر » على أنقاض قرية جنجار العربية . وأخذت المستعمرة منذئذ تستقبل المهاجرين الصهيونيين للاستيطان فيها . وارتفع عدد هؤلاء من ١٠٩ عام ١٩٣١ إلى ٤٣٣ نسمة عام ١٩٦٥ . وقد زرعت في المرتفعات الواقعة شمالي جنجار « غابة بالمور » ، في الوقت الذي استغلت فيه أراضي الجزء الشمالي من سهل مرج ابن عامر في زراعة الحبوب * والخضر * . كما قامت أيضا على أراضي قرية جنجار العربية مستعمرة « عجدل هاعيمق » الواقعة شمالي غرب جنجار على طريق الناصرة ـ حيفا .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٧ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الناصرة .

الجنسيـــة (قانون ـ الإسرائيلي) :

١ ـ لمحة تاريخية : قانون الجنسية لأي دولة هو التشريع الذي ينظم العنصر السكاني فيها وفقاً للمبادىء والسياسات الأيديولوجية لتلك الدولة . وقانون الجنسية الإسرائيلي لا يخرج عن هذه القاعدة . وإذا كان التعريف الرسمي (لدولة إسرائيل) أنها " دولة الشعب اليهودي " ، فإن قانون الجنسية الإسرائيلي جاء ليؤكد " يهودية " العنصر السكاني للدولة ، وبالتالي يحافظ على صفة الدولة كدولة يهودية . هذا هو الأساس الأيديولوجي لتشريع الجنسية الإسرائيلي .

قدم وزير الداخلية الإسرائيلي مشروع قانون الجنسية الإسرائيلي إلى الكنيست * الأول في ١٩٥٠/٧/٣ . ولكن تأجل البت في أمره بسبب حل الكنيست . وحين قدم المشروع ثانية إلى الكنيست الثاني في تموز ١٩٥١ ، قام دافيد بن غوريون ، رئيس الوزراء ، بشرح النقاط الرئيسة للمشروع الذي اعتبره مكملا لقانون العودة * ، ويبيّن : " أن هذين القانونين معا هما العهد الذي وعدنا به كل يهودي في المنفى . . . ، وأن إسرائيل ليست دولة يهودية فقط ، لأن أغلبية السكان من اليهود ، ولكنها دولة لجميع اليهود حيثما وجدوا ، ولكل يهودي يرغب في المجيء إلى هنا . . . إن هذا الحق موروث لليهودي لمجرد كونه يهوديا " . وأكد بن غوريون أن (إسرائيل) لم

« تنشىء » لليهود حقا بالعودة إليها، ولكنها « تملته » فقط ، إذ أن هذا " الحق سابق لدولة إسرائيل " .

أقرت الكنيست مشروع القانون بأغلبية ٤٣ صوتاً ضد ١٧ . وكان ذلك في أول نيسان ١٩٥٢ ، وأصبح القانون نافذ المفعول في ١٩٥٢/٧/١٤ .

يتصف قانون الجنسية الإسرائيلي بصفتين رئيستين هما : ازدواج الجنسية ، والصفة العنصرية .

وإذا كان المجتمع الدولي قد جاهد للتقليل من حالات ازدواج الجنسية ، وهي التي تنشأ عن تنازع للقوانين لا مفرّ منه ، فإن هذا المجتمع الدولي عارض بشدة ابتداع أية طريقة جديدة يكون من شأنها الإكثار من ازدواج الجنسية ، كما ناضل ، وما يزال يناضل ، من أجل القضاء على جميع أشكال العنصرية والتمييز العنصري .

ب ـ ازدواج الجنسية في القانون الإسرائيلي : إن أحد الأسس المركزية في الفكر الصهيوني هو اعتبار اليهود ، أينما وجدوا وبغض النظر عن جنسياتهم التي يحملونها ، أمة وأحدة اسمها " الشعب اليهودي " . وانطلاقا من هذا المفهوم ، فإن أي يهودي هو عضو فيما يسمى " بالشعب اليهودي " . فهي عضوية إضافية لعضوية اليهودي في المجتمع الذي يعيش فيه ويحمل جنسيته . ولن تنتهي هذه الازدواجية إلاّ بعد « جمع الشتات » في « دولة اليهود » . ولقد عارض كثير من اليهود الحركة الصهيونية منذ نشوئها ، وذلك على عدة أسس ، منها أن اليهود المقيمين في مختلف الدول سوف يطعن في ولائهم لدولهم من قبل مواطني تلك الدول من غير اليهود .

ويعد قيام (دولة إسرائيل) الحد مبدأ وحدة " الشعب اليهودي " بعداً سياسياً وقانونياً أكثر رضوحا ، ولكنه في الوقت نفسه أشد ازدواجية . أعلنت الوكالة اليهودية * (إسرائيل) عام ١٩٤٨ دولة لجميع اليهود وليست فقط لليهود الذين يقطنون فيها . وتأكد هذا الشعار السياسي في سن قانون العودة عام ١٩٥٠ الذي أعطى لكل يهودي الحق في " العودة " إلى (إسرائيل) . وفي خطاب رسمي لرئيس وزراء (إسرائيل) ، دافيد بن غوريون ، قال : " حين نقول أمة يهودية واحدة فإنه يجب علينا أن نهمل حقيقة أن هذه الأمة اليهودية موزعة في جميع أنطار العالم ، وأن اليهود الذين يعيشون في الخارج هم مواطنون في الدول التي يعيشون فيها . . . أما نحن ، أولئك الذين انتهت هذه الازدواجية بالنسبة لهم وأصبحوا مقيمين في دولة إسرائيل . . . فإنه يجب علينا أن لا نهمل وضع هؤلاء اليهود الذين ليسوا بيننا " .

وبرغم هذه السياسات المعلنة على وحدة " الشعب اليهودي " ، وعلى " إنهاء الازدواجية " بالهجرة إلى (دولة إسرائيل) جاء تشريع الجنسية الإسرائيلي لعام ١٩٥٢ مشجعا لهذه الازدواجية .

١) ازدواج الجنسية الإسرائيلية : تنص المادة ١٤/أ من قانون الجنسية الإسرائيلي على أنه " باستثناء قضية التجنّس ، فإن الحصول على الجنسية الإسرائيلية لا يتوقف على التنازل عن جنسية سابقة " . فالقانون استثنى أولا " قضية التجنّس " التي هي خاصة ، حصرا ، بجنسية غير اليهود . أما « اليهود » فلا يخضعون لإجراءات التجنس وإنما يكتسبون الجنسية الإسرائيلية بحكم « العودة » ، وذلك استنادا للمادة الثانية من القانون . ومن هنا يمكن إعادة صياغة النص المذكور أعلاه بالقول إن اليهود الذين يحصلون على الجنسية الإسرائيلية لا يتوجب عليهم التخلص من جنسياتهم الأصلية . وهكذا يمكن لليهودي " العائد " (للدولة إسرائيل) أن يحمل جنسيتين باختياره وإرادته . ولم يكن هذا النص سهوا ، وإنما أسقط شرط التخلي عن الجنسية الأصلية بالنسبة لليهود عن قصد . يؤيد ذلك ما ورد من مناقشات في الكنيست الإسرائيلي أثناء مناقشة مشروع قانون الجنسية . كما يؤيده أيضا ـ بمفهوم المخالفة ـ نص المادة ٦/أ/٥ من قانون الجنسية الإسرائيلي الذي اشترط على طالب الجنسية غير اليهودي أن يتنازل عن جنسيته السابقة عند اكتسابه الجنسية الإسرائيلية .

٢) النتائج التطبيقية : إن المحاذير التي حدت بالمجتمع الدولي للعمل على تقليل حدوث ازدواجية الجنسية، والمعارضة في ابتداع طرق جديدة تزيد من حدّة هذه المشكلة ، قد وقع فيها المشرّع الإسرائيلي ، وسايره في ذلك ـ بعد حين ـ المشرّع الأمريكي . وأفضل مثال تطبيقي على ذلك هو وضع الأمريكيين الذين يدينون باليهودية والمقيمين في (إسرائيل) . حين صدر قانون الجنسية الإسرائيلي طلب إلى الأمريكيين الذين يعيشون في (إسرائيل) أنشد أن يعلنوا عن عدم رغبتهم في اكتساب الجنسية الإسرائيلية وذلك قبل ١٩٥٢/٧/١٤ ، رهو اليوم المحدد لنفاذ القانون . وأعلن نائب القنصل الأمريكي في تل أبيب أن الاكتساب الحكمي للجنسية الإسرائيلية " سوف لا يعتبر اكتسابا اختياريا " في مفهوم القانون الأمريكي "بسبب أنه كان هناك متسع من الوقت لرفض هذه الجنسية (الإسرائيلية) " . واعتبر نفس التفسير بالنسبة للأمريكيين من ذوي الديانة اليهودية الذين يأتون إلى (إسرائيل) بعد موعد سريان القانون ويقبلون سمة الهاجرة التي تصدر عن السلطات الإسرائيلية . وكان لموقف القنصلية الأمريكية تأثير كبير على وضع الأمريكيين الذين كانوا في خدمة القوات المسلحة الإسرائيلية حيث كان هؤلاء مهددين بفقدان جنسيتهم الأمريكية . واستمرت الولايات المتحدة الأمريكية في موقفها هذا حتى قبيل حرب

١٩٦٧ * . ففي ١٩٦٧/٥/٢٩ أصدرت المحكمة العليا الفيدرالية الأمريكية قرارها الشهير في قضية « أفروييم ضد راسك » وملخصها أن أفروييم هذا بولندي الأصل هاجر إلى أمريكا واكتسب جنسيتها عام ١٩٢٦ ، ثم هاجر إلى (إسرائيل) عام ١٩٥٠ حيث اشترك في انتخابات الكنيست بالإضافة لاشتراكه في الانتخابات البلدية . فأصدرت وزارة الخارجية الأمريكية قرارا بفقدان أفروييم جنسيته الأمريكية وذلك استنادا لقانون الجنسية الأمريكي الذي ينص على فقدان المواطن الأمريكي جنسيته إذا " اقترع في انتخابات سياسية لبلد أجنبي أو إذا اشترك في انتخابات أو استفتاء من شأنه تقرير السيادة على أرض أجنبية " . وقد عارض أفروييم قرار وزارة الخارجية ، وادّعى عدم صلاحية الكونغرس الأمريكي لإصدار تشريع بسحب بموجبه الجنسية من مواطن أمريكي بغير إرادته . ولما كان هو لم يتخل عن جنسيته الأمريكية بإرادته ، فإن تصرف وزارة الخارجية ـ في اعتقاده ـ لم يستند إلى أساس قانوني .

أيدت محكمة الدرجة الأولى ومحكمة الاستئناف موقف وزارة الخارجية الأمريكية بسحب جنسية أفروييم لاشتراكه في انتخابات سياسية لبلد أجنبي . إلاّ أن أفروييم ذهب بقضيته إلى المحكمة العليا الفيدرالية التي فسخت القرار المستأنف ، وأيدت القول بعدم دستورية نص قانون الجنسية الذي أدى إلى حرمان أفروييم من جنسيته الأمريكية .

لقد ترتّب على هذا القرار آثار خطيرة وبعيدة المدى . فقد أصبح باستطاعة الأمريكيين المقيمين في (إسرائيل) أن يحتفظوا بجنسيتهم الأمريكية بالإضافة إلى جنسيتهم الإسرائيلية ، وبالتالي أصبح بإمكانهم الاشتراك في القوات المسلحة الإسرائيلية . ففي عام ١٩٦٨ صدر عن وزارة الداخلية الإسرائيلية بيان مؤداه أن المواطن الأمريكي الذي يهاجر إلى (إسرائيل) بناشيرة مهاجر " طبقا لقانون العودة ، فإنه يحصل تلقائيا على الجنسية الإسرائيلية " . وقال ناطق باسم الوزارة إنه " حسب المعلومات التي وصلتنا ، فإن (هذا المهاجر) لن يفقد جنسيته الأمريكية " . وتوسع الموقف الأمريكي الرسمي على أثر ذلك في تفسير ذلك الحكم فشمل حالات أخرى كانت ممنوعة بموجب قانون الجنسية الأمريكي . ففي ١٩٦٩/١/١٨ أعطى وزير العدل الأمريكي ، رامزي كلارك ، تفسيرا لقرار المحكمة العليا الصادر في قضية أفروييم فقال " وهكذا ، فإن الشخص الذي ينخرط في القوات المسلحة لدولة حليفة لا يعني بالضرورة أنه يتخلى عن جنسيته الأمريكية " . وقابلت السفارة الأمريكية في تل أبيب تعقيبا على بيان وزير العدل الأمريكي بأنه " لا يمكن بعد الآن للأمريكيين أن يفقدوا جنسيتهم إذا أصبحوا مواطنين إسرائيليين أو خدموا في القوات المسلحة الإسرائيلية . " . وقد أيدت وزارة الخارجية الأمريكية بيان سفارتها .

لقد خلقت هذه التطورات نتائج قانونية مؤذية . إذ قامت الدول العربية باعتبار هذه التفسيرات القانونية الأمريكية ذريعة للسماح للطيارين والاختصاصيين والفنيين والعسكريين والمتطوعين الأمريكيين اليهود بالعمل في صفوف القوات المسلحة الإسرائيلية .

وقال الرئيس جمال عبد الناصر * رسميا ، إبان حرب ١٩٦٧ ، إن طيارين أمريكيين يقومون بمهمات قتالية في صفوف سلاح الطيران الإسرائيلي وإن الولايات المتحدة "لا تزود إسرائيل بالطائرات فقط ولكن أيضا بالطيارين " وأكّد أن أحد الطيارين ، وقد وقع في الأسر ، كان يحمل جنسية مزدوجة ، إسرائيلية ـ أمريكية . واعترفت حكومة الولايات المتحدة بذلك .

جـ ـ الصفة العنصرية : نص القانون على منح الجنسية الإسرائيلية للمقيمين من غير اليهود الذين كانوا مواطنين فلسطينيين وسجلوا بموجب مرسوم تسجيل السكان الصادر عام ١٩٤٩ . قال أحد النواب ، أثناء مناقشة المشروع في الكنيست ، إنه لو تم تطبيق هذه الشروط لما حصل إلاّ ١٠٪ من العرب الموجودين في (إسرائيل) على حق التجنس لأنه من الصعب جدا توفر شرط "الإقامة" . وعدد قليل من الفلسطينيين كانوا يحملون جوازات سفر في عهد الانتداب . أما أولئك الذين كانوا يحملون هويات شخصية فإنهم إما فقدوها أو سلموها للقوات الصهيونية أثناء الحرب . كما أن الكثيرين من العرب كانوا قد استثنوا من عمليات تسجيل السكان ، لأنه كان هناك " محاولة متعمدة لعدم تسجيل قرى عديدة " . هذه الأسباب اقترح النواب المعارضون منح الجنسية الإسرائيلية لجميع الفلسطينيين الذين كانوا في البلاد بصورة شرعية . إلاّ أن هذا الاقتراح هزم .

كما نص القانون على شرط آخر مؤداه أنه يجب على الفلسطيني الذي يريد الحصول على الجنسية الإسرائيلية أن يكون ملما باللغة العبرية . وقد احتج بعض النواب على هذا الشرط لأن اللغة العربية كانت لغة رسمية في عهد الانتداب ولذلك اقترحوا حذف هذا الشرط ، أو إعطاء اللغة العربية مركزا مساويا للعبرية . وقد أخذ القانون بالحل الأول .

وبقي على الفلسطيني الذي يريد الحصول على الجنسية الإسرائيلية أن ينال " استئناب " وزير الداخلية صاحب الصلاحيات الواسعة بموجب القانون .

لقد دافع المؤيدون للقانون عن الصفة العنصرية فيه ، وحاولوا تبريرها . فقال حاخام صهيوني : إن الجنسية الإسرائيلية بالنسبة إلى اليهود ما هي إلاّ " استعادة لشيء مفقود". ولذلك فإن استعادتها « تلقائية » . أما بالنسبة للآخرين فليس الأمر كذلك . وأقر حاييم كوهين ، وزير العدل آنئذ ، أن التمييز العنصري الوارد ليس سببه

العمري مقابل كنيسة القيامة * ، ومسجد عمر بالطور (طور زيتا) ، ومسجد طلسم الحيات قرب القيامة ، وقد زال الآن .

كانت المساجد الأولى بسيطة كل البساطة ، على غرار المسجد الذي بناه الرسول في المدينة وكان يتألف من ساحة يحيط بها سور من اللَّبن على أساس من الحجر . وفي جهة القبلة وضعت جذوع النخل كأعمدة ، ووضع عليها سقف من سعف النخل أو الطين . وكانت في جهته الشرقية أكواخ لها أبواب على الساحة سكن فيها الرسول .

وقد بنى قادة المسلمين الأولون المساجد في وسط المدن . وقرب المسجد كانت تبنى دار الإمارة (على غرار بيت الرسول في مسجد المدينة) . غير أن المساجد في فلسطين لم تكن كلها تبنى بناء جديداً ، وإنما حوّل بعضها من كنائس إلى مساجد . " كان الفاتحون يصالحون أهل البلاد ، إمّا على النصف من كنائسهم ، أو على بعضها ، أو يكتفون بواحدة أو نصف واحدة " .

جامع الجزار في عكا

وقد تطوّر بناء المساجد مع الوقت . ففي زمن الخليفة عثمان استعملت الحجارة والجص في بناء جدران المسجد وأعمدته . وتطورت هذه الاتجاهات زمن الأمويين ، ولا سيما منذ عهد معاوية ابن أبي سفيان * . وتجلّى ذلك بتوسيع الظلّة ، وسقف صحن المسجد وتحويله إلى قاعة ذات أعمدة ، وإقامة نافورة وسط الصحن. وفي عهد الأمويين (رَ : العصر الأموي) بدأت تبنى في فلسطين المساجد ذات الجلال والجمال . وفي مقدمتها بالطبع قبة الصخرة * الأثر الإسلامي النادر ، ثم المسجد الأقصى * . وقد اكتشف علماء الآثار * في سنوات الثلاثين مسجداً في موقع خان التنة غربي بحيرة طبرية * بناه الوليد بن عبد الملك * . وفي الرملة * بنى سليمان بن عبد الملك الجامع الأبيض المشهور ، كما أن الأمويين جدّدوا مساجد قديمة ، منها مسجد قيسارية الذي أعاد بناءه عبد الملك بن مروان .

وواصل العباسيون بناء المساجد (رَ : العصر العباسي) . وقد عثر المنقّبون بين خرائب عسقلان سنة ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ م على نقش يفيد أن المهدي العباسي بنى مسجداً في تلك المدينة سنة ١٥٥ هـ / ٧٧١ م . وبعد العباسيين بنى الأخشيديون والطولونيون والفاطميون * عدة مساجد ، لكن هذه المساجد زالت كلها تقريباً . وكانت أسباب ذلك كثيرة ، فإلى جانب التقادم كانت هناك الزلازل * والكوارث الطبيعية الأخرى ، والحروب الداخلية والخارجية ، وقلّة العناية .

وترجع الأكثرية الساحقة من المساجد الأثرية الباقية إلى عصر الأيوبيين (رَ : العصر الأيوبي) والمماليك * . وقد كان للسلطان صلاح الدين * ، وللملك المعظم شرف الدين عيسى بن أحمد بن أيوب * ، فضل كبير في تجديد المساجد وبنائها وإعادتها للإسلام . وقد اجتهد المماليك بصورة خاصة في بناء المساجد والجوامع في طول البلاد وعرضها ، وفي تجديد المساجد القديمة ، ومن أشهر هؤلاء في هذا الباب السلطان الظاهر بيبرس * البندقداري ، وسيف الدين خليل بن قلاوون * ، والناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون .

ومن الظواهر البارزة في عصر المماليك أن إنشاء المساجد الذي كان في البداية من واجبات الحكام والقادة أخذ يشارك فيه الأفراد بصورة متزايدة بوصفه عملاً من أعمال التقوى . وكان هذا من أسباب زيادة عدد المساجد زيادة كبيرة . وقد تميّزت مساجد المماليك بالكثافة في التزيين ، وباستخدام الرخام الملون ، وبالأذن المربعة .

استمر بناء المساجد في العصر العثماني ، وبقي كثير من المساجد في عكا * ونابلس وغزة * وسواها . وكان في غزة وحدها في القرن الحادي عشر الهجري / السادس عشر الميلادي سبعون مسجداً .

وفي عهد الانتداب البريطاني أنشئت بعض المساجد الجديدة ، وبذل المجلس الإسلامي الأعلى * جهوداً طيبة في إعمار المساجد القديمة وترميمها . ونال الحرم القدسي عناية في مجال الإعمار . وقد واصلت الحكومة الأردنية أعمال إعمار الحرم ، وخاصة إعمار قبة الصخرة المشرّفة ابتداء من سنة ١٩٥٨ وحتى الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧ .

أدّت المساجد خدمات جليلة في حفظ اللغة العربية والثقافة الإسلامية في فلسطين . وكانت مركز الحياة الاجتماعية والسياسية ، ولا سيما في العصور الإسلامية الأولى ، وفي عصر المماليك . فقد كان المسجد مدرسة دينية ، وفيه كان يحكم الأمير ، ويحفظ بيت المال ، ويستقبل رؤساء القبائل . وكانت المساجد مركزاً للاحتفالات الدينية والقومية ، ولا عجب أن كانت دائماً هدفاً للغزاة والمحتلّين .

تتعرض المساجد والجوامع في ظل الاحتلال الصهيوني ، كغيرها

من الآثار الإسلامية في فلسطين ، إلى اعتداءات فظة مستمرة : فقد أشعل الصهيونيون النار في المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩ ، وأخذوا يحرون حفريات تحته في الجهتين الجنوبية والغربية من ساحة الحرم (ر : المسجد الأقصى : إحراقه والحفريات فيه) ، كما هاجمه المتعصبون الصهيونيون عدة مرّات بقصد الصلاة فيه . واحتلوا قسماً من الحرم الإبراهيمي ، وحوّلوا مسجد بير السبع إلى متحف ومنعوا المسلمين من الصلاة فيه . كما حوّلوا جامع الجسر في طبريا إلى متحف أيضا ، وجامع السوق أو الجامع اليوناني في صفد إلى معرض للصور ، وهدموا مسجد وادي الصليب في حيفا وأقاموا فوق أنقاضه كراجات ، وهدموا مسجد الصواوين في صفد . وتنوي بلدية تل أبيب تحويل مسجد حسن بك * في يافا إلى سوق محلية . وتمّ تهويد مسجد الحارة الشمالية في عكا ، كما هدمت عشرات المساجد الأخرى جزئياً أو كلياً ، ومنها مساجد قرى لوبية * ، وكفر برعم * ، والطور ، وخربة صرفين ، وعمواس * ، وصرفند * ، والجورة * ، وبازرر * ، ودير ياسين * ، وإقرت * ، وناعورن * ، والغبية * ، وجلمة * وسلمة * ، وأبو كبير .

وفيما يلي أهم المساجد في مدن فلسطين :

أ ـ القدس : في بيت المقدس اليوم ٣٦ مسجداً ، وبيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ومنها ٢٧ مسجداً في المدينة القديمة . ومن هذه المساجد :

١) مسجد عمر : لم يذكر المؤرخون المسلمون الأولون ، كالطبري واليعقوبي والبلاذري ، أية تفصيلات عن المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب عند فتح القدس . وعلى الرغم من أن بعض علماء الآثار يرون أن المسجد بني سنة ١٨ أو ٢٠ للهجرة ، فالأرجح أنه بني سنة فتح القدس ، أي سنة ١٥ للهجرة / ٦٣٦ م . وهناك اختلاف بين العلماء حول المكان الذي بني فيه المسجد في ساحة الحرم . وتقول بعض الروايات إنه بني في موقع الصخرة ، أو قريباً منه (ابن الطريق ، البكري ، شهاب الدين المقدسي) ، لكن معظم الدلائل تشير إلى أنه بني في موقع المسجد الأقصى الحالي ، وربما في الجهة الشرقية منه ، (كما يرى مجير الدين الحنبلي ويؤيّده كليرمون جانو ، وتْرْوْيل) .

وقد وصلت من القرن الأول للهجرة رواية شاهد عيان وصف المسجد باقتضاب ، وهو المطران أركولفوس *Arculfus* الذي زار القدس في خلافة معاوية بن أبي سفيان حوالي سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م وقال : إن المسجد كان مبنياً من ألواح الخشب وجذوع الأشجار . وكان بناؤه بسيطاً ومربع الشكل ، ويتسع لثلاثة آلاف من المصلّين .

ومن الطبيعي أن هذا المسجد البسيط الذي بني من الخشب لم يقو على مقاومة عوادي الزمن فاختفت معالمه بسرعة .

٢) المسجد الأقصى : كان اسم « المسجد الأقصى » يطلق قديماً على الحرم القدسي الشريف كله وما فيه من منشآت أهمها بالطبع قبّة الصخرة المشرّفة التي بناها عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ م والتي تعدّ من أعظم الآثار الإسلامية في كل العصور . أما اليوم فإن الاسم يطلق على المسجد الكبير الكائن جنوبي ساحة الحرم (ر : المسجد الأقصى) .

٣) مسجد الملك الأفضل ، ويدعى المسجد العمري : يقع مقابل كنيسة القيامة . وقد عمّره الملك الأفضل ابن صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م . وله منارة بنيت قبل ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ م ، وجدّده السلطان عبد المجيد العثماني بين سنتي ١٢٥٥ و ١٢٧٧ هـ / ١٨٣٩ و ١٨٦٠ م . والأرجح أنه من المساجد العمرية القديمة .

٤) مسجد القلعة : أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م في قلعة القدس . وله مئذنة أثرية . والمسجد معطّل منذ الاحتلال الصهيوني سنة ١٩٦٧ .

٥) المسجد القيمري : نسبة إلى الأمير سيف الدين القيمري (ت سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) ، وهو قرب الباب الجديد . ويرجع تاريخ بنائه إلى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي .

٦) جامع الخانقاه الصلاحية : خلف كنيسة القيامة ، وقد وقف صلاح الدين الأيوبي الخانقاه سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م . ولجامع الخانقاه مئذنة أثرية بنيت سنة ٧٩٨ هـ / ١٣٩٥ م .

٧) جامع الشيخ جراح : بني في زاوية الشيخ جراح سنة ١٣١٣ هـ / ١٨٩٥م . وترجع الزاوية إلى سنة ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م ، ومؤسسها هو الأمير حسام الدين الجراحي .

٨) جامع الشيخ لؤلؤ : داخل باب العمود (ر : القدس ، أبواب ـ الأثرية) . وهو الزاوية اللؤلؤية القديمة التي وقفها الأمير بدر الدين لؤلؤ غازي سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م .

٩) المسجد القلندري : في حارة النصارى أمام دير اللاتين ، وقد جدّد عمارته الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨٦ هـ / ١٢٧٨ م . ولم يبق منه اليوم إلاّ لوحة في حائط .

١٠) مسجد النبي داود : وهو في الحقيقة مسجدان كائنان في مقام النبي داود ، أحدهما صغير ، والآخر كبير . جعله السلطان سليمان القانوني مسجداً سنة ٩٣٦ هـ / ١٥٢٩ م ، وجدّد عمارة المسجد والمقام السلطان محمود خان سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٧ م .

١١) مسجد طلّسم الحيّات : من المساجد المندثرة . كان قرب

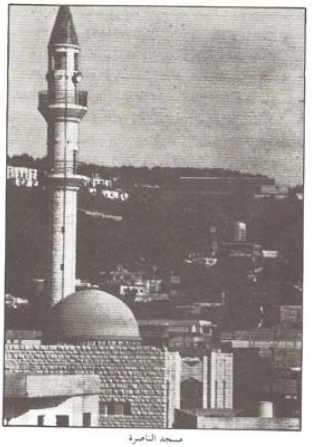

مسجد الناصرة

كنيسة القيامة في حارة النصارى . قال مجير الدين الحنبلي عنه : " وهو مسجد عظيم من المساجد العمرية " .

ب ـ الخليل :

١) المسجد الإبراهيمي في الخليل : للمسجد الإبراهيمي في الخليل مركز خاص في الإسلام بسبب اقتران بالنبي إبراهيم * عليه السلام وأبنائه الكرام .

ويبدأ تاريخ المسجد بشراء إبراهيم الخليل مغارة المكفيلة * من عفرون الحثي لدفن زوجته سارة فيها . ولما توفي هو دفن هناك ، كما دفن بعده فيها ابناه إسحق * ويعقوب * وزوجتاهما . ويقال أيضا إن النبي يوسف * دفن هناك بعد ذلك . وفي عهد سليمان بن داود أقيم حجر (أي سور) على قبور إبراهيم وأسرته . وفي أواخر القرن الأول قبل الميلاد بنى هيرودس حاكم القدس الأدومي حصنا لا تزال تُرى حجارة سوره الضخمة حول المسجد . أما حجر سليمان فليس له أثر . وفي أيام حكم الإمبراطور الروماني جستنيان *(٥٢٧ ـ ٥٦٥م) بنى الإمبراطور كنيسة قرب المغارة ، هدمها الفرس سنة ٦١٤ م .

وفي فجر الإسلام * اقطع رسول الله الصحابي تميماً الداري أرض الخليل ومسجد إبراهيم . وقد اهتم المسلمون بمقام جدّ الأنبياء فرمّموا بعض ما خرّبه الغزو الفارسي . وشاد الأمويون سقف الحرم الحالي والقباب التي فوق مرائد إبراهيم ويعقوب وزوجتيهما . وفتح الخليفة المهدي العباسي باب السور الحالي من جهة الشرق ، وبنى له المرافق الجميلة من الجنوب والشمال . وأمر المقتدر بالله العباسي ببناء القبة على ضريح يوسف عليه السلام . وفي سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م هدم الإفرنج مسجد إبراهيم وأقاموا على أنقاضه حصنا لفرسانهم وكنيسة صغيرة على السطراز القوطي (ز : الفرنجة) . ولا تزال تُشاهد في القسم الذي يضم أضرحة إبراهيم وإسحق السقوف التي أقامها الإفرنج على عقود عالية . أما بقية أبنية الحرم فهي إسلامية صرف . ولما استرد صلاح الدين مدينة الخليل أمر بإعادة بناء المسجد ، وينقل المبر الذي صنعه الفاطميون لمسجد عسقلان إليه . ثم أضاف الملك المعظم شرف الدين عيسى الأيوبي رواقا إلى المسجد .

وفي زمن المماليك أجرى الظاهر بيبرس تعميرات كثيرة في المسجد ، مما جعله من أعظم مساجد الإسلام . كما عمّر السلطان قلاوون أحد أبوابه ، وأقام السلطان الناصر محمد قبّة فوق المنار الشرقي . ومقامات الأنبياء وزوجاتهم هي من بناء المماليك .

وبعد الاحتلال الصهيوني للخليل اعتدى المحتلّون على حرمة المسجد واحتلوا قسماً منه وقيّدوا حرية المسلمين في الصلاة فيه وسمحوا لليهود بالصلاة في داخله .

٢) مسجد الجاولي : شرقي الحرم الإبراهيمي ويتصل به برواق . بناه أبو سعيد سُنْجُر الجاولي بأمر من السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م . وقد جدّد هذا المسجد سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م .

٣) مساجد أخرى في المدينة : يذكر مجير الدين الحنبلي من مساجد الخليل في زمنه : مسجد ابن عثمان بخط سوق الحصرية والربانية وعليه منارة ، ومسجد الشيخ بهاء الدين الوفائي بحارة الأكراد ، ومسجد مسعود بحارة الأكراد ، ومسجد فرعونة بحارة الزّجاجين . كما يذكر أن محمد بن أبي القاسم المكناري المستشهد سنة ٦١٤ هـ /١٢١٧ م بنى قرب الخليل مسجداً .

٤) جامع النبي يونس في حلحول / قضاء الخليل : أقامه الملك المعظم عيسى الأيوبي سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م ، وبنى له منارة .

جـ ـ نابلس :

١) الجامع الكبير ، أو الصلاحي : هو أكبر مساجد نابلس وأشهرها . يقع شرقي المدينة . أصله كنيسة بناها الإمبراطور جستنيان في القرن السادس الميلادي . وأعاد الإفرنج بناءه سنة ٥٦٣

هـ / ١١٦٧ م . حوّله السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى جامع . وبابه الشرقي يشبه باب كنيسة القيامة ، وهو مؤلف من خمسة أقواس الواحد ضمن الآخر . وصفه السائح التركي أوليا جلبي سنة ١٠٨٢ هـ / ١٦٧١ م فقال : " إن محرابه الحالي كان مدخل الكنيسة من الناحية الشرقية . وعلى جانبي المدخل يوجد ثمانية أعمدة تشوقه من الرخام يرتكز عليها قوس الجامع الذي هو آية في فن البناء . وطول الجامع ٣٠٠ خطوة ، وعرضه ١٠٠ خطوة . . ومجموع ما فيه من الأعمدة ٥٥عموداً . ومحرابه واسع جداً والمنبر قديم " .

وفي سنة ١١٣٣ هـ / ١٧٢١ م بنى أمير الحج سليمان باشا العظم إيوانين وبركة . أما المئذنة المثمنة فقد بناها أمير الحج الأمير مصطفى الغناري .

٢) جامع الخضراء : يقع في حيّ الياسمينة . يقال إنه المكان الذي حزن فيه يعقوب على ابنه يوسف . وقد عمّره السلطان قلاوون الصالحي (٦٧٨ ـ ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ ـ ١٢٩١ م) . وصفه أوليا جلبي سنة ١٠٨٢ هـ / ١٦٧١ م فقال : " إنه بناء مربع طول ضلعه ٨٧ خطوة " . ويقع الجامع اليوم وسط البساتين ، وتوجد بركة في صحنه . ومساحة القسم المعدّ للصلاة فيه نحو ٣٠٠ م٢ . وله محراب جميل ومئذنة مربعة .

٣) جامع النصر : يقع في وسط البلدة القديمة . أصله كنيسة بيزنطية . وقد حوّلها المسلمون بعد انتصارهم في الحروب الصليبية إلى جامع باسم النصر ، وكان له مئذنة أسطوانية بنيت في العهد العثماني (٩٩٢ هـ / ١٥٨٤ م) ، وهدمت بعد زلزال ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م . وقد صدّع الزلزال الجامع فجدّد بناءه المجلس الإسلامي الأعلى سنة ١٣٥٤ هـ/ ١٩٣٥ م .

٤) جامع الأنبياء : في محلة الحبلة . ويقال إن أولاد يعقوب عليه السلام دفنوا فيه ، ومنهم أخذ اسمه . وضريح الأنبياء في غرفة فيه ، وطوله أربعة أمتار وهو مكسو بحلق خضراء .

٥) جامع الحنبلي ، أو جامع الحنابلة : قرب سوق الخضر . وهو جامع قديم يرجع إلى القرن السابع الهجري على الأقل . وقد جُدّد بناؤه بأمر السلطان العثماني محمد رشاد سنة ١٣٣٠ هـ / ١٩١١ م .

٦) جامع البيك (العين سابقاً) : أصله كنيسة حوّلت إلى جامع زمن العثمانيين . ولي سنة ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م جدّد بناءه إبراهيم بك طوقان . ثم وسّعه ابنه الوزير مصطفى باشا . ويتبع الجامع في الطابق العلوي عشرات الغرف الصغيرة التي كان ينزل فيها طلبة العلم .

٧) جامع التينة : في محلة القريون ، وهو عامر ، جُدّد بناؤه سنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م .

٨) جامع الساطون : يقع في حيّ الياسمينة ، وهو عامر .

٩) جامع الحاج تمر النابلسي : على طريق نابلس ـ القدس . أنشأه الحاج تمر النابلسي سنة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م ، ولمّا توفي دفن فيه . بناؤه في الطابق الثاني فوق حوانيت . وهو من أكبر مساجد المدينة ، وفيه مكتبة .

١٠) جامع الخضر : يقع غربي نابلس . بناه المحسن بدوي عاشور سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م .

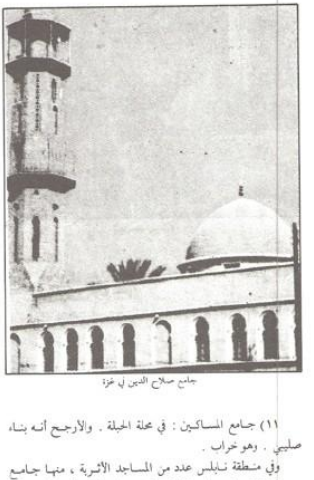

جامع صلاح الدين في غزة

١١) جامع المساكين : في محلة الحبلة . والأرجح أنه بناء صليبي . وهو خراب .

وفي منطقة نابلس عدد من المساجد الأثرية ، منها جامع مسطبة الذي يقوم على بقعة كنيسة بنيت في القرن الرابع للميلاد ، وجدد سنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م ؛ وجامع جنين الكبير الذي بنته فاطمة خاتون حفيدة السلطان قانصوه الغوري سنة ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦ م ؛ وجامع في قرية باسعيد أنشىء سنة ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م . وجوامع أثرية في باقة الحطب ، وطوباس* ، ومودا ، وخربة جرّاعة قرب جمّاعين ، وخربتي المطوى وروبسون .

د ـ غزة : مدينة غزة أغنى مدن فلسطين بالجوامع ، وقد ذكر عارف العارف " في ، تاريخ غزة ، أسماء تسعة جوامع ، وأربعة عشر مسجداً ، واثني عشر مسجداً وجامعاً مهجوراً ، وستة وعشرين مسجداً وجامعاً مندثراً .

١) جامع غزة الكبير : أكبر جوامع غزة ويقع في وسط البلدة القديمة . وهو جامع أثري ضخم ، جميل الشكل والهندسة . ويعتقد أنه كان في الأصل كنيسة صليبية استعمل في بنائها كثير من الحجارة والأعمدة الرخامية القديمة . ويعتقد أن هذه الكنيسة الصليبية بنيت في موقع كنيسة بنتها يودكسيا إمبراطورة بيزنطية في القرن الخامس الميلادي . وقد قسمت الكنيسة عند الفتح الإسلامي إلى مسجد وكنيسة ، ثم حوّلها الصليبيون إلى كنيسة لاتينية . وبعد تحرير غزة أصبحت مسجداً . وما زال مدخل الجامع يحتفظ بالأسلوب الغوطي الإيطالي .

عُمّر الجامع مراراً كثيرة ، وأنشأ لاجين سلطان المماليك له باباً ومئذنة سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٨١ م . ووسّعه الناصر محمد . وعمّر كذلك في العهد العثماني . وقد أصاب الجامع خراب كبير في الحرب العالمية الأولى فهدّم القسم الأعظم منه وسقطت مئذنته . وقد جدّد المجلس الإسلامي الأعلى عمارة الجامع سنة ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م تجديداً شاملاً ، وأعاد بناء المئذنة بشكل فاق شكلها السابق .

٢) جامع السيد هاشم : من أكبر جوامع غزة ، ويقع في حي الدرج . ويعتقد أن هاشماً جدّ الرسول مدفون فيه . ويرجّح أن الجامع من منشآت المماليك . وقد جدّده السلطان عبد المجيد العثماني سنة ١٢٦٦ هـ / ١٨٥٠ م .

٣) جامع الشيخ زكريا : في حي الدرج ، ويضم رفات الشيخ زكريا التدمري المتوفى سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م .

٤) جامع كاتب الولاية : في حي الزيتون . أنشأه كاتب الولاية العثماني أحمد بك سنة ٩٩٥ هـ / ١٥٨٦ م .

٥) جامع الشمعة : بحي النّجارين (حارة الزيتون) . لا يعرف بانيه .

٦) جامع الشيخ عبد الله الأيبكي : في حي التفاح . مدفون بجانبه الشيخ عبد الله الأيبكي من مماليك عز الدين أيبك التركماني (القرن السابع الهجري) .

٧) جامع علي بن مروان : في حي التفاح . به ضريح الشيخ علي بن مروان ، من أشراف المغرب ، وقد توفي في غزة سنة ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م .

٨) جامع ابن عثمان : من جوامع غزة الكبيرة ، ويقع في حي الشجاعية . فيه ضريح يعتقد أنه ضريح نائب غزة بالحجا في عهد السلطان برقوق . فيه نقوش كثيرة تدل على تعميرات أجراها حكام المماليك .

٩) جامع المحكمة البردبكية : في حي الشجاعية . بناه بردبك الدوادار سنة ٨٥٩ هـ / ١٤٥٥ م . واستعمل مدرسة ، ثم محكمة .

وبالإضافة إلى هذه الجوامع التسعة ، هناك في غزة أربعة عشر مسجداً هي : مسجد المغربي ، ومسجد الشيخ فرج ، ومسجد الشيخ خالد ، ومسجد الزاوية الأحمدية ، ومسجد زاوية الهنود ، ومسجد الهجاني ، وكلها في حي الدرج ؛ ومسجد العجمي ، ومسجد الشيخ القشقار في حي الزيتون ؛ ومسجد السدرة في حي التفاح ؛ ومسجد الغزالي ، ومسجد السيدة رقية ، ومسجد الظفر دعسي ، ومسجد السلواشي ، ومسجد الفواشي ، في حي الشجاعية . وهناك غير هذه عشرة مساجد مهجورة أو مندثرة في حي الدرج ، وثلاثة عشر مسجداً مهجوراً أو مندثراً في حي الزيتون ، منها جامع الجاولي الذي بناه الأمير المملوكي علم الدين سنجر الجاولي ، وستة في حي التفاح ، وسبعة في حي الشجاعية .

وفي منطقة غزة من المساجد الأثرية مسجد المجدل (٧٠٠ هـ) ، وجامع النصر في بيت حانون (٦٣٧ هـ) .

هـ ـ الرملة :

١) الجامع الأبيض : من أشهر جوامع فلسطين ، أقامه سليمان ابن عبدالملك عندما كان والياً على الرملة ، تم أتمّه في أثناء خلافته . أما اليوم فهو من الطلول الدوارس . وقد وصف هذا الجامع العظيم الذي كان يقع في وسط الرملة عند بنائها عدد كبير من المؤرخين ، وقالوا إنه كان من عجائب الدنيا في الهيئة والعلو . وقد جدّد بناء الجامع صلاح الدين الأيوبي عندما استردّ الرملة . ولمّا فتح الظاهر بيبرس باقا عمّر القبة التي على المحراب والباب المقابل للمحراب . وعمّر المئارة القديمة التي زالت . ثم بنى الناصر محمد بن قلاوون منارة عظيمة سنة ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م . وفيما يلي وصف مرجز للجامع والمئارة في عصر المماليك :

" كان الجامع مبنياً على ست وعشرين قنطرة على الجانبين ، في كل جانب ثلاث عشرة قنطرة . وفي الوسط ثلاث عشرة أسطوانة مبنية بالحجر . ومكان محرابه الضخم يؤلف القنطرة السابعة في وسط المسجد . وللمسجد من خارجه رواقان في ست قناطر يظهر أنها كانت مستقرة على أساطين في الجهتين الشرقية والغربية . وطول حرم المسجد ٧٥ متراً في مثلها من العرض . وفي وسط الحرم بركة ماء ، وتحته قبوان معقودان بالحجر " .

والمئذنة القائمة حالياً بناها الناصر محمد على أنقاض مئذنة بيبرس . وهي مبنية بالحجر النحيت ، مربعة الشكل ، ذات خمسة طوابق ، طولها من قاعدتها ٢٥,٦ م ، ويصعد إليها بسلم ذي ١٢٥

درجة . وفي الجانب الشمالي إلى آخر الحدّ الغربي من الصحن مقام النبي صالح ، وعليه قبة .

٢) الجامع الكبير : هو كنيسة مار يوحنا التي بنيت في القرن الثالث عشر الميلادي وحوّلت الى مسجد في القرن الثالث عشر . شكله مستطيل . مقسوم إلى ثلاثة أبناء . يعلو البهو المتوسط عقد رأسي على الطراز القوطي ، مرتكز على سبع من الأقواس المتقاطعة . وقد كانت واجهة البناء جميلة جداً . وقد رفعت أرض المسجد قديمين . ونقوم الآن منارة حيث كانت قبة الأجراس .

وفي الرملة جوامع أخرى منها جامع العطا الذي رمّمته إدارة الأوقاف في العشرينات .

و ـ يافا :

١) جامع يافا الكبير : أنشأ هذا الجامع الشيخ محمد بيبي الإمام ، ووقف عليه الأوقاف سنة ١١٥٨ هـ /١٧٤٥ م . ووقف عليه أوقافاً أخرى حفيده الشيخ حسن بيبي سنة ١٢٨٥ هـ /١٨٦٨ م . وقد عمّره في سنة ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م مير محمد آغا سحور المعروف بأبي نبّوت الذي كان متسلم لواء غزة والرملة ويافا ، ووقف عليه سنة ١٢٢٧ هـ /١٨١٢ م ، كثيراً من العقارات منها دكاكين ومبان وأراض زراعية . وقد ألحق محمد آغا بالجامع مكتبة حسنة . وكانت تعقد في صحن الجامع حلقات التدريس .

ويعرف الجامع أيضا باسم « جامع أبو نبّوت » . ويقع أمام الساحة التي أتيم عليها برج الساعة . وأعمدة الرخام الضخمة التي تزين الجامع أن بها أبو نبّوت من خرائب قيسارية وعسقلان .

٢) جامع حسن بك : بناه حسن بك الجابي قائد موقع يافا في الحرب العالمية الأولى . ويقع في حي المنشية في مبدان الساعة الكبير . وقد بني سنة ١٩١٤ (رَ : حسن بك ، مسجد) .

٣) جامع الطابية : أقدم جامع يافا يقع في البلدة القديمة بالقرب من « الفنار » ، وربما يقوم على البقعة التي كان عليها الجامع الذي ذكره الجغرافي المقدسي في القرن الرابع الهجري / العشر العاشر الميلادي .

٤) جامع الشيخ رسلان : في البلدة القديمة . وهو ينسب إلى الشيخ شهاب الدين بن رسلان الرملي (٧٧٥ ـ ٨٤٤ هـ) .

٥) جامع حسن باشا : يقع على الطريق الموصلة إلى الميناء . أقامه حسن باشا الجزائري القائد البحري العثماني في العقد الثامن من القرن الثامن عشر .

٦) جامع البحر : يقع قرب جامع حسن باشا . رمّمته إدارة الأوقاف في العشرينات من هذا القرن .

ويضاف إلى الجوامع السابقة جامع الدباغ في البلدة القديمة ، وجامع العجمي في حي العجمي ، وينسب إلى ولي مدفون فيه يدعى الشيخ إبراهيم العجمي ، وجامع أرشيد في حي أرشيد ، وجامع الجبلية في حي الجبلية ، وجامع السكسك بحي النزهة ، وكان مدرسة ثم حوّل إلى جامع ؛ وجامع النزهة وهو أحدث جوامع يافا .

ز ـ صفد : في صفد * عدد من الجوامع والمساجد الأثرية التي ترجع إلى عصر المماليك والعصر العثماني . وقد حوّل الظاهر بيبرس ، بعد تحرير صفد من الصليبيين (٦٦٦هـ/١٢٦٧م) ، عدداً من كنائس صفد وبيعها إلى جوامع ومساجد . ومن مساجد صفد :

١) جامع الظاهر بيبرس ، أو الجامع الأحمر : أمر الظاهر بيبرس بإنشاء هذا الجامع سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م . وكان هذا الجامع دار العلم الأولى في المدينة . وقد وقف الرحالة التركي أولياجلبي (القرن ١١ هـ / ١٧ م) منذوهاً أمام عظمته ، وقال إنه كانت " تغطي المسجد من الخارج قبة مكسوب فوقها الرصاص ، كما كان الرصاص يغطي رأس المئذنة التي تشبه الأبراج في ضخامتها وعلوّها . وقد اكتسب هذا الجامع اسمه من حجارته الحمراء المصقولة . وفوق محراب الجامع كتبت سورة العرش بخط واضح جميل " .

٢) الجامع الجوكنداري ، أو جامع الجوكندار : في محلة الأكراد بصفد . وهو جامع مملوكي قديم . وكان الجامع الجوكنداري جارياً في أوقاف المدرسة الطازية في القدس سنة ٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م .

٣) الجامع اليونسي : ويعرف باسم الجامع الكبير ، أو جامع دار الحكومة ، أو جامع السوق . وهو أكبر مساجد صفد . وقد بني في أواخر العصر العثماني (سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م) . حوّله المحتلّون الصهيونيون إلى معرض للرسوم والصور .

٤) جامع الصواوين : وهو من جوامع صفد القديمة . ولعله الذي أشار إليه أولياجلبي بقوله : " وفي محلة الصواوين جامع الشيخ عيسى ، وصاحبه مدفون في ساحته " . ويعرف الجامع أيضا بجامع السرية . هدم الصهيونيون هذا الجامع ، ولم تبق منه إلاّ مئذنته .

٥) جامع الشيخ نعمة : وكان واقعاً قرب قصر الحاكم العثماني في سوق السلطان . وهو بناء مربع طول ضلعه ١٥,٢٤ م ، وتغطيه قبة عالية ، وتقام فيه صلاة الجمعة . وكانت جدرانه مغطاة بالرخام والقاشاني البديع . بناه الحاج ياقوت بن عبد الله سنة ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م . والشيخ نعمة المنسوب إليه الجامع مدفون خارج الباب الجنوبي .

٦) جامع الأمير فيروز : أنشأه الأمير نجم الدين فيروز ، وهو

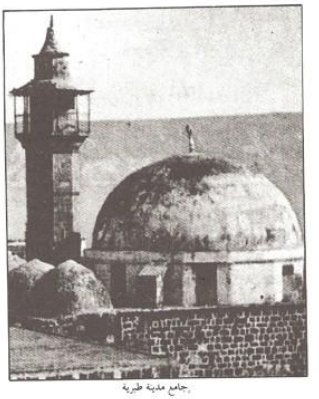

جامع مدينة طبرية

من أمراء الطبلخانات بصفد قبل سنة ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م ووقف عليه أوقافاً كثيرة .

ويضاف إلى الجوامع السابقة جامع سيدنا يعقوب ، ويعرف أيضا بجامع الشعرة الشريفة ، وجامع الغار ، وجامع خفاجة ، ويعرف أيضا باسم جامع حارة الجورة ، والجامع المعلق قرب جامع الشيخ نعمة وكان يقوم على إيوان فارغ ، والجامع الأنسي أو جامع الشهداء وكان يقع غربي صفد ، ويعرف أيضاً بجامع الاربعين أو اثر طه ، وجامع السنمارية أو جامع المدرسة ، وجامع الحمام العنبري بناه الظاهر بيبرس سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٦ م ، وجامع ابن أبي الخير انشاه شخص من أهل صفد في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، وجامع الأمير أحمد بن علي بن صبح الكردي الدمشقي ، منشئه نائب صفد سنة ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م .

ح - الناصرة : جامع الناصرة الرئيس هو الجامع الأبيض . بناه علي باشا مساعد سليمان باشا والي عكا بين سنة ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م و ١٢٢٣ هـ / ١٨٠٨ م ووقف عليه أوقافاً كثيرة .

ط - طبرية : فتح شرحبيل بن حسنة * طبرية * سنة ١٣ هـ / ٦٣٤ م . وقيل إنه صالح أهلها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، واستثنى لمسجد المسلمين موضعاً .

وقد اكتشف علماء الآثار سنة ١٩٣٧ في خان المنية على بحيرة طبرية مسجداً من أقدم المساجد طوله ٢٠ م وعرضه ١٣ م ، ويتصل بقصر للخليفة الوليد بن عبد الملك . وكان للمسجد باب شرقي يدخله المصلّون من خارج القصر ، وباب غربي يدخله الخليفة من قصره ، وباب ثالث عمومي من ساحة القصر الداخلية .

وكان في طبرية في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي جامع كبير حسن مرفوع على أعمدة حجرية . وفي القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي كان مسجد الجمعة يقع في وسط المدينة ، وعند بابه عين حارّة عند رأسها حمام ساخن . وفي الجانب الغربي من هذا المسجد مسجد يدعى مسجد الياسمين ، وفي وسطه ساحة كبيرة ومحاريب حولها الياسمين .

ومن جوامع طبرية :

١) الجامع الكبير : بناه ظاهر العمر الزيداني * في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي . ويعرف أيضا بالجامع الزيداني ، والجامع القوقاني . وكان بناؤه سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م . ويقع في الحي الشمالي من طبرية . وما زال هذا الجامع قائما حتى اليوم .

٢) جامع الجسر : وهو يقع في الحارة الجنوبية ، على ساحل البحيرة . جُدّد بناؤه سنة ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣ م . وقد حوّل المحتلون الصهيونيون هذا الجامع إلى متحف حربي .

ي - عكا : لم يكن في عكا في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي غير مسجد واحد . وقد بني فيها بعد هذا التاريخ عدد من الجوامع هي :

١) جامع الرمل : في ظاهر خان الشواردة الشمالي الغربي . ويرجح أنه يقوم على بقعة كنيسة إفرنجية تعود بتاريخها إلى القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي . بناه ظاهر العمر الزيداني حوالي سنة ١١٦٣ هـ / ١٧٥٠ م .

٢) جامع الجزار : هو أكبر جامع في عكا ، بل هو أبدع مظاهر الفن الإسلامي في العهد العثماني . يقع في نهاية السوق الأبيض . بناه أحمد باشا الجزار * عام ١١٩٦ هـ / ١٧٨١ م ووقف عليه الأوقاف الكثيرة . ويقع مدخله المزخرف في الجهة الشمالية ، وهو مربع الشكل ومسقوف بقبة كبيرة . وتقوم مئذنته الساهقة الجميلة وسط صحن مستطيل تحيط به من ثلاث جهات ثلاثة أروقة مقبّبة فائمة على أعمدة من الغرانيت والرخام جلبت من صور وقيسارية وغيرهما . وتضم الأروقة غرفا مقبّبة لموظفي الجامع والزوّار .

وفي جامع الجزار المدرسة الأحمدية ، وهي مدرسة دينية ، وفيها مكتبة إسلامية تحتوي على نفائس الكتب والمخطوطات . وبالقرب من الزاوية الشمالية الغربية لفناء الجامع غرفة تضم قبري الجزّار وخليفته سليمان باشا .

٣) جامع البحر : قرب ميناء عكا . جدّد بناءه سليمان باشا العادل سنة ١٢٣٢ هـ / ١٨١٦ م . وكان يقرب جامع البحر جامع آخر مقابل خان الإفرنج . هدم أيام الجزار ، عدا منارته ، فهدمها سليمان باشا وعمّر جامعا في تلك الأرض .

٤) جامع المجادلة : جدّد بناء هذا الجامع القديم شخص يدعى علي آغا سنة ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠ م ، وعمّر له مئذنة ، ووقف له بساتين وأملاكا كثيرة أثناء ولاية سليمان باشا العادل .

٥) الجامع المعلق : قرب ساحة الكركون . ويمتاز بعلوه عن سطح الأرض ، وبحديقته الغنّاء .

ويضاف إلى الجوامع السابقة جامع ابن سنان ، ويسمى أيضاً جامع الجرينة ، وهو سلاصق لميناء عكا القديم ؛ وجامع النبابيدي ، وهو الجامع الوحيد خارج الأسوار ، وقد بني زمن الانتداب البريطاني . وقد أقفلت في سنوات الاحتلال الصهيوني عدة جوامع بسبب فقر الأوقاف وقلّة المصلّين .

ك ـ حيفا: في حيفا * جامع كبير هو جامع الاستقلال ، أنشأته إدارة الأوقاف الاسلامية زمن الانتداب البريطاني في العشرينات من هذا القرن . وقد كان منبراً للحركة الوطنية الفلسطينية ، ومن أئمته الشيخ عز الدين القسّام * .

وعلى سفح الكرمل مسجد قديم نسبياً هو مسجد سعد الدولة .

وفي حيفا جامع الجرينة أو الجامع الكبير في وسط المدينة ، وجامع الخاج عبد الله على جبل الكرمل * في حيّ الحلّيصة ، وقد بناه الخاج عبد الله أبو يونس .

المراجع :

ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف الأشرف ١٩٦٨ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٦٥ ـ ١٩٧٤ .
ـ محمود العابدي : الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن ، عمان ١٩٧٣ .
ـ عارف العارف : تاريخ غزة ، القدس ١٩٤٣ .
ـ عارف العارف : تاريخ قبة الصخرة المباركة والمسجد الأقصى المبارك ، القدس ١٩٥٥ .
ـ محمد كرد علي : خطط الشام ، دمشق ١٩٢٨ .
ـ عبد الله مخلص : مئذنة الجامع الأبيض في الرملة ، بيروت .
ـ أ . س . مرمرجي الدومنيكي : بلدانية فلسطين العربية ، بيروت ١٩٤٣ .
ـ المقدسي الشّاري : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٦ .
— Creswell. K. A. C.: **Early Muslim Architecture** Vol. I, part II. Oxford 1969.
— Gibb and Kramers.: **Shorter Encyclopedia of Islam,** Leiden 1965.
— Le Strange, Guy: **Palestine under the Moslems,** London 1890.
— Margaerite Gautier, Van Berchem et Solange Ory: **La Jérusalem Musulmane,** Lausanne 1978.

أبو الجود الأنصاري :

د . محمد بن إبراهيم بن عبد الرحيم

جورج أنطونيوس (١٨٩٢ ـ ١٩٤٢) :

كاتب وسياسي لبناني الأصل ، ولد في الإسكندرية حيث تلقى دراسته في كلية فكتوريا ، ثم تابعها في جامعة كمبردج في بريطانية ، وقد حصل منها على شهادة الهندسة . وعاد بعد ذلك إلى الإسكندرية وعمل في بلديتها .

قدم جورج أنطونيوس إلى فلسطين سنة ١٩٢١ ، وعيّن في إدارة المعارف مساعداً لمدير المعارف البريطاني ، وظل في هذا المنصب إلى أن استقال سنة ١٩٣٠ . ثم انتقل إلى دائرة السكرتير العام لحكومة فلسطين حيث عمل فترة قصيرة زار بعدها الولايات المتحدة الأمريكية فألقى فيها محاضرات عن تاريخ العرب ونهضتهم الحديثة .

أدلى أنطونيوس بشهادته أمام اللجنة الملكية البريطانية التي جاءت إلى فلسطين سنة ١٩٣٧ للتحقيق في أسباب الاضطرابات والثورات التي عمّت البلاد منذ بداية الانتداب البريطاني . وقد امتلأت شهادته بالمعلومات الدقيقة والشواهد على محاباة الإنكليز للصهيونيين .

اختارته اللجنة العربية العليا * سكرتيرا للوفد الذي مثّل عرب فلسطين في مؤتمر المائدة المستديرة بلندن سنة ١٩٣٩ (رَ : لندن ، مؤتمر ١٩٣٩) . كما عمل مستشارا للوفود العربية إلى هذا المؤتمر ، فأعدّ مذكرة قيّمة عبّرت عن وجهة النظر العربية . وعقب إخفاق هذا المؤتمر عاد إلى فلسطين ، وبقي فيها حتى وفاته في ١٩٤٢/٥/٢١ ودفن في مقبرة صهيون في القدس .

كان جورج أنطونيوس على اتصال باللجنة العربية العليا ، وكان لا يدع فرصة لا يجاهر فيها بمعارضته للسياسة البريطانية في تمهيد فلسطين ، وتشريد أهلها ، وإغراقها بالهجرة الصهيونية . وقد وضع سنة ١٩٣٨ ، باللغة الإنكليزية ، كتاب « يقظة العرب » الذي أراد منه أن " يتضمن سرداً موجزا لأصول الحركة العربية وتطورها ، والمشكلات الرئيسة التي واجهتها " ، وهو يعدّ مرجعا أساسيا في تاريخ القضية العربية . وقد ترجم إلى العربية أكثر من مرة .

جورج متى (١٨٧٢ ـ ١٩٢٤) :

ولد في مدينة عكا * لأسرة يونانية الأصل ، فلسطينية الموطن ، عربية النشأة .

قانون الجنسية بل قانون العودة . إلاّ أن الوزير أفضل أن قانون العودة أصبح جزءاً لا يتجزأ من قانون الجنسية . وحاول هذا الوزير أن يعطي تفسيراً آخر ، فقال : " إن أي نيبز في القانون ليس عنصريا بل أريد به أن يميّز بين الذين يعتبر ولاؤهم لإسرائيل أمراً مفروغاً منه والآخرين الذين عليهم إثبات ذلك " .

د- قانون الجنسية وتعديلاته : منذ صدور القانون عام ١٩٥٢ ، أدخلت عليه ثلاثة تعديلات واسعة ؛ الأول عام ١٩٥٨ ، والثاني عام ١٩٦٨ ، والثالث عام ١٩٧١ . وفيما يلي استعراض لنصوص القانون كما هي في صيغتها المعدلة مع الإشارة ، حيثما اقتضى الأمر ، إلى المقصود من التعديل :

ينظم القانون طرق اكتساب الجنسية الإسرائيلية وطرق فقدانها مع إضافة بعض القواعد العامة . إن أهم جوانب القانون هي تحديده لطرق اكتساب الجنسية . فقد نصت المادة الأولى منه على أن اكتساب الجنسية يكون بحكم العودة ، أو بحكم الإقامة في (إسرائيل) ، أو بحكم الولادة ، أو بحكم التجنّس ، أو بحكم الولادة والإقامة ، أو بحكم المنح .

١) الجنسية بحكم العودة : تنظم المادة الثانية من القانون طريقة اكتساب الجنسية بحكم العودة ، فتقول : " كل مهاجر بمقتضى قانون العودة .. يكون إسرائيلي الجنسية " . ولإدراك مغزى هذا النص تجب الإشارة إلى أن قانون العودة الصادر بتاريخ ١٩٥٠ يعطي " كل يهودي " الحق في أن يهاجر إلى (إسرائيل) . وهذا فإنه لو نظر إلى قانون العودة بشكل مستقل لكان قانون هجرة ، لا قانون جنسية . أما وأن قانون الجنسية قد اسند إليه في منح الجنسية ، فقد أصبح قانون العودة قانون جنسية أيضا . إذ يمكن القول إن المادة الثانية من القانون تنظم جنسية اليهود فقط .

عددت الفقرة ب من المادة الثانية من قانون الجنسية " الأشخاص الذين لهم حق اكتساب الجنسية بحكم العودة " ، وهؤلاء هم :

(١) أي " شخص " جاء إلى (البلاد) كمهاجر ، أو ولد فيها ، سواء قبل إنشاء (الدولة) أو بعد ذلك .

(٢) أي " شخص " قدم إلى (إسرائيل) وبعد قدومه أعرب عن رغبته بالاستقرار فيها .

(٣) أي " شخص " أعرب عن رغبته في الاستقرار في (إسرائيل) وحصل ، أو يحق له أن يحصل على تأشيرة مهاجر بموجب قانون العودة ، حتى قبل هجرته إلى (إسرائيل) . وهذا النص الأخير أدخل على القانون بموجب التعديل الثالث عام ١٩٧١ ، إذ قصد به منح الجنسية الإسرائيلية ليهود الاتحاد السوفيتي الذين يُدّعى أنهم ممنوعا من مغادرة بلادهم .

وقد استخدم القانون كلمة (البلاد) ، وفي هذا إشارة إلى أن المقصود من ذلك هو فلسطين كلها ، وليس (إسرائيل) فقط . كما يلاحظ أن القانون استخدم كلمة " شخص " علما بأن المقصود هو كلمة " يهودي " لان هذه المادة بالذات خاصة باليهود حصراً .

أما الفقرة جـ من المادة الثانية فقد نصت على عدم انطباق هذه المادة على :

(١) أي شخص لم يعد قاطنا في (إسرائيل) قبل سريان مفعول القانون .

(٢) كل بالغ كان عشية يوم قدومه ، أو عشية يوم منحه شهادة مهاجر ، أجنبي الجنسية ، وصرح في ذلك اليوم ، أو قبله ، أو خلال ثلاثة أشهر بعد ذلك اليوم ، وهو ما يزال أجنبي الجنسية ، بأنه " لا يرغب في أن يكون إسرائيلي الجنسية " ، ويجوز لذلك الشخص أن يتنازل بإشعار خطي موجه إلى وزير الداخلية عن حقه في الإدلاء بالتصريح بموجب هذا البند .

(٣) كل قاصر أجنبي الجنسية ولد خارج (إسرائيل) وصرح والداه بموجب البند ٢ المذكور أعلاه ، وشملاه في تصريحهما ، إلاّ أن هذا القاصر له الحق في اكتساب الجنسية الإسرائيلية إذا صرح خلال الفترة الواقعة بين عيد ميلاده الثامن عشر والحادي والعشرين عن رغبته في اكتساب الجنسية ، ويصبح إسرائيلي الجنسية بحكم العودة اعتبارا من تاريخ إدلائه بالتصريح .

(٤) ولد الممثل الدبلوماسي أو القنصلي لدولة أجنبية باستثناء الممثل الفخري الذي ولد في (إسرائيل) بعد إقامة (الدولة) .

من القراءة الدقيقة للفقرة جـ يلاحظ أن الأصل في القانون هو منح الجنسية الإسرائيلية لأي يهودي بصورة تلقائية ، فإذا لم يرغب اليهودي المهاجر بذلك فعليه أن يعبر عن اعتراضه على فرض الجنسية عليه أمام موظف رسمي فور وصوله إلى (إسرائيل) . وفي التعديل الثاني عام ١٩٦٨ أعطي اليهودي المهاجر مهلة ثلاثة أشهر من وصوله لكي يعبر عن رفضه اكتساب الجنسية الإسرائيلية فإذا وقض اكتساب الجنسية الإسرائيلية شمل رفضه هذا أولاده القصّر الذين ولدوا خارج (إسرائيل) . أما إذا ولدوا داخل (إسرائيل) بعد إعلان رفضه فإنهم يكتسبون الجنسية الإسرائيلية حكما .

٢) الجنسية بحكم الإقامة في (إسرائيل) : تنظم المادة الثالثة من القانون طريق اكتساب الجنسية بحكم الإقامة في (إسرائيل) . وبالتحديد ، تنظم هذه المادة وضع الفلسطينيين من غير اليهود الذين ظلوا في (إسرائيل) بعد قيام (الدولة) .

تنص هذه المادة في الفقرة أ على أن من كان قُبَيل إنشاء (الدولة) « فلسطيني الجنسية » ، ولم يكن إسرائيلي الجنسية بموجب المادة

الثانية ، يكون إسرائيلي الجنسية اعتباراً من يوم إنشاء (الدولة) إذا :

(١) كان في أول آذار ١٩٥٢ مسجلاً قاطناً بموجب مرسوم تسجيل السكان لسنة ١٩٤٩ .

(٢) أو كان في يوم بدء العمل بهذا القانون قاطنا في (إسرائيل) .

(٣) أو كان في (إسرائيل) من يوم إنشاء (الدولة) إلى يوم بدء العمل بهذا القانون ، أو كان في أراض صارت أراضي إسرائيلية بعد إنشاء (الدولة) ، أو دخل (إسرائيل) خلال هذه المدة بصورة قانونية .

كما نصت الفقرة ب من المادة ذاتها على منح الجنسية الإسرائيلية بحكم الإقامة لمن ولد بعد إنشاء (الدولة) وكان والده ، أو والدته ، إسرائيلي الجنسية بحكم الفقرة أ .

٣) الجنسية بحكم الولادة : تنص المادة ٤ على منح الجنسية الإسرائيلية لمن ولد لأب أو أم إسرائيليين ، أما من ولد بعد وفاة والده فإنه يكتسب الجنسية الإسرائيلية إذا كان والده إسرائيل الجنسية حين وفاته . ويلاحظ أن مكان إقامة الأبوين أو مكان ولادة الطفل ليسا مهمين .

٤) الجنسية بحكم التجنس : تنظمت المواد ٥ ـ ٨ شؤون التجنّس . ويشترط القانون في المتجنّس أن يكون موجوداً في (أسرائيل) ، وأقام فيها ثلاث سنوات من السنوات الخمس السابقة لتقديم طلبه ، وكان مؤهلاً للإقامة في (إسرائيل) بشكل دائم ، واستقر ، أو ينوي الاستقرار فيها ، وأن يكون ملما باللغة العبرية ، وأن يتنازل عن جنسيته الأصلية عند اكتسابه الجنسية الإسرائيلية . وإذا توفرت تلك الشروط ، فإن وزير الداخلية يمنحه الجنسية " إذا استنسب ذلك " . وقبل منحه الجنسية يجب عليه أداء يمين الولاء (لدولة إسرائيل) . واستثنت المادة ٦ بعض الأشخاص من بعض الشروط اللازمة للتجنس ، كالذين خدموا في جيش الدفاع الإسرائيلي* ، أو قدموا خدمة اعتبرت عسكرية ، أو فقدوا ابنا أو بنتا أثناء خدمته أو خدمتها في الجيش ، كما أن أولاد المتجنس يلحقون به بمجرد اكتسابه الجنسية الإسرائيلية .

٥) الجنسية بحكم الولادة والإقامة : لقد استحدث القانون هذه الطريقة في التعديل الثاني عام ١٩٦٨ ، إذ نص في المادة الرابعة، الفقرة أ، على أن كل من ولد بعد إقامة (الدولة) في مكان كان يوم مولده منطقة إسرائيلية ، ولم يكتسب أية جنسية أخرى ، يصبح إسرائيلي الجنسية إذا :

(١) طلب ذلك خلال المدة الواقعة بين سن الثامنة عشرة والحادية والعشرين .

(٢) كان مقيماً في (إسرائيل) مدة خمس سنوات متوالية قبل تقديمه الطلب .

لكن يحق لوزير الداخلية رفض طلبه إذا دين مقدم الطلب بجرم « ضد أمن الدولة » أو « حكم عليه بالحبس عن جرم آخر لمدة خمس سنوات أو أكثر » .

٦) الجنسية بحكم المنح : تنظم المادة كما عدلت عام ١٩٦٨ ، طريقة منح الجنسية للقاصر الذي لم يكن إسرائيلي الجنسية ، ولكنه مقيم في (إسرائيل) . كما تمنح لأولاد الشخص الإسرائيلي القاصرين وإن كانوا غير مقيمين في (إسرائيل) . ومنح الجنسية بموجب هذه المادة من اختصاصات وزير الداخلية الذي له حق التقدير .

هـ ـ تطبيقات قانون الجنسية : عدّد قانون الجنسية كما تقدم ست طرق لاكتساب الجنسية الإسرائيلية . إلاّ أنه يمكن تصنيف هذه الطرق الست إلى فئتين : الأولى تتعلق باليهود والأخرى بغير اليهود . وهكذا فإن قانون الجنسية الإسرائيلي يتضمن عمليا تشريعين متمييزين للجنسية ، ولكل منهما إجراءات مختلفة عن الآخر ، وننبّه عن كل منهما نتائج تطبيقية مختلفة

١) الجنسية الإسرائيلية لليهود :

(١) إجراءات اكتساب الجنسية لليهود : يكتسب اليهودي المهاجر حق الجنسية الإسرائيلية بحكم « العودة » . أما الإجراءات الواجب على اليهودي أن يتخذها للحصول على الجنسية فهي أن « يعود » إلى (اسرائيل) ، أو يعبر عن رغبته في الاستقرار في (إسرائيل) إذا كان خارج حدودها . ولم يشر القانون إلى أية إجراءات أخرى . وبموجب القانون يكتسب اليهودي المهاجر إلى (إسرائيل) الجنسية الإسرائيلية « فورا » بمجرد دخوله (إسرائيل) .

وإذا أراد أي يهودي يحمل جنسية أجنبية ألاّ يكتسب الجنسية الإسرائيلية فورا إذا ما جاء (لإسرائيل)، ولو على سبيل الزيارة ، فعليه أن يعلن صراحة أمام موظف إسرائيلي رسمي عدم رغبته في اكتساب الجنسية الإسرائيلية . ولم يُخضع القانون اليهودي المهاجر لأي التزام ، فهو غير ملزم بالتقدم بطلب للحصول على الجنسية ، أو بأن يقيم مدة من الزمن قبل أن يصبح مؤهلاً للحصول على الجنسية ، ولا يشترط عليه أداء يمين الولاء ، أو التنازل عن جنسيته الأصلية ، ولا حتى أن يعلن عن رغبته أو نيّته في أن يصبح مواطنا إسرائيليا ، إلاّ إذا كان خارج إسرائيل . وقد لخص أحد المحامين الإسرائيليين البارزين ذلك بقوله : " إن اليهودي المهاجر يصبح مواطناً إسرائيلياً حتى دون توفر أدنى قدر من الرغبة لديه ، أو دون حق الاعتراض من جانب الحكومة الإسرائيلية " .

(٢) النتائج التطبيقية: نشأت عن تطبيق حق الجنسية بالعودة هذا ، مسائل قانونية شائكة ، وأحياناً فريدة من نوعها . وأهم هذه المسائل تعريف اليهودي . فالفقه الصهيوني والدين اليهودي يتفقان في تعريف اليهودي بأنه من ولد لأم يهودية ، أو من اعتنق الديانة اليهودية . لكن ، في حين يقر الفقه الديني اليهودي أن اليهودي الذي يعتنق ديانة أخرى يظل يهودياً ، تعلن الصهيونية * أنه إذا اعتنق اليهودي ديانة أخرى فإنه يفقد صفته كيهودي . والاختلاف في هذه المسألة بالذات بين اليهودية والصهيونية واضح منذ تأسيس الصهيونية كحركة قومية . وللمغزى من هذا الاختلاف ذو أهمية سياسية قانونية كبيرة . فالصهيونية تقوم على أطروحة مؤداها أن اليهود شعب مثل الشعوب الأخرى ، وأن اليهودية هي أساس الهوية القومية لهذا الشعب . وهو ما تسميه الصهيونية « بالشعب اليهودي » . فاليهودي في المفهوم الصهيوني من كان أحد أعضاء هذا « الشعب اليهودي » . ولما كانت الصهيونية قد جعلت الدين اليهودي الدين القومي ، فإن اليهودي الذي يرتد عن دينه يفقد عضويته في « الشعب اليهودي » ، حتى وإن لم يفقد صفته كيهودي من الناحية الدينية البحت . لقد تأكد هذا المبدأ إدارياً وقضائياً وتشريعياً ، حين أقرت الكنيست عام ١٩٧٠ قانوناً ، وهو التعديل الثاني لقانون العودة ، عرّفت بموجبه اليهودي بأنه « كل من ولد لأم يهودية أو من تهوّد ، وهو ليس من أبناء ديانة أخرى » . وهكذا أصبح المفهوم الصهيوني الأصلي تشريعاً إسرائيلياً .

ومن هذه المسائل : ازدواج الجنسية . وقد وصف أحد القانونيين البارزين في (إسرائيل) قانون الجنسية الإسرائيلي بأنه « نموذج دراسي لازدواج الجنسية » . كما ذكر أن النصوص اللازمة للحد من ازدواجية الجنسية الإسرائيلية قد أُسْقِطَتْ قصداً وتعمداً ، وذلك تسهيلاً وحفزاً للهجرة اليهودية .

٢) الجنسية الإسرائيلية لغير اليهود : لأغراض قانون الجنسية ، يشمل تعبير « غير اليهود » نظرياً الفلسطينيين الذين ظلوا في (إسرائيل) بعد قيامها ، وغير الفلسطينيين . ورسم القانون لكل فريق طريقاً خاصاً به لاكتساب الجنسية . وأما من الناحية العملية ، فإن إجراءات التجنّس لغير الفلسطينيين هي تقريباً بدون معنى ، لأن (إسرائيل) لا تمنح حق الإقامة فيها لغير اليهود بسهولة . لذلك يقتصر البحث على الفلسطينيين المقيمين في (إسرائيل) .

(١) اكتساب الجنسية للفلسطينيين : في حين يكتسب اليهودي المهاجر ، أو الذي يعبر عن رغبته في الهجرة إلى (إسرائيل) ، الجنسية الإسرائيلية فوراً وتلقائياً وبدون انتظار أية إجراءات ، يلزم الفلسطيني وحده باتباع إجراءات التجنس الشائكة التي حددها القانون في المادة الثالثة . وعلى الفلسطيني أن يتقدم بطلب إلى السلطات الإسرائيلية ، وأن يكون مستوفياً للشروط التي حددها القانون . ومع ذلك فإن استيفاء تلك الشروط لا يعطيه الحق باكتساب الجنسية الإسرائيلية حكماً ، إذ عليه أيضاً أن يحصل على موافقة وزير الداخلية . وإذا قرر الوزير رفض الطلب ، فإن قراره قطعي وغير قابل للطعن .

(٢) نتائج تطبيق القانون على الفلسطينيين : هناك ثلاث نتائج مباشرة ترتبت على إصدار وتطبيق قانون الجنسية الإسرائيلي وتأثر بها الفلسطينيون :

أولاً ـ التجريد من الجنسية : فبعد قيام (دولة إسرائيل) توقف العمل بقانون الجنسية الفلسطيني الصادر عام ١٩٢٥ . وحتى صدور قانون الجنسية الإسرائيلي عام ١٩٥٢ استقرّ اجتهاد المحاكم الإسرائيلية على اعتبار الفلسطينيين بلا جنسية . ومع صدور قانون الجنسية تمّ رسمياً إلغاء قانون الجنسية الفلسطيني بأثر رجعي اعتباراً من تاريخ قيام (الدولة) . وهكذا فإن قانون الجنسية الإسرائيلي جرّد الفلسطينيين من جنسيتهم وأصبحوا « بلا جنسية » .

ثانياً ـ المقيمون بلا جنسية : ولما كانت الفقرة أ من المادة الثالثة من قانون الجنسية الإسرائيلي وضعت شروطاً صعبة لتجنيس الفلسطينيين ، فإن الذين لم يتمكنوا من استيفاء الشروط التي حددها القانون ، ولم يتمكنوا من الحصول على موافقة وزير الداخلية ، ظلوا بدون جنسية ، وما زالوا كذلك حتى الآن .

ثالثاً ـ المولودون بلا جنسية : تنص المادة الثالثة على أن من ولد بعد قيام (الدولة) ، وكان أحد والديه إسرائيلي الجنسية يكتسب الجنسية منذ يوم ولادته . فإذا لم يحصل أحد الأبوين على الجنسية الإسرائيلية لا يحصل أولاده عليها . وهكذا ما زال يولد في (إسرائيل) أطفال فلسطينيون بلا جنسية .

جاء التعديل الثاني لقانون الجنسية عام ١٩٦٨ واستحدث طريقة منح الجنسية الإسرائيلية بحكم « الولادة والإقامة » في (إسرائيل) . ويبدو من ظاهر النص أن أي فلسطيني ولد في (إسرائيل) ، ولم يحصل على الجنسية الإسرائيلية لأن أحد والديه لم يتمكن من الحصول عليها ، له الحق في أن يحصل على الجنسية الإسرائيلية بشرط أن يقدم طلبا حين يبلغ سن الثامنة عشرة وقبل أن يصل الى سن الحادية والعشرين ، وأن يكون مقيماً في (إسرائيل) قبل تقديمه الطلب بخمس سنوات متواصلة ، وأن يثبت أنه لم يحكم عليه بجرم ضد أمن (دولة إسرائيل) ، ولم يحكم عليه بجرم آخر لمدة خمس سنوات أو أكثر ، وأن يوافق وزير الداخلية على الطلب . وتطبيقاً لهذه الشروط فإن الفلسطيني الذي يولد بلا جنسية سيظل بلا جنسية حتى يبلغ سن الثامنة عشرة على الأقل ، ثم يقدم الطلب ويستوفي الشروط الأخرى . وإن لم يستوفها فسيظل بلا جنسية . ثم

إن الفلسطيني الذي ولد بلا جنسية ، وتجاوز الحادية والعشرين يوم صدور هذا التعديل ، سوف يبقى كذلك بلا جنسية .

المراجع :

ـ انيس فوزي قاسم : قانون العودة وقانون الجنسية الإسرائيليان ، دراسة في القانونين المحلي والدولي ، بيروت ١٩٧٢ .

الجَنَوِيُّـــون :

شهدت إيطاليا حركة إحياء للتجارة ، ولا سيما في حوض البحر التوسط ، فنمت بعض المدن التجارية الإيطالية نموا تجاريا وبحريا خاصا ، ودخلت في صراع مع الكنيسة والإنطاعية والإمبراطورية ، ربحت معظم جولاته ، وحصلت على بعض الامتيازات . وكانت مدينة جنوة من بين هذه المدن .

وقد نال أهل جنوة بعض الامتيازات الجمركية منذ عام ١٠٥٦ م ، فكان ذلك خطوة على طريق تكوين دويلتهم . ونشطت تجارة الجنويين في موانيء حوض البحر التوسط ومدنه ، ولا سيما في بلاد الشام . وعندما بدأت الحروب الصليبية نهيأت لتجارة جنوة ومثيلاتها من المدن الإيطالية منافذ جديدة للعمل والنشاط التجاري .

تدّم أساطيل الجنويين مساعدات هامة للحملات الصليبية المختلفة التي كانت تحتاج إليها (رَ : الفرنجة) ، فالصليبيون لم يكونوا يمتلكون أساطيل بحرية تساعدهم في الاستيلاء على مدن الساحل السوري من جهة ، وكانوا من جهة أخرى بحاجة إلى موارد مالية لموانيء إماراتهم التي أسسوها في المدن السورية ، وما كان لهذه الموارد أن تتوافر بدون نشاط تجاري يعوّض المقاطعة الاقتصادية الإسلامية للصليبيين .

لهذا كله ، اعتمد الصليبيون على أساطيل الجنويين وغيرهم من الإيطاليين ، وكان لوجودهم أثر كبير في تنشيط التجارة . وبالمقابل ، نال الجنويون امتيازات تجارية خاصة في مدن ساحل بلاد الشام كأنطاكية واللاذقية ، وغدت لهم ، مع الزمن ، أسواقهم وأحياؤهم وكنائسهم ومحاكمهم الخاصة بهم ، وأعفوا من الرسوم الجمركية ، ومنحوا قسما من دخل الموانيء التي ساعدوا الصليبيين على احتلالها .

وذكرت المصادر اللاتينية المبكرة أنه عندما كان الصليبيون عام ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩ م يحاصرون القدس * ، وصل مركبان جنويان إلى يافا * محملان بالمواد الغذائية وأدوات الحصار ، ومقابل هذا نال الجنويون حصة وافية من مغانم القدس بعد سقوطها بأيدي الصليبيين . وفي سنة ٥٠٣هـ وقّع ملك القدس بلدوين الأول معاهدة مع الجنويين في مدينة يافا قضت بمنح الجنويّين ثلث أسلاب وغنائم أية مدينة يتم احتلالها بمساعدتهم ، مع امتلاك شارع واحد خاص فيها . وعلى أساس هذه المعاهدة أسهم الجنويون في احتلال مدينتي أرسوف * وقيسارية * .

وفي سنة ٥٠٦ هـ وقّع الملك نفسه معاهدة ثانية مع الجنويين قضت بأنه يحق للجنويين امتلاك ثلث دخل ميناء عكا * ، وامتلاك كنيسة في المدينة مع السيادة الكاملة على شارع واحد من شوارعها ، وبأن يعفى الجنويون من الرسوم والضرائب ، وأن يمتلكوا ثلث كل من مدينتي أرسوف وقيسارية مع ثلث أية مدينة يساهمون في احتلالها في المستقبل ، وأن يمنح الجنويون شارعا في كل من القدس ويافا . وقد تعهد الملك بتسليم الجنويين أملاك أي جنويّ يموت في مملكة القدس اللاتينية * ، كما تعهد بمنح الحماية والأمان للتجار الجنويين وبضائعهم ، وأن يدفع للجنويين مبلغا سنويا قدره ٣٠٠ قطعة نقدية ذهبية .

وكانت هذه المعاهدة قد أبرمت قبل احتلال الصليبيين عكا ، وبالفعل أسهم الجنويون في احتلال عكا عام ٥٠٦ هـ ، ثم بيروت عام ٥١٢ هـ . وفيما بعد جدّد ملوك الفرنجة في القدس هذه المعاهدة أكثر من مرة ، وسمحوا للجنويين بمحاكم خاصة في عكا وصور .

وفي مدينة بيروت قام صاحبها حتا إيبلين سنة ٦١٨هـ/١٢٢١ م بمنح الجنويين امتيازات تجارية مدنية تضمّنت إعفاءهم من الرسوم والضرائب على جميع متاجرهم الصادرة والواردة ، مع حق إنشاء محكمة خاصة لمحاكمة الرعايا الجنويين وسوق خاص للسلع الجنوية .

ولم تؤثر انقلابات السياسة داخل الوسط الصليبي كثيرا على الامتيازات الممنوحة للجنويين . فعندما كانت تنغير السلطة في مدينة من المدن كان الحكم الجديد يقوم بتأكيد الامتيازات الممنوحة أو بزيادتها . وعندما انفجر الصراع حول عرش القدس بين غي دو لوزنيان وكونراد مونتفرّا في سنة ٥٨٦ ـ ٥٨٨هـ/١١٩٠ ـ ١١٩٢ م (رَ : القدس ، مملكة ـ اللاتينية) سعى كل من الطرفين المتنازعين إلى كسب تأييد إحدى الجماعات الإيطالية ومساندتها ، وذلك عن طريق زيادة الوعود بالمنح والامتيازات . ووقف الجنويون إلى جانب كونراد ، والبيازنة * مع خصمه . وحصل هذا النزاع في منطقة عكا ، لأن القدس كانت قد تحررت على يد صلاح الدين (رَ : حطّين ، معركة) ، ونتيجة لهذا الصراع طرد كونراد البيازنة من صور وثبت الجنويين فيها .

وعندما سقطت عكا إثر الحملة الصليبية الثالثة (٥٨٣هـ/١١٨٧م) ، حدثت مصادمات دموية بين البيازنة

والجنويين داخل عكا ، ودبر الجنويون مؤامرة للاستيلاء على عكا وتسليمها لكونراد ، لكن ريتشارد قلب الأسد تمكن مع البيازنة من كشف المؤامرة واحباطها ، ثم دبّر المصالحة بين الجنويين والبيازنة خشية أن ينضم أحد الطرفين إلى المسلمين .

ولم يطل عمر هذا الصلح لأن غي لوزنيان صار حاكما لقبرص ، وآلت مقاليد صور إلى حاكم صليبي جديد هو هنري شمباني . ومن جديد تصارع حاكم صور مع غي من أجل عرش القدس ، ووقف الجنويون إلى جانب صور ، وأدّى هذا إلى طرد البيازنة من صور وعكا .

لم يتوقف صراع الجنويين وغيرهم من الإيطاليين ، ولم ينحصر في البيازنة ، بل كان أشد عنفا مع البنادقة * الذين تمكنوا في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي من السيطرة على القسطنطينية بمساعدة الحملة الصليبية الرابعة ، وطردوا الجنويين من الأراضي البيزنطية . لذلك اضطر هؤلاء إلى تركيز نشاطهم التجاري في الشام ونافسوا البنادقة هناك بشدة وعنف ، وشهدت عكا في القرن الثالث عشر الميلادي مصادمات دموية بين الجنويين والبنادقة ، وقادت هذه المصادمات إلى انقسام الصليبيين في الشرق ، وتورطت فيها قوى في أوربا نفسها ، إلى حدّ أدّى إلى تدخل البابوية . وعندما لم تفلح جهود المصالحة تحالف الجنويون مع السلطان المملوكي بيبرس * وتعهدوا بأن يساعدوه على احتلال عكا .

وفي الحقيقة ، كان أثر الدويلات الإيطالية في الحملات الصليبية كبيرا ، وكانت دوافع إسهامهم الأولى الحصول على المزيد من الامتيازات الاحتكارية التجارية .

المراجع :

— Atiya. A.S.: **Crusade, Commerce and Culture,** Bloomington 1962.
— Latouche, R.: **The Birth of Western Economy,** London 1961.
— Pirenne, H.: **Medieval Cities,** Princeton 1939.
— Pounds, N.J.G.: **An Economic History of Medieval Europe.**

جنيف (مؤتمر —) :

ر : السلام للشرق الأوسط (مؤتمر —)

جنين (مدينة —) :

مدينة عربية ، ومركز قضاء يحمل اسمها . سميت بهذا الاسم بسبب الجنائن التي تحيط بها . حاول الصهيونيون احتلالها عام ١٩٤٨ ، لكنهم فشلوا أمام استبسال المدافعين العرب عنها . إلا أنهم احتلوها عام ١٩٦٧ ، مثلما احتلوا أجزاء الضفة الغربية الأخرى . وهي اليوم تعاني من وطأة الاحتلال الإسرائيلي .

أ ـ الموقع الجغرافي : تميز موقع جنين بأهمية كبيرة عبر العصور التاريخية ، لأن المدينة تقوم عند النهاية الشمالية لمرتفعات نابلس فوق أقدام الجبال المطلّة على سهل مرج ابن عامر * ، وهي خط التقاء بيئات ثلاث ، البيئة الجبلية والبيئة السهلية والبيئة الغورية . ومن الطبيعي أن يكون موقعها مركز تجمع طرق المواصلات القادمة من نابلس * والمتوجهة * وبيسان * . ولا بد من أن يمر بها المسافرون بين هذه المدن التي تمثل البيئات الثلاث السالفة الذكر . وجنين نقطة مواصلات مهمة في الطرق المتجهة من حيفا * والناصرة * شمالا إلى نابلس والقدس * جنوبا .

ارتبطت مدينة جنين في عهد الانتداب البريطاني بسهل مرج ابن عامر والجليل وحيفا ، إلى جانب ارتباطها بنابلس . وبعد عام

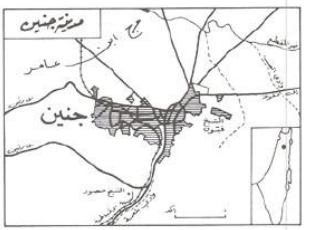

١٩٤٨ فصلت جنين عن المناطق الشمالية المحتلة من فلسطين ، واقتصر ارتباطها على المناطق الجنوبية في الضفة الغربية ، وبذلك فقدت مركزها التجاري بسبب انقطاع خطوط النقل والمواصلات مع المدن الشمالية وحيفا . وأصبحت مدينة تقع في طرف الممر من الضفة الغربية ، بعد أن كانت تتوسطه .

ب ـ أشكال سطح الأرض : جنين مدينة سفحية ينتشر عمرانها بشكل رئيس على امتداد سفوح الجبال المطلة على سفح مرج ابن عامر . وتقوم المدينة على زاوية مثلث واسع يتألف من سهل مرج ابن عامر الذي يمثل فتحة طبيعية في وسط المرتفعات الجبلية الفلسطينية ، تربط بين وادي الأردن والسهول الساحلية لفلسطين . ولموضع جنين أهمية خاصة ، لأن المدينة تشرف منه على أحد مداخل المرج المؤدية إلى جبال نابلس . وتمتد المدينة فوق رقعة محصورة بين واديين يرفدان نهر المقطع * ، أحدهما يخترقها من طرفها الشرقي ، والثاني يكوّن الحد الغربي للمدينة . وتغذّي عين جنين (المعروفة باسم عين نينه)

الوادي الشرقي بالماء ، وتمتد الجنائن الخضراء وأشجار النخيل والعنّاب على طول مجرى الماء .

تنحدر أرض المدينة بصفة عامة من الجنوب إلى الشمال ، ومن الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي . ويبلغ ارتفاع أرض جنين القديمة نحو ١٥٧ م فوق سطح البحر . أما جنين الحالية فإن أرضها تعلو بين ١٢٥ و٢٥٠ م فوق سطح البحر . وتمتد مجموعة من التلال * إلى الجنوب من جنين يراوح ارتفاعها بين ٢٥٠ و٣٠٠ م . وتوجد شرقي وغربي المدينة بعض التلال والسلاسل الجبلية المنحدرة نحو سهل مرج ابن عامر .

تسود تربة البحر المتوسط الحمراء (التيّرا روزا) أراضي المرتفعات المحيطة بالمدينة . أما التربة * في أراضي المرج فمعظمها تربة منقولة من المرتفعات ، وتجمع صفات تربة البحر المتوسط الحمراء وصفات التربة الموضعية السمراء ، فهي تربة خصبة ذات إنتاج كبير . وتنتشر التربة الطمية في مناطق الأودية الجبلية وأودية المرج التي ترفد نهر المقطع .

جـ ـ المناخ * والمياه : مناخ جنين معتدل بصفة عامة ، لأنه ينتمي إلى مناخ البحر المتوسط بصفاته المعروفة . ويبلغ المتوسط السنوي للدرجات الحرارة في جنين نحو ١٩,٥°. ويسوّاح المتوسط السنوي للنهاية الصغرى والنهاية الكبرى لدرجات الحرارة ما بين ١٤° و٢٨° . ويبلغ العدل السنوي للرطوبة النسبية نحو ٥٨٪ . أما قيم التبخّر والنتح فإنها أقل منها في المناطق المجاورة . والموازنة المائية هنا في وضع أفضل من وضعها في جبال نابلس * أو في المرج نفسه .

بلغ متوسط كمية الأمطار السنوية التي هطلت على جنين (في الأعوام ١٩٠١ ـ ١٩٤٠) نحو ٤٩٢ مم وهي كافية لنمو معظم المحاصيل الزراعية حول جنين . وتتوزع على ٥٧ يوما من أيام السنة ، وعلى ثمانية شهور فقط . وتهطل معظم كمية الأمطار في ٤ شهور ، في فصل الشتاء . ويبدأ الموسم بأمطار ذات كمية قليلة ، فيتلقى شهر تشرين الأول في المتوسط نحو ١٦,٨ مم ، وشهر تشرين الثاني نحو ٥٢,٨ مم . ثم تزداد كمية الأمطار إلى ٥٩,٢ مم في شهر كانون الأول ، وإلى ١٣٨,٩ مم في شهر كانون الثاني، وإلى ١٠٥,٢ مم في نيسان شباط . أما شهر آذار فيتلقى ٤٨,٧ مم ، وشهر نيسان ٢٨,٩ مم ، وشهر أيار ٥,٥ مم . وتتلقى الأطراف الغربية الشمالية لجنين كميات من الأمطار أكبر من التي تتلقاها بقية أجزاء المدينة .

تتضافر عوامل كثيرة ، كالبناء الجيولوجي لأرض المدينة ، وأشكال سطح الأرض ، وأنواع التربة والنباتات الطبيعية * ، والظروف المناخية ، في إيجاد نوع حسن من الموازنة المائية التي تسمح بتوفير مقادير كافية من المياه الجوفية في منطقة جنين . ومن هنا تفسر شهرة جنين بينابيعها وآبارها ومسيلاتها المائية وجناتها عبر العصور التاريخية . ولكن المياه أصبحت شحيحة في السنوات الأخيرة بسبب الاستغلال السيء للمياه الجوفية . لهذا تعتمد جنين حاليا في شربها على مياه بئر في قرية عرّابة * تنقل إليها بالأنابيب .

د ـ النشأة والنمو :

١) في العصور القديمة : يعدّ مرج ابن عامر من أخصب أراضي فلسطين الزراعية ، فمياه الينابيع تكثر في بطون أوديته ، مما وفّر بيئة ملائمة لاستقرار الإنسان في تلك المنطقة ، فنشأت مراكز العمران البشري كقرية عين جنيم التي أقامها الكنعانيون في موقع جنين الحالي بين مدن فلسطين الشمالية : بيت شان ـ بيسان ـ وعجدّو * ، ودوثان .

ولا شك في أن موقع عين جنيم قد ترك بصماته على تاريخها منذ أن نشأت ، فكانت عرضة للقوات الغازية المتجهة جنوبا أو شمالا من بابليين وآشوريين ومصريين وآراميين * وسواهم . وبالقرب منها لقي ملك العبرانيين شاؤل وأبناؤه الثلاثة مصرعهم في حربهم مع الفلسطينيين * ، وكانت جنين أحيانا تتعرض للتدمير والخراب أثناء الغزو .

أطلق على عين جنيم اسم جينا في عهد الحكم الروماني ، ثم ورث البيزنطيون حكم البلاد ، وأقيمت في عهدهم كنيسة في جينا عثر المنقبون الأثريون على بقاياها بالقرب من جامع جنين الكبير ، ويرجح أن تاريخ إنشائها يعود للقرن السادس الميلادي .

وفي القرن السابع الميلادي نجح العرب المسلمون في طرد البيزنطيين منها ، واستوطنتها بعض القبائل العربية ، وعرفت البلدة لديهم باسم جنين الذي حرّف نبيا بعد إلى جنين . وتبعت في التقسيم الإداري الإسلامي لجند الأردن الذي كانت طبرية حاضرة له (ز : الإدارة) .

٢) في عهد الصليبيين : توالى على حكم جنين وغيرها من المدن الفلسطينية الأخرى ، بعد الخلفاء الراشدين (ز : عصر الراشدين)، الأمويون (ز : العصر الأموي) ، ثم العباسيون (ز : العصر العباسي) والفاطميون * وقوى الزعامات المتنفذة ، إلى أن دهم الغزو الصليبي البلاد فوقعت بلدة جنين في يدي تنكريد دوق نورمانديا سنة ٤٩٦ هـ/١١٠٣ م وضمت لإمارة بلدوين ومملكة بيت المقدس * ، وأطلق الصليبيون على البلدة اسم جيرين الكبرى ، وغدت في تنظيمهم الإداري مركز فيكونت ، وبنوا فيها القلاع ، وأحاطوها بالأسوار لأهميتها في جنوب المرج .

حمل السلطان صلاح الدين الأيوبي * لواء الجهاد لتحرير البلاد من الصليبيين ، وحينما أغارت قواته على الكرك سنة ٥٨٠ هـ/١١٨٥ م ، تجمعت قوى الصليبيين وأسرعت لإنقاذها ،

فاغتنم المسلمون ضعف قوى الفرنجة * في جنين والمناطق المجاورة لها ، وأغاروا عليها ، ونقيرا قاعدة جنين ، وغنموا منها الشيء الكثير ، ثم انسحبوا منها . لكنهم عادوا لاستردادها بعد أن هزموا الصليبيين في معركة حطين * المشهورة سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧ م .

عادت سيطرة الصليبيين على جنين بموجب اتفاق الكامل الأيوبي وفريدريك الثاني الامبراطور سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م . ثم نجح الملك الصالح أيوب في إخراجهم نهائيا منها سنة ١٢٤٤ م . وفي سنة ١٢٥٥ م غدت فلسطين تتبع سلاطين المماليك ، وكانت جنين تحت سيادتهم تتبع سنجق اللجون . وظلت البلدة في حوزتهم إلى آخر عهدهم .

٣) في عهد المماليك : كانت جنين في عهد المماليك * من مراكز البريد * الهامة ، ينطلق البريديون منها إلى دمشق وصفد وغزة ومصر ، عبر محطات البريد الكثيرة . وكانت أيضا محطة للحمام الرسائلي ـ الزاجل ـ الذي يطلق من أبراجها إلى مختلف الجهات . واتخذت كذلك محطة على طريق نـاقلي الثلج بـرًا من دمشق إلى القاهرة .

وقد أنشأ الأمير طاجار الداوادار المملوكي سنة ٧٤٠/ ١٣٤٠ م خانا في جنين ، وألحق به سبيلا يجري إليه الماء ، وعمل به حماما وعدة حوانيت يباع فيها ما يحتاج إليه المسافر . وكان الخان حسن البناء جليل النفع لرجال البريد والمسافرين ، ليس على الطريق من غـزة إلى دمشق « أرخص منه ولا أحسن ، ولا أزيـد نفعا منه ولا أزين » .

ولي أواخر الحكم المملوكي لبلاد الشام ظهر في منطقة جنين أمراء قبيلة حارثة الطائية ، وكان لهم قدم في الإمارة ، وما زالوا في جنين وما والاها من البلاد لهم العزة والحرمة . وقف زعيمهم إلى جانب العثمانيين في غزوهم لبلاد الشام سنة ٩٢٢ هـ/١٥١٦ م ، فاعترفوا بتفوقه في سنجق اللجون الذي غدا تابعا لولاية دمشق .

وفي ولاية لالا مصطفى باشا على دمشق أنشأت زوجته فاطمة خـاتون في جنين جامعـاً كبيراً ثمّ بناؤه سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦ م ، وحمّاما وتكية وعدة دكاكين . وحبست للإنفاق على هذه المنشآت عدة أملاك (رَ : التكايا) .

٤) في حكم آل طرباي : كان الأمير أحمد بن طربـاي * الذي ولي حكم جنين سنة ١٠١٠هـ/١٦٠٢ م تحت سيادة العثمانيين من أبرز أمراء قبيلة حارثة ، ولي في مبدأ أمره حكومة صفد ، ثم تولى حكومة اللجون سنة عشرة بعد الألف الهجري. واشترك في الفتن والحروب التي نشأت عن تنازع ولاة الدولة العثمانية وظهور الزعماء المحليين . وانضم إلى والي طرابلس يوسف سيفا في حربه مع والي حلب علي جنبلاط سنة ١٠١٦هـ/١٦٠٧ م ، وأدّت أضلع الأسير فخر الدين المعني الثاني التوسعية إلى نشوب الحرب بينه وبين أمراء المناطق المجاورة ، وقام فخـر الـدين بغـزو جنـين سـنة ١٠٣٢هـ/١٦٢٣ م ، ولّما لم تحقق حملته أغراضها عاد إلى غـزو المنطقة في السنة التالية .

وقد اضطر الأمير أحمد بن طرباي إلى الانسحاب من جنين إلى منطقة يافا أثناء غزو الأمير فخر الدين المعني الثاني الذي فشل أمام تحالف ابن طربـاي وعرب السوالمة . وقد قـوى هـذا التحـالف بانضمام حاكم غزة وقبيلة العائد إليه سنة ١٠٣٣هـ/١٦٢٤ م ، مما جعل فخر الدين يقنع بالعودة إلى بلاده ، وترك حامية في جنين قضى عليها آل طرباي وغنموا أسلحتها ، ثم أخذوا يشنّون الغارات على بلاد فخـر الـدين ويغنمـون من أمـوالهـا إلى أن تمّ الصلح بـين المتحاربين .

لم يلبث ذكر آل طرباي الخارجين أن خمد بعد موت الأمير أحمد سنة ١٠٥٧هـ/١٦٤٧ م . وخرج حكم جنين من أيديهم . وحينما زار الشيخ عبد الغني النابلسي * البلدة سنة ١١٠١هـ/١٦٩٠ م وجد فيها نائبا لحاكم سنجق اللجون التابع لولاية صيدا بعد إنشائها سنة ١٠٧١هـ/١٦٦٠ م . ولم يجد الشيخ من آثار آل طـربـاي إلاّ قبورهم التي لا يزال بعضها إلى اليوم في جنين .

٥) الفتن الأهلية : زار الشيخ مصطفى اللقيمي جنين في القرن الثامن عشر ، ونزل في خانها المعدّ للمسافرين ، ووصف الرياض المحيطة بجوانبه والماء الجاري في مشارق الخان ومغاربه . وأحد الزعماء المحليون من آل جرّار يسيطرون على منطقة جنين في هذا القرن ، وكانوا ، بمَالها ، تحت سيادة الدولة العثمانية .

وقد تعرضت جنين للنهب والحريق أثناء الحملة الفرنسية * على فلسطين انتقاما من أهلها الذين حاربوا الفرنسيين بجانب الجيش العثماني في مرج ابن عامر . وبعد اندحار الحملة الفرنسية عن أسوار عكا أصبحت جنين مركزا لمتسلم يتوب عن والي صيدا .

وحينما نجح إبراهيم باشا ابن محمد علي في طرد الأتـراك من فلسطين جعل جنين مركز لواء خاصا بها ، واختار حسين عبد الهادي حاكما لها . لكن حكم المصريين لم يطل ، وأخرجوا من سورية سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠ م (رَ : الحكم المصـري) ، فعـادت جنـين قائمقامية في متصرفية نابلس التابعة لولاية بيروت التي أنشئت بدلا من ولاية صيدا .

تعرضت جنين ومنطقتها إلى موجة من الفتن والحروب ، في منتصف القرن التاسع عشر ، بين القوى المحلية المتصارعة ، مما دفع الدولة العثمانية إلى تجريد حملة ضدهم ، فرضت سيادة الدولة ، واتخذت تدبير شؤون جنين من قبل موظفيها مباشرة ، فتوفر للبلدة هدوء وانتعاش ، وبنيت فيها عدة بيوت ، امتاز بعضها بالضخامة

الدّالة على ثراء أصحابها ، ورصفت بعض شوارع جنين بالحجارة ، وأقيم فيها سوق ظلّ إلى فترة قريبة مستعملا ، ويعرف لدى الأهلين بالسوق القديم .

وفي مطلع القرن العشرين ارتبطت جنين بالسكك الحديدية التي وصلتها بالعفولة وبيسان ونابلس ، وأنشىء في المدينة مجلس بلدي للإدارة المحلية ، وشقّ بينها وبين نابلس طريق معبد .

أقام الجيش الألماني في الحرب العالمية الأولى مطارا عسكريا غربي جنين . وعسكر بها الجيش العثماني إلى أن اضطر للانسحاب من فلسطين شمالا عبر جنين وبيسان أمام زحف الجيش البريطاني الذي احتل جنين مساء ١٩١٨/٩/٢٠ ونصب عليها حاكما عسكريا .

٦) في عهد الانتداب البريطاني : ظلّت جنين قرية حتى بداية عهد الانتداب ، عندما أصبحت مركزا لقضاء جنين . وكانت خلال الحرب العالمية الأولى تقوم على مساحة محدودة من جبل عز الدين ببيانيها المصنوعة في معظمها من الطين ، ولم يتجاوز عدد سكانها آنذاك ٢,٠٠٠ نسمة . لكنها كانت محاطة بالأراضي الزراعية المنتجة للحبوب * والأشجار المثمرة والأحراج وغيرها . وقد اشتهرت آنذاك بكثرة أشجار الزيتون في أراضيها ، وبوجود معاصر الزيتون ، وضمت كذلك عشرات الحوانيت ، ومسجدا ومدرسة صغيرة .

مما عدد سكان جنين بعد الحرب العالمية الأولى ، ووصل حسب تعداد عام ١٩٢٢ إلى ٢,٦٢٧ نسمة . ثم زاد العدد إلى ٢,٧٧٤ نسمة في عام ١٩٣١ وكانوا يسكنون في نحو ٦٢٦ بيتا . وفي نهاية عام ١٩٤٠ بلغ عدد سكان جنين ٣,٠٤٤ نسمة ، ثم زادوا إلى ٣,٩٩٠ نسمة عام ١٩٤٥ .

ومن الطبيعي أن يواكب هذا التطور في نمو سكان جنين تطور آخر في نموها العمراني . وساعد على سرعة هذا التطور منذ بداية عهد الانتداب أنها أصبحت مركز قضاء . وضمت بلدية لرعاية شؤونها وتنظيم مبانيها . وقد اهتمت البلدية بفتح الشوارع وتوفير المرافق العامة ، ونشطت حركة العمران حتى بلغ مجموع رخص البناء المعطاة عام ١٩٤٤ نحو ٣٠٨ .

اشتملت جنين على سوق قديمة يطلق عليها محليا اسم السبياط . وكانت هذه السوق في عهد الانتداب مركز المدينة التجاري عندما كانت المدينة صغيرة . واشتملت أيضاً على مجموعة أحياء سكنية تشبه في تركيبها المدن العربية القديمة التي تزدحم البيوت والمساكن فيها وتتلاصق . وتتخلل الأحياء أزقة ضيقة . وقد ظلّت مساحة المدينة صغيرة حتى نهاية عهد الانتداب عندما وصلت إلى نحو ١,١٠٥ دونات .

٧) بعد ١٩٤٨ : وحينما بدأت حرب ١٩٤٨ * هاجم الصهيونيون قرى جنين في مرج ابن عامر واحتلوا كثيرا منها ، ثم قاموا بتطويق جنين في ١٩٤٨/٦/٣ ، واستولوا على معظم أحياء المدينة ، وأخذوا يفصفون مركز تجمع المجاهدين قصفاً شديدا . ولكن وصول التجدات العراقية والفلسطينية كبّد الصهيونيين خسائر كبيرة فانسحبوا خائبين ، وتمكّن المجاهدون من استرداد عدة قرى شمالي جنين قبل وقف اطلاق النار .

أثّرت الأحداث السياسية التي تعاقبت على المنطقة منذ عام ١٩٤٨ في المدينة مثلما أثّرت في غيرها من المدن الفلسطينية ، إذ تدفقت أفواج اللاجئين للإقامة في جنين فزاد عدد سكانها عام ١٩٥٠ إلى ١٠,٠٢٠ نسمة . وبلغ عدد السكان وفقا لتعداد ١٩٦١ نحو ١٤,٤٠٢ نسمة ألفوا ٢,٥٩٨ أسرة ، وسكنوا في ٢,٥٥٥ بيتا . وقدّر عدد سكان جنين عام ١٩٧٨ بنحو ٣٠,٠٠٠ نسمة . وقد أدّى ذلك إلى زيادة في حركة البناء والعمران ، وتوسعت المدينة ، وامتدت فوق رقعة من الأرض بلغت مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة المدينة في أواخر عهد الانتداب . وزحف هذا النمو العمراني إلى الأراضي الزراعية فخسرت جنين كثيرا من أراضيها الزراعية .

نتج من ضغط السكان تردّي الأحوال الاقتصادية في المدينة ، وحدثت هجرة بشرية إلى الضفة الشرقية للأردن وإلى بلدان الخليج وشبه الجزيرة العربية . ومعظم الذين يهاجرون من المدينة هم من أصحاب الكفايات والجامعيين الذين يبحثون عن فرص عمل أفضل . وعلى الرغم من الآثار السلبية للهجرة فإنها أدّت إلى إنعاش المدينة وأعادت إليها بعض الازدهار . وشكّل المهاجرون مصادر مهمة لدخل المدينة عن طريق التحويلات والمساعدات المالية التي يرسلونها إلى ذويهم ، فنشطت الحركة الاقتصادية ، وزادت خدمات الماء والكهرباء ، والخدمات الصحية ، وأخذت المدينة تتسع عمرانيا وحضريا . وأدّى ذلك إلى تزايد الضغط على قدراتها الإدارية والمالية القليلة .

وقد واكب هذه التطورات إعادة النظر في مخططات المدينة التنظيمية . وأوجد النشاط التجاري المتزايد أسواقا حديثة أقيمت على الشوارع المنظمة . وأضافت المدينة إلى حيّها السكني القديم المسمّى بالحارة الشرقية أحياء سكنية جديدة انتشرت خارج نطاق هذه الحارة . وتعدّ المنطقة الغربية في المدينة أرقى أحيائها السكنية لما تتمتع به من موقع سفحي جميل ، ولما تتميز به من مبان جميلة وبيوت عصرية .

هـ ـ التركيب الوظيفي : ظهر أثر تقدم جنين وتحولها من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية في وظائفها ، فغدت المدينة اليوم تمارس مجموعة من الوظائف تسبغ على المدينة شخصيتها الخاصة .

١) الوظيفة الزراعية : تمارس جنين هذه الوظيفة منذ القديم . فهي بحق مدينة زراعية لصلاح أراضيها للزراعة من جهة ، وللاءمة

الظروف المناخية من جهة ثانية . بلغت مساحة أراضي المدينة عام ١٩٤٥ نحو ١٨,٧٦٩ دونما ، منها ١٧٥ دونما للطرق * والسكك الحديدية * والأودية ، و١,١٠٥ دونمات مساحة جنين نفسها . زرعت في أراضي جنين الحبوب والقطاني والخضر * بأصنافها المختلفة . وقد شغلت هذه المحاصيل الزراعية رقعة مساحتها ٢,٣٠٠ دونم . وشغلت أشجار الزيتون آنذاك ٦٧٠ دونما ، وأشجار الفواكه كالتين واللوز والمشمش وغيرها ٥٠٠ دونم .

زادت مساحة الأراضي الزراعية حول جنين بعد عام ١٩٤٨ إلى أضعاف مساحتها السابقة . ويعود السبب في ذلك إلى ازدياد ضغط السكان على الموارد الزراعية . وأصبحت جنين مكتفية بإنتاجها الزراعي الذي أخذ يتزايد بنسب عالية في السنوات الأخيرة ، حتى إنه حقق فائضا يصدّر إلى أسواق المدن المجاورة ، وإلى أسواق الضفة الشرقية ودول الخليج العربي .

وقد انكمشت المساحات المخصصة لزراعة الحبوب لتحل محلها زراعة الأشجار المثمرة والخضر . وتميز جنين اليوم بجودة إنتاجها من الخضر والفواكه وتنوعه وكثرته . ورغم هذا النجاح تعاني الزراعة * في جنين مشكلات ، أبرزها عزوف الشباب عن العمل في الزراعة ، وتناقص المياه الجوفية ، وانجراف التربة .

ويرتبط قطاع الثروة الحيوانية بقطاع الزراعة في جنين ، ولكن تربية المواشي من أغنام ومعز لا تزال تعتمد على المراعي الطبيعية التي تنمو الأعشاب فيها خلال فصل الربيع . وهناك بعض المزارع التي تهتم بتربية الأبقار وبتسمين الأغنام ، لكن عددها قليل .

٢) الوظيفة الإدارية : كانت جنين مركز قضاء يشتمل على مساحة كبيرة تقدّر بنحو ٨٣٥,٠٠٠ دونم من الأرض ، وعلى عدد من السكان قدّر بنحو ٥٧,٠٠٠ نسمة . وكان يلحق بجنين في أواخر عهد الانتداب زهاء ٦٠ قرية ، و١٧ خربة . وتعدّ قرى عرّابة وبعبد * وقباطية * وجبع * وميثلون * وصانور وسيلة الحارثية * واليامون * من أكبر القرى التابعة إداريا للمدينة . وقد تعرّض قضاء جنين لاحتلال جزء منه في عام ١٩٤٨ ولاقتطاع جزء منه وفقا لخط الهدنة عام ١٩٤٩ ، فانكمشت مساحته وانخفض عدد سكانه لضم جزء من قراه وخربه إلى الأرض المحتلة من جهة ، ولهجرة بعض السكان إلى الضفة الشرقية وبلدان الخليج العربي من جهة ثانية .

احتفظ قضاء جنين بما تبقى لديه من قرى وخرب ، وأصبح جزءاً من محافظة نابلس في الضفة الغربية . وظلّت مدينة جنين مركزا له تضم مختلف الدوائر الحكومية كدوائر التربية والتعليم والزراعة والبيطرة والصحة والشؤون الاجتماعية وغيرها . وتقدم هذه الدوائر خدماتها لجميع المواطنين في القضاء ، سواء أكانوا من سكان مدينة جنين أم من سكان القرى التابعة لها .

٣) الوظيفة التجارية : كان التوجه الجغرافي لتجارة جنين قبل عام ١٩٤٨ نحو حيفا والناصرة وبيسان وصفد . وبعد عام ١٩٤٨ انقطعت جنين عن هذه المدن التي احتلها الصهيونيون ، واقتصر اتصالها على مدن وقرى الضفة الغربية بصورة رئيسة ، وعلى الضفة الشرقية والمناطق العربية المجاورة بصورة ثانوية . وقد واجه التجار في جنين مصاعب كبيرة نتيجة هذا التحول المفاجيء فنجم عن ذلك سوء الأحوال الاقتصادية ، وكساد التجارة . واضطر بعضهم إلى الاتجاه نحو حرف أخرى غير التجارة .

وبعد أن استقر الوضع في جنين عادت الحركة التجارية تدبّ في أوصال المدينة تدريجيا . وكان للاستثمارات المالية أثر هام في تطوير الزراعة والتعليم ، وفي إعمار المدينة وفتح المحلات التجارية والأسواق الجديدة .

وتنشط في جنين حركة التجارة * الخارجية وعمليات الاستيراد والتصدير . فجنين تستورد المنتجات الصناعية من الخارج وتصدّر الخضر والفواكه . أما القرى المحيطة بجنين فإنها المصدر الرئيس لتزويد أسواق جنين بالخضر والفواكه وغيرها . وإلى جانب ذلك كله تقام في المدينة سوق للمواشي كل يوم إثنين تعرض فيها المواشي للبيع .

٤) الوظيفة التعليمية : اشتملت جنين على مدرستين كانتا تابعتين لإدارة المعارف الحكومية في عام ١٩٤٥ ، إحداهما للبنين والثانية للإناث . وفي عام ١٩٤٧/١٩٤٨ أصبحت مدرسة البنين مدرسة ثانوية كاملة . وتطور التعليم تطورا كبيرا بعد عام ١٩٤٨ فضمّت جنين في العام الدراسي ١٩٦٢/١٩٦٣ ست مدارس تابعة لوزارة التربية والتعليم ، منها أربع مدارس للبنين تضم ١,٠٨٤ طالبا ، واثنتان للإناث تضمان ٩٥٤ طالبة . وفي العام الدراسي ١٩٦٦/١٩٦٧ اشتملت جنين على سبع مدارس ، أربع للبنين

(ثانويتان وإعدادية وابتدائية) ، وثلاث للإناث (ثانوية وإعدادية وابتدائية) ، تضم جميعها ٢,٢٩١ طالبا و١,١٩٣ طالبة .

ولوكالة غوث اللاجئين أربع مدارس في جنين، اثنان للبنين (١,١٠٩ طلاب) واثنتان للإناث (١,٠٦٥ طالبة) . وفيها أيضا مدرستان خاصتان ، إحداهما ثانوية للبنين (٢٤٠ طالبا) ، والثانية روضة أطفال تابعة لجمعية الهلال الأحمر (١٥٣ طفلا) . وقد أثرت النهضة التعليمية الشاملة في جنين في المستويات الثقافية المرتفعة لسكانها ، وأصبحت المدينة تصدّر الطاقات البشرية بمختلف تخصصاتها العلمية إلى الخارج . وتشير الدلائل إلى أن آلاف المعلمين والموظفين والأطباء والمهندسين والفنيين والعمّال من أبناء جنين يعملون في منطقة الخليج .

المراجع :

- إحسان النمر : المختار من الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية للشيخ عبد الغني النابلسي ، نابلس ١٩٧٢ .
- إسماعيل الخطيب الطوباسي : كفاح الشعب الفلسطيني ، عمان ١٩٧٩ .
- سليمان أوغز الدين : إبراهيم باشا في سورية ، بيروت ١٩٢٩ .
- عارف العارف : النكبة ، بيروت ١٩٥٦ .
- القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القاهرة ١٣٣١ - ١٣٣٨ هـ .
- كمال عبد الفتاح : مدينة جنين ، دمشق ١٩٦٤ .
- المحبي : تاريخ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، القاهرة ١٢٨٤هـ .
- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٣ ، ق ١ ، بيروت ١٩٧١ .
- أبو شامة : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين الصلاحية والنورية ، القاهرة ١٢٨٧ هـ .
- المقريزي : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ١٩٥٦ - ١٩٧١ .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة جنين .

جنين (سجن ـ) : رَ : السجون الإسرائيلية

جنين (مؤتمر ـ) : رَ : المؤتمر العربي الفلسطيني

الجنيه الفلسطيني : رَ : النقود

الجهاد (صحيفة ـ) :

جريدة يومية سياسية مصورة صدرت في مدينة القدس * سنة ١٩٥٣ لأصحابها محمود أبو الريّف (المحرر المسؤول) ، وسليم الشريف (رئيس التحرير) ومحمود يعيش (مدير الإدارة) . والأحير أحد أصحاب « العهد الجديد » التي كانت تصدر في يافا * ، وصاحب « الشعب » * التي صدرت في القدس العربية بعد احتلالها .

عالجت الجهاد خلال فترة صدورها الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وكانت من الصحف الواسعة الانتشار في الأردن .

استمرت الجهاد في الصدور إلى أن توقفت في آذار ١٩٦٧ ، بناء على قرار الحكومة الأردنية الرامي إلى تعطيل الصحف الأردنية ، وإعادة تنظيمها من جديد . وقد شكلت الجهاد والدفاع * بعد ذلك جريدة يومية اسمها القدس * . وقد خطف مجهولون رئيس تحريرها سليم الشريف وقتلوه .

المراجع :

- علي الخطيب : الصحافة العربية في الأرض المحتلة ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد ٢٢ ، أيار - حزيران ١٩٧٧ ، بغداد .

الجهاد المقدس (قوات ـ) : رَ : جيش الجهاد المقدس

جهنّم (وادي ـ) : رَ : ابن هنوم (وادي ـ)
رَ : النار (وادي ـ)

الجوّالة الإسلامية (منظمة ـ) :
رَ : ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩

الجوامع والمساجد :

بدأ بناء المساجد في فلسطين عقب الفتح الإسلامي مباشرة في عهد عمر بن الخطاب * . فكلما فتحت مدينة أقيم فيها مسجد . لذلك فإن أول المساجد بني في المواقع التي فتحت أولا ، مثل قيسارية * ونبسطية * ونابلس * واللد * ويافا * وأجنادين وبيسان * . وقد دعيت كثير من المساجد التي بنيت بعد الفتح بالمساجد العمرية .

ومن هذه المساجد الأولى : مسجد عمر في الحرم القدسي الشريف ، وقد زالت معالمه منذ القرن الأول للهجرة ، والمسجد

تلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الأرثوذكسية في عكا ، ثم انتقل إلى القدس * حيث تلقى تعليمه الثانوي في الكلية الأرثوذكسية . وكان أستاذه في المرحلتين نخلة زريق* الذي لمس في تلميذه حسّه المرهف وميله لقرض الشعر بعد أن حفظ عدة دواوين لفطاحل الشعراء العرب ، أمثال المتنبي وابن الفارض وابن زيدون وغيرهم . وأخذ جورج يتردد على بيت أستاذه الذي كان أشبه بندوة أدبية يجتمع فيها أدباء القدس ونوابغ الطلاب للمناقشة والمناظرة وسماع المحاضرات الأدبية . وفي هذه الندوة ظهر تفوق جورج في الأدبين العربي والإفرنجي فتبنّاه أستاذه ، وعمل عمل تنمية مواهبه الأدبية .

وبعد إتمام الدراسة الثانوية توجه جورج متى إلى مدينة دمشق حيث عمل في مجال الصحافة . وأصدر مع جورج سمان مجلة أدبية شهرية أطلق عليها اسم « الشمس » صدر العدد الأول منها سنة ١٩٠٠ ، وبقيت سنة كاملة ، وأغلقت بعد ذلك .

لعل أهم ميزات جورج متى الأدبية ، بالنسبة إلى أقرانه ، حبّه للغات الأجنبية ، إذ كان يتقن اللغات التركية والفرنسية والإنكليزية مما أهله ليتسلم وظائف دينية ومدنية عالية .

ترك جورج متى منظومات نشرت في بعض المجلات العربية ، ولكنه لم يترك ديوانا يرجع إليه .

توفي في مدينة طبرية * ودفن في مدينة عكا .

المراجع :

ـ بمغرب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

جـــورج منصـــور (١٩٠٥ ـ ١٩٦٣) :

نقابي فلسطيني ، ولد في مدينة الناصرة* ، وتلقى تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه ، ثم التحق بمدرسة صهيون * في القدس * ، وعاد إلى الناصرة ليلتحق بإحدى مدارسها العالية . ولكن اندلاع الحرب العالمية الأولى وإغلاق المدارس حالا دون ذلك ، فلم يحصل على مؤهل علمي عال .

عمل في مهنة التعليم في مدينة الناصرة ، وعندما انتقلت أسرته إلى يافا * سنة ١٩٢٧ انصرف إلى الأعمال الحرة ، التجارة أولا ثم الصناعة ، ومن هنا جاء اهتمامه بقضايا العمال وتنظيمهم .

يعد جورج منصور رائداً من روّاد الحركة العمالية العربية في فلسطين . وقد أدى نشاطه إلى تكوين أول نقابة عمالية فيها . ورغم ملاحقة السلطات الإنكليزية له لم يتراجع عن مهمته (رَ : العمال والحركة العمالية) . وعندما أعلن الإضراب العام في فلسطين سنة ١٩٣٦ (رَ : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) ، وضع جورج منصور تنظيمه النقابي في خدمة الحركة الوطنية وتوفير سبل الاستمرار للإضراب الكبير ، فوزع البيانات ، وهيأ للمظاهرات ، كما اشترك في قيادتها وتوجيهها بوصفه سكرتير جمعية اتحاد العمال العرب (رَ : العمال والحركة العمالية) . فأثلجت سلطات الانتداب القبض عليه ، واعتقلته في عوجا الحفير أولا ، ثم نقلته إلى معتقل صرفند . وأفرج عنه بعد انتهاء الإضراب في خريف سنة ١٩٣٦ . وحين وصلت اللجنة الملكية البريطانية إلى فلسطين في كانون الثاني ١٩٣٧ كان جورج منصور أحد الذين أدلوا أمامها بشهادة قيّمة عن أوضاع العمال العرب في فلسطين ، وحمّل حكومة الانتداب البريطاني مسؤولية تدهور أوضاعهم .

اختاره الحاج محمد أمين الحسيني * ، في مطلع سنة ١٩٣٧ ، لإدارة المكتب العربي الفلسطيني في لندن (رَ : المركز العربي) ، نظرا لسعة اطلاعه وقوة حجته من جهة ، ولما كان له من صلات بأفراد وجماعات من حزب العمال في بريطانية .

عاد إلى فلسطين قبل الحرب العالمية الثانية ، واستأنف نشاطه العمالي ، ولكن الإنكليز شددوا الحصار عليه ، وحاولوا اعتقاله ، فسافر إلى العراق ، وهناك مارس مهنة التعليم في إحدى مدارس بغداد ، وساهم في إنشاء اللجان والجمعيات الوطنية العراقية لنصرة فلسطين (رَ : الدفاع عن فلسطين ، لجنة) .

عاد إلى فلسطين ـ خلال الحرب ـ ولكنه لم يستطع القيام بأي نشاط سياسي أو نقابي في ظل الأحكام العرفية ، فاتجه نحو القاهرة ليبدأ نشاطا جديدا عن طريق كتابة المقالات حول القضية الفلسطينية في الصحف المصرية . وتوطدت علاقته بأصحاب جريدة المصري ففتحت الجريدة صفحاتها لنشاطه ومقالاته سنة ١٩٤٥ .

وعندما انتقلت الهيئة العربية العليا* من القاهرة إلى بيروت سنة ١٩٥٩ التحق جورج منصور بأعضائها ، وجعل بيروت مركزا جديدا لنشاطه السياسي والوطني . وقد توفي في بيروت ودفن فيها .

المراجع :

ـ أكرم زعيتر : الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٣٥ ـ ١٩٣٩) ، بيروت ١٩٨٠ .

جـــورجـي حبيب حنانيـــا (١٨٥٧ ـ ١٩٢٠) :

من أوائل المحررين وأصحاب المطابع في فلسطين . ولد في

يافا * وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة المطران . وكان من روّاد الأندية الثقافية ومن المؤيدين لزوال الحكم العثماني .'

أسس مطبعة وطنية خاصة في القدس سنة ١٨٩٤ وكانت حروفها بالإنكليزية والفرنسية (ز : الطباعة) . واستقدم حروفا عربية بالرغم من معارضة السلطة التي لم تشجع النشر باللغة العربية ، واستطاع أن يطبع خلسة ٣٨ كتابا باللغة العربية . وطبعت الحكومة في مطبعته الجريدة الرسمية بين ١٩٠٣ ـ ١٩٠٨ وتضرر ماديًا بسبب إحجام الناس عن مطبعته الخاضعة للرقابة .

أصدر جريدة القدس سنة ١٩٠٨ وكانت من بين أوائل الصحف الأدبية الاجتماعية الإخبارية . وكانت تصدر مرتين في الأسبوع (ز : الصحافة) . كان حنانيا من الرّواد الذين فكّروا بإصدار جريدة وطنية باللغة العربية سنة ١٨٩٩ ، طالبا الترخيص لها منذ ذلك التاريخ . وكان هدفه من إصدار جريدته نشر الآداب والثقافة والسياسة الوطنية باللغة العربية . واهتم بشكل خاص بأخبار القدس * وبيت لحم * وبيت جالا * . وكانت جريدة القدس ترسل لأبناء الجالية العربية في المهجر للاطلاع على أخبار الوطن .

عمل معه بالتحرير خليل السكاكيني * . ومن أبرز أدباء تلك الفترة الذين ساهموا بنشر إنتاجهم الأدبي في جريدته محمد إسعاف النشاشيبي * والشيخ علي الريماوي .

استمر حنانيا حتى مطلع الحرب العالمية الأولى في إصدار جريدته معتبرا إياها رسالة وطنية لا عملا تجاريا . واضطر لترك القدس إلى الاسكندرية بسبب الضيق المالي الذي حلّ به ، وبيعت مطبعته بالمزاد العلني من قبل بنك فلسطين الأهلي الذي كانت مرهونة لديه .

المراجع :

ـ محمد صافحة : تاريخ الصحافة العربية ، نشأتها وتطورها ، حمان ١٩٦٦ .
ـ يوسف خوري : الصحافة العربية في فلسطين ١٨٧٦ ـ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٦ .
— La Presse en Palestine, Revue du Monde Musulman VI 1908. et XII 1910.

الجورة (قرية ـ) :

في فلسطين أكثر من قرية يطلق عليها هذا الاسم ، ومنها :

أ ـ الجورة/ عسقلان : قرية عربية على شاطىء البحر المتوسط تبعد ٥ كم غربي الجنوب الغربي لمدينة المجدل * . وقد قام موضع القرية على أنقاض نرية يأجور التي تعود إلى العهد الروماني . ويحتي اسم الجورة المكان المنخفض ، لأن موضعها يمتد فوق رقعة منبسطة ترتفع ٢٥ م عن سطح البحر ، وتحيط بها بعض التلال * الرملية المزروعة ، عدا تلك التي تطل على البحر بجروف شديدة الانحدار . ويمتد جنوبي الجورة سطح رملي واسع يعرف باسم رمال عسقلان ، لأن الكثبان الرملية الشاطئية زحفت بمرور الزمن فغطت معظم خرائب مدينة عسقلان ، ولم تتوقف إلا بعد أن زرعت فيها الأشجار المثمرة والأحراج . وهذه الخرائب المجاورة لخرائب عسقلان دفعت إلى تمييز القرية باسم جورة عسقلان .

تمارس الجورة وظائف متعددة هامة ، فهي متجع سكان المجدل الذين يفدون إليها ليتمتعوا بماء البحر والشاطىء الرملي والأشجار الخضراء ، ولزيارة خرائب عسقلان التاريخية . وقد كان يقام في الربيع موسم سنوي يجتمع فيه الزوار من قرى قضاء غزة ومدنه ، فيستحمون وينعمون بمشاهدة المواكب الرياضية والدينية ، ويشترون ما يحتاجون إليه من السوق الكبيرة التي تقام في هذا الموسم .

ولقرية الجورة وظيفة اقتصادية هامة هي اعتماد كثير من سكانها على صيد الأسماك * والطيور المهاجرة ، وتصدير معظم هذا الصيد إلى الأسواق المجاورة . وكانت الجورة بحق من أهم مراكز صيد السمك في فلسطين .

تأتي الزراعة * حرفة رئيسة ثانية يمارسها السكان بنشاط ورعي . وتبلغ مساحة الأراضي التابعة للجورة نحو ١٢,٢٢٤ دونما ، منها ٤٦٢ دونما للطرق * . تزرع في قسم من هذه الأراضي الرملية الأشجار المثمرة ، كالحمضيات * والعنب * والتين والمشمش والتفاح واللوز والزيتون * . كما تزرع في قسم آخر الخضر * والبصل والحبوب * . والمياه الجوفية متوافرة في المنطقة ، بالإضافة إلى مياه الأمطار الكافية . ويعمل بعض السكان في بعض الصناعات اليدوية الخفيفة كالنسيج * وصناعة السلال والشباك اللازمة للصيد .

تما عدد سكان الجورة من ١,٣٢٦ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ٢,٤٢٠ نسمة عام ١٩٤٥ . واتسع عمران القرية حتى وصلت مساحتها أواخر عهد الانتداب البريطاني إلى ٣٥ دونما تقريبا . وتخطط القرية مستطيل يتألف من وسط تجاري يضم السوق والمسجد والمدرسة ، وتحيط به الأحياء السكنية . وكان النمو العمراني يتجه نحو الشرق ، على طول امتداد طريق الجورة ـ المجدل .

تعرضت القرية للتدمير بعد عام ١٩٤٨ ، وطرد سكانها منها ،

واقام الصهيونيون على أراضيها مدينة عسقلان (اشكلون) ، ومستعمرة « أفيدار » .

ب ـ الجـورة / القدس : قرية عربية تقع على بعد ١٠ كم تقريباً من غرب الجنوب الغربي لمدينة القدس * . وتصلها بها طريق معبدة ، في حين تصلها طرق ممهدة أخرى بقرى عين كارم * والولجة * وسطاف * وخربة اللوز * .

نشأت الجورة في منخفض يمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي ، ومن هنا جاءت تسميتها للدلالة على انخفاضها النسبي عما يحيط بها من جبال القدس * إذ إنها ترتفع ٧٢٥ م عن سطح البحر ، في حين ترتفع الجبال المحيطة بها إلى ٨٥١ م . وينحدر المنخفض نحو الشمال الغربي في اتجاه وادي الصرار الذي يجري على مسافة ٣ كم إلى الشمال الغربي منه . وتفصل الجورة عن عين كارم هضبة صغيرة تقوم عليها « المسكوبية » حيث توجد مدرسة « مس كبري » ومستجع صحي .

بنيت بيوت الجورة من الحجر ، وكانت صغيرة المساحة ، وذات مخطط مستطيل في موضعها القديم ، وقوسي في موضعها الجديد . ومن الملاحظ أن نموها العمراني اتجه في بادىء الأمر نحو الجنوب الشرقي من الموضع القديم للقرية ، ثم غيّر النمو اتجاهه نحو الجنوب ، ثم نحو الغرب ، فأصبح الشكل العام للقرية قوسيا . وتحكم في سير اتجاه النمو العمراني الوضع الطبوغرافي لأرض القرية ، وامتداد الأرض الزراعية جنوبي الموضع القديم للقرية مباشرة .

كانت الجورة شبه خالية من المرافق والخدمات العامة ، واعتمدت في ذلك على قرية عين كارم المجاورة ، وعلى مدينة القدس أيضا . وكان الأهالي يشربون من عين ماء في غرب القرية ، ويستفيدون أيضاً من عيون الماء * الواقعة إلى الغرب وإلى الجنوب الغربي من الجورة في أغراض الشرب وريّ بساتين الخضر والأشجار المثمرة .

مساحة أراضي الجورة ٤،١٥٨ دونما . وكانت أراضيها الزراعية تنتج مختلف أنواع الحبوب والخضر والأشجار المثمرة . وتجود فيها زراعة أشجار الفواكه ، وبخاصة العنب . واعتمدت الزراعة على مياه الأمطار والعيون التي تكثر في أراضي الجورة . وتوجد في أراضيها بعض الحُرَب الأثرية مثل سعيدة والقصور (رَ : الحرب والأماكن الأثرية) .

ازداد عدد سكان الجورة من ٢٣٤ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ٤٢٠ نسمة عام ١٩٤٥ ، وفي عام ١٩٤٨ تعرضت الجورة لعدوان الصهيونيين عليها ، فتشرد سكانها العرب ، ودمرت بيوتهم ، وأقيمت في أراضيها مستعمرة « أوره » عام ١٩٥٠ .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١، ق ٢، وج ٨، ق ٢، بيروت ١٩٦٦ و١٩٧٠ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠،٠٠٠ ، لوحات غزة والكوفدة والقدس .

الجـــوزي (فرقة ـ) : رَ : التمثيل والمسرح

جوزيفيـــــوس : رَ : يوسيفوس فلاريوس

الجولان :

أ ـ جغرافية الجولان : الجولان (أو المرتفعات السورية ، أو هضبة الجولان) أرض عربية سورية تقع في أقصى جنوب غرب سورية على امتداد حدودها مع فلسطين . وتقدر مساحته بـ ١،٨٠٠ كم٢ ، وله شكل متطاول من الشمال إلى الجنوب على مسافة ٧٥ ـ ٨٠ كم ، بعرض متوسط يتراوح بين ١٨ و ٢٠ كم . والجولان تسمية مرادفة لمحافظة القنيطرة التي أحدثت عام ١٩٦٤ . وتقدّر مساحة محافظة القنيطرة بـ ١،٨٦٠ كم٢ ، أي أكبر بقليل من مساحة منطقة الجولان الجغرافي .

تقع تلة جبل الشيخ في شمالي الجولان ، وتفصله عن البقاع الجنوبي في لبنان . ويفصل وادي نهر اليرموك العميق في الجنوب بين الجولان ومرتفعات عجلون والأردن الشمالية الغربية . وأما في الغرب فإن هضبة الجولان تطل على سهل الحولة * وبحيرة طبرية * بحروف قاسية ، في حين يقع وادي الرّقاد في الشرق بين الجولان ومنطقة حوران .

ولموقع الجولان الجغرافي المتوسط أهمية كبيرة جعلت الجولان منطقة عبور القوافل والجيوش والشعوب ، وجعلته مسرح صراع دائم على مرّ العصور . وقد ظهر أثر ذلك كله في الأوضاع البشرية للمنطقة ، وأنماط العمران ، والأحوال الاقتصادية .

١) أرض الجولان : الجولان منطقة صغيرة من السلاسل والمرتفعات البواقعة شرقي أغوار وخفوس الانهدام السوري ـ الإفريقي ، وتشكل جزءاً من الحافة الشرقية المشرفة على غور

الحولة ـ طبرية . وقد تعرضت أرض الجولان ذات الصخور الرسوبية في الأصل لانسياب مسكوبات وأغشية اندفاعية مختلفة غطّتها تغطية شاملة . فأرض الجولان إذاً سطح من المسكوبات الاندفاعية والمخاريط البركانية ، باستثناء بعض الجزر الصغيرة والأشرطة الضيّقة لأسفل بعض أودية جنوبي غرب الجولان حيث تظهر مساحات من صخور القاعدة الرسوبية .

يقع معظم الجولان على ارتفاعات عامة تتراوح بين ٩٥٠ و١٣٠٠ م فوق سطح البحر . ويقسم من حيث الارتفاعات التضريسية إلى منطقتين رئيسيتين تتبعها تضاريس ثانوية :

(١) المنطقة الشمالية التي تراوح ارتفاعاتها بين ٦٠٠ و ٩٠٠ م فوق سطح البحر ، وتتبعها نهايات وأقدام جبل الشيخ الجنوبية الشرقية التي يزيد ارتفاعها عن ١,٥٠٠ م . وتتزايد ارتفاعات هذه المنطقة بالاتجاه نحو الشمال حيث تبدأ كتلة جبل الشيخ ، وبالاتجاه نحو الشرق حيث يزيد ارتفاع سلسلة جبال الجولان عن ١,٠٠٠م ويصل ارتفاع قمة تل بير عجم إلى ١,١٥٥ م فوق سطح البحر . في حين تتناقص الارتفاعات بالاتجاه نحو الغرب والجنوب الغربي حيث المنطقة التضريسية الثانية .

(٢) المنطقة الجنوبية التي تراوح ارتفاعاتها بين ٣٠٠ و ٦٠٠ م فوق سطح البحر ، وتتبعها الأراضي المنخفضة دون ٣٠٠ م في سهل البطيحة ونهايات الأودية السيلية الصبّة في أرض الحولة أو بحيرة طبرية ، والواقعة على ارتفاع ٢١٢ م دون سطح البحر .

وعلى الرغم من الأرض الهضبية شبه المنبسطة المتحدرة غرباً وجنوباً غرباً التي يتصف بها الجولان بمنطقتيه ، تكثر في المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية التلال والجبال المتفرقة المتباعدة ، في حين تنبسط التضاريس في المنطقة الجنوبية والجنوبية الغربية وتقلّ وعورتها . ومن تلال المنطقة الشمالية التي تقع شمال مدينة القنيطرة ، مركز المحافظة ، أبو قربا ، تلال الأحمر والشيخة والبرعم والعرام والوردة (وهو أعلاها ١,٢٢٧ م) وأبو الندى (وهو أكبرها وعلوّه ١,٢٠٤ م) . ومن التلال المنفردة تل أبو حنزير وتل يوسف وتل الفرس . وترتفع عند الحافة الشرقية الوسطى سلسلة جبال الجولان التي تمتد من مدينة القنيطرة في الشمال حتى قبيل قرية الرفيد في الجنوب ، وتشكل خط تقسيم المياه بين وادي الرّقاد في الشرق وهضبة الجولان في الغرب والجنوب .

وأرض المنطقة الشمالية كثيرة الأحجار البازلتية ، فيما عدا بعض السهول والمنبسطات الصغيرة كسهل القنيطرة وعين زيوان والمنصورة والدلوة . وتنعدم في هذه المنطقة الأودية المتعمقة الضيقة إلاّ في الأطراف الغربية حيث يوجد وادي نهر بانياس ووادي الفاجر .

أما أجزاء جبل الشيخ الداخلة في هذه المنطقة (لا من الناحية الجغرافية بل لأنها واقعة تحت الاحتلال الاسرائيلي) فهي السفوح الجنوبية والجنوبية الشرقية للنهايات الجنوبية الغربية لسلسلة جبل الشيخ . ويشكل طريق مجدل شمس ـ جباثا الزيت ـ بانياس الحد الفاصل بين الجولان وجبل الشيخ . وهذا القسم الجنوبي الغربي من جبل الشيخ كتل جبلية متحاور شمالية شرقية ـ جنوبية غربية ترسم أودية اليعفوري والسدفين والعسل . وتتزايد الارتفاعات من ١,٢٠٠ ـ ١,٥٠٠ م في الجنوب والجنوب الغربي إلى ١,٨٠٠ ـ ١,٩٠٠ م باتجاه الشمال والشمال الشرقي ، وقد تتجاوز بعض القمم ٢,٠٠٠ م فوق سطح البحر .

وتضاريس المنطقة الجنوبية والجنوبية الغربية من هضبة الجولان أكثر انبساطاً ، وتمتد فيها الأراضي على شكل سهول تفصل بينها أودية أو ظهرات ، أهمها سهول فيق ـ العال ، وكفر حارب ، والجوخدار ، والرفيد (وجميعها فوق سطح البحر) ، وسهل البطيحة (دون مستوى سطح البحر) . وتكثر في هذه المنطقة ، ولا سيما في الجنوب ، الأودية السحيقة الضيّقة ذات الجوانب الشديدة الانحدار أو القائمة . وأهم شبكات هذه الأودية شبكة وادي السمك التي تجمع الأودية المنتهية في سهل البطيحة ، ووادي سعرد الذي يرفد نهر اليرموك . وتشرف هضبة الجولان بحافات قاسية شديدة الانحدار على سهل وبحيرة الحولة * وبحيرة طبرية في الغرب ، وعلى نهر اليرموك في الجنوب ، وترتفع هذه الحافات بين ٢٥٠ و ٥٥٠ م عن هذه المناطق التي تشرف عليها .

٢)مناخ الجولان ومياهه :يتأثر مناخ الجولان بقربه من البحر المتوسط وعدم وجود عوائق تضريسية هامة تمنع وصول المؤثرات البحرية . لذا فإن مناخ الجولان رطب هضبي ـ جبلي ، يشبه النماذج المتوسطية الساحلية من جهة ، ويشبه النماذج الجبلية من

جهة ثانية . ويعدّ الجولان جزءاً من المنطقة فوق المدارية ذات الحرارات الصيفية العالية والمعدّلات السنوية العالية أو المتوسطية . وأما الشتاء فهو في الجولان أبرد منه في معظم مناطق سورية الأخرى على مدار السنة . وبشكل عام تزداد الحرارة في الجولان بالاتجاه من الغرب إلى الشرق ، أو بالاتجاه من الجنوب المنخفض إلى الشمال العالي. ويجسّد الجدول المرفق عن درجات الحرارة في القنيطرة وفق هذا الموقع ، لأن الأولى تمثل الجولان الشمالي والثانية الجولان الجنوبي :

المركز	وسطي حرارة كانون الثاني	وسطي حرارة تموز	الوسطي السنوي
القنيطرة	°٦,٧	°٢٢	°١٤,٧
فيق	°١٠,٤	°٢٥,٦	°١٨,٨

وفي الوقت الذي يتشكل فيه الجليد ويسقط الثلج بمعدل متوسط بين ١٥ و ٢١ يوما في السنة في المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية ، وفي منطقة أقدام جبل الشيخ ، ترتفع درجات الحرارة ، بمتوسطها السنوي وبمتوسط أبرد الأشهر ، في الجولان الجنوبي والجنوبي الغربي ، ولا سيّما في سهل البطيحة ومنطقة الحمة بحمّاماتها الحارة التي اشتهرت بأنها مشتى يندر أن تنخفض حرارته الشتوية عن ١٠ درجات مئوية .

والجولان من أجزاء سورية المطيرة . ولكن أمطاره متفاوتة بتفاوت الارتفاعات . ويمكن القول إن جميع مناطق الجولان التي يزيد ارتفاعها عن ٥٠٠ ـ ٥٥٠ م فوق سطح البحر تتلقى من الأمطار السنوية أكثر من ٥٠٠ مم ، وتكتسي بثلوج تصل كثافتها إلى ٣٥ سم .

ومعدلات الرطوبة مرتفعة في الجولان لسيادة الرياح الغربية والجنوبية الغربية ، ولا سيما في الجولان الشمالي ، إذ تبلغ الرطوبة النسبية في القنيطرة ٥٠٪ في الصيف و٨٣٪ في شهر كانون الثاني . وأما في الجولان الجنوبي فتقل الرطوبة النسبية نتيجة تعرضه للرياح القارّية القادمة من الداخل ، ومن جهة الشرق والجنوب الشرقي .

وعلى الرغم من كمية الأمطار السنوية العالية في الجولان فليس فيه أنهار دائمة الجريان . والجريان السطحي السائد في الجولان مؤقت على شكل سيول تجري في الأودية الجافة لتغذّي مياه أحد الأنهار الثلاثة الواقعة على أطرافه ، وهي نهر الأردن * ورافداه ، ونهر اليرموك ، ووادي الرّقاد . وقد تصبح بعض الأودية في مجاريها الدنيا دائمة الجريان بتغذية بعض الينابيع إياها . والنهر الفعلي في الجولان هو نهر بانياس في أقصى الشمال الغربي ، ولكنّ واديه عميق ، وهو قصير لا يجري منه في الأرض السورية إلاّ نحو كيلو متر واحد . ومن المياه السطحية بحيرة مسعدة في الشمال ، وعدد كبير من برك الماء المتخلف عن مياه الأمطار والثلوج التي يتبخر معظمها أيام الصيف .

والجولان غنيّ بالمياه الجوفية التي لجأ الإنسان ، للوصول إليها ، إلى حفر الآبار ، ولا سيما في الجهات الشرقية حيث تندر الينابيع بسبب الغشاء الاندفاعي السميك للأرض . أما في الغرب والجنوب الغربي فقد سمح تعمّق الأودية في الصخور بتفجير الينابيع على جوانب الأودية وفي بطونها ، ولكن معظم مياهها يذهب آخر الأمر إلى شبكة نهر الأردن الأعلى أو إلى بحيرة طبرية ، ولا تستفيد منه أرض الجولان إلا استفادة محدودة .

٣) التربة والغطاء النباتي : تسرب الجولان من مجموعة التسرب العائدة لنطاق البحر المتوسط الشرقي الرطب وشبه الرطب . والتربة السائدة هي التربة البازلتية البنية . وهي في الأجزاء الشمالية كثيرة الحجارة ، رقيقة ، معرضة للانجراف بمياه الأمطار والسيول ، في حين تقلّ الحجارة فيها بالاتجاه جنوباً بغرب ، وتزداد سماكتها ، ولا سيما في الأراضي المنبسطة . ولذلك يسود في الشمال المرتفع غطاء نباتي عشبي وشجري (حرجي) وتقلّ الساحات الصالحة للزراعة . وأما في الجنوب فتتسع الأراضي الزراعية . ولقد كان الجولان غنيًّا بالغابات والأحراج والأعشاب ، ولكن تخريب الانسان قضى على معظم الأشجار ، ولم تعد مساحة الأحراج المتفرقة في مناطق متناثرة تجاوز ١٥٪ من مساحة الجولان . ويغلب على الأشجار البلوط والسنديان واللزلوز والبطم والزعرور والإجاص والخوخ البرّي . وأرض الجولان مغطاة بالأعشاب والنروج ، مما يجعل منها منطقة رعي ممتازة .

٤) إعمار الجولان وسكانه : تؤكد الدراسات الأثرية إعمار الجولان منذ القدم . ولقد اكتشف أكثر من ١٠٠ موقع أثري فيه يرجع معظمها إلى العصور اليونانية والرومانية ـ البيزنطية . والعرب هم سكان الجولان القدماء والأصليون . ويشكلون أكثرية السكان ، وينتشرون في مختلف أنحاء الجولان ، وينتمون إلى عشائر كثيرة . وهم يعيشون في القرى والمراكز الحضرية ، كما هي الحال في منطقة فيق ومسعدة وخان أرنبة والبطيحة . ومنهم من يثبت في حياتهم بعض مظاهر الحياة القبلية ، مثل عشيرتي الفضل والنعيم .

لكن الجولان ، بحكم موقعه ، ظلّ منطقة عبور ، ولم تقم فيه تجمعات سكانية على شكل مدن أو قرى كبيرة حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر حين أسكن العثمانيون فيه أفواج الشراكسة * وبعض التركمان . وشراكسة الجولان هم من الأفواج التي وصلت إلى فلسطين عن طريق البحر واقامت هناك بضع سنوات ، ثم دخل معظمهم ، بتخطيط من السلطات العثمانية ، منطقة الجولان في

سورية ومنطقة عمّان في الأردن . وقد انتشر شراكسة الجولان في ١٣ قرية على امتداد شريط مساير لسلسلة جبال الجولان ، وقدّر عدد سكان هذه القرى عام ١٩٦٧ بنحو ١٧,٠٠٠ نسمة . وأما التركمان فلم يتجاوز عددهم في العام نفسه ٣,٠٠٠ نسمة .

وبذلك أخذت منطقة الجولان تتطور ويتزايد سكانها ، واستقر فيها عدد كبير من البدو أيام الانتداب الفرنسي . ولكن القفزة الكبرى في إعمار الجولان كانت بعد عام ١٩٤٨ عندما وصلت إليه أعداد من اللاجئين الفلسطينيين ، وأصبح منطقة ذات أهمية عسكرية لمواجهتها الأرض المحتلة من فلسطين . وقد كان عدد سكان محافظة القنيطرة سنة ١٩٦٠ نحو ١٠٨,٠٤٦ نسمة ، وقدّر عدد سكان الجولان سنة ١٩٦٧ بنحو ١٥٣,٠٠٠ نسمة كانوا يعيشون في ٢٧٥ مدينة وقرية ومزرعة (لا يدخل في هذا العدد رجال القوات المسلحة وعائلاتهم). وهذه الزيادة الكبيرة في السكان ليست بفعل الزيادة الطبيعية ، بل يدخل فيها عنصر الهجرة إلى الجولان من المحافظات السورية الأخرى نتيجة ازدهاره الاقتصادي .

كانت كثافة سكّان الجولان عام ١٩٦٠ حوالي ٥٨ ن / كم٢ ، وارتفعت قبيل الاحتلال الصهيوني سنة ١٩٦٧ إلى ٨٢ ن / كم٢ . والكثافة متباينة لأن توزع السكان والقرى غير منتظم . وهناك ثلاثة مراكز تجمّع للقرى في الجولان ، الأول منطقة القنيطرة ، والثاني أقدام جبل الشيخ وشمال الجولان ، والثالث منطقة نبق في الجنوب . والمتوسط العام للسكان في القرى الجولانية هو ٦٦٧ نسمة لكل قرية ، ولكن هناك قرى كثيرة لا يزيد عدد سكانها عن ٥٠ نسمة ، في حين يبلغ عدد سكان قرية جدل شمس حسب إحصاء سنة ١٩٦٠ نحو ٢,٣٣٠ نسمة ، وفيق ٢,١٨٥ نسمة ، والمال ١,٨٥٨ نسمة ، والحشنية ١,٦١٥ نسمة ، وزعورة ١,٥٣٢ نسمة . وأما مدينة القنيطرة فقد وصل عدد سكانها عام ١٩٦٦ إلى ٢٧,٣٧٨ نسمة ، وكانت في الأصل محطة على طريق دمشق - فلسطين فتحوّلت الى قرية صغيرة حين استقر فيها الشراكسة ، وأصبحت قضاء مستقلا سنة ١٨٩٣ . ومنذئذ أخذت تكبر وتزداد أهميتها حتى غدت مركز محافظة ، ونشطت فيها الأعمال الادارية والتجارة ، وأصبحت عقدة مواصلات للمحافظة كلها ، وجرّت إليها مياه الشرب من ينابيع بيت جن في جبل الشيخ ، وزوّدت بالكهرباء ومختلف الخدمات الأخرى ، وصارت تمارس مختلف وظائف المدينة الجغرافية والإدارية ، واتسع عمرانها وجذبت إليها السكان .

وعلى الرغم من انعدام المخطط التنظيمي في قرى الجولان جميعها ، يختلف نمط البناء من منطقة إلى أخرى من مناطق التجمعات السكانية الثلاث ، ففي الشمال تُبنى جدران المساكن من الحجر الكلسي الدولوميتي ، والسقوف مستوية مرفوعة على أعمدة خشبية ومغطاة بالدفوف والأعشاب والتراب . ومعظم البيوت من طبقتين وتتدرج على سفوح جبل الشيخ . ومعظم سكان هذه المنطقة هم من العرب المتحدرين إلى المذهب الدرزي .

أما قرى سلسلة جبال الجولان فيتضح فيها نوع من المخطط التنظيمي ، وبيوتها مبنيّة من الحجر البازلتي ، وسقوفها قرميدية مسنّمة أو موشورية ، ومعظمها من طبقة واحدة ،وسكانها في الغالب من الشراكسة .

وبيوت قرى المنطقة الثالثة في جنوب الجولان من الحجر البازلتي واللّبن والطين ، وسقوفها مستوية مرفوعة على أعمدة خشبية ومغطاة بالدفوف والأعشاب والتراب . وقد دخل الإسمنت المسلّح في بناء الكثير من البيوت ، وأما ساكن رجال القوات المسلحة والقرى الدفاعية فمبنية من الإسمنت .

تعرّضت مدينة القنيطرة ومعظم قرى الجولان للهدم والتخريب منذ الاحتلال الصهيوني ، وقد أزيلت من الوجود ١١٠ قرى ، وخرّبت مدينة القنيطرة بكاملها عن عمد وتصميم قبل إعادتها إلى السلطات السورية ، وشرّد نحو ١٢٠ ألف نسمة من سكان الجولان ، ولم يبق في الجولان بعد عام ١٩٦٧ إلاّ أبناء بعض قرى شمال الجولان المحتل ، وهي مجدل شمس ومسعدة وبقعاثا وعين قنية والغجر. وقدّر عددهم سنة ١٩٨٢ بنحو ١٥,٠٠٠ نسمة .

٥) اقتصاد الجولان : يعتمد اقتصاد الجولان على الزراعة وتربية الحيوانات . ونسبة العاملين في هذين القطاعين ٦٣٪ من القوة العاملة ، في حين تبلغ نسبة العاملين في الصناعة ١٩,٥٪ .

قدّرت مساحة الأرض القابلة للزراعة في الجولان عام ١٩٦٦ بحوالي ١٠٧,١٥٠ هكتارا ، زرع منها ٤٠,٠٠٠ هكتار . وكانت المراعي ١٧,٥٠٠ هكتار ، والغابات والأحراج ٢٨,٠٠٠ هكتار . وتعتمد معظم الأراضي على الأمطار الغزيرة الكافية التي تتيح قيام زراعات بعلية شتوية وصيفية وخطاء عشي جيد . أما الأراضي المرويّة فقد قدّرت مساحتها تلك السنة بحوالي ٢,١٤٧ هكتارا فقط ، أكثرها في أطراف الحضبة الغربية والحنوية الغربية .

اقتصرت المحاصيل الزراعية على الحبوب والبقول وبعض أنواع الخضر والأشجار المثمرة . واحتل القمح المركز الأول (متوسط الإنتاج السنوي في السنوات العادية ١٨,٠٠٠ طن) ، تلاه الشعير (١٣,٩٠٠ طن) . وتعتمد الخضراوات على مياه الريّ ، وقد اتسعت زراعتها (٥,٠٠٠ هكتار سنة ١٩٦٧) بزيادة طلبها ، وأصبحت أجزاء الجولان الدانئة في سهل البطيحة وأقدام الحضبة الجنوبية الغربية مركزاً لهذه الزراعة (البواكير) . أما في قرى الجولان الشرقية والشمالية فتزرع الكرمة والتفاح . وتقوم في الجولان بعض

الزراعات الصناعية كالسمسم والفول السوداني والقطن والكتّان واليانسون والتبغ .

ويعتمد سكان الجولان على تربية الحيوانات لانتشار المروج والمراعي . والأغنام أهم هذه الحيوانات (١٦٧,٠٠٠ رأس) ، تليها الأبقار (٣٦,٠٠٠ رأس) . وتربى الدواجن في جميع قرى الجولان ، وتنتشر فيها أيضاً تربية النحل وإنتاج العسل .

أما الصناعة فتحتل المرتبة الأخيرة في اقتصاد الجولان ، وهي محلية صغيرة كالحدادة والنجارة وصناعة الأدوات الزراعية البسيطة وإصلاحها . ويتركز معظمها في مدينة القنيطرة . وهناك مطاحن الحبوب ومعاصر العنب ومعامل الدبس ، وبعض الصناعات النسيجية اليدوية كصناعة السجّاد والبسط والخيام ودباغة الجلود وصياغة الفضة .

كان للجولان أهمية تجارية خاصة لأنه ممر التجارة بين سورية وفلسطين حتى عام ١٩٤٨ . ثم أصبح الجولان ذا أهمية عسكرية إستراتيجية ، واقتصر دور التجاري على التجارة المحلية أو التجارة مع الداخل السوري ولا سيّما حوران ودمشق . وكانت حمّامات الحمّة يبنابيعها الحارّة مقصد الزوّار من جميع انحاء سورية في فصل الشتاء .

٦) المستعمرات الاستيطانية الصهيونية في الجولان : خطط الصهيونيون لزرع الجولان بالمستعمرات الاستيطانية بعد تدمير القرى العربية وإزالتها من الوجود . ولقد وصل عدد هذه المستعمرات حتى شهر شباط ١٩٨٢ إلى ٣٢ مستعمرة (رَ : الاستيطان الصهيوني بعد ١٩٦٧) .

ب ـ الجولان في التاريخ : تاريخ الجولان هو جزء من تاريخ سورية التي تؤلف جزءاً من الوطن العربي ، كما تؤلف جزءاً من المنطقة التي اصطلح على تسميتها « الشرق الأوسط » .

كان الشرق الأوسط الذي جاء الله مناخاً جيّداً أحد مهود الحضارات القديمة . وتصف هذه الحضارات بتنقّل مستمر للتكتل البشرية . وكانت الهجرات والغارات والتجارة منشأ اختلاط دائم أضرّ بسكان الشرق الأوسط كلّه .

إن جميع هذه التنقلات انعكست على الجولان ، الملتقى الحقيقي بين الشرق والغرب ، والجنوب والشمال . وكان هذا الملتقى ذا فوائد جلّى بسبب الفجوات المفتوحة على غربي الجولان في السدّ الجبلي الحقيقي الذي يفصل المتحدر عن الداخل ، والمقصود فجوة مرجعيون في الشمال ، وسهل مرج ابن عامر * في الجنوب ، والممر السهل جدا في موقع جسر بنات يعقوب الحالي على الأردن .

إن خريطة شبكة الطرق تدل بوضوح على الدور الذي اضطلع به الجولان في العلاقات بين الشعوب القديمة في الشرق الأوسط .

لم يعد هذا الوضع المساعد على السير في جميع الاتجاهات بالخير دوما على الجولان ، بل على العكس ، كانت النتائج أحياناً مؤسفة لأن الجيوش المصرية ومعلوك فارس وأشور * والكلدانيين والمقدونيين واليونانيين والسلوقيين * جاءت على التوالي لتصدام في الجولان « ملتقى الغزوات » .

وهكذا كتب على الجولان ، كما كتب على الشرق الأوسط بعامة ، أن يكون ضحية عدم الاستقرار والفوضى إلى اليوم الذي بسط فيه العرب حكمهم على أنقاض تلك الممالك القديمة .

ولم يعرف الجولان ، حتى في العهد الروماني ، استقراراً حقيقياً ، لأن الغساتيين أعلنوها حرباً ضروساً ومتواصلة على التنوخيين أنصار الساسانيين .

إن أي دراسة تاريخية عن الجولان تواجهها صعوبات حقيقية نظراً للنقص الكامل في الوثائق والآثار والأوابد التي خلفتها العهود التي سبقت عهد الصليبيين . والأماكن التاريخية متعددة ، وإذا ما تجول عالم أثري بين هذه الأماكن ، مثل فيق ، والعال ، وكفر حارب ، وحوسية ، وصرمان ، وقلعة الصُّبيبة (تمرود) ، لا يجد شيئاً كثيراً جديراً بالكشف ، باستثناء قلعتين بناهما الفرنجة ولا تزالان بحالة سليمة ، وهما قلعة الحصن المشرفة على بحيرة طبرية ، وقلعة الصُّبيبة (تمرود) بالقرب من بانياس .

يقول العالم الجغرافي آبل *Abel* في كتابه « جغرافية فلسطين » إن ثروة الجولان كالأخشاب والمراعي والحبوب والمواشي وأحجار البناء والطرق المؤدية من دمشق إلى إيلات * تفسر لنا كثافة وتنوع سكان المطقة والمنافسة التي تعرضت لها بين مصر والعموريين* ، وبين المصريين والحثيين * ، وبين المصريين وملوك ما وراء النهرين . وظلّت المنافسة طوال العهود التاريخية اللاحقة وحتى عهد حديث .

إن أقدم النصوص التي أشارت إلى منطقة الجولان هي رسائل تل العمارنة ، ويقول آبل : " توصل الفريقان بعد حرب طويلة الأمد بين المصريين والحثيين إلى وضع حدّ للنزاع ، ووقعا اتفاق صلح وتحالف وردت فيه ، كشهادة للمعاهدات ، أسماء الآلهة كنسا ، وجبل لبنان ، وساريانا أو حرمون " .

وفي الواقع أوجدت المعاهدة المعقودة بين كانوسيليس الثالث ملك الحثيين ورمسيس الثاني فرعون مصر تحالفا ودّياً بينهما ، فأصبحت سورية الجنوبية ، وفيها الجولان طبعا ، بحكم هذه المعاهدة تحت حكم الفراعنة في مصر . وتفتّتت مملكة الحثيين بعد قرن من السلام والوفاق .

وساعد زوال مملكة الحثيين في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد على ظهور الأشوريين على مسرح النزاع . فقد غزا تغلات فلاسر الأول وشلمناصر الثالث فينيقية واصطدما بالمصريين وحلفائهم في وسط إقليم « باشان » ، أي الجولان وحوران .

وفي القرن الخامس قبل الميلاد سيطر ملكا فارس قورش وداريا على سورية ، وامتد حكمهما من نهر الخابور إلى نهر الليطاني ، ومن نهر الأردن إلى نهر العاصي . ولمّا هزمهما الإسكندر المقدوني سنة ٣٣٣ ق . م . كان الفرس قد تملوا عن سورية لليونانيين وخلفاء الإسكندر . ولمّا مشى الإسكندر لغزو مصر سالكا الساحل السوري سنحت له الفرصة لإخضاع قبائل الجولان وحوران .

حكم خلفاء الإسكندر من السلوقيين سورية من سنة ٣١٢ إلى ٦١ ق . م . واتصف هذا الدور بتصعيد الأعمال البربرية وذلك بتشجيع الأسياد الحاكمين . وتميّزت هذه الفترة أيضاً بتزايد وصول القبائل العربية الآتية من اليمن والحجاز للتوطن في سورية وانتشارها في مختلف مناطقها ومنها الجولان .

وكان للسلوقيين مراكز في الجولان ، ولكن المركز الوحيد الذي احتفظ باسمهم هو القرية الصغيرة سلوقية .

وفي سنة ٦٤ ق . م . فرضت جيوش بومبي سلطة الرومان على الأراضي السورية وقسّمت البلاد إلى ثلاث ولايات .

١) ايتوريا (شمال شرقي فلسطين) .

٢) تراكونيتيديا .

٣) حوران وعوج باتانيا .

وأدخل الجولان ضمن ولاية « حوران وعوج باتانيا » . وفي سنة ٣٦ ق . م . وقعت هذه المنطقة مرة أخرى تحت الحكم المصري ، لأن مارك أنطونيوس القائد الروماني (٨٣ ـ ٣٠ ق . م .) ترك لكليوباترا ملكة مصر لبنان وفلسطين ، ولم يطل عهد الملكة المذكورة لأن أوكتافيوس أصبح امبراطور روما والشرق بعد انتصاره في معركة اكتيوم على أنطونيوس سنة ٣١ ق . م .

وانتزع أوكتافيوس منذ سنة ٢٣ ق . م . من أورياداس الثالث ملك النبطيين حوران وعوج باتانيا وتراكونيتيديا ليضمها تحت سلطة هيرودس الذي أوكل إليه مهمة تطهير المنطقة من العصابات المتشرة فيها . ويمكن القول إن مجيء الرومان آذن أيضا بنهاية مملكة إسرائيل ، فقد ملك أمراء البهود أتباع هيرود زهاء قرن واحد ولكن تحت سيطرة الرومان .

وعاشت البلاد في سلام لفترة قصيرة تحت الحكم الروماني وأصبحت كما في السابق إحدى أجمل بلاد العالم .

كان تقسيم المملكة الرومانية ، بالنسبة لسورية كلّها ، بداية عهد اضطرابات وغزوات ، بيْد أن ساعة الامبراطورية البيزنطية قد دقّت فانساقت إلى معارك لا نهاية لها مع الساسانيين بدلاً من أن تضع حدّا للاضطرابات .

وعلى مدى خمسة عشر عاما استزل الجيش الفارسي على حوران وفلسطين . ولم يترك الساسانيون في حوران والجولان أي أثر ، نظراً للمدة القصيرة التي قضوها فيها . وكانت القبائل العربية قد بدأت تصل إلى شمالي سورية منذ عهد السلوقيين . وسكن الغساسنة الجولان وشرقي الأردن الشمالي وحوران وجبل الدروز . واستقرت قبائل أخرى عربية في العراق وغربي الفرات ، وهم التنوخيون . وكان الغساسنة حلفاء البيزنطيين وبقية القبائل العربية حلفاء الفرس . وهكذا فان تاريخ الغساسنة والتنوخيين لم يكن سوى حروب قامت لمصلحة الامبراطوريتين المتخاصمتين في الشرق : فارس وبيزنطة .

ورد في الأدب العربي الجاهلي ، أحيانا ، ذكر « حارث الجولان » . وعلى الرغم من أن موقع هذه القرية لم يحدّد ، إلاّ أن تفسير الاسم قد يقود إلى مؤشرات تاريخية ذات أهمية كبرى ، لا بالنسبة للقرية نحسب ، بل للمنطقة المسماة الجولان كلّها .

ومن المؤكّد أن الحارث اسم أمير غساني . وفي الواقع عرف اكثر أمراء أو ملوك غسّان الذين كانوا يحرسون الجزء الجنوبي من سورية وجزءاً كبيراً من شرق الأردن باسم الحارث (الحارث بن جبلة الغسّاني ، والحارث بن أبي شمّر الغسّاني) . والاسم المركب « حارث الجولان » يعني أمير الجولان ، مما يتيح الاستنتاج بأن المنطقة كانت تتمتع زمن الغساسنة باستقلال شبه ذاتي ، ويدير شؤونها أمير . ومن المرجّح أن هذا الأمير أطلق اسمه على قريته التي يقيم فيها تبعا لعادات ذلك الزمن .

إن الاضطرابات التي خلقها النزاع بين الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية وحلفائها ميّزت تاريخ سورية الجنوبية حتى النصف الأول من القرن السابع للميلاد . ولم يضع حدّاً لهذا النزاع سوى مجيء العرب سنة ٦٣٦ م بعد معركة اليرموك * . ومن الجولان عبر العرب المسلمون إلى سورية متجهين نحو دمشق وبقية المناطق بعد انتصارهم على البيزنطيين ، متخذين من الجولان قاعدة لهم ، لأن مياهه الغزيرة ومراعيه الخصبة موانية لعسكرة الجيوش العربية الإسلامية .

وفي الحق ، أصبح الجولان القاعدة الأولى الإسلامية . وقامت إحدى قراه القديمة ، وهي الجابية ، بدور هام زمن الغساسنة * ، وبخاصة في العصور الأولى للفتح الإسلامي . ففي قرية الجابية خطب الخليفة عمر بن الخطّاب * سنة ١٧ هـ / ٦٣٨ م خطبته المشهورة قبل توجهه إلى بيت المقدس ليترأس الاجتماع الذي قرر فيه بالإجماع ترك الأراضي في أيدي أصحابها . وفي السنة التالية ١٨ هـ / ٦٣٩ م فشا الطاعون فانتقل جيش المسلمين إلى الجابية المنطقة السليمة من الوباء . وكانت الجابية حتى زمن الأمويين أيضا مكان اجتماعات ، ففي مؤتمر الجابية بويع الخليفة مروان بن الحكم . وفي الجابية نظّم الشيعة * حركتهم السرّية الرامية إلى استرداد الخلافة والمناداة بالإمام خليفة للمسلمين .

ولمّا كان الجولان ملتقى طرق متاخما للبلاد المقدسة فعليه وقع عبء الحروب الصليبية . وكانت قلعة الحصن وقلعة الصُّبيبة الصليبيتان تشرفان على الطرق والممرات وتراقبان بالتالي المنطقة .

وفي سنة ١١٠٥ - ١١٠٦ م تقدّم الفرنجة * حتى قرية العال وبنوا فيها قلعة ، إلاّ أنهم لم يحتفظوا بها طويلا .

وكانت طبرية ، قاعدة الصليبيين منذ معركة حطّين *، تتلقى بالتساوي نصف واردات السلط والبقاء والجولان والمناطق المحاورة حتى حوران . ويعني هذا أن الجولان وحوران خضعا لسلطة الصليبيين . وتحمل الجولان نتائج الغزو المغولي في القرن الخامس عشر للميلاد بقيادة تيمورلنك . وبدأ عهد جديد منذ ١٥١٦ م في تاريخ الشرق الأوسط المميّز بوصول العثمانيين الذين حلّوا محلّ المماليك * . ودام هذا الاحتلال العثماني الطويل حتى أواخر الحرب العالمية الأولى ، وتخللته اضطرابات أهمها احتلال المصريين بقيادة إبراهيم باشا سورية في مطلع القرن التاسع عشر. وخلّفت هذه الحملة

المصرية العسكرية أثرين ، هما جسر الرّقاد القديم والطريق القديمة المسماة الطريق المصرية .

وبعد انتهاء حكم العثمانيين ، وبعد تحرير سورية من الانتداب الفرنسي واستقلالها عام ١٩٤٦ ، غدت منطقة الجولان إحدى المحافظات السورية . وبعد أن قامت (إسرائيل) في فلسطين عام ١٩٤٨ ، أصبحت الجولان منطقة الصدام العسكري بالكيان الصهيوني .

ولعل تاريخ الجولان يوضح الحقيقتين التاليتين :

١) ان منطقة الجولان لم ترث من ماضيها البعيد شيئا يستحق الذكر ، فالآثار والأوابد فيها نادرة وقليلة الأهمية .

٢) إن المجموعات البشرية المختلفة ، باستثناء العرب ، جاءوا الجولان بدءاً من تاريخ حديث تقريباً. والعرب، بدوا وفلاحين ، هم السكان الأصليون ؛ فهم أخلاف القبائل العربية القديمة التي جاءت الجولان ذاته قبل التاريخ الميلادي ، وفي العصر الحديث سكنت الجولان قبائل عربية أشهرها قبائل المناظرة والعرامشة والحمدون والسيّاد والجواميس والفرّ .

جـ - الجولان المحتل : كان احتلال منطقة الجولان أحد الأهداف الرئيسة للحرب التي شنتها (إسرائيل) في حزيران ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) . وقد غزت (إسرائيل) الجولان واحتلت منه ما مساحته ١,٢٥٠ كم٢ ، وفيها المنطقة المنزوعة السلاح*ومساحتها نحو ١٠٠ كم٢ . ويدخل في المساحة المحتلة هذه أجزاء صغيرة من جبل الشيخ هي النهايات الجنوبية الغربية لسلسلة هذا الجبل . وتدخل هذه الأجزاء ضمن إطار « الجولان المحتل » تجاوزا للمفهوم الجغرافي .

لقد طردت (إسرائيل) ١٢٠ ألف مواطن عربي سوري من سكان الجولان لجأوا جميعهم الى داخل سورية . وخلال حرب ١٩٧٣ تمّ تحرير القنيطرة ، مركز المحافظة ، وبعض القرى كالحميدية والفحطانية وبير العجم وبريقة والرفيد وغيرها .

١) الأطماع الصهيونية في الجولان : ليس احتلال الجولان ، كما تدّعي (إسرائيل) ، وليد ظروف معينة ، وإنما هو نتيجة لأطماع الصهيونية في الاحتلال والتوسع في الأراضي العربية ، ومنها الجولان . وهناك أدلة وشواهد كثيرة على ذلك ، منها :

(١) الحدود التي رسمها دافيد بن غوريون للدولة الصهيونية . فقد كتب في ١٩١٨ يقول : إن هذه الدولة " تضم النقب برمّته ، ويهودا والسامرة ، والخليل ، وسنجق حوران ، وسنجق الكرك (معان والعقبة) وجزءاً من سنجق دمشق (أقضية القنيطرة ووادي عنجر وحاصبيا) " .

(٢) الحدود التي رسمتها المنظمة الصهيونية العالمية * للدولة الصهيونية . فقد قالت في مذكرتها المؤرخة في ٣/ ٢/ ١٩١٩ التي قدّمتها إلى مؤتمر السلام * في باريس إن هذه الدولة يجب أن تضم جبل الشيخ . وعلّلت ذلك بحاجة الدولة المنشودة إلى مصادر المياه من هذا الجبل الذي يلتصق بالجولان .

(٣) المطالب التي عبّر عنها حاييم وايزمن ، زعيم الحركة الصهيونية يومذاك ، في رسالته إلى رئيس وزراء بريطانيا لويد جورج ، عشيّة انعقاد مؤتمر سان ريمو* . فقد قال وايزمن : " وضعت المنظمة الصهيونية ، منذ البدء ، الحدّ الأدنى من المطالب الأساسية لتحقيق الوطن القومي اليهودي . ولا داعي للقول إن الصهيونيين لن يقبلوا تحت أي ظروف خط سايكس - بيكو (رَ : اتفاقية سايكس - بيكو) ، حتى كأساس للتفاوض ، لأن هذا الخط لا يقسّم فلسطين التاريخية ويقطع منها منابع المياه التي تتزود الأردن والليطاني فحسب ، بل يفعل أكثر من ذلك ، إنه يحرم الوطن القومي بعض أجود حقول الاستيطان في الجولان وحوران التي يعتمد

عليها المشروع بأسره إلى حدّ كبير " . وقد كرر الطلب ذاته دافيد بن غوريون في رسالته التي وجهها باسم اتحاد العمل الصهيوني إلى حزب العمال البريطاني ، وذلك في نيسان ١٩٢٠ .

٢) الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه الجولان :

(١) مرحلة ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ : بعد أن وقّعت سورية اتفاقية الهدنة المشتركة * مع (إسرائيل) في ٢٠/٧/ ١٩٤٩ ، بدأت (إسرائيل)سلسلةمن أعمال خرق الأحكام الخاصة باتفاقية الهدنة المذكورة ، والمتعلقة بشكل خاص بالمناطق المنزوعة السلاح ، وذلك بقصد الوصول إلى غاية محددة ، هي ضمّ هذه الأراضي إليها . فقد شرعت عام ١٩٥٠ تنفذ مشروع تجفيف بحيرة الحولة * . ومن أجل تحقيق هذا المشروع صادرت أراضي المزارعين العرب ، وطردتهم من ديارهم ، وفرضت سيطرتها على المنطقة . وقد اعترف أحد المسؤولين العسكريين السابقين ، وهو الجنرال متياهو بيلد ، بأن تجفيف الحولة جعل سورية بلا حدود آمنة . كما اعترف موشيه دايان بهذه الحقيقة حين صرّح في جريدة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية يوم ١٠/ ٨/ ١٩٧٣ قائلاً : " أجل ، لقد أخذنا من جانبنا الوضع الخاص بالمناطق المنزوعة السلاح ، وتصرّفنا بها كأنها داخل إسرائيل " .

(٢) مرحلة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ : تحققت في هذه المرحلة أطماع الصهيونية التاريخية في الجولان ، موقعاً وأرضاً ومصادر مياه . وبدأت (إسرائيل) تعدّ لضم الجولان بإقامة المستعمرات واستعمار المنطقة المحتلة بنقل سكان جدد إليها ليحلوا محل المواطنين السوريين السكان الأصليين الذين طردتهم بالقوة من ديارهم وبيوتهم .

أظهرت تصريحات المسؤولين الإسرائيليين وبيانات الأحزاب في هذه المرحلة مدى تشدّد (إسرائيل) في التمسك بالجولان . وتأكيداً لهذا الموقف اعتمدت الحكومة الإسرائيلية عام ١٩٦٩ خطة مدّتها عشر سنوات للاستيطان في الجولان تضمنت إسكان ٥٠ ألف إسرائيلي ، وإنشاء مدينة لثلاثين ألف شخص .

وفي هذه المرحلة تمّ إنشاء ٢١ مستعمرة برز فيها العامل العسكري في انتقاء الموقع والترابط الدفاعي بين المستعمرات ، وفي السكان المستعمرين بحيث يكونون من عناصر الشباب الذين أدّوا الخدمة العسكرية .

(٣) مرحلة ما بعد ١٩٧٣ : كان من الطبيعي أن تترك حرب ١٩٧٣ بما حققته من نتائج ، وبخاصة في الأيام الأولى منها ، بصماتها وآثارها على الإستراتيجية الإسرائيلية في الجولان . فاتجهت الحكومة الإسرائيلية إلى توسيع المستعمرات وزيادة عدد سكانها ، وعدّلت خطة الاستيطان السابقة بحيث جعلت هدفها إسكان ٥٠ ألف نسمة حتى نهاية عام ١٩٨٥ . وأقامت مستعمرات جديدة ، حتى بلغ مجموع عدد المستعمرات ٣٢ في شهر شباط ١٩٨٢ . وبدأ تنفيذ مشروع إقامة عشر مستعمرات جديدة .

وخلال فترة الاحتلال ، وبخاصة فيما بعد ١٩٧٣ ، قامت (إسرائيل) بتنفيذ مختلف التدابير والخطط الهادفة إلى تغيير معالم المنطقة المحتلة ، فعمدت إلى تدمير مراكز العمران العربية ، وفيها الجوامع والكنائس والمدارس والمؤسسات ، وأزالت من الوجود مجموعة كبيرة من القرى العربية ، منها : جبّاثا الزيت ، والمنصورة ، والحميدية ، والغسانية ، والعدنانية ، والجويزة ، والرفيد ، والعال ، وفيق ، وخسفين ، وكفر حارب .

وتبقى مدينة القنيطرة من أكبر الشواهد على بربرية الإسرائيليين وصهيونيتهم . فقد أزال الجيش الإسرائيلي المدينة من الوجود ، وجعلها كتلة من الخرائب ، مما دعا الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى إصدار عدة قرارات بشأن القنيطرة ، كان آخرها برقم ٣٢/ ٩١ (الدورة ـ ٣٢) بتاريخ ١٤/ ١٢/ ١٩٧٧ ، وفيه دانت الجمعية العامة " التدمير الشامل والمتعمّد الذي لحق بالقنيطرة أثناء الاحتلال الإسرائيلي لهذه المدينة ، وقبل انسحاب القوات الإسرائيلية منها في عام ١٩٧٤ " ، واعترفت فيه بحق سورية في أن تحصل " على تعويض كامل ومناسب عمّا لحق بالقنيطرة من أضرار واسعة النطاق وتدمير متعمّد أثناء وقوعها تحت الاحتلال الإسرائيلي " . وكانت الجمعية العامة كلّفت لجنة خبراء بتقدير القيمة المالية لهذه الأضرار . وقد قدّرت اللجنة القيمة بمبلغ ٦٨٩,٠٩٠,١٧٨ ليرة سورية بأسعار عام ١٩٧٧ .

اتجهت (إسرائيل) بعد حرب ١٩٧٣ إلى تحصين المستعمرات في الجولان تحصيناً كثيفاً ، وتحويل كل منها إلى قلعة دفاعية ذات اكتفاء ذاتي ، ومترابط ، في الوقت ذاته ، مع المستعمرات المجاورة لها ، إلى جانب إقامة مجموعة متشعبة وكثيفة من الحواجز والموانع ومراكز المراقبة والرصد ، والأقنية المضادة للدبابات وغير ذلك من التحصينات .

(٤) مشاريع ضم الجولان : وفيما كانت (إسرائيل) تنفذ خطط الاستيطان والتحصين في الجولان ، ظهرت عدة مشاريع تعالج موضوع هذه الأرض المحتلة وعلاقة (إسرائيل) بها . ومن أهم هذه المشاريع مشروع ألون * ، ومشروع حزب المابام ، ومشروع حزب العمل ، ومشروع تكتل الليكود .

اقترح يغال آلون في مشروعه الذي نشره عام ١٩٧٦ ، وكان يومذاك وزيراً في الحكومة العمّالية الإسرائيلية ، أن تحتفظ (إسرائيل) بمنطقة إستراتيجية في الجولان لمنع سورية من إمكان التعرض لمصادر المياه ، ولمنع حدوث هجوم سوري مفاجىء على الجليل . ورسم آلون خط الحدود المقترح ممتداً من جبل الشيخ حتى

نهر اليرموك على شكل قوس يوازي خط وقف إطلاق النار ، ويحتفظ (لإسرائيل) بالقسم الأعظم من الجولان .

أما المشروع الثاني فقد طرحه حزب المابام * ، شريك حزب العمل * في تجمع المعراخ * ، في منتصف عام ١٩٧٦ في مؤتمر الحزب . واقترح المشروع أن تمر الحدود مع سورية فوق هضبة الجولان بشكل يوفّر الأمن والسلامة لمستعمرات الجليل الأعلى وغور الأردن ، ومن ثمّ يعتبر ما بقي من الهضبة منطقة منزوعة السلاح .

لم يتضمّن حزب العمل الوثائق التي صدرت عنه مشروعا مفصلا محددا ، وإنما استعمل أسلوب التغطية والغموض فنادى بحدود « يمكن الدفاع عنها » ، وأكدّ أن (إسرائيل) " لن تعود إلى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ التي شكلت إغراء بالاعتداء " . وصرّح زعماء الحزب مرارا بأنه لا يجوز (لإسرائيل) أن تتخلى عن الجولان . وقال إسحق رابين " حتى في نطاق تسوية شاملة ومعاهدة سلام فإن إسرائيل لن تتنازل عن الجولان " .

كان تكتل الليكود * أكثر وضوحا وصراحة من حزب العمل ، فقد أعلن في الوثائق التي أصدرها ، وفي تصريحات زعمائه ، أن الجولان جزء من (إسرائيل) . وحينما نشر مناحيم بيغن برنامج حكومته الثانية في تموز ١٩٨١ عبّر عن هذا التصميم ، إذ جاء في البند الحادي عشر من البرنامج " أن إسرائيل لن تتخلى عن الجولان ، ولن تزيل أية مستعمرة أقيمت فيه . والحكومة هي التي ستبت بشأن التوقيت المناسب لتطبيق قانون الدولة وقضائها وإدارتها على هضبة الجولان " .

مهّدت حكومة بيغن لضمّ الجولان بسلسلة من التدابير كان أبرزها :

(١) حزيران ١٩٧٩ : توقيع ٧٣ عضوا من أعضاء الكنيست * يمثلون معظم الاحزاب ، وبخاصة الليكود والمعراخ ، على عريضة تقول : " إن الجولان جزء لا يتجزأ من إسرائيل " (عدد أعضاء الكنيست ١٢٠) .

(٢) تموز ١٩٨٠ : تعديل قانون الجنسية الإسرائيلية * بحيث أصبح من حق وزير الداخلية " منح الجنسية الإسرائيلية لسكان من المناطق المحتلة في عام ١٩٦٧ " . وهكذا أخذت سلطات الاحتلال في الجولان تفرض الجنسية الإسرائيلية على المواطنين السوريين ، وتوزع عليهم الهويات الإسرائيلية .

(٣) تشرين الأول ١٩٨٠ وآذار ١٩٨١ : تقدم بعض أعضاء الكنيست بمشاريع قوانين لضم الجولان .

٢) قانون ضمّ الجولان : قدمت الحكومة الإسرائيلية إلى الكنيست يوم ١٤/ ١٢/ ١٩٨١ مشروع قانون جاء في مادته الأولى : " يسري قانون الدولة وقضاؤها وإدارتها على منطقة مرتفعات الجولان " . وقد حاز المشروع ، بعد مناقشة قصيرة وسريعة في الكنيست ، تأييد ٦٣ عضوا ومعارضة ٢١ عضوا .

وقد قدّم بيغن المشروع بخطاب قال فيه : " لن نجد في بلدنا أو خارجه رجلاً جادا درس تاريخ أرض إسرائيل في وسعه أن يحاول إنكار أن هضبة الجولان كانت على مرّ أجيال كثيرة جزءاً لا يتجزأ من أرض إسرائيل . لقد كان من الواجب ، إذن ، أن يمرّ خط الحدود الشمالية لأرض إسرائيل التي دعيت باللغة الأجنبية باسم فلسطين ، في تصريح بنفور وأيضا في الانتداب الدولي ، بهضبة الجولان " . وبعد أن زيّف بيغن الحقيقة وكذب على التاريخ أضاف أن السوريين رفضوا " بدنا الممدودة ، منكرين إنكارا تاما حقنا في الوجود كدولة يهودية " .

٤) مقاومة أهل الجولان : منذ أن لمس المواطنون السوريون في الجولان بدء تطبيق الإجراءات الإسرائيلية الممهّدة لعملية الضم ، أخذوا يجمعون صفوفهم ، ورفضوا التخلّي عن هويتهم الوطنية ، ورفضوا قبول الجنسية والهوية الإسرائيليتين ، وتنادوا إلى عقد مؤتمر في قرية مجدل شمس ، في أواخر عام ١٩٨٠ ، حضره زعماء المنطقة وعدد كبير من أبنائها . وقد أصدروا ببانا أسموه « الوثيقة الوطنية » ، وأبلغوه الأمين العام للأمم المتحدة ووسائل الإعلام العالمية التي استطاعوا الاتصال بها .

استهل المؤتمرون الوثيقة بقولهم : " نحن المواطنين السوريين في المرتفعات السورية المحتلة نرى لزاما علينا أن نعلن ... من أجل الحقيقة والتاريخ ، حقيقة موقفنا من الاحتلال الإسرائيلي ، وذلك المستمر لابتلاع شخصيتنا الوطنية ، ومحاولته ضم الهضبة السورية المحتلة حينا ، وتطبيق القانون الإسرائيلي علينا حينا آخر ، وجرّنا بطرق مختلفة للاندماج بالكيان الإسرائيلي .. وتجريدنا من جنسيتنا العربية السورية التي نعتز وننشرف بالانتساب إليها ولا نريد لها بديلا ، والتي ورثناها عن أجدادنا الكرام الذين تحدّرنا من أصلابهم وأخذنا عنهم لغتنا العربية التي نتكلمها بفخر واعتزاز " .

وبعد هذا الاستهلال ، تبنّى المؤتمرون مجموعة من المبادىء والقرارات ، كان أهمها :

" ١ ـ هضبة الجولان المحتلة جزء لا يتجزأ من سورية العربية . والجنسية العربية السورية صفة ملازمة لنا لا تزول . وهي تنتقل من الآباء إلى الأبناء .

"٢ ـ لا نعترف بأي قرار تصدره إسرائيل من أجل ضمّنا إلى الكيان الإسرائيلي .

" ٣ ـ لا نعترف بشرعية المجالس المحلية والمذهبية لأنها عُيّنت من قبل الحاكم العسكري الإسرائيلي .

" ٤ ـ كل شخص من الهضبة السورية المحتلة تسوّل له نفسه استبدال الجنسية الإسرائيلية بجنسيته يسيء إلى كرامتنا العامة ، ولشرفنا الوطني ، ولانتمائنا القومي ، ولدينا ، ونقاليدنا ، ويعتبر خائنا لبلادنا " .

وقرر المؤتمرون أن كل من يتجنّس بالجنسية الإسرائيلية مطرود من الدين ، ومحرم التعامل معه ، أو تزويجه ، إلى أن يتوبَ بذنبه ويعود عن خطيئته .

بعد أن صدر قانون ضم الجولان تنادى المواطنون السوريون في الهضبة إلى عقد اجتماعات متتالية للاتفاق على مواجهة هذا العدوان الجديد . ثم قرروا إعلان الإضراب العام بدءاً من ١٤/ ٢/ ١٩٨٢ ، بعد أن ظهر لهم رفض (إسرائيل) الانصياع إلى قرارات الأمم المتحدة التي طالبتها بإلغاء القانون . وقد سبق إعلان الإضراب امتناع السكان عن دفع الرسوم والضرائب ، ومقاطعة مختلف سلطات الاحتلال وعدم التعامل معها ، بالرغم من الخسائر والمشكلات الناجمة عن هذا الموقف ، وبخاصة ما يتعلق منها بالحياة اليومية . وقد قال أحد زعماء المنطقة : " نحن مستعدون للموت على كلمتنا ، ولن نغيّر جنسيتنا مطلقاً حتى ولو أدّى ذلك إلى التضحية بأرواحنا " . ولقد ألفت سلطات الاحتلال القبض على أربعة من زعماء المنطقة وسجنتهم .

بدأ الإضراب العام في موعده المحدد ، وأغلقت جميع المتاجر والمكاتب والمدارس والمؤسسات أبوابها ، ولم يتوجه العمال إلى أعمالهم . وقد هدّدت وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية المعلمين بطردهم من وظائفهم ، كما تسلّم مئات العمال رسائل فصل من العمل .

ومن أجل مقاومة هذا الموقف الجماعي الوطني لجأت سلطات الاحتلال إلى استخدام وسائل الإرهاب والقمع والقهر والضغط والحرمان ، فاتخذت مجموعة من التدابير منها توسيع حلة الاعتقال والسجن ، ومنع الرعاة من سوق ماشيتهم إلى المراعي ، وهدم البيوت في بعض القرى ، ومنع المزارعين من تسويق محاصيلهم ، وفرض ضرائب جديدة على السكان ، ومصادرة أراض جديدة بحجة تخصيصها لإقامة مستعمرات جديدة ، وفرض الإقامة الجبرية على عشرات المواطنين والمثقفين ومنعهم من مغادرة بيوتهم ، والقيام بحملات التفتيش في البيوت ، وغير ذلك من أعمال الإرهاب والقمع التي شملت أيضا بتصريح وزير المواصلات الإسرائيلي بعد زيارته الجولان يوم ١٧/ ٢/ ١٩٨٢ إذ قال : " يجب التعامل معهم (سكان الجولان) بشكل حازم . وكل من يشعر بأنه سوري، فهضبة الجولان لنا وبأيدينا . وجب تمكين أولئك الذين يريدون الانتقال إلى سورية من أن يفعلوا ذلك " . وقد ردّ عليه أحد زعماء المنطقة بقوله " إن تصريحات تسيبوري وزير المواصلات إرهابية . لقد لمست صبرنا إلا أننا سنصمد أمام الضغوط " . وقال زعيم آخر " إننا مستعدون للذهاب حتى النهاية دعماً لمطالبنا " .

ولأن هذه الوسائل التي استخدمتها (إسرائيل) لم تؤد إلى النتيجة المطلوبة ، أغلقت قوات الجيش الإسرائيلي منطقة الجولان وعزلتها عزلاً تاماً بدءاً من ٢٥/ ٢/ ١٩٨٢ ، وفرضت منع التجول على عدة قرى ،ومنعت اتصال أهل القرى بعضهم ببعض، وكلفت الجنود توزيع المهمات الإسرائيلية على السكان . فرفض هؤلاء استلامها ، وحدثت مناوشات بينهم وبين الجنود . وقد أدّت هذه التحديات والضغوط المستمرة إلى صدامات وقعت بين المواطنين السوريين وقوات الاحتلال في قريتي مسعدة ومجدل شمس يوم ٢/ ١٩٨٢/٤ وأدت إلى أصابة نحو عشرة مواطنين برصاص الجنود وجرح ستة جنود بالحجارة التي ألقاها المواطنون على الجنود دفاعاً عن أنفسهم .

٥) في الأمم المتحدة : اثر إصدار الكنيست قانون ضم الجولان أصدرت الحكومة السورية بيانا يوم ١٤/ ١٢/ ١٩٨١ قالت فيه إن القرار الإسرائيلي يعني " شن حرب على سورية وإلغاء لوقف اطلاق النار " . ودعت سورية مجلس الأمن إلى عقد اجتماع عاجل لمعالجة " الوضع الخطير الذي يهدد الأمن والسلم في المنطقة وفي العالم ، واتخاذ قرار بإلغاء الإجراءات الإسرائيلية وفرض العقوبات على العدو الإسرائيلي " .

وفي أثناء ذلك كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة منعقدة في دورتها السادسة والثلاثين فناقشت التدبير الإسرائيلي ، وأصدرت يوم ١٧/ ١٢/ ١٩٨١ قراراً رقمه ٣٦/ ٢٢٦ ـ باء أعلنت فيه أن " قرار إسرائيل تطبيق القانون الإسرائيلي على مرتفعات الجولان العربية السورية لاغٍ وباطل وليس له أي صحة قانونية على الاطلاق " ، وشجبت تمادي إسرائيل في اتباع سياسة الضمّ ، ورجت مجلس الأمن ، في حال امتناع (إسرائيل) عن إلغاء قرارها ، أن يُعمل الفصل السابع من الميثاق ، وهو الفصل الخاص بالعقوبات .

اجتمع مجلس الأمن وناقش التدبير الإسرائيل وأصدر يوم ١٩٨١/١٢/١٧ بالإجماع قراراً رقمه ٤٩٧ أعلن فيه " أن قرار إسرائيل بفرض قوانينها وولايتها وإدارتها في مرتفعات الجولان السورية المحتلة لاغ وباطل وليس له أي أثر قانوني دولياً " . وطالب " إسرائيل ، بوصفها السلطة القائمة بالاحتلال ، بإلغاء قرارها فوراً " . وقرر " في حال عدم امتثال إسرائيل لهذا القرار أن يجتمع بصورة عاجلة في موعد لايتجاوز ٥/ ١/ ١٩٨٢ للنظر في اتخاذ التدابير الملائمة وفقاً لأحكام ميثاق الأمم المتحدة " .

قدّم الأمين العام للأمم المتحدة تقريراً إلى مجلس الأمن بيّن فيه أن (إسرائيل) لم تنفذ القرار ٤٩٧ . وهكذا عاد المجلس إلى الاجتماع يوم ١٩٨٢/١/٥ ، واستمر في مناقشة الموضوع حتى يوم ٢٠ / ١/ ١٩٨٢ حين صوّت على مشروع قرار تضمن اعتبار إجراءات (إسرائيل) في الجولان " عملاً عدوانياً " وفقاً لأحكام الميثاق . وطلب المجلس من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة " أن

تنظر في تطبيق تدابير ملموسة وفعّالة بهدف إلغاء الضمّ الإسرائيلي للأراضي السورية ، والامتناع عن تقديم أية مساعدة أو صون لإسرائيل في جميع المجالات ،وبذل كل ما من شأنه أن يردع إسرائيل عن سياسات وممارسات الضم التي تتبعها " .

نجح مشروع القرار بتأييد تسع دول له ، غير أنه سقط حين استعملت الولايات المتحدة حق النقض (الفيتو) . وامتنعت عن التصويت ، خمس دول هي فرنسا وانكلترا واليابان وبنما وإيرلندا .

وإثر ذلك طلبت سورية إحالة الموضوع على الجمعية العامة في دورة استثنائية طارئة ، لفشل مجلس الأمن في اتخاذ قرار بسبب استعمال النقض من قبل إحدى الدول الخمس ذات العضوية الدائمة في مجلس الأمن . وهكذا انعقدت الدورة الاستثنائية الطارئة التاسعة للجمعية العامة من ٢٩/ ١ إلى ٥/ ٢/ ١٩٨٢ ، وصدر عنها القرار رقم د ط ٩/ ١ ، وفيه كررت الجمعية العامة ما ورد في قرار مجلس الأمن ٤٩٧ وقرارها ٣٦/ ٢٢٦ ـ بـاء ، وشجبت " الصوت السلبي الذي أدلى به عضو دائم في مجلس الأمن والذي منع المجلس من أن يتخذ ضد إسرائيل التدابير المناسبة بموجب الفصل السابع من الميثاق " . وأعلنت الجمعية العامة" أن سجل إسرائيل وإجراءاتها تؤكّد أنها ليست دولة محبة للسلام " . وطلبت من جميع الدول الأعضاء"الامتناع عن إمداد إسرائيل بأية أسلحة أو معدّات" و"وقف المساعدات الاقتصادية والمالية والتكنولوجية لإسرائيل ، ووقف التعاون معها ، وقطع العلاقات الدبلوماسية والتجارية والثقافية مع إسرائيل " وأن تكفّ فوراً " عن كل تعامل مع إسرائيل كي تعزلها عزلاً تاماً في جميع الميادين " . وطلبت الجمعية العامة من " جميع الوكالات المتخصصة بمنظومة الأمم المتحدة والمؤسسات الدولية أن تمتنع في علاقاتها مع إسرائيل لأحكام هذا القرار " . وقد أيدت ٨٦ دولة هذا القرار ، وعارضته ٢١ دولة منها الولايات المتحدة وفرنسا وإنكلترا وألمانيا الاتحادية وبعض دول أوربا الغربية ، وامتنعت عن التصويت ٣٤ دولة بعظمها من أميركا اللاتينية ، وغابت ١٦ دولة .

٦) في جامعة الدول العربية : عقد مجلس جامعة الدول العربية على مستوى وزراء الخارجية اجتماعاً طارئاً في مقر الجامعة العربية في تونس يوم ١٣/ ٢/ ١٩٨٢ ، وناقش " موضوع العدوان الإسرائيلي الأخير بقسم الأراضي العربية السورية المحتلة في سرتفعات الجولان " . واستخلص وزراء الخارجية من استعراض سياسة الولايات المتحدة ومواقفها " أن السياسة الأميركية الراهنة من شأنها أن تخلق حالة تتطور نحو المجابهة مع الأمة العربية" ، لذلك قرر المجلس إدانة " سياسة الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط ، ولا سيما دعمها ومساندتها للعدو الإسرائيلي ، واعتبار هذه السياسة معادية للأمة العربية " . كما قرر " بذل الجهود المشتركة لتنفيذ جميع فقرات قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادربتاريخ ٥/ ٢/ ١٩٨٢ ، وإجراء الاتصالات واتخاذ الإجراءات اللازمة من أجل طرد إسرائيل من الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة والهيئات الدولية الأخرى " .

المراجع :

ـ شؤون فلسطينية : العددان ١٢٤ و ١٢٥ ، آذار ونيسان ١٩٨٢ ، بيروت .
ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية : العدد ١ ، كانون الثاني ١٩٨٢ ، بيروت .
ـ المكتب المركزي للإحصاء: القنيطرة (عرض وتحليل) ، دمشق ١٩٧٤ .
ـ وثائق وعاضر مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة .
ـ أحمد وصفي زكريا : الريف السوري ، دمشق ١٩٥٧ .
ـ عادل عبد السلام : جغرافية سورية الإقليمية ـ منطقة الجولان ، دمشق ١٩٦٨ .
ـ عادل عبد السلام : الجولان قبل العدوان ، دمشق ١٩٧١ .
ـ عادل عبد السلام : الجولان مسرح الجبهة السورية ، مجلة العربي ، العدد ١٨١ ، الكويت ١٩٧٣ .
ـ صفوح خير : إقليم الجولان ، دمشق ١٩٧٦ .
ـ وليد الجمعري : المستعمرات الاستيطانية الإسرائيلية في الأراضي المحتلة ١٩٦٧ ـ ١٩٨٠ ، بيروت ١٩٨١ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة القنيطرة وفق .
ـ لانعر . ف : بأم عيني (مترجم) ، دمشق ١٩٧٤ .
— Abel, F.M.: **Geographic de la Palestine**, Paris 1936.
— Adib Souleiman Bagh: **La Région de Djolan**, Paris 1958.

جُولِس (قرية ـ) :

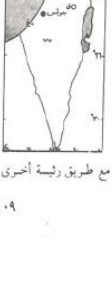

قرية عربية تقع على مسافة ٢٩ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة غزة * ، وعلى مسافة ٦ كم تقريبا إلى الشرق من مدينة المجدل * ، وعلى مسافة ٥ كم إلى الجنوب الغربي من السوافير* . أنشأها الصليبيون في العصور الوسطى باسم « يوليوس » ، الذي حرف إلى جولس فيما بعد .

جولس ذات موقع جغرافي ممتاز ، لأنها عقدة مواصلات مهمة في السهل الساحلي * الجنوبي لفلسطين . فهي على طريق المجدل ـ المسمية ـ القدس ، تتقاطع عندها هذه الطريق الرئيسة المعبدة مع طريق رئيسة أخرى

قادمة من أسدود * في الشمال ، وتتجه إلى كركبا * وبربر * في الجنوب . وقد أنشأت سلطة الانتداب بالقرب من تقاطع هذه الطرق البرية الحيوية معسكرا للجيش البريطاني للإشراف على هذا الفترق والتحكم فيه .

أقيمت جولس على ضفة ثنية أحد الأودية الرافدية الجافة التي ترفد وادي أبطح بين حامة * وأسدود في طريقه إلى البحر المتوسط . وقد أعطى ذلك موضعها أهمية دفاعية في الماضي .

وقد نشأت القرية فوق موقع أثري قديم في السهل الساحلي الجنوبي لفلسطين ، وتمثلت آثار ذلك الموقع في بقايا المباني السكنية والمعاصر والآبار والصهاريج . وتوجد على مسافة ٣ كم إلى الغرب من جولس بعض الخرائب الأثرية . حفل بحرية الذراع وبحرية رمم الفرش ، وهي تدل على أهمية المنطقة من الناحية العمرانية قديما (ر : الخرب والأماكن الأثرية) .

ترتفع جولس نحو ٥٠ م فوق سطح البحر ، وتتألف من مجموعة بيوت مندمجة على شكل مربع محصور بين دوار جولس وكل من طريقي السوافير وكركبا . وتجمع بيوتها بين مادتي الطين والإسمنت ، كما تنتشر بعض الحوانيت على جانبي الطرق المارة بالقرية . وقد اشتملت جولس على جامع ومدرسة ابتدائية تأسست عام ١٩٣٧ . وضمّت مقاما لضريح المجاهد الشيخ جبر الذي استشهد أثناء الحروب الصليبية .

تتوافر المياه الجوفية في منطقة جولس ، إذ توجد فيها آبار تستغل مياهها لأغراض الشرب والزراعة * . وتجهر الإشارة إلى أن بلدية الفالوجة اشترت عام ١٩٤٧ بئر مياه من جولس لتوصيل المياه في أنابيب إلى الفالوجة * التي كانت تعاني من نقص المياه . وقد امتد عمران جولس في أواخر أيام الانتداب البريطاني فوصلت إلى مساحة رقعتها ٣٠ دونما .

بلغت مساحة أراضي جولس ١٣,٥٨٤ دونما ، منها ٣٥٠ دونما للطرق * والأودية . ولم يملك الصهيونيون من أراضيها شيئا . وتتميز أراضيها بخصب التربة فيها ، وتوافر المياه الباطنية في جوفها . وتبلغ أعماق آبارها في المتوسط ٦٠ م . وقد اشتهرت جولس بزراعة جميع أصناف الحبوب * وبعض أصناف الخضر * والفواكه . وتمتد بساتين الأشجار في مساحة واسعة إلى الشرق والشمال من جولس ، حيث غرس الأهالي قبل طردهم من ديارهم أشجار البرتقال في أكثر من ١,٣٥٥ دونما .

بلغ عدد سكان جولس في عام ١٩٢٢ نحو ٤٨١ نسمة ، وازداد في عام ١٩٣١ إلى ٦٨٢ نسمة كانوا يقيمون في ١٦٥ بيتا ، وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٠٣٠ نسمة . وقد أبدل أهالي جولس بلاء حسنا في الدفاع عن قريتهم ذات الموقع الاستراتيجي الذي كان يقسم معسكرا للجيش البريطاني . وقد حاول الصهيونيون احتلال المعسكر بعد أن أخلاه الإنكليز ، لكنهم أخفقوا أكثر من مرة . ثم تمكنوا في النهاية من احتلال المعسكر والقرية التي دمرت بعد إخراج سكانها العرب منها في عام ١٩٤٨ . وقد أقام الصهيونيون بعدئذ مستعمرتي « كرمون » وهوديا » على أراضي قرية جولس ، واستخدمت قوات الاحتلال الإسرائيلي معسكر جولس .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة أسدود .

جونستون (مشروع ـ) :

ر : الأردن (استثمار مياه نهر ـ ورافده)

جونسون (مشروع جوزيف ـ) :

بدأ الدكتور جوزيف جونسون ، رئيس مؤسسة كارنجي للسلام العالمي (مؤسسة أمريكية) عام ١٩٦١ بتكليف من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية دراسة مشكلة الفلسطينيين الذين طردوا من ديارهم نتيجة قيام الكيان الصهيوني . وقد تم تكليفه المهمة المذكورة من خلال لجنة التوفيق الدولية * التابعة لمنظمة الأمم المتحدة ، حتى تأخذ مهمته طابعا دوليا .

تقدم الدكتور جونسون في ١٩٦٢/١٠/٢ بنتائج دراسته في ما عدّه مشروعا صالحا لحل القضية الفلسطينية . ويقوم المشروع على الإجراءات التالية :

١) يُخيّر كل رب أسرة فلسطينية لاجئة بين العودة إلى فلسطين أو التعويض . ويتم هذا التخيير بلا ضغط ولا إكراه من أي جهة .

٢) يجب أن يعرف هذا اللاجىء ، قبل أن يختار ، حقيقة الوضعين اللذين سيختار احدهما ؛ يجب أن يعرف مقدار التعويضات التي سيحصل عليها إن اختار التوطن خارج فلسطين ، وأن يعلم أيضا أن العودة تعني وجوب الانصهار والاندماج في المجتمع الإسرائيلي .

٣) تحسب تعويضات الراغبين في عدم العودة على أساس قيمة ما كان كل لاجىء يمتلكه في عام ١٩٤٧ ، وتضاف إليها الفوائد المتحققة منذئذ .

٤) تسهم الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة ، وفيها الولايات المتحدة و(إسرائيل) ، بتوفير الأموال اللازمة لدفع هذه التعويضات .

٥) (لإسرائيل) أن تقوم بدراسة أمنيّة كاملة لكل لاجيء يختار العودة . ويحق لها ، بالتالي ، أن ترفض عودة من ترى عودته خطرا عليها .

٦) أما الفلسطينيون المهجّرون الذين ليس لهم ممتلكات في فلسطين فإنهم سيعطون ، إذا لم يرغبوا في العودة ، تعويضا ماليا مقطوعا يساعدهم على الاندماج في المجتمعات الجديدة التي يختارون البقاء فيها . وتدفع هذه التعويضات عبر منظمة الأمم المتحدة التي ستتولّى القيام بدور الوسيط بين الأطراف المعنيّة ، إلى أن تنتهي عملية التوطين .

٧) يحق لأي حكومة أن تنسحب من المشروع إذا وجدت فيه ضرراً بمصالحها الحيوية .

٨) يجري تطبيق هذا المشروع تدريجيا .

لم ترفض الدول العربية مقترحات جونسون صراحة بل طالبت ، قبل الدخول في أي تفصيلات أخرى ، أن توافق (إسرائيل) على قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بقضية اللاجئين . وأما (إسرائيل) فقد رفضت هذه المقترحات على لسان غولدا مائير ، وزيرة خارجيتها آنئذ (٣ تشرين الثاني ١٩٦٢)، لأنها تنكر أصلا أي حق من حقوق الشعب الفلسطيني الوطنية .

لقد كان مشروع جوزيف جونسون محاولة واضحة للتضليل وللالتفاف على الفقرة ١١ من قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ (الدورة ٣) الصادر في ١٩٤٨/١٢/١١ ، وهي الفقرة التي تنص على حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم ، والتعويض على من لا يرغب منهم في العودة . فالمشروع يجعل (إسرائيل) ويعطيها في الفقرة الخاصة بالحق في رفض عودة من ترى في عودته خطرا عليها . وهذا ما لم تحصلها إيّاه الفقرة ١١ المذكورة من قبل .

والحقيقة أن مشروع جونسون ليس مشروع سلام وضع لحل القضية الفلسطينية . والحقيقة الأكبر أن القضية الفلسطينية ليست مسألة تعويض مادي للبقاء بعيدا عن الوطن ، أو العودة للاندماج في مجتمع إسرائيلي معتدٍ دخيل .

المراجع :

ـ مهدي عبد الهادي : المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ١٩٣٤ ـ ١٩٧٤ ، بيروت ١٩٧٥ .

جونسون (مشروع ليندون ـ) :

أعلن الرئيس الأمريكي ليندون جونسون يوم ١٩٦٧/٥/٢٣ ، في آخر تصريح رسمي له قبل العدوان الإسرائيلي في ٥ حزيران ، أن " الولايات المتحدة ملتزمة بقوة بدعم الاستقلال السياسي والسلامة الإقليمية لجميع الدول في منطقة الشرق الأدنى " .

وشكل الرئيس جونسون في ١٩٦٧/٦/٧ لجنة خاصة تابعة لمجلس الأمن القومي مهمتها تنسيق ما سمي " جهود السلام الأمريكية في الشرق الأوسط " .

وفي ١٩ حزيران ، وبناء على توصيات هذه اللجنة ، ألقى جونسون خطابا تناول فيه سياسة بلاده الخارجية ، وحدّد خمسة مبادىء كبرى للسلام في الشرق الأوسط :

١) لكل دولة من دول المنطقة حق أساسي في الحياة ينبغي احترامه من قبل جيرانها .

٢) لا بد من حل مشكلة اللاجئين حلا عادلا ، خاصة أن النزاع الجديد أدّى إلى اقتلاع المزيد من الناس من موطنهم الأصلي . ولا بد أن توجه دول الشرق الأوسط جهودها لرفع الظلم عن هؤلاء .

٣) لا بد من احترام حرية المرور البريء في الممرات المائية الدولية ، لأن العمل الطائش الأساسي الذي فجر الحرب كان القرار التعسفي بإغلاق مضائق تيران .

٤) لا بد من وضع حد لسباق التسلح في الشرق الأوسط ، فالحرب بيّنت خطورته . ولا تقع مسؤولية ذلك على دول المنطقة فحسب ، بل على الدول الكبرى أيضا . وستعمل الولايات المتحدة بقدراتها الدبلوماسية ما في وسعها من أجل إيجاد السبيل للحد من سباق التسلح . وعلى الأمم المتحدة أن تدعو جميع أعضائها إلى إعلامها عن جميع شحنات الأسلحة المرسلة إلى المنطقة .

٥) لا بد من احترام الاستقلال السياسي والسلامة الإقليمية لجميع الدول في المنطقة . وإن ما تحتاج إليه الدول المعنية بالنزاع هو حدود معترف بها بدلا من خطوط الهدنة الهشة المخترقة باستمرار ، إضافة إلى ترتيبات تجعل الحدود آمنة من الإرهاب والتدمير والحرب ، وترتيبات تعترف بالمصالح الخاصة للديانات الكبرى الثلاث في الأماكن المقدسة في القدس .

وتجدر الإشارة إلى أن جونسون رفض المطلب العربي المدعوم من الاتحاد السوفييتي الذي يندّد على انسحاب (إسرائيل) الفوري إلى خطوط ١٩٦٧/٦/٤ ، وبيّن أن (إسرائيل) لا يمكن أن تقبل بالتنازل عن كل المكاسب الإقليمية التي جنتها من انتصارها في الحرب .

هذه الشروط التي طرحها جونسون مشروعا للسلام كانت وراء عدم الاتفاق الأمريكي ـ السوفييتي في قمة غلاسبورو التي بدأت أعمالها في ١٩٦٧/٦/١٧ ، بل إنها ألغت عمليا ما كان قد تعهد به الرئيس الأمريكي في إعلان ١٩٦٧/٥/٢٣ السالف الذكر .

وقد كان طرح جونسون لهذا المشروع المتحيز « لإسرائيل » ، من دون تحديد أية أساليب عملية لتنفيذه ، محاولة لكسب مزيد من الوقت تتمكن (إسرائيل) خلاله من توطيد مواقعها في المناطق المحتلة ، وخلق أوضاع تضع العرب والعالم أمام وقائع جديدة . لهذا أجمعت الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية * على رفض مشروع جونسون والتنديد به .

المراجع :

- ليل سليم القاضي : تقارير حول مشاريع التسويات السلمية للنزاع العربي - الإسرائيلي ١٩٤٨ - ١٩٧٢ ، مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٢٢ ، حزيران ١٩٧٣ ، بيروت .
- مهدي عبد الهادي : المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السلمية ١٩٣٤ - ١٩٧٤ ، بيروت ١٩٧٥ .

الجوهري : ز : عبد النفور بن محمد الجوهري

الجيب (وادي) : ز : عربة (وادي -)

جيدا (قرية -) : ز : القرى العربية المندثرة

جيروزالم بوست (صحيفة -) : ز : الصحافة الإسرائيلية

جيروم (٣٤٠ - ٤٢٠ م) :

ولد القديس جيروم في ستريدونا في دالماسيا ، ونوفي في مدينة بيت لحم * الفلسطينية .

درس في روما ، وسافر إلى فرنسا فدرس اللاهوت في تريف ، وأمّه إلى آسيا الصغرى . مال إلى الرهبنة فدخل ديرا قرب أنطاكية (٣٧٣ - ٣٧٦ م) . ثم غادر الدير ليعيش في صومعة في البادية مصطحبا مكتبته التي تضم كتب الشاعر فيرجيل والخطيب شيشرون . وقد تحدث عمّا رآه في حلمه من محاكمته ، وما قيل له (حينما يكون كنزك يكون قلبك) ، مما جعله يتوقف عن قراءة تلك الكتب .

عاد جيروم إلى أنطاكية فرسم فيها قسيسا . ثم توجه إلى القسطنطينية التي عرض فيها على القديس غريغوار أولّ مؤلفاته في شروح الكتاب المقدس . وفي عام ٣٨٢ م سافر إلى روما فعيّن فيها سكرتير البابا داماسيوس الذي كلفه ترجمة العهد الجديد إلى اللاتينية . وقد حافظ على جلباب نسكه في بلاط البابا .

كان جيروم يشيد بالصّرارة (عدم الزواج) ، ويثني على البكارة ، ممتبرا الرهبان وحدهم المسيحيين الحقيقيين . وكان يهاجم الإجهاض ومنع الحمل ، وينتقد النساء المتبرجات ، وذلك بعبارات أدبية تدل على إحساسه الجمالي . كما هجا الأديب البالغ في وصف العصر ، وسخر من رجال الدين الذين يعطرون ثيابهم ويترددون على المجتمعات الراقية . فكان جيروم في هجائه يشبه الشاعر الهَجّاء جوفنال في مهاجمة آفات عصره الخلقية .

وفي عام ٣٨٥ م وصل جيروم إلى بيت لحم فاعتزل في كهف جمع فيه كتبه ومؤلفاته وأمضى بينها ما تبقى من حياته مدفوعا بقو عقيدته التي حملته على العودة إلى الكتب التي حرم نفسه منها في شبابه .

أنهى جيروم ترجمة الكتاب المقدس فاعتبرت هذه الترجمة أهم الأعمال الأدبية في عصره ، وغدت لغته اللاتينية لغة الدين والأدب في العصور الوسطى . وبفضل ترجمته عرف العالم اللاتيني الكتاب المقدس ، كما يقيت هذه الترجمة النصّ المعتمد لدى الكاثوليكيين .

المراجع :

— Cutts, E.L.: St. Jerome, **Encyclopedia Universalis**, Vol.15.

جيش الإنقاذ :

هو جيش المتطوعين العرب الذين هبوا لمساعدة عرب فلسطين في صراعهم ضد الاستعمار والصهيونية اللذين عملا على إقامة دولة يهودية في فلسطين .

وكانت الصهيونية * قد استطاعت أن تستصدر من الحكومة البريطانية وعد بلفور * الذي رفضه الشعب العربي الفلسطيني . ومضت بريطانيا في تنفيذ مؤامراتها مع الصهيونية من أجل إقامة « الوطن القومي اليهودي » في فلسطين ، فعملت طوال مدة انتدابها على فلسطين مع الصهيونيين على التصدي للمقاومة الفلسطينية تحت ستار المحافظة على الأمن ، فسجنت زعماء الشعب الفلسطيني وشرّدتهم وأبعدت بعضهم إلى خارج البلاد ، وكبتت كل مظهر من مظاهر المقاومة ، وأنزلت بالمناضلين أشد العقوبات ، مما أضعف النضال العربي الفلسطيني ، على حين كانت تسهل هجرة اليهود القادمين من أوربا تمهيداً لتنفيذ الوعد الذي قطعته .

لم تكن الدول العربية آنذاك مالكة مصيرها ، لذلك جاء دعمها

للشعب الفلسطيني في نضاله قاسراً على المظاهر المعنوية والمشاركة الفردية . وعند نهاية الحرب العالمية الثانية استقلت كل من سورية ولبنان ، ووجدت الحركة الوطنية الفلسطينية في سورية خاصة سنداً ما ، وبدأت تعدّ العدّة لمتابعة الكفاح المسلح ، فأرسلت إليها منذ أواخر عام ١٩٤٦ مجموعات من الشبان الفلسطينيين لاتباع دورات تدريبية عسكرية ، كما سعت إلى شراء الأسلحة وتخزينها في مستودعات سرية .

وعندما شعرت بريطانيا أن الصهيونية أصبحت قادرة على شق طريقها دون مساعدتها ، وبات تنفيذ وعد بلفور وشيكاً ، أرادت إلقاء تبعة قيام دولة صهيونية في فلسطين على غيرها ، فقامت في ١٩٤٧/٤/٢ بإحالة قضية فلسطين على الأمم المتحدة لتبتّ فيها في ضوء التطورات الجديدة ، أي بعد أن أعلن الشعب العربي الفلسطيني رفضه للوجود الصهيوني الاستيطاني .

فوزي القاوقجي يراقب المتطوعين العرب

ولما اتضح للعرب ميل اللجان التي شكلتها الأمم المتحدة إلى التقسيم (رَ : تقسيم فلسطين) دعي مجلس جامعة الدول العربية إلى اجتماع في عاليه (لبنان) ما بين ٧ و ١٩٤٧/١٠/٩ (رَ : عاليه ، اجتماع) لدراسة التدابير الواجب اتخاذها للوقوف في وجه المؤامرة على عروبة فلسطين . وكان من أهم القرارات المتخذة خلال ذلك المؤتمر تأليف لجنة عسكرية من ممثلين عن مختلف الدول العربية مهمتها دراسة الموقف من الناحية العسكرية (رَ : اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية) ، ومعاونة أهل فلسطين في الدفاع عن أنفسهم وكيانهم . وقد تألفت تلك اللجنة من اللواء الركن إسماعيل صفوت (العراق) رئيساً ، وعضوية كل من العقيد محمود الهندي (سورية) ، والقدم الركن شوكت شقير (لبنان) ، وصبحي الحضرا * (فلسطين) . ولم ترسل مصر والأردن والسعودية واليمن أحداً يمثلها فيها . وكان من بين توصيات اللجنة فتح باب التطوع أمام الشبان العرب للمشاركة في الكفاح المسلح في فلسطين . وكانت الحماسة شديدة لدى الشبان العرب للمساهمة في النضال ، وخاصة في الأوساط العسكرية . ففي سورية قدم عدد كبير من الضباط طلبات الالتحاق بقرات المجاهدين ، وقدم آخرون استقالتهم من الجيش ليتمكنوا من التطوّع في تلك القوات . وقد أفرزت رئاسة الأركان السورية ٤٦ ضابطاً وعدداً كبيراً من صف الضباط والجنود . وأما في العراق فقد تزعم كبار الضباط فكرة مماثلة ، وانضمّ إليهم الكثير من الضباط الشبان الذين أحيلوا على التقاعد إثر ثورة رشيد عالي الكيلاني . وفي مصر اتصل الضباط الأحرار بالحاج أمين الحسيني * رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين * ، وطلبوا منه التوسط لدى الحكومة المصرية للسماح لهم بالتطوع . وفي الأردن التحق عدد كبير من رجال الشرطة بالمجاهدين . وهكذا بدأ تكوين « جيش التحرير » الذي سمي فيما بعد « جيش الإنقاذ » ، وأسندت قيادته إلى المجاهد فوزي القاوقجي * اعتباراً من مطلع شهر كانون الأول ١٩٤٧ .

أ ـ تشكيل جيش الإنقاذ : شُكّل جيش الإنقاذ من متطوعين سوريين ولبنانيين وعراقيين وأردنيين ومصريين وسعوديين ويمنيين وعدد قليل من جنسيات غير عربية (من تركيا ، ويوغسلافيا ، وألمانيا ، وإنكلترا) ، فجاء تركيبه غير متجانس من حيث الأفراد أو التسليح أو التدريب أو أسلوب العمل .

وقد بلغ عدد الذين تقدموا للتطوّع في جيش الإنقاذ حوالي عشرة آلاف شخص ، إلاّ أن من سار منهم فعلاً إلى فلسطين لم يزد على ٤,٦٣٠ متطوعاً . وكانوا بقيادة ضباط من مختلف الدول العربية تعاونهم مجموعة من صف الضباط والأفراد الذين تركوا وظائفهم في الجيوش العربية . وقد وزع المتطوعون على ثمانية ألوية ، دعي الأول والثاني والثالث منها باسم « اليرموك » ، والرابع باسم « القادسية » ، والخامس باسم « حطين » ، والسادس باسم « أجنادين » ، والسابع باسم « العراق » ، والثامن باسم « جيش العرب » . وقد دخلت هذه الألوية ، الواحد بعد الآخر ، إلى فلسطين بعد ان تم تدريب أفرادها لفترة وجيزة في معسكرات قطنا قرب دمشق بإشراف عسكريين سوريين .

ب ـ مهمته : لم تحدد في الواقع مهمة واضحة لجيش الإنقاذ ، وربما كان ذلك تابعاً من العمومية التي اتصفت بها المهمة الموكلة إلى اللجنة العسكرية من قبل مجلس الجامعة العربية ، إذ كُلّفت هذه اللجنة وضع الخطط والمقترحات العسكرية " الرامية إلى الحيلولة دون تشكيل حكومة يهودية في فلسطين ، وإرغام اليهود على القبول بالمطالب العربية " . وكان جيش الإنقاذ ، كما هو مفروض ، أداة اللجنة العسكرية لتحقيق ذلك ، فهل كان المطلوب منه الاحتفاظ

بالقسم الذي خصصته الأمم المتحدة للعرب أو طرد المهاجرين اليهود الذين أتوا مستعمرين إلى فلسطين ؟ ثم ما المطالب العربية التي يتوجب على جيش الإنقاذ إرغام الصهيونيين على القبول بها ،وقد كان لكل حكومة عربية مفهومها الخاص للقضية الفلسطينية ؟ بل كان هناك تفاوت في مفهوم القادة الميدانيين لمهمتهم . وقد حدّد فوزي القاوقجي الغاية من دخول جيش الإنقاذ إلى فلسطين في خطبة له في جنين ، فقال : " هدفنا واحد ، وهو إلغاء قرار هيئة الأمم المتحدة بالتقسيم ، ودكّ معاقل الصهيونية وتصفيتها نهائياً ، وتنفيذ قرارات الجامعة العربية ، وتثبيت عروبة فلسطين " . فهل كانت هذه فعلاً مهمة جيش الإنقاذ ، وهل كان نادراً على تحقيقها ؟ الواقع أن قائد قطعات الإنقاذ في منطقة الجليل ، المقدم أديب الشيشكلي ، كان يحمل مفهوماً آخر ، فمهام قواته « تقوية معنويات الأهلين في فلسطين ، ومعرفة مقدرة القوات الصهيونية المسلحة في فلسطين ، واختبار موقف سلطات الانتداب البريطاني بالنسبة إلى الأعمال العسكرية التي تحدث بين العرب واليهود » . أي كأن جيش الانقاذ في نظر الشيشكلي مجرد طليعة للجيوش العربية ، ومهمته لا تتعدّى الاستطلاع بالقتال لاختبار قوة العدو ومساعدة الصديق على الصمود حتى تحين الساعة المناسبة . وربما كان هذا اللبس السبب الرئيس الذي جعل هذا الجيش يقصر أعماله على معارك محلية تفتقر إلى الهدف الاستراتيجي ، ويكتفي بأهداف تكتيكية محدودة لم تستطع أن تؤثر على الوضع العام حتى عند نجاحها .

جـ ـ دخوله إلى فلسطين : بدأ القتال في فلسطين يزداد حدة خلال شهر كانون الأول ١٩٤٧ . وكانت المعارك بين العرب والصهيونيين ، رغم موضعيّتها وتمرّقها ، تتميز بطابع الاستمرارية . وقد تولدت بعض الرهبة لدى العرب نتيجة استخدام الصهيونيين مدافع الهاون والمتفجرات بكثرة في حين افتقر إليها العرب ، ولم يكن لديهم مقابلها سوى الشجاعة ، والاستعداد للموت دفاعاً عن الوطن ، والأمل في مساعدة الأشقّاء من الدول العربية . وتعالت أصوات الجماهير العربية في كل مكان تدعو اللجنة العسكرية للتدخل . ومع تزايد صرخات الاستجداد من عرب فلسطين وتزايد حماسة الجماهير العربية ، اختصرت مناهج التدريب في معسكرات قطنا ، واعتبر فوج اليرموك الثاني بقيادة المقدم أديب الشيشكلي جاهزاً للحركة يوم ١٩٤٧/١٢/٨ ، رغم كل ما كان يشكو من نواقص . وفي مساء ذلك اليوم تحرك الفوج من معسكر قطنا باتجاه بنت جبيل في لبنان الجنوبي ، ثم دخل الأراضي الفلسطينية يوم ٩ كانون الأول ، أي في الوقت الذي كانت تدور فيه ، في ناحيتي الزوية والقبيطرة ضد بعض مستعمرات الحولة ، رحى معركة رتّبت خصيصاً لجلب انتباه الصهيونيين إليها وتحويل أنظارهم عن الفوج .

وكان لدخول فوج اليرموك إلى فلسطين أثر كبير في ارتفاع معنويات العرب فيها . ثم توالى دخول الأفواج على الشكل التالي :

١) فوج اليرموك الأول بقيادة المقدم محمد صفا (سوري) وقد دخل فلسطين يوم ١٩٤٨/١/٢٢ واتخذ مواقع له في منطقة جنين * ـ بيسان * .

٢) فوج القادسية بقيادة المقدم مهدي صالح العاني (عراقي) وقد دخل فلسطين في شباط ١٩٤٨ وكان تحت تصرف قيادة جيش الإنقاذ في قرية جبع * .

٣) فوج حطين بقيادة النقيب مدلول عباس (عراقي) وقد دخل فلسطين في آذار ١٩٤٨ وتمركز في منطقة طوباس * .

٤) فوج اليرموك الثالث بقيادة الرائد عبد الحميد الراوي (عراقي) وقد دخل فلسطين في نيسان ١٩٤٨ وتمركز في منطقة القدس * ورام الله * .

٥) فوج أجنادين بقيادة النقيب ميشيل عيسى (فلسطيني) وقد تولى الدفاع عن يافا * وباب الواد .

٦) فوج العراق بقيادة المقدم عادل نجم الدين (عراقي) وقد دخل إلى يافا وتولّى قيادة حاميتها بالإضافة الى وحداته في ١٩٤٨/٢/١٦ .

٧) فوج جبل العرب بقيادة الرائد شكيب وهاب (سوري) وقد تمركز في منطقة شفاعمرو * قرب الناصرة * .

وكانت هذه الأفواج (باستثناء فوج جبل العرب) تشكل مجموعة المنطقة الوسطى التي يقودها القائد فوزي القاوقجي بنفسه . وقد رابط في هذه المنطقة ، بالإضافة إلى هذه الأفواج ، سرايا مستقلة منها السرية اللبنانية بقيادة النقيب حكمت علي ،وسرية الفراتين بقيادة النقيب خالد مطرجي .

أما مجموعة المنطقة الشمالية فكانت بقيادة المقدم أديب الشيشكلي الذي كان يقود أيضاً فوج اليرموك الثاني وفوج جبل العرب . وقد ألحق بقيادة المجموعة الشمالية أيضاً عدة مفارز ، منها المفارز العراقية والحموية والشركسية والإدلبية والأردنية والسورية النظامية واللبنانية والبدوية وحامية عكا ومفرزة مجدل شمس والمفرزة اليوغسلافية .

أعيد تنظيم جيش الإنقاذ في شهر آذار ١٩٤٨ على أساس ألويه فأصبح مؤلفاً من : لواء اليرموك الأول بقيادة المقدم محمد صفا ، ولواء اليرموك الثاني بقيادة المقدم أديب الشيشكلي ، ولواء اليرموك الثالث بقيادة المقدم مهدي صالح العاني ، والفوج العلوي بقيادة غسان جديد .

د ـ التسليح والتدريب : كانت مشكلة التسليح من أصعب المشكلات التي عاناها جيش الإنقاذ . فقد كان هذا الجيش مزوّداً

بخليط من أنواع البنادق الإنكليزية والفرنسية والبلجيكية ، وبعدد قليل من مدافع الهاون المختلفة العيارات ، وبعض الرشاشات . كما أن سلاح الفرح الواحد لم يكن متجانساً ، مما خلق صعوبات جمّة في التموين بالذخائر التي كانت أصلاً قليلة حداً . فقد صعب أو استحال الحصول عليها إذ فرضت الدول الغربية حظراً على بيع الأعتدة الحربية لدول منطقة الشرق الأوسط ، وإن كانت لم تبخل على القوات الصهيونية بالأسلحة والذخيرة ، خاصة عن طريق قوات الانتداب البريطانية .

ولم يتوفر لعناصر جيش الإنقاذ الوقت الكافي للتدريب ، فكان القسم الأعظم من المتطوعين مدنيين يفتقرون إلى التدريب العسكري الجيد والروح الانضباطية والعمل الجماعي ضمن وحداتهم ، رغم تمتعهم بروح عالية من الحماسة والاندفاع . وفي الوقت نفسه كان جيش الإنقاذ يفتقر إلى العدد الكافي من الأجهزة القيادية والتنظيمية والإدارية ، إذ لم يكن لديه في أحسن الحالات سوى نصف العدد المطلوب من الضباط والرتباء .

أما الشؤون الإدارية والتموين فقد أشرف عليها شبان غير عسكريين ، معظمهم من الذين عملوا في الميدان الوطني في سورية . وقد زوّد الجيش السوري هذا المرفق بالكثير من الرتباء ووضع تحت تصرفهم المستودعات والمخازن .

أما من الناحية الصحية فقد كلفت اللجنة العسكرية الدكتور أمين رويحة الإشراف عليها فأسّس مشفى نابلس الذي ضم ٢٠٠ سرير . وقد بقي هذا المشفى يستقبل الجرحى حتى انسحاب جيش الإنقاذ إلى الشمال فسلّم إلى الجيش العراقي . وأسّس الدكتور رويحة أيضاً مشفى ميدان في الرامة ، ثم نقله فيما بعد إلى ترشيحا * .

هـ ـ المعارك : كانت معركة جلّبون * أولى المعارك التي خاضها جيش الإنقاذ في فلسطين . ففي ليلة ٢١ ـ ١٩٤٨/١/٢٢ ، وبغية ستر عملية عبور فوج البرموك الأول إلى فلسطين ، شن فوج اليرموك الثاني بقيادة المقدم أديب الشيشكلي هجوماً مفاجئاً على مستعمرة صهيونية في جلّبون قرب نرشيحا في المنطقة الشمالية . وكان من نتائجها ، بالإضافة الى جذب انتباه الصهيونيين والبريطانيين نحوها ، تمكين قوات الإنقاذ من الحصول على أول المعلومات المؤكّدة عن المستعمرات الصهيونية وأساليب الدفاع عنها . وقد رفعت المعركة معنويات عرب فلسطين . وتبيّن لقوات الإنقاذ أن الصهيونيين في دفاعهم عن مستعمراتهم يقاتلون بضراوة ، معتمدين على تحصيناتهم القوية ، خلافاً لقتالهم في الأراضي الكشوفة . إذ إن التجهيزات التي جاءت لمساعدة القوات الصهيونية في جلبون واشتبكت مع القوات العربية الأقل منها عدداً وعدة لم تظهر ثباتاً في القتال ، فهزمها العرب بعد أن كبّدوها عدداً من القتلى والجرحى ، وحطّموا لها بعض العربات المدرّعة . في حين أن القوات الصهيونية المدافعة عن المستعمرة ، رغم خسارتها المواقع الأمامية واشتعال النيران في بعض مبانيها ، التجأت إلى القلعة ، واستمرت في القتال حتى وصلت قوة بريطانية أنقذتها ، مما اضطر قوات الشيشكلي إلى التراجع طبقاً للتعليمات التي لديها بعدم الاشتباك مع البريطانيين . وسقط في تلك المعركة أوائل شهداء جيش الإنقاذ .

انتقل الصهيونيون بعد تلك المعركة إلى العمل داخل المستعمرات وما بينها ، وركّزوا نشاطهم في مناطق محدّدة مما بدا معه في الظاهر أن الموقف يتطور لصالح العرب ، في حين كانت القوات الصهيونية تسعى إلى السيطرة على المدن ، الواحدة تلو الأخرى ، وإلى تأمين طرق المواصلات بينها وبين المستعمرات تمهيداً للانتقال إلى هجوم واسع النطاق على الجبهات .

وكانت معركة الزرّاعة * هي التالية في سلسلة معارك جيش الإنقاذ ، وقد خاضها فوج اليرموك الأول ليلة ١٦ ـ ١٩٤٨/٢/١٧ رغم صعوبة الأحوال الجوية والقيود التي تفرضها الأراضي الزراعية المغطاة بمياه الأمطار على التحركات .

وقد تمكنت قوات الفوج من المرور عبر الأسلاك الشائكة المحيطة بالمستعمرة تحت نيران غزيرة صبّتها القوات الصهيونية . وتوغلت قوات الإنقاذ داخل المستعمرة ، وخاضت مع المدافعين عنها قتال شوارع عنيفاً . وقد أمكن لوحدات عربية تمركزت على مشارف المستعمرة أن تقطع الطريق على النجدات المرسلة لدعم حاميتها . وقد ظهر بوضوح خلال تلك المعركة سوء أنواع الأسلحة التي يحملها المناضلون العرب ، إذ تعطّل نصفها على الأقل ، مما أضعف القدرة النارية للهجوم ، وأدّى الى وقوع خسائر كبيرة نسبياً (٣٧ شهيداً ، وأكثر منهم جرحى) في القوات العربية المهاجمة .

وتبيّن أن الأسلحة الثقيلة المتوفرة غير كافية لتدمير التحصينات المعادية القوية ، مما يتطلب زيادة كبيرة في مدفعية الميدان لدى جيش الإنقاذ .

ثم تـوالت المعارك ، ومنها في المنطقتين الشمالية والوسطى معارك مشمار هـاعيمـيك * ، ونبعي يعقوب ، ورباب الواد * ، والقسطل * ، والقدس ، وحيفا * ، ويافا * ، والمطلة ، والمنارة ، والمراوي ، والنبي يوشع * ، والشجرة * ، ورامات يوحنان ، وطبرية * ، وصفد * ، وعكا * ، والملكية * . وكان جيش الإنقاذ يتّبع في قتاله تكتيكاً هو مزيج من القتال النظامي وحرب العصابات تبعاً للموقف . وقد لوحظ خلال المعارك كلها اتّصاف المقاتلين العرب برباطة الجأش والجرأة والحماسة ، رغم ضعف الأسلحة وقلة التدريب .

و ـ موقف قوات الانتداب البريطاني : كانت بريطانيا ترى أن جيش الإنقاذ غير قادر على حسم المعركة بمفرده . وقد اعتبرته تنظيماً عسكرياً سيمتص القسم الاكبر من المؤونات العسكرية العربية ، ولا سيما أن المقاومة الفلسطينية الداخلية كانت قد انتشرت واتسع نطاق عملها حتى بلغ كل مكان في فلسطين ، وأنه لو أمكن تسليح هذه المقاومة تسليحاً جيداً ، ونظّمت بشكل محكم ، ووضعت لها الخطط وبُثّت عملياتها ، لكانت أشد خطراً على القوات الصهيونية ، وأكثر تأثيراً في مصير الصراع من قوات جيش الإنقاذ التي أصبح حجمها وتسليحها وأماكن تمركزها معروفة . ثم إن بريطانيا استطاعت ، بمناوراتها السياسية والضغوط التي استعملتها ، الإبقاء على جميع قوات جيش الإنقاذ في القسم العربي من التقسيم .

لذلك وفي ١٩٤٨/٢/١٠ اعتبرت القيادة البريطانية جيش الإنقاذ مسؤولاً عن الأمن ضمن منطقته ، وفوّضت ذلك إليه رسمياً ، وبدأت تسحب قواتها . وكان هدفها من ذلك واضحاً ، وهو جعل هذا الجيش الذي قدم للقتال ، على ما فيه من ضعف عددي وتسليح هزيل ، مشغولاً بالمشكلات الإدارية ، كالإشراف على الشرطة المحلية وتشكيلات الدوائر الحكومية في المنطقة . وقد احتفظت حكومة الانتداب في المنطقة ، على الرغم من ذلك ، بقوات آلية كبيرة رضمتها في مناطق يسان والعفولة وحيفا لحماية المستعمرات الصهيونية . وصرّح القادة البريطانيون في مناسبات عدة أنهم مستعدون للتدخل عسكرياً في أيّة معركة تنشب بين العرب والصهيونيين نقاتلة من يعتبرونه معتدياً . وقد بنت ذلك عملياً في مختلف المعارك الناجمة التي كان يخوضها جيش الإنقاذ ، إذ ما أن يبدو احتمال سقوط مستعمرة صهيونية ، أو خسارة الصهيونيين لمعركة ما ، حتى تتدخل القوات البريطانية المدرّعة والجويّة لإنقاذ الموقف ، ومساعدة الصهيونيين بدعوى أنهم مُعتدى عليهم .

ز ـ جيش الإنقاذ بعد ١٩٤٨/٥/١٥ : يذكر قائد جيش الإنقاذ نوزي الفاوقجي أنه استعلم من اللواء نور الدين محمود المفتش العام لجيش الإنقاذ عن مهمة هذا الجيش بعد يوم ١٩٤٨/٥/١٥ الحدد لدخول الجيوش العربية النظامية إلى فلسطين ، فأجابه : " إن هذا الجيش سرتبط بجامعة الدول العربية ، ويحسن بقائده أن يسأل الأمين العام للجامعة " ، وأضاف : " إذا كنت تريد البقاء بجيشك حيث هو فلا بأس ، ولكن مهمتكم تنتهي بعد دخول الجيوش النظامية " .

ومع دخول الجيوش العربية النظامية وردت برقيات إلى قيادة جيش الإنقاذ من دمشق وعمان تلحّ على سرعة انسحاب الجيش ، في الوقت الذي نعر قائده من تصريحات الملك عبد الله أن هذا الجيش سيُحلّ قريباً . فوضع نوزي الفاوقجي خطة للانسحاب تبدأ يوم ١٧ أيار وتنتهي خلال ثلاثة أيام ، وأطلع عليها الجنرال غلوب رئيس أركان الجيش الأردني الذي أوعز إلى جيشه باحتلال مواقع جيش الإنقاذ في الجبهة . ولكن طول الجبهة وقلة القوات الأردنية لم يسمحا للجيش الأردني إلا باحتلال بعض المواقع الرئيسة ، فأهملت مواقع أخرى لا تقل أهمية . وسارت عملية الانسحاب وفق الخطة الموضوعة لها . غير أن ذلك لم يمنع هذا الجيش من تقديم العون للجيش الأردني فالعراقي في معاركهما عندما طُلب منه ذلك ، كما حصل في معارك القدس وباب الواد . ثم خاض الجيش بعد انسحابه نحو الشمال وتمركزه على الحدود اللبنانية ، خاض يوم ١٩٤٨/٦/٦ معركة المالكية * ، وكانت من أنجح معاركه .

أصبح جيش الإنقاذ بعد تجنّده في جنوبي لبنان في حالة سيئة جداً وبحاجة ماسة لإعادة التنظيم . وقد استدعي الفاوقجي إلى القاهرة لمقابلة الأمين العام لجامعة الدول العربية يوم ١٩٤٨/١٠/٢٢ فأبلغه هذا أن مهمة جيشه قد انتهت . وكلف على أثر ذلك العقيد أنور بنود من الجيش السوري قيادة وحدات الإنقاذ بانتظار حلها ، فأعاد تشكيلها بثلاثة ألوية حملت اسم اليرموك ، ثم نقلت في أواخر آذار ١٩٤٩ إلى سورية . وفي ١٩٤٩/٥/١٥ صدرت الأوامر من المفتشية العامة لقوات الإنقاذ بتوجيه من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بإنهاء مهمة هذه القوات وتسريح أفرادها . وقد تم ذلك رسمياً اعتباراً من التاريخ المذكور .

المراجع :

ـ خيرية قاسمية : مذكرات نوزي الفاوقجي ، بيروت ١٩٧٥ .
ـ اللواء حسن البدري : الحرب في أرض السلام ، القاهرة ١٩٧١ .
ـ محمد فائز القصري : حرب فلسطين ، دمشق ١٩٦٢ .
ـ عارف العارف : النكبة ، بيروت ١٩٥٢ .
ـ هاني الهندي : جيش الإنقاذ ، بيروت ١٩٧٤ .

جيش التحرير الفلسطيني :

المؤسسة العسكرية النظامية لمنظمة التحرير الفلسطينية * ، وقد تأسس عام ١٩٦٤ . وكان ذلك العام قد شهد تطوراً هاماً في العمل الوطني الفلسطيني ، إذ عقد الملوك والرؤساء العرب أول مؤتمر قمة لهم يوم ١٩٦٤/١/١٣ في القاهرة ، لبحث التدابير التي يجب اتخاذها لمواجهة المشروع الإسرائيلي لتحويل مياه نهر الأردن وروافده . وقرر المؤتمر تخويل ممثل فلسطين في جامعة الدول العربية أحمد الشقيري * الاتصال بالدول العربية ، وبشعب فلسطين حيثما وجد ، من أجل إيجاد الطريقة المثلى لتنظيم شعب فلسطين ، وتعبئة

إمكاناته وطاقاته في سبيل تحرير فلسطين (رَ : القمة العربية ، مؤتمرات) .

قام الشقيري بزيارة بعض الدول العربية ، ثم صرح يوم ١٩٦٤/٣/٢٧ أن الكيان الفلسطيني سيقوم على أربع دعائم ، هي :

١) الجهاز العسكري ، ومهمته تمكين القادرين على حمل السلاح من خدمة وطنهم .
٢) الجهاز التنظيمي .
٣) الجهاز السياسي .
٤) الجهاز المالي .

أ ـ مرحلة التأسيس : عقد المؤتمر الفلسطيني التأسيسي (الذي تحول فيما بعد إلى المجلس الوطني الفلسطيني*) في القدس يوم ١٩٦٤/٥/٢٨ . وأصدر عدة قرارات منها :

١) البدء فورا بفتح المعسكرات لتدريب جميع القادرين على حمل السلاح من الشعب الفلسطيني ، رجالا ونساء ، وبصورة إلزامية ودائمة ؛ وإعداد كل فرد منهم ليكون على مستوى معركة التحرير .
٢) تشكيل كتائب فلسطينية عسكرية نظامية ، وكتائب فدائية قادرة وفعالة .
٣) تزويد هذه الكتائب بمختلف أنواع الأسلحة الحديثة والتجهيزات اللازمة .
٤) السعي لإلحاق الشباب الفلسطيني بالكليات والمدارس العسكرية في الدول العربية والدول الصديقة .
٥) تطبيق نظام المقاومة الشعبية والدفاع المدني في صفوف الشعب الفلسطيني .

وبغية البدء بتنفيذ بعض هذه القرارات بسرعة ، تمّ افتتاح أول معسكر في قطاع غزة في شهر أيار ١٩٦٤ . وافتتحت الحكومة الجزائرية معسكرا تدريبيا خاصا بالفلسطينيين ، وطلبت من مكتب فلسطين في الجزائر تزويدها بأسماء الفلسطينيين الذين يرغبون في الالتحاق بهذا المعسكر .

ظهر أول وجود علني للجيش الفلسطيني النظامي في احتفالات الجمهورية العربية المتحدة (مصر) بعيد الثورة يوم ١٩٦٤/٧/٢٣ ، إذ اشتركت وحدات رمزية في العرض العسكري باسم « جيش فلسطين » .

أمّا مؤتمر القمة الثاني الذي انعقد في الإسكندرية يوم ١٩٦٤/٩/٥ قرار منظمة التحرير الفلسطينية بإنشاء جيش التحرير الفلسطيني التابع للمنظمة ، وباختيار ضباطه وجنوده من أبناء فلسطين أينما وجدوا ، ورصدت المنظمة المبالغ اللازمة له . وبذلك استكملت منظمة التحرير الفلسطينية هيكلها في مختلف المجالات العسكرية ، والسياسية ، والمالية ، والتنظيمية ، والإعلامية ، وغيرها .

وقد ورد في البيان الختامي لمؤتمر القمة الثاني أن المؤتمر " رحب بقيام منظمة التحرير الفلسطينية دعما للكيان الفلسطيني ، وطليعة للنضال العربي الجماعي لتحرير فلسطين ، واعتمد قرار المنظمة بإنشاء جيش التحرير الفلسطيني" .

وإثر ذلك ، عيّنت رئاسة المنظمة ضابطا فلسطينيا قائداً لجيش التحرير الفلسطيني ، ودعته الى العمل لإنشاء قوات نظامية وقوات فدائية ، وطلبت منه أن يتعاون تعاونا كاملا مع القيادة العربية الموحدة* في جامعة الدول العربية .

بدأ تشكيل وحدات جيش التحرير في سورية والعراق ومصر والأردن ، فتشكلت في سورية قوات حطين (٣ كتائب مغاوير ووحدات إسناد ودعم) وفي العراق قوات القادسية (كتيبتا مغاوير ووحدات إسناد ودعم) وفي مصر قوات عين جالوت (٣ كتائب مغاوير ووحدات إسناد ودعم) وتشكلت في كل من لبنان والأردن كتيبة مغاوير .

قدّمت سورية والعراق ومصر تسهيلات جمّة من أجل تيسير تطوّع الفلسطينيين في جيش التحرير ، وفتحت أبواب كلياتها ومدارسها العسكرية للتدريب القيادي والاختصاصي والمهني ، وللتمرس بمختلف فنون القتال واستعمال الأسلحة . وسلكت معظم الدول العربية الأخرى هذا السبيل ، إذ سمحت بتطوع الفلسطينيين للالتحاق بالوحدات التي تم تشكيلها ، أو بالكليات والمدارس العسكرية العربية التي رحّبت بتدريب الفلسطينيين .

عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته الثانية في القاهرة في ١٩٦٥/٥/٣١ وأصدر قرارات عسكرية ، منها :

١) الإسراع في تنفيذ التدريب الشعبي .
٢) إنشاء إدارة للتعبئة العامة في المنظمة .
٣) تسهيل مهمة قيادة جيش التحرير في اختيار الضباط

والعناصر العسكرية الأخرى ، وانتقالهم ضمن وحدات جيش التحرير وفقا للمقتضيات العسكرية ، وتمكين القيادة من تدريب الفلسطينيين في أراضي الدول العربية المضيفين فيها .

٤) فرض التجنيد الإلزامي على جميع الفلسطينيين القادرين على حمل السلاح أينما كانوا .

٥) مضاعفة الاهتمام بتشكيلات الفدائيين وزيادة أعدادهم بشكل يمكّن من استخدامهم استخداما ناجحا في العمليات الحربية .

٦) الاهتمام بدور المرأة الفلسطينية في معركة التحرير ، لتمكينها من العمل في المقاومة الشعبية ، والخدمات الطبية ، والإسعاف الميداني .

وبعد أن أخذت قيادة الجيش تنفذ خطط التعبئة والتجنيد ، وتلحق الأفراد بدورات تدريبية ، وتبعث المرشحين ليكونوا ضباطا إلى الكليات العسكرية العربية ، ظهرت أزمة في إطار العمل العربي المشترك تركت آثارها في تطوّر جيش التحرير ، وفي تمركز قواته ومهامها ، كما أثّرت في أعمال منظمة التحرير الفلسطينية ذاتها . وقد برزت هذه الأزمة في مطلع عام ١٩٦٦ حينما اقترحت المنظمة على الأردن السماح لها بتطبيق التجنيد الإلزامي على الفلسطينيين ، وإنشاء كتائب أخرى لجيش التحرير ، وإقامة معسكرات للتدريب الشعبي . وظهرت بوادر انفراج الأزمة إثر الاجتماع المشترك بين الجانبين الأردني والفلسطيني يوم ١٩٦٦/٢/٢١ في مقر جامعة الدول العربية بالقاهرة . وتضمّن البيان المشترك الجوانب العسكرية التالية :

١) مواصلة الحكومة الأردنية دراسة موضوع التجنيد الإلزامي ، " بحيث يمكن تطبيقه حسب الظروف العامة ، وعلى ضوء متطلبات القيادة العربية الموحدة " .

٢) إحالة موضوع تشكيل وحدات جيش التحرير الفلسطيني على القيادة العربية الموحدة لدراسته وإبداء الرأي فيه .

٣) تأليف لجنة من قيادة الجيش الأردني وجيش التحرير الفلسطيني لدراسة موضوع تشكيل وحدات جيش التحرير ووضع مشروع مشترك يقدم إلى القيادة العربية الموحدة لتستعين به .

٤) إنشاء المنظمة معسكرات في فصل الصيف للتدريب العسكري والتوجيه المعنوي للشباب والطلاب يكون الدربون فيها من الجيش الأردني ، وتختارهم المنظمة بالتشاور مع السلطات الأردنية .

٥) تسليح المدن والقرى الأمامية بمساهمة مالية من المنظمة .

غير أن معظم بنود الاتفاق لم تُنفّذ ، إذ تأزمت العلاقات بين الحكومة الأردنية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، مما أدّى إلى قطع الحكومة الأردنية علاقاتها بمنظمة التحرير في الشهر السابع من عام ١٩٦٦ .

وفيما كان التوتر يسود العلاقات العربية بصورة عامة ، عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته الثالثة في غزة يوم ١٩٦٦/٥/٢٠ ، وأصدر عدة قرارات تتعلق بالشؤون العسكرية ، منها :

١) مناشدة الدول العربية الوفاء بالتزاماتها المالية تجاه قيادة جيش التحرير ، واعتبار مخصصات الجيش المالية التزامات على الدول العربية غير مرتبطة بما يتوفر من المال لدى القيادة العربية الموحدة .

٢) تحويل إيرادات الصندوق القومي إلى حساب جيش التحرير .

٣) وضع الدائرة العسكرية في قيادة المنظمة تحت إشراف قيادة جيش التحرير .

وعلى الرغم من الصعوبات الكثيرة التي واجهها جيش التحرير في مرحلة تأسيسه هذه ، استطاعت قيادته أن توفر لأفراد الجيش وضباطه مستوى تدريبيا عسكريا وقتاليا جيدا ، ولا سيما أن بعض الكليات العسكرية العربية أرشكت أن تخرّج الدفعات الأولى من ضباط جيش التحرير . وإلى جانب هؤلاء الخريجين من الكليات العربية ، أوفدت قيادة جيش التحرير بعثات تعليمية للانتساب إلى الكليات العسكرية في بعض الدول الأجنبية الصديقة .

خصصت قيادة منظمة التحرير ٨٥٪ من موازنتها لجيش التحرير ، ولكنها واجهت عقبات مالية ، فمعظم الدول العربية لم تدفع حصصها المالية للمنظمة ، وكان الجيش يومذاك بحاجة إلى خمسة ملايين جنيه إسترليني ، ليستكمل مرحلة التأسيس . وقد ظهر أثر هذا الوضع في قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثالثة التي مرّ ذكرها .

ويمكن القول إن عام ١٩٦٦ شهد تطويرا وتثبيتا لوضع جيش التحرير ، ولكنه شهد في الوقت ذاته متاعب أثّرت في تنفيذ المرحلة الثانية من خطة إنشائه وتطويره وتسليحه وإعداده للمعركة .

ب - جيش التحرير وأحداث عام ١٩٦٧ : كان تطوّر جيش التحرير وتسليحه يسيران ببطء بسبب الصعوبات التي واجهها . وقد جابه هذا الجيش في عام ١٩٦٧ ثلاثة أحداث هامة أثّرت في تنفيذ المرحلة الثانية من خطة إنشائه

١) أصدر رئيس منظمة التحرير يوم ١٩٦٧/٢/١٠ بيانا في القاهرة أعلن فيه تشكيل « مجلس ثورة » لمنظمة التحرير الفلسطينية . وقد قرر هذا المجلس " تطوير جيش التحرير الفلسطيني بحيث يصبح جيشا نضاليا ثوريا مهيأ لحرب التحرير " ،

وبناء على هذا يجب تطوير الجيش في " موازنته وتشكيله وجميع شؤونه " لتصبح موازنته " ثورية " فتخفض بنود النفقات والرواتب . وقرر مجلس الثورة إخضاع الجيش لسلطة " مجلس تحرير يضم خيرة الكفاءات العسكرية العربية " ، وأوكل إلى هذا المجلس مهمة تطوير جيش التحرير الفلسطيني .

لكن قيادة الجيش لم تقبل هذا القرار ، واعتبرت « مجلس التحرير » سلطة تنقص من مسؤولياتها في قيادة جيش التحرير .

٢) نشوب حرب ١٩٦٧ ، وكانت أول تجربة هامة لجيش التحرير الذي خاض الحرب ، وبخاصة في قطاع غزة ، بشجاعة وإقدام . وكانت منطقة التحرير وضعت قوات الجيش في شهر أيار ١٩٦٧ ، تحت تصرف القيادة السورية (قوات حطين) ، والقيادة العراقية (قوات القادسية) ، والقيادة المصرية (قوات عين جالوت) ، لإشراكها في المعركة ضد العدو الإسرائيلي إذا ما شنّ عدوانه (ر : حرب ١٩٦٧) .

٣) استقالة أحمد الشقيري من رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية في ١٩٦٧/١٢/٢٤ وتولي يحيى حمودة رئاسة المنظمة بالوكالة .

أدت الهزيمة العسكرية العربية في حرب ١٩٦٧ إلى بروز الدعوة للكفاح المسلّح القائم على الحرب الفدائية ، الأمر الذي تأثر به جيش التحرير ، ولا سيما بعد ظهور اتجاه يدعو إلى تطوير جيش التحرير واستخدام مختلف طاقاته الفنية والبشرية والمادية في خدمة خط الكفاح الشعبي المسلّح . وكان بروز المنظمات الفدائية الفلسطينية سببا دفع جيش التحرير ، فيما بعد ، إلى تبني فكرة الكفاح المسلح من خلال « قوات التحرير الشعبية » التي شُكّلت في الشهر الثاني من عام ١٩٦٨ .

تكوّنت قوات التحرير الشعبية ضمن إطار جيش التحرير الفلسطيني لتكون ذراعه في العمل الفدائي ، ولتكون نجيدا للرغبة في جعله جيشا ثوريا يشترك في النضال اليومي المسلح ضد العدو الإسرائيلي . وقد ساهمت قوات التحرير الشعبية مع المنظمات الفدائية الأخرى في معارك المقاومة وقدمت الكثير من الشهداء الأبرار .

جـ ـ المرحلة الثانية في تطوير جيش التحرير : كان من الطبيعي أن يؤثر تغيّر بنية منظمة التحرير الفلسطينية ، وانضمام منظمات المقاومة إلى قيادتها ، في مواقف قيادة الجيش من مختلف القضايا الفلسطينية مثل الوحدة الوطنية ، واستقلال القيادة والعمل ، والعمل الفدائي ، وغير ذلك .

وبغية تنظيم العلاقة بين قيادة الجيش وقيادة المنظمة اتخذ المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الرابعة التي عقدت في القاهرة في ١٩٦٨/٧/١٠ قرارين هامين هما :

١) دعم جيش التحرير ، وزيادة حجمه ، وتطويره ، وجعله " حر الإرادة والقيادة ، وتكليف اللجنة التنفيذية للمنظمة اتخاذ جميع الاجراءات اللازمة لذلك ، والعمل على تمكين قوات جيش التحرير من أن ترابط في الأماكن التي ينبغي أن ترابط فيها لصالح الثورة الفلسطينية " .

٢) تعديل المادة ٢٢ من النظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ونصها : " تشكل وحدات فلسطينية خاصة وفق الحاجات العسكرية والخطة التي تقررها القيادة العربية الموحدة بالاتفاق والتعاون مع الدول العربية المعنية " . بحيث تصبح هذه المادة كما يلي : " تنشىء منظمة التحرير الفلسطينية جيشا من أبناء فلسطين يعرف بجيش التحرير الفلسطيني ، وتكون له قيادة مستقلة تعمل تحت إشراف اللجنة التنفيذية وتنفذ تعليماتها وقراراتها الخاصة والعامة . وواجبه القومي أن يكون الطليعة في خوض معركة تحرير فلسطين " .

وكان القصد من هذه التدابير ربط قيادة جيش التحرير بقيادة المنظمة ، واستقلال قيادة الجيش في إدارة قواتها المتمركزة في عدة أقطار عربية ، لتكون هذه القيادة المرجع والجهة المسؤولة في جميع ما يتعلق بهذه القوات .

رأت اللجنة التنفيذية أن المرحلة الجديدة تتطلب إجراء تغييرات في مناصب قيادة الجيش ، فعيّنت في شهر تموز ١٩٦٨ رئيسا جديدا لهيئة أركان الجيش ، وأجرت تنقلات بين بعض ضباط القيادة . ثم عيّنت في ١٩٦٨/١٢/١٤ رئيسا جديدا لهيئة الأركان العامة منحته اختصاصات القائد العام للجيش .

د ـ مرحلة العمليات : عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته الخامسة في ١٩٦٩/٢/١ ، وانتخب لجنة تنفيذية جديدة برئاسة ياسر عرفات (أبو عمار) الذي شغل منصب رئاسة الدائرة العسكرية بالإضافة إلى رئاسة المنظمة .

وكان أول عمل قام به الرئيس الجديد للجنة التنفيذية زيارة قوات عين جالوت المرابطة على قناة السويس مع القوات المصرية ، وزيارة قوات القادسية المرابطة إلى جانب القوات العراقية في الأردن ، وزيارة قوات حطين في سورية .

وفي شهر حزيران ١٩٦٩ أصدرت اللجنة التنفيذية عدة قرارات احدثت فيها منصب « القائد العام لجيش التحرير » وعيّنت ضابطا له ، كما عيّنت رئيسا جديدا لهيئة الأركان العامة ، وأجرت تنقلات بين الضباط ، سعيا لتحقيق الانسجام والانضباط في العلاقة بين قيادة الجيش ورئاسة المنظمة .

وقد ظهرت نتائج هذه التغييرات حينما شاركت قوات الجيش في عملية « إلحزام الأخضر » ضد العدو الإسرائيلي . ففي شهر آب ١٩٦٩ قامت قوات القادسية المرابطة في الأردن ، بالاشتراك مع

قوات التحرير الشعبية وقوات العاصفة (ز : حركة التحرير الوطني الفلسطيني) ، بتنفيذ هذه العملية الناجحة على جهة طولها سبعة كيلومترات من خط المواجهة بين الأردن و(إسرائيل) . وذكرت مصادر جيش التحرير آنذاك أن حجم القوات المشتركة في هذه العملية كان أكبر حجم لمهمة عمليات المقاومة الفلسطينية منذ انطلاقها . ورأت قيادة جيش التحرير في عملية الحزام الأخضر تجسيداً لمضمونات الثورة وتطلعات شعبنا إلى وحدة وطنية .

وتلت عملية الحزام الأخضر عملية كبيرة أخرى أطلق عليها اسم « عملية البكر ». فقد قامت مجموعة من جيش التحرير وقوات التحرير الشعبية في مطلع أيلول ١٩٦٩ بالهجوم على مراكز دفاع العدو ومخافره ودورياته ، على جبهة طولها عشرة كيلومترات من خط المواجهة بين الأردن و(إسرائيل). وتتالت بعد ذلك عمليات جيش التحرير بالاشتراك مع قوات التحرير الشعبية ومنظمات المقاومة الأخرى .

أسهم جيش التحرير وقوات التحرير الشعبية في معارك حركة المقاومة الفلسطينية خلال الأزمات التي واجهتها الحركة في لبنان في شهري نيسان ونشرين الثاني ١٩٦٩ ، وأثناء الأحداث التي جرت في الأردن في شهر أيلول ١٩٧٠ .

وكانت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير قد قررت يوم ١٩٧٠/٩/١٦ ، أي قبل ابتداء أحداث الأردن بيوم واحد ، توحيد جميع قوات الثورة الفلسطينية (جيش التحرير ، وقوات التحرير الشعبية ، وقوات الفدائيين ، والقوات التابعة لمنظمات المقاومة وقوات الميليشيا) تحت قيادة واحدة . وقررت أيضا تعيين ياسر عرفات قائدا عاما لقوات الثورة الفلسطينية ، وكلفت اللجنة العسكرية العليا أن تكون هيئة الأركان العامة لهذه القوات الموحدة .

بعد انقضاء أحداث أيلول ١٩٧٠ ، رأت اللجنة المركزية ضرورة إجراء تقويم عام لمسيرة الثورة الفلسطينية في ضوء التجارب والمحن التي مرّت بها . ثم عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته التاسعة في القاهرة في النصف الأول من تموز ١٩٧١ فقرر إلغاء منصب القائد العام لجيش التحرير ، وأبقى على منصب رئيس الأركان ، ومنحه سلطات القائد العام لجيش التحرير ، وعيّن رئيسا جديدا لهيئة أركان الجيش .

هـ - في حرب ١٩٧٣ : عندما نشبت حرب ١٩٧٣ * كان لوحدات جيش التحرير الفلسطيني دور مهم ومشرف في المعارك التي دارت على الجبهتين السورية والمصرية . وقد دفع الجيش خلالها ضريبة الكفاح غالية من دماء ضباطه وأفراده ، شهداء وجرحى .

وقد اختلف الدور الذي قامت به وحدات جيش التحرير الفلسطيني في حرب ١٩٧٣ تبعا للجبهة التي كانت توجد فيها هذه الوحدات عند نشوب الحرب . وكانت قوات هذا الجيش تتكون من كتائب مشاة نظامية مسلّحة بأسلحة خفيفة ومتوسطة تتمتع بمعنويات عالية وتدريب جيد ومعرفة بالأراضي المحتلة ، وتستطيع القيام بمهام وحدات المغاوير المحمولة بالحوامات (هيليكوبتر) ، ومهام المشاة المرافقة للدبابات ، ومهام التخريب وراء خطوط العدو .

وكانت هذه الكتائب عند اندلاع حرب ١٩٧٣ يوم ٦ تشرين الأول موزعة على الجبهات العربية المتاخمة لفلسطين المحتلة على النحو التالي :

١) كتيبة مصعب بن عمير : كانت وحدات هذه الكتيبة موزعة على الحدود اللبنانية - الإسرائيلية . وعشية اندلاع الحرب أسندت إليها المهام الرئيسة التالية :

(١) العمل خلف خطوط العدو بنصب الكمائن وزرع الألغام وتنفيذ الإغارات على تجمّعات العدو .

(٢) قصف تجمعات القوات الإسرائيلية في المعسكرات وتدمير جهاز الرادار في جبل الجرمق .

(٣) الدفاع عن محور حاصبيا - ميمس - راشيا الوادي ، ومحور مرج زهور - المصنع، وذلك بغرض إعاقة أية وحدات للعدو تحاول التقدم في منطقة العرقوب .

وقد أعادت الكتيبة تمركزها وفقا لمهامها الجديدة . ومع بدء القتال على الجبهتين السورية والمصرية بدأت تنفذ مهامها المحددة ، فقامت بقصف جهاز الرادار الموجود في جبل الجرمق ، وقصف تجمعات العدو في معسكرات الخالصة ، ومطار الرصة ، رهونين ، وسرجليوت ، وسرعام ، والمنارة . كما نصبت الكمائن وزرعت الألغام .

في يوم ١٠/٨ انفجرت سيارة عسكرية معادية بأحد الألغام في منطقة الخالصة ، ودمر أحد الكمائن على طريق ميرون آلية معادية بالصواريخ . وفي يوم ١٠/١٢ هاجمت إحدى الدوريات متمركزة جليوت ودمرت آلية معادية ، كما تمكنت من تدمير دبابة متمركزة حول المستعمرة . وفي يوم ١٠/١٦ جرى تدمير مركز دفاعي في تل المطلة . وفي يوم ١٠/٢٢ دمرت آلية معادية بلغم تم زرعه على طريق المنارة .

وكانت الكتيبة قد كلفت يوم ١٠/٧ تخصيص فصيلتين للعمل ضمن قوام مجموعة إغارة كلفت اقتحام مرصد جبل الروس الكائن على السفوح الغربية لجبل الشيخ قرب النقطة الجيودزية ١٥٣٠ . وتمكنت إحدى فصائل المجموعة ليلة ٨ - ٩ تشرين الأول من الوصول إلى تل السمّاق وتحريره والسيطرة على الطريق المعبد المؤدي إلى المرصد ١٥٣٠ ، في حين تحركت فصيلة أخرى من كفرشوبا باتجاه مرصد جبل الروس . وعند وصولها إلى مسافة ٣٠٠ م من الهدف قام

العدو بإثارة المنطقة والرمي بالأسلحة الخفيفة والهاونات ، فتثبّت الفصيلة بمواقعها ، واستمرّت في مراقبة العدو ، ثم كرّرت محاولة اقتحام الموقع ليلة ١١ تشرين الأول دون نجاح . وعند ذلك قامت المجموعة ، بناء على أوامر جديدة تلقّتها ، بمحاصرة الموقع وتخريب الطرق المؤدية إليه ، وقطع خطوط الاتصال ، ونسف مهبط الحوامات . وتابعت المجموعة يومياً قصف الموقع حتى تاريخ ٢١ تشرين الأول الذي بدأ فيه العدو يستعد لاسترداد مرصد جبل الشيخ بنقل الجنود بالحوامات ، فاشتركت المجموعة في قصف مكان هبوط هذه الحوامات .

٢) قوات حطين : نفّذت قوات حطين بعض المهام القتالية بشكل مستقل ، أو كجزء من تشكيلات من الجيش السوري . وكانت أهم أعمالها الاشتراك في الهجوم مع قوات الفرقتين التاسعة والخامسة السوريتين (مشاة) وتنفيذ عملية الإنزال بالحوامات على تل الفرس ، والإغارة على مؤخرات القوات المعادية بعد توغلها في جيب سمسم . وتتألف قوات حطين من ثلاث كتائب هي :

(١) الكتيبة ٤١١: نقلت هذه الكتيبة يوم ٥ تشرين الأول مهمة الاستعداد لتنفيذ إنزال جوي في منطقة العال ـ جبين على محور هجوم الفرقة الخامسة السورية غايته التمسك بهذا المنق ، والتصدي لأية قوات إسرائيلية تحاول التقدم باتجاه خط الجبهة حتى وصول وحدات الفرقة الخامسة . وقد أقلعت وحدات الكتيبة في الساعة ١٣,٥٠ يوم ٦ تشرين الأول على متن ١٣ حوامة من القوات الجوية السورية . وقبل وصولها إلى منطقة الهدف بدقائق تلقت أمراً بالعودة إلى مطار الانطلاق بعد أن تبيّن على شاشات الرادار وجود نشاط جوي معاد فوق منطقة الإنزال .

وفي يوم ٧ تشرين الأول كلفت الكتيبة تنفيذ إنزال جوي فوق تل الفرس بقوى سرية مشاة . وتل الفرس موقع متقدم على الجبهة يقع على مسافة ١٨ كم ، جنوبي القنيطرة ، وله أهمية خاصة إذ يسيطر على شبكة الطرق التي تصل بين القنيطرة والرفيد وفيق ، وهو تل مرتفع قامت (إسرائيل)بتحصينه ببعض المنع الإسمنتية المسلحة بالرشاشات والعربات المجنزرة المتخندقة ضمن حفر لتأمين الحماية الدائرية حول التل ، وجهّزته بمحددات الرصد ووسائط الاتصال والتشويش . وكانت القوة الإسرائيلية المدافعة عن التل تقدر بحوالي سرية .

أقلعت سرية جيش التحرير الفلسطيني على متن ٤ حوامات ، وبعد أن قام الطيران السوري بقصف التل تمهيداً للإنزال تمكنت حوامتان فقط من الهبوط ، الأولى على السفح الشمالي من التل ، والثانية على السفح الغربي ، وجرى اشتباك عنيف مع القوة المعادية . وبعد معركة قصيرة تم اقتحام تل الفرس واحتلاله في الساعة ١٦,٠٠ ، وأمكن السيطرة عليه بصورة تامة في الساعة ١٧,٠٠ ، بعد أن خسر العدو عشرات القتل ، وطورد الباقون منه باتجاه الأرض المحتلة . واستمرت السرية تدافع عن التل وتصدّ محاولات العدو استرداده إلى أن اضطرت إلى إخلائه مع انسحاب وحدات الجيش السوري وعودتها إلى قاعدة الانطلاق .

وفي ليلة ١٢ تشرين الأول كلفت الكتيبة مهمة قنص الدبابات المعادية التي تمكنت من خرق دفاع الفرقة السابعة السورية في منطقة تل الشعار . لكن الكتيبة لم تستطع تنفيذ هذه المهمة بسبب وصولها متأخرة إلى منطقة العمل (بعد شروق الشمس) ، ولشدة القصف المدفعي المعادي ، فأسندت إليها مهمة جديدة يوم ١٣ تشرين الأول ، هي تنفيذ إغارة ليلية على دبابات العدو المتمركزة على السفح الشرقي لتل المال ومفرق طبحة ـ كفرناسج ـ الحمّارة . وقد وصلت قوة الاغارة إلى هدفها في الساعة ٢٣,٣٠ ، وبعد اشتباك قصير مع وحدات العدو تمكنت من تدمير دبابة معادية والقضاء على طاقمها ، وتدمير عربة نصف مجنزرة وعربة نقل مدرعة .

وفي يوم ١٥ تشرين الأول أسندت إلى الكتيبة مهمة اقتحام تل الشمس وتل الشحم على محور القنيطرة ـ سعسع بقوة ٢٠٠ جندي ويمعدل سرية لكل تل . ووصلت العناصر إلى مزرعة القليعة حيث ترجلت وتابعت تقدمها سيرا على الأقدام ، وتم الاقتحام صباحا مع شروق الشمس . وقد نفذت المجموعة الأولى مهمتها ووصلت الى قمة تل الشحم ، ولكنها لم تستطع القضاء على جيوب المقاومة المعادية . وحاول النقيب محمد فائز حلاوة تدمير قاعدة الصواريخ المضادة للدبابات ، ولكن مقاومة العدو كانت شديدة فاستشهد النقيب حلاوة على السفح الجنوبي من التل .

أما المجموعة الثانية فقد اقتحمت تل الشمس صباح ١٦ تشرين الأول بعد أن تكبدت بعض الخسائر ، ولم تستطع احتلاله بسبب المقاومة الشديدة فاضطرت إلى الانسحاب .

(٢) الكتيبة ٤١٢ : ألحقت هذه الكتيبة بالفرقة التاسعة (مشاة) السورية للاشتراك في الهجوم في النسق الأول في القطاع الأوسط من الجبهة . وانطلقت الكتيبة في الساعة ١٤,٠٠ يوم ٦ تشرين الأول من قاعدتها مع سائر الوحدات المهاجمة باتجاه الهدف المحدد لها . وتمكنت حتى مساء اليوم ذاته من احتلال تل عكاشة وتل عباس بعد أن دمرت دبابتين للعدو في تل عباس وأجبرته على الانسحاب . ثم تابعت الكتيبة هجومها لاحتلال تل الشعاف الكبير ، واصطدمت سرية منها بحقل ألغام على السفوح الشرقية للتل فانتُقِلَ حرله ، واصطدمت بمنعة معادية فدمرتها . وتمكنت بمعاونة الدبابات السورية التي تدعمها من تدمير دبابتين ورشاشين من طراز ٥٠٠ ، فانسحب العدو إلى تل الذهب ، واحتلت الكتيبة

تل الشماف الكبير وتل السماقات . وتمكنت إحدى السرايا يوم ٧ تشرين الأول من احتلال تل أحمر ، ولكنها لم تتمكن من متابعة التقدم بسبب غزارة الرمايات المعادية الصادرة من الغساسنة والعدنانية . وظلت الكتيبة تتمسك بالخط المحتل حتى يوم ٩ تشرين الأول . ثم تعرضت في الليل لقصف مدفعي شديد تبعه هجوم معاكس من الدبابات المعادية على محور عيشة ـ الجويزة . وبعد اشتباك الكتيبة مع العدو انسحبت سرية منها إلى تل السماقات حوالي الساعة ١٢,٠٠ يوم ١٠ تشرين الأول . وعندما عادت قوات الفرقة التاسعة السورية تحت ضغط العدو إلى مواقعها الأصلية ، انسحبت الكتيبة إلى بريقة ومنها إلى مواقعها الدفاعية عند قاعدة الانطلاق ، وبقيت فيها حتى وقف إطلاق النار .

(٣) الكتيبة ٤١٣ : أُلحقت هذه الكتيبة باللواء ١٣٢ (ميكانيكي) من الفرقة الخامسة (مشاة) السورية التي تهاجم في القطاع الجنوبي من الجبهة ، ووضعت منذ بدء الهجوم قوة احتياط تحت تصرف قائد اللواء ١٣٢ على أن تتحرك خلف وحدات اللواء جاهزة للدخول في المعركة . وبعد أن احتل اللواء ١٣٢ قرية خسفين في الساعة ١١,٠٠ يوم ٧ تشرين الأول تلقت الكتيبة ٤١٣ مهمة التقدم إلى خسفين . وتعرضت الكتيبة أثناء التحرك لقصف جوي معاد . ووصلت خسفين في الساعة ١٦,٠٠ حيث كانت وحدات اللواء قد وصلت إلى مزرعة ناب . وفي الساعة ١٧,٣٠ وصلت طليعة الكتيبة إلى مزرعة ناب ، وكلفت مهمة التمسك بالمنطقة إلى يمين الطريق العام . وفي الساعة ٢,٠٠ وصل قائد الكتيبة إلى ناب واجتمع بقائد اللواء ١٣٢ الذي أسند إليه مهمة التمسك بخط أم الزيتون ـ خسفين . وفي ليلة ٧ ـ ٨ تشرين الأول تحركت طليعة من الكتيبة باتجاه قرية العال ، ولكنها بعد تجاوز مزرعة ناب بمسافة ٢ كم اصطدمت بكمين معاد من الدبابات دمّر عربة قائد الكتيبة الذي استطاع التخلص من الكمين والعودة بالطليعة إلى ناب . وتمركزت الكتيبة من جديد على الطريق العام بين خسفين وناب حتى صباح ٨ تشرين الأول حين بدأ العدو هجومه المعاكس حوالي الساعة ٥,٠٠ من تل المطار باتجاه البجورية وتل السقي . واضطرت الكتيبة إلى الانسحاب إلى منطقة تجمعها في قاعدة الانطلاق منذ الساعة ١١,٠٠ من يوم ٨ تشرين الأول ، وكلفت هناك الدفاع عن منطقة تل السمن ، ثم كلفت سرية من الكتيبة احتلال موقع دفاعي بين قريتي مزيريب وجلين . وفي يوم ٢١ تشرين الأول تلقت الكتيبة مهمة تبديل إحدى كتائب اللواء ١٣٢ في منطقة تل الجموع شمال قرية تسيل ، وتمت عملية التبديل ليلة ٢١ ـ ٢٢ تشرين الأول . وبقيت الكتيبة في هذا الموقع حتى وقف إطلاق النار .

خسرت قوات حطين في معاركها على الجبهة السورية ٤٤ شهيدا و٦٥ جريحا . وكانت بطولات أفرادها موضع التقدير والإعجاب .

٣) قوات القادسية : بقيت هذه القوات المؤلفة من كتيبتين في احتياطي قيادة جيش التحرير الفلسطيني ، وتمركزت في بعض المناطق الهامة في عمق الجبهة السورية . ولم تستخدم هذه القوات في المجابهة المباشرة مع العدو ، بل كانت مكلفة إحباط أية محاولة للعدو للتضرب في العمق ، والتصدي لأية محاولة إنزال جوي معاد إلى جوار منطقة انتشارها .

٤) كتيبة زيد بن حارثة : كانت هذه الكتيبة ملحقة بالفرقة الأولى (مشاة) الأردنية ، ونظرا لعدم اشتراك الجبهة الأردنية في القتال بقيت الكتيبة في مواقعها الدفاعية تقوم بأعمال الدوريات والكمائن في الخطوط الأمامية .

٥) قوات عين جالوت : عملت بإمرة قيادة الجيش المصري . وكانت قبل اندلاع الحرب متمركزة على قناة السويس . وقد أسندت إلى هذه القوات مهام ضمن خطة العمليات على الجبهة المصرية لأنها وحدات مشاة خفيفة ، شأنها شأن بقية الوحدات العربية الأخرى في الجبهة المصرية . وتمّ إلحاقها بالجيش المصري الثالث الذي أُسند إليها مهمة الدفاع عن الضفاف الغربية للبحيرات المرة بين كبريت وكسفريت . وبعد عبور قوات الجيش المصري قناة السويس بقيت قوات عين جالوت ضمن مؤخرة الجيش ووحداته الإدارية مع الوحدات العربية الأخرى (الكويتية والمغربية) تقوم بمهمة الدفاع خلف منطقة العبور . وقامت قوات عين جالوت بدفع عدة مجموعات استطلاع أمام منطقة دفاعها وإلى الشمال . وقد تمكنت هذه المجموعات من التبليغ عن الأعمال الأولى للخرق الإسرائيلي في منطقة الدفرسوار يوم ١٦ تشرين الأول . ثم قامت بالتصدي للوحدات الإسرائيلية التي تسللت خلف مواقعها وتعرضت لقصف شديد من المدفعية والطيران المعادين ، ولكنها صمدت في مواقعها ، وحاولت عرقلة تقدم القوات الإسرائيلية على الطريق الواقعة بين البحيرات المرة والمرتفعات إلى أن انسحبت جنوبا باتجاه مدينة السويس وشاركت في الدفاع عن المدينة .

خسرت قوات عين جالوت ٣٠ شهيدا و٧٠ جريحا وعددا من المفقودين . ونال أفرادها الإعجاب والتقدير ، وأرسل قائد الجيش المصري الثالث إليها برقية يحييها فيها على ثباتها .

المراجع .

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية منذ عام ١٩٦٤ حتى ١٩٧٦ ، بيروت .

في الأعمال الفنية دور في توجيه المعتقدات الدينية والنزعات الفكرية والأدبية لدى سكان فلسطين ، وإن كان الإتيان بشواهد على ذلك أمراً صعباً .

المراجع :

— عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، القاهرة ١٩٦٦ .
— Gardiner, A.: **Egyptian Grammar.** London 1950.
— Vandier et Drioton: **L'Egypte.** Paris 1952.

الأخوية الكرملية :

ينتسب الكرمليون إلى جبل الكرمل * الذي اشتهر بتردد النبي إيليا والنبي اليشع عليه في القرن التاسع قبل الميلاد . هناك نزل النساك المسيحيون منذ القرن السادس الميلادي ، وأقام الرهبان في مختلف الأديار . ثم إن القديس بوركارد ، وليد القدس ، أسس في أحد هذه الأديار ، نحو أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ، رهبانية الكرمليين (ر : الرهبانيات) . وقد وضع لهم القديس ألبرتس ، بطريرك القدس ، سنة ١٢٠٨ ـ ١٢٠٩م ، قانوناً يسيرون عليه في عكوفهم على الصلاة والعمل والدرس في خطى النبي إلياس وإكراماً لمريم العذراء * . وتوالى البابوات في الموافقة على هذا القانون مع إجراء بعض التعديلات .

وبعد سنة ١٢٣٨م ، انتقلت الرهبانية إلى روما حيث أسس فرع للنساء عام ١٤٠٠م . وانتشرت الرهبانية حول البحر المتوسط ، وفي سائر الأرض . ومنذ عام ١٥٦٢م قامت القديسة الإسبانية تريزيا الأبيلية (١٥١٥ ـ ١٥٨٢م) والقديس يوحنا الصليبي ، وهو إسباني أيضاً ، بإصلاح جذري للرهبانية .

وللرهبانية النسائية اليوم ما لا يقل عن ٦٠٠ دير محصّن في العالم يقطع أهلها إلى الحياة الصوفية . وقد نشأ إلى جانب هذه الأديار فروع نسائية أخرى تستلهم مسيرتها من روحانية الكرمل ، وتُعنى بالمدارس والمستشفيات والأعمال الخيرية .

وللرهبان الكرمليين أديار في الشرق منذ القرن السابع عشر ، في حلب ، وبغداد ، وعاردين ، وحيفا * ، وبشرّي ، وطرابلس ، والقيّاد (لبنان) . أما عودتهم إلى الكرمل فكانت سنة ١٦٣١م .

وللكرمليات المحصنات أربعة أديار في فلسطين : في القدس * (منذ سنة ١٨٧٤) ، وبيت لحم * (١٨٧٥) ، وحيفا (١٨٩٢) ، والناصرة * (١٩١٠) .

وقد عمل أحد قديسي الرهبانية ، ويدعى سيمون ستوك ، في منتصف القرن الثالث عشر على نشر ما يسمى بثوب الكرمل ، غرضه أن يغطي لابسوه بحماية مريم العذراء الخصوصية .

المراجع :

— **Catholicisme,** V.11. Paris 1949.
— **Dictionnaire de Spiritualité,** V.II. Paris 1963.
— **Enciel. Cattolica,** V.III. Roma 1949.
— Hoade, A.: **Guide to the Holy Land.** Jerusalem 1979.

الإدارة :

أ ـ مقدمة : كانت سورية عامة ، وفلسطين خاصة ، تتألف في العصور القديمة من جماعات صغيرة من ممالك ـ مدن مستقلة ، سواء في عهد العموريين * أو الكنعانيين * . ولم تتبدل الأوضاع بعد استيلاء الحثيين * والمصريين (ر : الفراعنة) على أجزاء كبيرة من هذه البلاد التي كانوا يسيطرون عليها عسكرياً من مراكز حصينة ويتركون إدارة شؤونها الداخلية لحكام محليين تابعين لهم .

وقد خلّت هذه البلاد مقسمة إلى دويلات صغيرة في عهد الآراميين والعبرانيين . وكذلك كان الأمر في عهد الأشوريين (ر : أشور) والكلدانيين الذي لم تنقطع فيه الحروب والثورات .

ب ـ التقسيمات الإدارية في عهد الفرس والسومان والبيزنطيين :

١) أيام الفرس (القرن ٦ ـ ٥ ق.م.) : تمتعت سورية ، وفلسطين ضمنها ، بفترة من السلام والازدهار تحت الحكم الفارسي (ر : البارثيون) بفضل الإصلاحات التي قام بها « داريوس * » . فقد دمج هذا الملك الكبير كل سورية وفلسطين وقبرص في ولاية واحدة ، هي الخامسة بين ولايات المملكة . وقد أطلق عليها اسم « عبر نهرا = ماوراء النهر ، أي البلاد الواقعة غربي نهر الفرات ، وجعل دمشق عاصمة لها وقسمها إلى ألوية أو « مرزبانات » . وقد منح هذه المقاطعات والمناطق قسطاً من الحكم الذاتي ـ المحلي مع إخضاعها إلى مراقبة مركزية ، فكان يحرص على تعيين حكّام من أهل البلاد ، ولكنه كان يرفقهم بمستشارين ، ويكثر من إرسال المفتشين الفرس للإشراف على الحالة . ويرجع الفضل إلى « داريوس » في إنشاء شبكة ممتازة من الطرق لتسهيل الحركة التجارية ، وفي وضع القوانين الحقوقية والأنظمة النقدية اللازمة . وتدل الآثار المأثورة على أن الإمبراطورية الأخمينية كانت تفوق كل الدول القديمة في حسن الإدارة وانتظام الحكم ، ولذلك لم تحدث أية ثورات في البلاد ضد الفرس خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد (ر : الأخمينيون) .

أما التقسيمات الإدارية من ألوية ومقاطعات في سورية وفلسطين فكانت كما يلي :

(١) حاة	(٢) أرواد	(٣) طرابلس	(٤) جبيل
(٥) ماسياس	(٦) صيدا	(٧) صور	(٨) دمشق
(٩) حوران	(١٠) نوتابم	(١١) الخليل	(١٢) جلعاد
(١٣) السامرة	(١٤) دور	(١٥) عمون	(١٦) مآب
(١٧) يهودا	(١٨) يدومايا	(١٩) أسدود	(٢٠) القب

(٢١) الحديقة الملكية (للصيد) .

٢) العهد الهلنستي : بعد الإسكندر المقدوني * اختدمت الخلافات بين خلفائه الطالمة * والسلوقيين * في مصر وسورية وفلسطين فأصبحت هذه البلاد مسرحاً للحروب باستمرار . على أن أهمية هذا العهد ترجع إلى انتشار الحضارة الهلنستية خلاله ، فقد تأسس عدد كبير من المدن اليونانية الجديدة ، وانقلب كثير من المدن القديمة إلى مراكز لثقافة يونانية . وكانت كل واحدة من هذه المدن ، أو كلّ مجموعة متحالفة منها تؤلف دويلة مستقلة ، مثل تحالف المدن العشر (ديكابوليس *) أو مدن بسلا ، واليوتيروبوليس (بيت جبرين) ، وجرش ، وبطلمايس (عكا) ، وفيلادلفيا (عمّان) ، وسكيثوبوليس (بيسان) ، ونيابولس (نابلس) .

وقد اتخذ السلوقيون مدينة أنطاكية عاصمة لسورية وفلسطين وتحلّت النزعة الاستقلالية لدى الجماعات المحلية أيضاً ، فقام اليهود بالثورة بزعامة « المكابيين » ، وأحدثوا بمحاربتهم انتصار الحضارة الهلنستية من اليهود وسائر السكان من غير اليهود مثل الأدوميين * واليطوريين * .

وفي الوقت نفسه برز الأنباط * العرب الذين انتزعوا « سورية المجوفة » من أيدي السلوقيين حوالي سنة ٨٥ ق. م. وفرضوا حمايتهم على دمشق مدة من الزمن .

٣) في أيام الرومان : استمرت الحضارة الهلنستية في سورية وفلسطين بعد استيلاء الرومان على البلاد في سنة ٦٤ ق. م. إذ أصبحت (ولاية إمبراطورية) تابعة للإمبراطور نفسه يعهد بإدارتها إلى نائب عنه برتبة قنصل ، وتحت إمرته قوة عسكرية مؤلفة من أربع فرق ، وتساعده هيئة من الموظفين تعنى خاصة بحباية الضرائب (ر: العصر الروماني) .

كذلك احتفظت الجماعات المحلية في عهد الرومان بنظام الحكم الذاتي ، فكان هناك أراميون يسيطرون على شؤونهم الداخلية ، وكان هناك أعراب بدو يخضعون لنظام قبلي ، في حين كان لليهود رئيس طائفة تعينه الطبقات الأرستقراطية .

وقد اهتم الرومان بتأمين حدود سورية وفلسطين وحمايتها من هجمات الفرس وغزوات القبائل البدوية . فأنشأ الإمبراطور

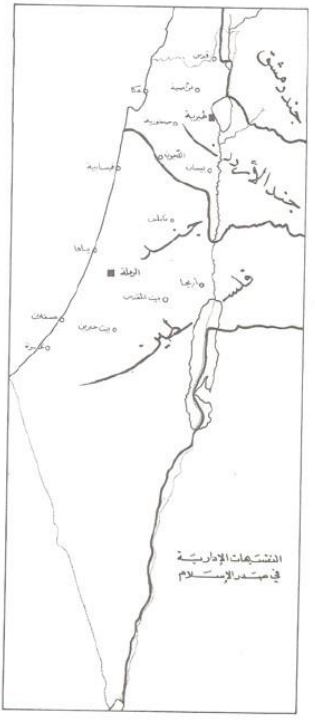

« تراجان » في سنة ١٠٥ م « الولاية العربية » التي تضم البتراء * وفلسطين وسورية ، وقام سلسلة من المراكز الحصينة على طول حدود الصحراء ، ورصف الطريق العسكرية التي تربط مدن دجلة

والفرات بمدن البحر المتوسط مروراً بتدمر ، ثم تمتد من دمشق إلى حوران (جلعاد) ، ومنها إلى مآب حتى تتصل بطريق القوافل إلى الجزيرة العربية .

٤) في العهد البيزنطي : كانت سورية في العهد البيزنطي (ر : البيزنطيين) تنقسم إلى عدة مقاطعات هي :

(١) ولاية سورية الأولى ، ومركزها أنطاكية ، وتتبعها مدن سلوقية وولاية اللاذقية وجبلة .

(٢) سورية الثانية ، ومركزها أفامية ، ومن مدنها ابيفانية (حماة) واريثوزة (الرستن) ولاريسة (شيزر) .

(٣) فينيقية الأولى ، ومركزها صور ومن مدنها بطلمايس (عكا) وصيدا وبيروت وجبيل وطرابلس .

(٤) فينيقية الثانية ، ومركزها حمص ، وتضم مدن دمشق وهليوبوليس (بعلبك) وتدمر .

(٥) فلسطين ، وقد قسمت أجزاء ثلاثة :

ـ فلسطين الأولى ، ومركزها قيسارية * ، ومن مدنها أورشليم ونيابوليس (نابلس) وجوبا (يافا) ، وغزة * ، وعسقلان .

ـ فلسطين الثانية ، ومركزها سيكثوبوليس (بيسان) ، ومن مدنها جدرة ، وطبرية * .

ـ فلسطين الثالثة المؤلفة من الولاية العربية ومركزها البتراء .

وكانت هناك في مناطق الحدود وحدات عسكرية سميت « البنود *Thema* » أنشأها « هرقل » لتستوطن البلاد وتؤلف جيشاً شعبياً دائماً .

هذه الأوضاع كلها تغيرت بعد الفتح الإسلامي وتقسيم البلاد إلى أجناد حسب مقتضيات الحركات العسكرية في بادىء الأمر .

جـ ـ التقسيمات الإدارية في العهد الإسلامي : يرتبط ظهور التقسيمات الإدارية في دولة الإسلام بعصر الفتوح ، فقد اتسعت رقعة الدولة بعد أن انضمت إليها أقطار وبلدان قبلت سيادة الدولة الإسلامية نتيجة أعمال عسكرية ، أو بتوقيعها على معاهدات صلح وولاء . وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب * بلغت الفتوحات أوجها ، فأوجد عمر ما سمي بالأمصار ، وهي الأقسام الإدارية التي اتسمت بالطابع العسكري ، والتي بلغ عددها وفق ما ذهب إليه معظم المؤرخين سبعة ، ولكنهم اختلفوا في تسميتها . وكانت الشام بين أمصار الدولة السبعة زمن ابن الخطاب ، وفلسطين جزء منها . ويبدو أن استعمال كلمة « مصر » زمن الخليفة عمر كان مقتصراً على الأماكن السبعة التي اتخذها العرب قواعد عسكرية يقومون منها بحملاتهم الحربية وفتوحهم ، وجعلوها مراكز لإدارة البلاد والأقاليم التي يفتحونها . وقد غلب الطابع العسكري على هذه الأمصار طوال القرن الهجري الأول . وكانت الأمصار ، على سعة رقعتها الإدارية ، تتبع الخلفاء الذين كانوا يقيمون في المدينة المنورة أولاً ، ثم في دمشق بعد ذلك ، وتخضع للسلطانين التشريعي والإداري .

لما آل أمر الدولة إلى بني أمية كانت الشام من أهم أمصار دولة الإسلام . وكانت الشام في عرفهم المصر الذي يحده بحر الروم من الغرب ، والبادية الممتدة من آيلة إلى الفرات شرقاً ، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح * ، ومما يلي الروم الثغور . وبهذا التعريف تكون فلسطين ضمن مِصْر الشام (ر : العصر الأموي) .

وهذا التعريف للشام ، ويضمها فلسطين ، متفق عليه بين الجغرافيين العرب قاطبة ، وما كان من خلاف بين هؤلاء الجغرافيين يتعلق فقط بموضوع الثغور ، التي اصطلح على تسمية بعضها باسم ثغور الشام ، وبعضها الآخر ثغور الفرات ، مما لا علاقة له بهذا البحث .

ويرتكز هذا التحديد الجغرافي الإسلامي للشام ، ويضمها فلسطين ، على ما كانت عليه الحال إبّان الحكم البيزنطي لسورية قبل الفتح . وحين آل الأمر إلى المسلمين جعلتهم حاجات الفتح والإدارة يغيّرون في التقسيمات بما يتناسب مع مراحل الفتح أولاً ، ثم مع حاجات الدولة الطارئة بعد ذلك . ففي المصادر مثلاً ما يشير إلى أن عمر بن الخطاب في مراحل الفتح الأولى وقبل أن تستسلم له القدس * قسّم فلسطين إلى نصفين : نصف مع أهل إيلياء ، ونصف مع أهل الرملة ، وعيّن على كل نصف حاكماً يصرف شؤونه الإدارية والعسكرية والمالية .

وبعد أن مضت عملية الفتح قدماً وجد عمر بن الخطاب أن طبيعة البلاد والضرورات الإدارية والعسكرية ، بالإضافة الى انتشار القبائل وتنظيم توطينها ، توجب تقسيم الشام إلى أقسام إدارية وعسكرية أصغر دعاها « الأجناد » . وكانت أجناد الشام زمن عمر أربعة هي : حمص ودمشق والأردن وفلسطين . وقد استقرت في هذه الأجناد فرق من الجيش الإسلامي لحمايتها . وفي نظام الأجناد هذا شبه كبير بنظام البنود البيزنطي . وقد أشار المسعودي إلى هذا التشابه بين البنود البيزنطية والأجناد الإسلامية فقال : " أرض الروم واسعة في الطول والعرض ، آخذة في الشمال بين المشرق والمغرب ، مقسومة في قديم الزمن على أربعة عشر قسماً مفردة تسمى البنود ، كما يقال أجناد الشام ، كجند فلسطين وجند الأردن وجند حمص ، غير أن بنود الروم أوسع من هذه الأجناد " .

وطبيعي أن عمر بن الخطاب لم يقسم الشام إلى هذه الأجناد لأنها كانت كذلك زمن الروم البيزنطيين ولكن لأن الضرورات العسكرية هي التي أوجبت هذا التقسيم . كذلك يلاحظ أن كل مراكز الأجناد في العصر الإسلامي كانت من المدن الداخلية كحمص ودمشق وطبرية والمد * ، في حين كانت أهم مراكز الأجناد إبّان

الحكم البيزنطي هي المدن الساحلية كأسطاكية وصور وقيسارية ، وذلك لأن العرب كانوا يعتمدون على القوات البرية في حين أن البيزنطيين كانوا يعتمدون في دفاعهم على الأسطول أكثر من القوات البرية .

وفي العصر الأموي " انقسمت الشام إلى خمسة أجناد هي : جند دمشق وجند حمص وجند فلسطين وجند الأردن وجند قنسرين .

أما جند فلسطين فكان على ما يذكر الإصطخري في « المسالك والممالك » أول أجناد الشام مما يلي المغرب ، وبينه وبين جند الأردن ثلاث مراحل ، وكانت قصبته مدينة اللد " ولم تزل على هذا الشأن إلى أن ولّى الوليد بن عبد الملك " أخاه سليمان " جند فلسطين . . فأحدث مدينة الرملة " ومصّرها واختط مسجدها . . فصارت القصبة ، وخربت اللد " . ومن كور فلسطين إيلياء ، وهي بيت المقدس ، وكورة اللد ، ونابلس "، وعمواس " ، وسبسطية " وبيت جبرين " . أما مدن فلسطين الساحلية فهي قيسارية وهي مدينة الساحل وكانت من أمنع مدن فلسطين ، وهي آخر ما افتتح من مدن البلد ، افتتحها معاوية بن أبي سفيان " في خلافة عمر بن الخطاب ، ويافا " وعسقلان وغزة " . ويذكر صاحب « الأعلاق الخطيرة » أن عسقلان لم تزل في يد من يلي فلسطين إلى أن صارت في أيدي المصريين . ويعتبر الجغرافيون العرب مدينة نابلس من أقدم مدن فلسطين ، وفيها الجبلان المقدسان ، وبها أخلاط من العرب والعجم والسامرة . وآخر مدينة من مدن فلسطين مما يلي جفار مصر مدينة غزة التي بها قبر هاشم بن عبد مناف . وأهل جند فلسطين عموماً أخلاط من العرب من لخم " وجذام " وغاملة " وكندة " وقيس " وكنانة .

وقد استمرت فلسطين جنداً مستقلاً من أجناد بلاد الشام حتى كانت خلافة بني العباس الذين لم يغيروا التنظيم الإداري الذي وجدوا عليه فلسطين قبلهم في العصر الأموي . وكل ما في الأمر أن كلمة الجند التي كانت تستعمل لتقسيمات الشام الإدارية تحولت بالتدريج إلى كلمة « ولاية » . وكانت فلسطين تتبع ولاية الشام في مطلع الحكم العباسي ، ثم ما لبثت بعد عهد أبي العباس السفاح أن سلخت عنها ، وجعلت ولاية مستقلة مركزها الرملة ، وقد من اللجون حتى رفح ، وتقسم إلى اثني عشرة كورة ، هي الرملة ، وإيلياء - عمواس ، ولد " ، ويبنى " ، ويافا ، وقيسارية ، ونابلس ، وسبسطية ، وعسقلان غزة ، وبيت جبرين . أما ولاية الأردن فمركزها طبرية وتمتد من صور وعكا إلى البلقاء حتى أيلة على خليج العقبة " ، وفيها ثلاث عشرة كورة هي طبرية والسامرة وبيسان " وفحل وجرش وبيت راس وجدر وأبل وسوسية رصفورية وعكا وقدس وصور .

ويمكن القول إن بلاد الشام لم تجمع خلال دولة بني العباس تحت حكم وال واحد إلاّ في القليل النادر ، وكان يعين في أغلب الأحيان وال لكل جند من أجنادها ، ومن بينها فلسطين (رَ : العصر العباسي) . وكان في أحيان كثيرة يجمع لوالٍ واحد إدارة أكثر من جند . ومما يؤكد أن أجناد الشام وكورها وقصباتها لم تجمع لوالٍ واحد زمن بني العباس ، أو من حكم باسمهم فيما بعد ، أن المصادر حين تتحدث عن موارد الدولة تتحدث عن ارتفاقات كل قصبة على حدة مما يدل على استقلال إدارتها .

وقد جرت في بلاد الشام بعامة ، وفي فلسطين بخاصة ، خلال العصر العباسي " ، عمليات نقل سكان أكثر من مرّة ، وذلك بسبب الثورات التي كانت تنشب فيها . وفي إحدى هذه العمليات نقلت قبيلة لخم من موقعها في فلسطين إلى جبل لبنان . كما تكرر هذا الأمر بالنسبة إلى قبائل أخرى في فترات تالية .

وحين حلّ الضعف بالدولة العباسية ونجمت فيها بدعة استقلال الأمراء والولاة بأقاليم الدولة التي كانوا يتولون حكمها ، دخلت بلاد الشام ، ويضمنها فلسطين ، في هذه الدوّامة ، وأخذت تتسع إدارياً الدويلات والإمارات التي تقيم نفوذها على أنقاض سلطان بني العباس .

ففي زمن الدولة الأخشيدية مثلاً عادت فلسطين ، بجميع كورها وقصباتها ، وحدة إدارية ، إذ تذكر المصادر أنها عقدت لنواب كافور بخمسمائة ألف دينار ، وكذلك جند دمشق (رَ : الأخشيديين) .

د - النظام الإداري في عهد المماليك : كانت منطقة فلسطين زمن المماليك " هي القسم الجنوبي من بلاد الشام . وقد قسم المماليك بلاد الشام إلى وحدات إدارية عرفت الواحدة منها باسم « نيابة » ، وكان نصيب فلسطين ثلاث نيابات هي : نيابة صفد ، ونيابة غزة ، ونيابة القدس .

١) نيابة صفد : ظهرت أيام السلطان الملك الظاهر بيبرس " البندقداري (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ / ١٢٥٩ - ١٢٧٧م) ، عقب الانتهاء من تحريرها من الصليبيين عام ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م . وقد امتدت حدودها من منطقة نهر الليطاني شمالاً إلى منطقة الغور جنوباً ،ومن منطقة الملاحة الفاصلة بين بلاد الشقيف وحولة بانياس شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً .

ضمت هذه النيابة أحد عشر عملاً ، هي : برّ صفد (أي ضواحي مدينة صفد) ، والناصرة " ، وطبرية ، وتبنين وهونين ،

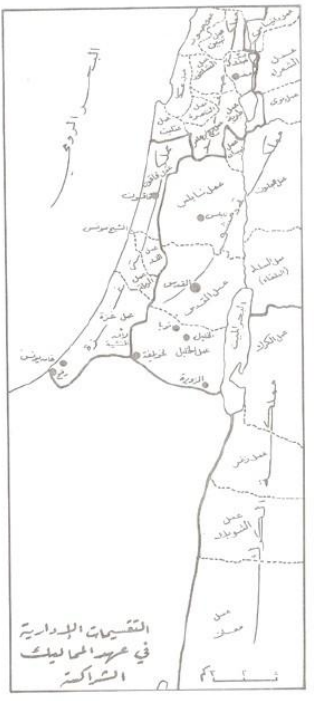

وعثليت ، وعكا ، وصور ، والشاغور ، والإقليم ، والشقيف ، وجنين .

٢) نيابة غزة : ظهرت إبّان سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون" الثالثة (٧٠٩ ـ ٧٤١هـ / ١٣٠٩ ـ ١٣٤٠م) ، وذلك عام ٧١١هـ / ١٣١١م . ونأتي في الأهمية والحجم بعد نيابة صفد .

أما حدودها فيمكن تقسيمها إلى قسمين : الأول حدود ثابتة تشمل مدينة غزة وقراها ، وتمتد من نربة بيني شمالاً إلى خط البريد الواصل بين السكرية ورفح جنوباً ، ومن قرية عجور " شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً . والثاني حدود غير ثابتة ، تتجاوز فيها أحياناً حدود القسم الأول إلى المناطق المجاورة مثل القدس والخليل " ونابلس وقاقون " ولدّ والرملة . وكان هذا المد والجزر في حدود الولاية راجعاً إلى مقدار قوة نائب السلطنة في نيابة غزة .

٣) نيابة القدس : استحدثت هذه النيابة عام ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م أيام السلطان الملك الأشرف أبي المعالي (٧٦٤ ـ ٧٧٨هـ / ١٣٦٢ ـ ١٣٧٦م) ، وشملت منطقتي القدس والخليل .

ضمّت كل نيابة من النيابات الثلاث تالياً للسلطنة تحت إمرته عدد من الموظفين من الأصناف الثلاثة التي كانت سائدة في التصنيف الإداري المملوكي : أرباب السيوف ، وأرباب الأقلام ، والموظفين الدينيين (رَ : المماليك) .

هـ ـ التقسيمات الإدارية في العهد العثماني : لمّا انتصر العثمانيون على المماليك في مرج دابق (٩٢٢هـ / ١٥١٦م) واحتلوا فلسطين ، وأزالوا دولتهم من قاعدتها الرئيسة في مصر في العام التالي ، حيّن السلطان سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠م) جان بردي الغزالي " (من القادة المماليك الذين ساعدوا السلطان على احتلال البلاد) والياً على دمشق ، وجعل جميع سورية الجنوبية ، وفيها فلسطين ، تحت نفوذه .

أبقى السلطان العثماني التقسيمات الإدارية على ما كانت عليه أيام المماليك ، ولم يحدث فيها تغييراً ، عدا اتخاذ الوحدة الإدارية العثمانية : السنجق (اللواء) أساساً للتقسيم بدلاً من الوحدة الإدارية المملوكية : النيابة ، وعدا رفع شأن بعض المدن ومن بينها القدس ، بتحويلها مراكز إدارية ، وتعيين حكّام أتراك عليها من درجة « بكوات » .

وبعد حركة التمرد الفاشلة التي قام بها جان بردي الغزالي في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م) وضع نظام جديد لإدارة بلاد الشام هدفه تقوية السلطة العثمانية ، وقسّمت بلاد الشام ثلاث باشويات أو إيالات (ولايات) هي : إيالة دمشق ، وإيالة حلب ، وإيالة طرابلس . وقد ألحقت بكل إيالة من هذه الإيالات الثلاث وحدات إدارية كثيرة اسمها « سناجق » . وقد كانت سناجق نابلس وغزة والقدس واللجون " وصفد " الفلسطينية تتبع إيالة دمشق . ووضعت كل إيالة تحت سلطة « بكلربك » أي زعيم ، ووضعت الوحدات الإدارية الملحقة بالإيالة تحت سلطة أحد البكوات .

وكانت المنطقة التي مركزها جنين " ذات وضع خاص ، فقد

أقطعها العثمانيون آل طرابلي * ، وهم من أمراء البدو ، وصار يطلق على المنطقة اسم « إقطاع آل طرابلي » . لكن السلطات العثمانية عمدت إلى تصفية هذا الإقطاع وإلحاقه بسنجق اللجون بعد أن ثارت القلاقل في هذه المنطقة في الربع الأخير من القرن السادس عشر الميلادي .

ظلّ التقسيم الإداري لبلاد الشام إلى ثلاث إيالات قائماً حتى سنة ١٠٧١هـ / ١٦٦٠م حين أحدثت إيالة صيدا لمراقبة الإنطاعات المسلحة في جبل لبنان . وتكوّنت الإيالة الجديدة من أجزاء من إيالتي طرابلس ودمشق ، من بينها صفد .

ويعني ما مضى أن فلسطين كلها (ما عرف بفلسطين بعد الحرب العالمية الأولى) كانت في مطلع القرن الثامن عشر تابعة لإيالة دمشق (الشام) ، وأنها لم تكوّن وحدة إدارية مستقلة بذاتها ، ثم أصبح بعضها تابعاً لإيالة صيدا (ولاية بيروت فيما بعد) وبعضها الآخر تابعاً لولاية سورية ، إلى جانب لواء القدس الذي غدا فيما بعد متصرفية القدس . وقد عمد العثمانيون إلى تصفية سنجق اللجون تركيزاً للسلطة في هذه المنطقة القبلية . وقد نقل مركز إيالة صيدا عام ١١٨٤هـ / ١٧٧٧م من صيدا إلى عكا . وظلّ الأمر على هذه الحال حتى احتلال إبراهيم باشا بلاد الشام عام ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م .

أصبح لواء القدس في الثلث الأول من القرن التاسع عشر تابعاً لإيالة صيدا ، وكان والي صيدا يوجّه المتسلمين إلى مدن اللواء ، مثل القدس وغزة ويافا . وقد استغلّ هؤلاء المتسلمون ، رغم ذلك ، بتصريف أمور متسلميانهم ، وكانت لهم سلطات واسعة . ويدل هذا على ضعف الوحدة الإدارية للواء القدس .

وكان قرار السلطان العثماني إحالة الأجزاء الجنوبية من بلاد الشام المتاخمة لمصر إلى عهدة والي صيدا كي يواجه تهديد محمد علي والي مصر ، ولكن ذلك لم يحل دون سقوط بلاد الشام في قبضة والي مصر .

ألغى الحكم المصري لبلاد الشام (١٨٣١م - ١٨٤٠م) التقسيمات الإدارية العثمانية السابقة ، وأصبحت بلاد الشام في عام ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م وحدة إدارية واحدة يديرها حاكم عام (حكمدار) مقره دمشق مرتبط بإبراهيم باشا ابن محمد علي ، وعيّن إبراهيم باشا * متسلمين من أبناء البلاد ، في حين ظلّ هو ممسكاً بزمام السلطتين المدنية والعسكرية معاً . وقد استثنى من ذلك جبل لبنان فقط فوضعت إدارته تحت إشراف الأمير بشير الشهاب الثاني * .

لم تستمر هذه الوحدة الإدارية طويلاً ، واضطر الحكم

المصري ، بسبب اضطراب الأمن وبتأثير الثورات ، إلى إعادة التشكيلات الإدارية العثمانية ، وغدت بلاد الشام مؤلفة من ست إيالات ، بعد أن ظهرت للوجود إيالة يافا التي تعتقها عكا (بعد فصلها عن إيالة صيدا) والقدس . ولعل اختيار الحكم المصري يافا مركزاً للإيالة الجديدة بدلاً من القدس يرجع إلى عدم استقرار

الاحوال في المدن الداخلية ، وإلى وجود أسطول مصري قوي في شرق البحر المتوسط .

ولما عاد العثمانيون إلى الحكم في بلاد الشام عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م أرجعوا تقسيماتهم الإدارية ، وربطوا لواء القدس بإيالة صيدا . ولم يكن الوضع الإداري في بلاد الشام مستقراً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فكثرت التغيرات فيه ، لكن لواء القدس بأقضيته السبعة ظلّ تابعاً لإيالة صيدا ، كذلك لواء عكا بأقضيته الأحد عشر ، ولواء البلقاء (نابلس) الذي استحدث عام ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م وكان ينبه تسعة أقضية .

أصدرت الدولة العثمانية في عام ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م نظام إدارة الولايات الجديد . وقد قسّمت البلاد العثمانية بموجبه إلى ثلاثين ولاية ، تتألف كل واحدة منها من ألوية يترأسها متصرفون ، وتتألف الألوية من أقضية يترأسها قائمقامون ، وتتألف الأقضية من نواح يترأسها مديرو نواح .

قسّمت بلاد الشام ولايتين هما : ولاية سورية وولاية حلب . وقد ضمّت إيالة صيدا ،وفيها ألوية القدس وعكا والبلقاء ،إلى ولاية سورية . ولما أنشئت ولاية بيروت عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م فصل لواء عكا والبلقاء وثلاثة ألوية أخرى عن ولاية سورية لتكوين الولاية الجديدة .

وكان يقوم على رأس كل لواء من الألوية الثلاثة في فلسطين متصرف يدير شؤونه ، ويشرف على تنفيذ أوامر الدولة ، ويتولى أمور الضابطة (الشرطة) ، وله حق تعيين مواعيد اجتماع مجالس النواحي والأقضية ، والتفتيش في جميع أنحاء المتصرفية .

وفي كل لواء «مكتوبجي» يحرر المعاملات الإدارية ويحافظ على القيود الرسمية ، وينشر أوامر الحكومة . وكان إلى جانبه في الجهاز الإداري للواء مدير للمعارف ، ومدير للأمور الأجنبية ، ومدير للزراعة والتجارة ، ومحاسب ، ومدير للأوقاف ، ومدير لقوة الأمن ، ومدير للنافعة مسؤول عن الطرق والمعابر ، ومدير للدفتر الخاقاني (الطابو) . وقد حرصت الدولة على أن تتوفر في موظفي « الطابو » العفة والاستقامة ، لكن عدداً منهم فتنتهم الرشاوي التي كانت تغدقها عليهم اتجاهات الصهيونية في فلسطين فتصرفوا بالاراضي ، ونقلوا الملكية ، وباعوا بيوعاً غير قانونية . لذلك كثيراً ما كان بعضهم ينقل ، أو يعزل ويحاكم لما جنى .

أما الجهاز الإداري في القضاء فقد تألف من القائمقام ، ومدير المال ، ومن موظفين من مختلف الاختصاصات . وتألف في الناحية من مدير الناحية وفي القرية من المختار .

وكان لكل متصرفية « مجلس إدارة المتصرفية » الذي ضم بالإضافة إلى المتصرف والمديرين المسؤولين في المتصرفية مضوين منتخبين من المسلمين ، وعضواً منتخباً من كل طائفة من الطوائف الأربع الأرثوذكس واللاتين والأرمن واليهود . ومهمة هذا المجلس تنظيم مختلف أمور المتصرفية واتخاذ القرارات بشأنها والنظر في كل ما له صلة بالإدارة المحلية . وكان مجلس إدارة متصرفية القدس يسمى « مجلس القدس الكبير » .

ولكل قضاء « مجلس إدارة القضاء » ، ولكل ناحية « مجلس إدارة الناحية » وفي القرية « مجلس اختيارية القرية » .

لم تكن هذه المجالس كلها ذات نفع كبير بسبب سيطرة السلطة التنفيذية عليها ، أو بسبب احتكار العائلات الغنية لعضويتها .

وكان من سياسة الدولة العثمانية فصل بعض الألوية عن الولايات وتسميتها متصرفيات وربطها بالعاصمة ربطاً مباشراً للوقوف على أحوالها والإسراع في إنجاز معاملاتها نظراً لأهمية اللواء الجغرافية ، أو لمواجهة التدخل الأجنبي ، أو لطبيعة التكوين الاجتماعي لسكانه . لهذا أولت الدولة العثمانية لواء القدس اهتماماً خاصاً بعد أن رأت كثرة أعداد الزائرين الأجانب للقدس ، ولمست اهتمام الدول الأجنبية بالمدينة وتدخلهم في شؤونها وفصلته عن ولاية سورية ، وأعلنته متصرفية مستقلة باسم « قدس شريف متصرفلغي إدارة مستقلة » في عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م .

وقد حافظت متصرفية القدس على وحدتها الإدارية حتى نهاية العهد العثماني ، فيما عدا السنوات التي ألحق بها قضاء الناصرة بعد فصله عن لواء عكا (١٣٢٥ ـ ١٣٢٨هـ / ١٩٠٦ ـ ١٩٠٩م) . وضمّت المتصرفية أقضية القدس ويافا وغزة والخليل . وفي عام ١٣٢٨هـ / ١٩٠٩م أنشيء قضاء بير السبع ، وكان من قبل جزءاً من قضاء غزة .

وكان متصرف القدس ذا نفوذ في لواء نابلس ، على الرغم من انفصال هذا اللواء إدارياً عن القدس ، وإلحاق والي صيدا أو والي الشام . حتى إن الحكومة المركزية ألحقت لواء نابلس بمتصرفية القدس أكثر من مرة . ويعود ذلك إلى قوة مركز ورتبة متصرف القدس الذي كان في الغالب من الموظفين الأتراك .

مارس متصرف القدس سلطات الوالي في جميع الأمور ، وكان يرفع الأوراق المتعلقة بقضايا المتصرفية إلى الباب العالي في استانبول مباشرة ، في حين كان متصرفا لواءي نابلس وعكا تابعين لوالية سورية ثم لولاية بيروت . وكان متصرفو القدس أيام السلطان عبد الحميد * من الموظفين الكبار في قصر يلدز حتى يمكن للسلطان الاعتماد عليهم في مواجهة تيار الهجرة الصهيونية المتدفق إلى فلسطين آنذاك ، وفي مواجهة الضغوط الأجنبية المختلفة (ر : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين) .

وقد ضمّت متصرفية القدس المستقلة في أواخر العهد العثماني

أقضية يافا وغزة والخليل وبير السبع . في حين ضمّ لواء عكا الذي كان يتبع آنذاك ولاية بيروت أقضية حيفا وصفد والناصرة وطبرية . أما لواء البلقاء الذي كان مركزه نابلس فقد كان يتبع ولاية بيروت ، وضمّ أقضية جنين وبني صعب وهاعون والسلط .

و ـ النظام الإداري في عهد الإدارة العسكرية البريطانية (١٩١٨ ـ ١٩٢٠) : ألغت القوّات البريطانية ، بقيادة الجنرال اللنبي ، احتلال فلسطين ووضعت تحت الإدارة العسكرية المباشرة في تشرين الأول ١٩١٨ . والقاعدة الدولية التي يجب أن يعمل بها المحتل في إدارة المناطق المحتلة هي إقامة « الإدارة العسكرية التي تدير شؤون البلاد، مع المحافظة على أوضاعها قبل الحرب ، إلى أن يتم تقرير مصيرها السياسي » . لكن الاحتلال البريطاني لم يسر على هذه القاعدة ، لأنه قد بيّت النيّة لتنفيذ سياسة مرسومة من قبل ، تهيء فلسطين بالتدريج كي تصبح وطناً قومياً للصهيونيين ، عملاً بما جاء في وعد بلفور * الذي صدر عام ١٩١٧ . لذلك لم تبق الإدارة العسكرية البريطانية المحتلة التقسيمات الإدارية العثمانية ، بل أعادت تقسيم البلاد إلى ثلاثة عشر لواء ، على رأس كل لواء حاكم عسكري بريطاني ، وجميعهم مرتبطون بحاكم عسكري في القدس كان بدوره مرتبطاً بالقيادة العامة للجيش البريطاني في القاهرة . ثم خفض العدد إلى عشرة عام ١٩١٩ . وكان يساعد هؤلاء الحكام العسكريين العشرة ٥٩ ضابطاً معظمهم بريطانيون . وقد تولوا إلى جانب قضايا الأمن العام مهمات قضائية . ومن الطبيعي أن تستفيد الإدارة العسكرية البريطانية من النظام الإداري العثماني السابق ، وتبقي على معظم الدوائر التي كانت في العهد السابق ، وعلى كثير من الموظفين والمستخدمين . لكنها ذهبت في محاباة الصهيونية إلى حد كبير ، فكان من بين كبار الموظفين ، وجميعهم بريطانيون ، تسعة يهود . ولم يسند إلى أي من العرب مركز تنفيذي كبير . ومن عيّن منهم في مناصب استشارية كان من العرب الذين جاؤوا مع الجيش البريطاني من خارج فلسطين . وعلاوة على ذلك هيّأت هذه الإدارة العسكرية السبيل لقدوم الهجرة الصهيونية العالمية برئاسة وايزمن إلى فلسطين في أواخر الحرب العالمية الأولى لإرساء أسس إقامة الوطن القومي . وقد زاد ذلك المخاوف العربية وحرّك الاضطرابات ، وأثار المشاعر العربية ضد هذه الزيارة المقبلة ، مما دفع لويس بولز ، أول حاكم عسكري عام في فلسطين ، إلى إرسال تقرير إلى حكومته ذكر فيه أن ٩٠٪ من سكان فلسطين المسلمين والمسيحيين يعادون الصهيونية بقوة ، وطلب إلغاء زيارة لجنة وايزمن الصهيونية .

ز ـ النظام الإداري في عهد الانتداب : تم الانتقال من الإدارة العسكرية إلى إدارة مدنية سميت « حكومة فلسطين » في تموز ١٩٢٠ . وأصبح الصهيوني البريطاني هربرت صموئيل أول مندوب سام بريطاني في فلسطين ، وعيّن الصهيوني نورمان بنتويش مستشاراً قضائياً للحكومة ، واستبدل بالعسكريين في المناصب الكبيرة موظفون مدنيون من وزارة المستعمرات البريطانية .

قررت الإدارة الجديدة ، استباقاً لما سيكون عليه صكّ الانتداب * ، أن تتخذ المبادىء التي كان مقدّراً لها أن تعمل بها بعد . توضع هيكل جديد للحكومة ، وسنّت تشاريع وأنظمة جديدة ، وخوّل المندوب السامي ، بمساعدة مجلس تنفيذي ، سلطة إصدار القوانين بعد استشارة مجلس استشاري كان في ذلك الحين مؤلفاً من عشرة موظفين وعشرة أعضاء معيّنين ، أربعة منهم مسلمون وثلاثة مسيحيون وثلاثة يهود . وأعلن المندوب السامي أن تلك الخطوة هي الأولى في سبيل الحكم الذاتي ، وأصدر في السنة الأولى زهاء ٣٨ قانوناً ، وفي السنة الثانية ٢٦ قانوناً و ٦ قوانين معدّلة ، واعترف بثلاث لغات رسمية ، قبل أن تقرّ ذلك المادة ٢٢ من صكّ الانتداب .

وبتاريخ ١٩٢٢/٢/٩ نشر مشروع الدستور في فلسطين (القانون الأساسي) الذي وضعته الإدارة المدنية ، ووافقت عليه الحكومة البريطانية بعد التشاور مع ممثلي الحركة الصهيونية دون أخذ رأي اللجنة الاستشارية الإسلامية المسيحية التي ألفت لهذا الغرض . وتضمّن مشروع الدستور إنشاء المجلس التشريعي . وقد استقبل العرب نصوص الدستور باستياء شديد ، وكانت أهم مسببات الاعتراض على هذا الدستور اعترافه بوعد بلفور ، وكون أكثرية الأعضاء في المجلس التشريعي معيّنين لا منتخبين ، وتركيز السلطة في يد المندوب السامي ، ومنحه سلطة مطلقة لنقض أي قانون يقرّه المجلس التشريعي وحقاً في إبطال مواد الدستور وفي الإضافة إليها ، وحرمان الشعب وممثليه من أية سلطة حقيقية ، إدارية كانت أو تشريعية . وطالب الوفد العربي في لندن أن يكون الدستور ضامناً لحقوق الأهالي السياسية والمدنية والاقتصادية وأن يهيّء إنشاء حكومة وطنية مستقلة بمقتضى روح البند الرابع من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم (رَ : عصبة الأمم) .

أصدر وزير المستعمرات البريطاني تشرشل الكتاب الأبيض في ١٩٢٢/٦/٢٢ لتهدئة مخاوف العرب على شكل بيان رسمي يوضح الأهداف البريطانية في فلسطين ، وأعلن أن الحكومة تعتزم تبني التطور التدريجي نحو الحكم الذاتي بإنشاء مجلس تشريعي أكثرية أعضائه منتخبة على أساس انتخابي واسع ، ويترأس المجلس المندوب السامي ويضمّ اثني عشر عضواً منتخباً وعشرة أعضاء من الموظفين . ووعد وزير المستعمرات أن تمنح فلسطين قسطاً أكبر من الحكم الذاتي ، وأن يتولى المجلس أمر الإشراف على السلطة التنفيذية بعد انقضاء مدة من الزمن تكون خلالها تشكيلات البلاد

قد توطدت وتمكن الموظفون الفلسطينيون من اكتساب الخبرة في أساليب الحكم .

رفض العرب بيان الحكومة ، إذ كان مبنياً على وعد بلفور ، وأصرت اللجنة التنفيذية على إقامة حكومة وطنية مستقلة ودستور يمكّن العرب من الإشراف على شؤونهم الخاصة بصورة كاملة . وهذا ما رفضته الحكومة البريطانية لأنه يحول دون إيفائها بوعد بلفور .

وبتاريخ ١٩٢٢/٧/٢٤ أقرّ مجلس عصبة الأمم صكّ الانتداب ، محوّلاً في مادته الأولى الدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والإدارة ، مؤكداً في مادته الثانية مسؤولية الدولة المنتدبة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي ، معترفاً في مادته الرابعة بالوكالة اليهودية * هيئة عمومية لإسداء المشورة إلى الإدارة ، وللتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التي تؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي ، وتساعد وتشترك في ترقية البلاد تحت رقابة الإدارة .

ومن خلال الوثائق الثلاث : دستور فلسطين ، والكتاب الأبيض ١٩٢٢ ، ومواد صك الانتداب يمكن رسم صورة للإدارة في فلسطين على النحو التالي :

١) الإدارة المركزية : في قمة الهرم الحكومي يشرف المندوب السامي على تطور الإدارة المدنية . وكان واسطة اتصال المندوب السامي والدوائر المدنية هو السكرتير العام الذي يعتبر الموظف الإداري الأعلى في الحكومة وتشرف دائرته على أعمال بقية الدوائر . وبإتساع أعمال الحكومة الأخرى وإيجاد دوائر خاصة اتسعت دائرة السكرتارية اتساعاً كبيراً ، وإن ظلّ يرأسها موظف واحد . وقد اشتملت هذه الدوائر عام ١٩٣٧ على مساعد للسكرتير العام ، وتسعة سكرتيرين مساعدين ، سبعة بريطانيون وواحد يهودي وآخر عربي ، ورئيس كتبة .

أشارت اللجنة الملكية في تقريرها ١٩٣٧ (رَ : لجنة بيل) إلى أنه لم تكن لمعظم السكرتيرين المساعدين خبرة سابقة في الأعمال الإدارية ، كما لم يسبق لموظفي السكرتارية أن كانوا في الألوية . واعترفت اللجنة بوجود شكاوى من الإسراف في المركزية ، فهناك رجوع دائم إلى الحكومة المركزية في مختلف المسائل ، وتدخّل مستمر فيما يجب أن يترك أمر البتّ فيه للموظف المحلي . ووجهت اللجنة النقد إلى النظام الذي يقضي بجعل موظف واحد ، هو السكرتير العام الذي قد لا تكون له خبرة سابقة بالبلاد ، واسطة الاتصال الوحيدة بالمندوب السامي ، وهو نظام غير مرض من وجهة نظر الشعب ورؤساء الدوائر المختلفة وموظفي الألوية .

ولمّا بادت محاولة الحكومة إجراء انتخابات المجلس التشريعي عام ١٩٢٢ بالفشل أوجدت مجلساً استشارياً كان من المفروض أن يتألف من أعضاء من غير الموظفين ، على أسس انتخاب المجلس التشريعي نفسها . لكن الحكومة عدلت عن هذه المحاولة بعد انسحاب الأعضاء العرب العشرة ، وخوّل المندوب السامي عام ١٩٢٣ حقّ تعيين مجلس استشاري يوافق عليه وزير المستعمرات ، ويقتصر على أعضاء من الموظفين فقط ، ويتألف من السكرتير العام ، والنائب العام (وهو المشاور القانوني للحكومة) ، ومدير المالية (وهو المؤكل بمسائل المالية والحسابات) ، وعشرة من رؤساء الدوائر ، ومستشار الريّ ، وثلاثة من حكام الألوية . واستخدم المجلس لإعطاء الموافقة الصورية على التشاريع أكثر مما استخدم للاستشارة برأيه .

كان في القدس عدد كبير من الدوائر التي تشرف عليها السكرتارية ، ولكنها بعيدة عنها ، كدوائر الزراعة والآثار القديمة وللمعارف والجمارك والمكوس والصحة والأراضي والمساحة والغابات وجمعيات التعاون والمهاجرة والإحصاء والأشغال العامة . وقد وسعت هذه الدوائر على حساب إدارة الألوية .

وقد أثرت اللجنة الملكية في تقريرها بأن صلة هذه الدوائر بإدارة الألوية لم تكن مثينة ، إذ مال رؤساء الدوائر إلى الاستئثار بالعمل دون الاستشارة برأي حكام الألوية ، ولم يكونوا مثلاً يطلبون من حكام الألوية أو إلى القائمقامين أن يزوّدوا تلك الدوائر بالمعلومات عن العدد الذي يمكن قبوله من المهاجرين ، أو عن عدد العمّال العاطلين ، أو عن التوسع في أعمال الري .

٢) إدارة الألوية : في عام ١٩٢٠ خفض عدد الألوية العشرة التي كانت في عهد الإدارة العسكرية الى سبعة ، ثم إلى أربعة ، ثم صدر في عام ١٩٢٢ منشور التشكيلات الإدارية (المادة ١١ من مرسوم دستور فلسطين) ، فقسّمت فلسطين إلى ثلاثة ألوية :

(١) لواء القدس : قاعدته القدس ، ويضم أقضية بيت لحم والخليل والقدس وأريحا ورام الله .

(٢) اللواء الشمالي : قاعدته حيفا ، ويضم أقضية عكا وبيسان وجنين ونابلس والناصرة وصفد وطبرية وطولكرم .

(٣) اللواء الجنوبي : قاعدته يافا ، ويضم أقضية بير السبع وغزة ويافا والرملة .

كان يدير شؤون كل لواء مسؤول بريطاني أطلق عليه اسم « حاكم اللواء » ، يستمد سلطته من المندوب السامي ، ويرجع إليه في الأمور الهامة والخطيرة . وكان مركز اللواء هو أهم أو أكبر مدينة فيه ، وفيها مقرّ الحاكم ورجال إدارته .

وقد قُسّم كل لواء إلى عدد من الأقضية يترأس الإدارة في كل

منها موظف كبير من أهل البلاد ، أطلق عليه اسم « قائمقام » ، يمثل السلطة الرسمية في القضاء ، ويرجع في الأمور الهامة إلى حاكم اللواء الذي يتبعه .

وفي كل مدينة مجلس بلدي له رئيس ينتخبه سكان المدينة ، ويشرف رئيس البلدية على المرافق والخدمات العامة داخل حدود منطقة البلدية . أما القرى الكبرى فلها مجالس قروية تدير شؤونها . وفي القرى وأحياء المدن أفراد ذوو مناصب شبه رسمية ، وهم « المخاتير » الذين يكوّنون همزات الوصل بين الإدارة المحلية والأهالي .

وجد في فلسطين عام ١٩٣٧ ثلاثة حكام للألوية ، واثنا عشر مساعداً لحكام الألوية كلهم من الموظفين البريطانيين ، وسبعة وثلاثون قائمقاماً .

زيدت ألوية فلسطين إلى ستة ألوية في ١٩٣٩/٧/١ . وهي ألوية : الخليل ، وحيفا ، ونابلس ، والقدس ، واللد ، وغزة . وقد ظلّ هذا التقسيم قائماً حتى نهاية الانتداب عام ١٩٤٨ .

٣) الاستقلال المحلي : جاء في المادة الثانية من صك الانتداب أن على الدولة المنتدبة ضمان ترقية مؤسسات الحكم الذاتي ، ونصّت المادة الثالثة على أن تعمل الدولة المنتدبة على تشجيع الاستقلال المحلي على قدر ما تسمح به الظروف . وكذلك فإن المبدأ الأساسي الذي تنطوي عليه نظام الانتداب هو أن الانتدابات بمنزلة « أمانات » ينتهي أجلها عندما يصبح سكان البلاد المنتدب عليها قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم . وكان قد أعلن في الفترة الأولى للإدارة المدنية " أنه عندما ينتهي العمل التمهيدي ويصبح في الإمكان انتخاب الفلسطينيين الحائزين المؤهلات اللازمة ، ويتسنى تدريب هؤلاء الموظفين على العمل الإداري ، بنوى تخفيض عدد الموظفين البريطانيين وزيادة عدد الموظفين الفلسطينيين " . وعلى الرغم من ذلك لم يتح لعرب فلسطين الاشتراك الفعلي في إدارة شؤون بلادهم أو في سن القوانين ، على الأقل على النحو المتبع في أقطار مماثلة . واشارت اللجنة الملكية في تقريرها إلى أن رؤساء الدوائر والموظفين الكبار والخبراء ، سواء في المركز أو في الألوية هم من البريطانيين ، وجميعهم من موظفي المستعمرات الذين لا يملكون خبرة بأحوال البلاد . ولم تنجح محاولات الحكومة البريطانية إنشاء مؤسسات الحكم الذاتي ، أو على الأقل إقامة حكم ذاتي كامل في أدوار تدريجية ، لأن الحكومة رفضت مراراً ما طلبه العرب من إقامة حكومة وطنية مستقلة . ووضع دستور يمكّنهم من الإشراف على شؤونهم الخاصة ، بحجة أن تشكيل حكومة وطنية من شأنه أن يحول دون الإيفاء بالعهد الذي تعطيه الحكومة البريطانية للشعب اليهودي . واعترفت الحكومة صراحة بأن موقف العرب العدائي من الوطن القومي يقف عقبة في سبيل إنشاء الحكم الذاتي في فلسطين .

وعلى نقيض ذلك خوّل مضمون المادة الرابعة من صكّ الانتداب الوكالة اليهودية حق إسداء النصح للحكومة ، والتعاون معها في معظم الأمور التي تؤثر في مصالح السكان اليهود في فلسطين . وقد استغلت الوكالة اليهودية الركن الذي منحها إياه صكّ الانتداب إلى أقصى حدّ ممكن ، واستطاعت ان تكوّن لها تنظيماً إدارياً كاملاً . وقد أقرّ تقرير اللجنة الملكية أن هذه المؤسسة هي في حكم الواقع حكومة تقف جنباً إلى جنب مع الحكومة المنتدبة ، وأنه ليس هناك فرع من فروع الإدارة لا تتدخل الوكالة به . ولا تقتصر أعمالها على شؤون الهجرة بل تدّعي أن من حقها أن تستشار في مختلف المسائل الأخرى من إدارية ومالية . ويظهر البون شاسعاً بين الوكالة اليهودية بتشكيلاتها المنظمة ودوائرها وموظفيها الذين ينتمون إلى الطوائف اليهودية في العالم وأية أداة كان يملكها العرب .

استبقت الإدارة البريطانية في القرى العربية شكلاً واضحاً من أشكال الاستقلال المحلي كان متبعاً في العهد العثماني هو نظام المختار . وقد ظلّ انتخابه يجري حسب الأصول المتبعة في السابق . وكان المختار الصلة الوحيدة التي تصل موظفي الحكومة بالفلاحين ، والمشرف على أعمال مجلس القرية . وللتقليل من احتكار المختار لأعمال مجلس القرية ، كما كان في العهد العثماني ، بادرت الإدارة البريطانية إلى إنشاء هيئة محلية تتوفر فيها صفة تمثيلية ، فصدر سنة ١٩٢١ قانون المجالس المحلية الذي قرر تأليف مجلس محلي لكل مجموعة من القرى ، وخوّله بعض السلطات . وفي عام ١٩٣٧ كان هناك عشرون مجلساً محلياً تختلف فيما بينها من حيث عدد أعضائها ومواردها المالية والأنظمة التي تنظم أعمالها طبقاً للأحوال المحلية . وقد أظهر التحقيق الذي أجرته اللجنة الملكية أن النجاح لم يكن من نصيب المجالس العربية المحلية ، وأن إدارة فلسطين لم تراع التقاليد القديمة حول حكم القرية من قبل شيوخها ، فجاءت المجالس تحمل طابع نظام أجنبي فرض على القرى فرضاً ، وغدت آلة في يد الإدارة المركزية ، لا مؤسسة حقيقية من مؤسسات الحكم المحلي . فقد كانت سلطة القائمقام في الإشراف على ميزانية المجالس مثلاً ، سلطة كبيرة جداً ، لذلك لم يعن القرويون بمجالسهم المحلية لأنها لم تكن تقوم بعمل في صالحهم ، ولم يكن فيها ما يجذبهم إليها . وقد ألغي منها قرابة سبعة مجالس بناء على طلب أهل القرى أنفسهم .

بالمقابل ، تركت إدارة الانتداب للصهيونيين حرّية مطلقة في تكوين نظام شامل للاستقلال المحلي في مناطق المستعمرات الصهيونية . ولاحظت اللجنة الملكية أن الحكم عن طريق الجمعية العمومية هو المبدأ الرئيس لكل هماعة تقريباً في هذه المستعمرات .

وتناولت الجمعيات كثيراً مما يدخل في العادة في أعمال الدولة ، وما يتصل بالأشغال العامة والخدمات الاجتماعية . ولم يكن للجمعيات مركز قانوني ، وبذلك لم تخضع ميزانيتها وسياستها لمراقبة الحكومة ، كما هي الحال في المجالس المحلية العامة . وكانت ، رغم ذلك ، تتهرب من أي إشراف لإدارة الألوية ، وتدّعي أن السلطة المخوّلة لها لا تفي باحتياجاتها المتزايدة في تخطيط المستعمرات واحتكار المنافع العامة كالماء والتنوير والمسائل المالية . وفي عام ١٩٣٧ وجد خمسة مجالس محلية صهيونية كانت من حيث المال وعدد السكان في الدرجة الثانية بعد البلديات الأربع الكبرى : القدس وحيفا ويافا وتل أبيب .

أما في المدن فقد كانت البلديات هي الصيغة المتبعة للاستقلال المحلي . وقد طلّت تؤدي أعمالها وفقاً للقانون العثماني في الغالب ، ولم يتم وضع قانون جديد لها إلا عام ١٩٣٤ . وكان أعضاء البلديات يعيّنون تعييناً إلى أن جرت الانتخابات البلدية لأول مرة عام ١٩٢٦ . وقد حددت الغاية من وجود البلديات المختلفة طبقاً للتقرير السنوي الأول لإدارة فلسطين عام ١٩٢٠ بما يلي : " ممارسة الحكم المحلي في المدن ، والقيام بالخدمات التي تتطلبها الجماعات التابعة لها ، وهي أيضاً لسان حال الشعب لدى حكام الألوية ، وواسطة لتنفيذ مطالب الإدارة العامة " . وأباح التقرير السنوي للبلديات " أن تؤدي أعمالها بكل ما يمكن من حرية ، غير أنه من الضروري في الوقت نفسه أن تكون أعمالها منسجمة انسجاماً تاماً مع أعمال إدارة الألوية ، ولهذه الغاية فإن كل حاكم لواء يعتبر مسؤولاً عن عمل السلطات المحلية الواقعة في لوائه " . وفي كانون الثاني ١٩٣٤ وضع قانون البلديات موضع التنفيذ ، وأجريت بموجبه الانتخابات لعشرين مجلساً بلدياً ، وكانت الحكومة تراه خطوة لتحسين التعاون بين العرب واليهود ، توطئة لتأسيس مجلس تشريعي (تجدد اقتراح إنشاءمجلس تشريعي عام ١٩٣٥) . وكانت بلدية تل أبيب هي البلدية الوحيدة لمدينة سكانها كلهم من اليهود ، ثم رفعت بتاح تكفا (مئيس) إلى مصاف البلديات أواسط الثلاثينات .

وبيّن قانون ١٩٣٤ طريقة السير بأعمال البلديات ، وحدد سلطات المجالس البلدية ووظائفها والحد الأعلى للعوائد والرسوم التي يحق لها أن تفرضها ، والخدمات التي يصح لها أن تقوم بها ، والموظفين الذين يجوز أن تعيّنهم . وبموجب هذا القانون جعلت مشاريع الميزانية السنوية للبلديات ومشاريع القروض خاضعة لموافقة حاكم اللواء ، واشترط أن يدقق حساباتها فاحص حسابات تعيّنه الحكومة . وقرّر القانون كذلك ضرورة وجود هيئة من موظفي البلدية يضطلعون بأعمالهم طيلة الوقت . ونص القانون على أن لكل بلدية أن تعيّن عدداً من الموظفين المحليين ، كمدير الإدارة ومهندس وطبيب وغيرهم ، لكن هذا لم يطبّق إلاّ في المدن الثلاث الكبيرة المختلطة السكان وهي حيفا ويافا والقدس . أما معظم المدن العربية فلم تكن تستطيع أن تتحمل نفقات أكثر من موظف واحد .

أشار تقرير اللجنة الملكية إلى أن الخدمات العامة التي تؤديها البلديات (عدا المجاري والطرق وتزويد الماء وإنشاء المسالخ وتنظيم

الأسواق) قليلة بسبب نقص موظفيها المدنيين ، وبسبب سيطرة إدارة اللواء والإدارة المركزية الشديدة على هذه البلديات ، والتأخر في إقرار دائرة الستر المركزي العام في القدس مشاريع ميزانيات البلديات السنوية ،وعدم كفاية المنح المالية التي تقدمها الإدارة المركزية ، وسياسة الحكومة بمنح الامتيازات لشركات خصوصية ، وتمركز الدوائر الرئيسة ، كالمعارف والصحة العامة ، في القدس، واحتكار الحكومة لبعض الخدمات العامة .

واعترفت اللجنة الملكية بأن هذه العوامل هي السبب في عدم اهتمام سكان المدن بأكثر المجالس البلدية . ويدل على ذلك إحصاء الأصوات في الانتخابات البلدية والانتخابات بالتزكية التي أصبحت أمراً مألوفاً ، مما يشير إلى إخفاق المجالس البلدية في الفوز بثقة الرأي العام ، والى أن المجالس التي قصد بها أن تكون تجربة في الحكم الذاتي وتوطئة لا بد منها لتأسيس مجلس تشريعي ، لم تملك من السلطة ما يخوّلها ان تكون هيئة نعّالة .

أما بلدية تل أبيب فقد شهدت نمواً عجيباً بسبب سيل المهاجرين الصهيونيين المتدفق إليها مما زاد الحاجة إلى الخدمات العامة الأساسية . وقد اتبع المجلس البلدي فيها سياسة مشجعة بالطموح - على حدّ قول تقرير اللجنة الملكية - بلغت ميزانية عام ١٩٣٧ نصف مليون جنيه ، أي أكثر من ثلاثة أمثال ميزانية أي مدينة من مدن فلسطين . وكان المجلس البلدي فيها ، بالرغم من أخذه نفسه بالتزامات تعتبر خارجة عن نطاق سلطاته من الوجهة الفنية ، وبالرغم من وضع السلطات أمام الأمر الواقع لإجبارها على الموافقة على أعمال سابقة ، يتهرب من الحصول على موافقة حاكم اللواء ، ويتجاهل قوانين البلديات ، ويتهم الإدارة بأنها لا تدرك تطور الخدمات الاجتماعية على الأسس الغربية ، ويشكو من عدم كفاية الإعانة الحكومية .

٤) ألوية فلسطين : قسّمت إدارة الانتداب فلسطين ، منذ تموز ١٩٣٩ ، إلى ستة ألوية هي :

(١) لواء الخليل : في أقصى شمال فلسطين قرب الحدود اللبنانية والسورية ، ومركزه مدينة الناصرة . يتألف من خمسة أقضية هي : عكا ، وبيسان ، والناصرة ، وصفد ، وطبرية .

بلغت مساحة هذا اللواء ، بموجب آخر إحصاء أجرته حكومة الانتداب البريطانية في فلسطين عام ١٩٤٥ نحو ٢,٨٠١,٣٨٣ دونماً ، منها نحو ٥٧٦,٠٢٨ دونماً امتلكها الصهيونيون ، أي نحو ٢٠,٥٪ من مجموع أراضي اللواء . أما عدد سكانه فقد بلغوا آنذاك نحو ٢٣٠,٨٤٠ نسمة ، وكان عدد العرب منهم قرابة ١٩٣,٤٩٠ عربياً ، أو ٨٣,٨٪ من مجموع سكان اللواء . وبلغ عدد الصهيونيين ٣٧,٣٥٠ شخصاً ، أو نحو ١٦,٢٪ من هؤلاء السكان . وقد تركز الاستيطان الصهيوني داخل لواء الخليل في سهل الحولة * الخصيبة تربته وتوافر مصادر المياه فيه .

ومعظم أراضي هذا اللواء جبلية وهضبية ، عدا منطقتي بيسان وعكا حيث الأرض سهلية وخصوبتها عالية .

(٢) لواء حيفا : مركزه مدينة حيفا . ويتألف من قضاء حيفا فقط . وتبلغ مساحته ١,٠٣١,٧٥٥ دونماً ، امتلك الصهيونيون منها نحو ٣٦٤,٢٧٦ دونماً ، أو نحو ٣٥,٣٪ من جملة أراضي اللواء . وأراضي هذا اللواء ، عدا مرتفعات الكرمل التي تطل على البحر المتوسط مباشرة ، جيدة الخصوبة ، وبخاصة سهل مرج ابن عامر * الذي يعدّ من أجود أراضي فلسطين .

وقد بلغ عدد سكان لواء حيفا سنة ١٩٤٥ نحو ٢٢٤,٦٣٠ نسمة . وبلغ عدد العرب ١٢٠,١٢٠ نسمة ، أي ٥٣,٥٪ من مجموع السكان . أما الصهيونيون فبلغوا ١٠٤,٥١٠ نسمة ، أو ٤٦,٥٪ من عدد السكان . وقد تركز استيطانهم في جبل الكرمل * وسهل مرج ابن عامر .

(٣) لواء نابلس : مركزه مدينة نابلس . ويتألف من ثلاثة أقضية هي : نابلس ، وجنين ، وطولكرم * ومعظم أراضيه جبلية صخرية عدا بعض المناطق حول مدينتي طولكرم وجنين حيث الأراضي سهلية خصبة . ويشتهر هذا اللواء بزراعة أشجار الزيتون * . مساحته نحو ٣,٢٦٢,٢٩٢ دونماً امتلك الصهيونيون منها ١٤٥,٦٢٧ دونماً أو نحو ٤,٤٪ من مجموع أراضي اللواء .

بلغ عدد سكان اللواء ٢٣٢,٢٢٠ نسمة منهم ٢١٧,٣٢٠ عربياً ، أو ٩٣,٦٪ من مجموع السكان . أما الصهيونيون فكانوا أقلية لم يزد عددهم على ١٤,٩٠٠ نسمة ، أو ٦,٤٪ من جملة السكان .

(٤) لواء القدس : يتوسط فلسطين ، ومركزه مدينة القدس عاصمة البلاد . ويتألف من ثلاثة أقضية هي : القدس وتتبعها بيت لحم وأريحا والخليل ،وراء الله .أرضه جبلية وتربته فقيرة، عدا الأودية حيث التربة خصبة . وقد بلغت مساحة أراضي اللواء نحو ٤,٣٣٣,٥٣٤ دونماً ، امتلك الصهيونيون منها ٣٩,٦٧٩ دونماً ، أو نحو ٠,٩٪ فقط من مجموع أراضي اللواء .

أما السكان فقد بلغ عددهم ٣٨٤,٨٨٠ نسمة معظمهم من العرب ، أي قرابة ٢٨٤,٦٠٠ عربي ، ألفوا ٧٣,٩٪ من مجموع السكان . وكان عدد الصهيونيين نحو ١٠٠,٢٨٠ صهيونياً أي نحو ٢٦,١٪ . وقد تركز الاستيطان الصهيوني داخل القدس الجديدة .

(٥) لواء اللد : مركزه مدينة يافا . ويتألف من قضاءي يافا والرملة . ومعظم أراضيه سهلية لأنها جزء من السهل الساحلي الفلسطيني * . ولون التربة ضارب إلى الحمرة لارتفاع نسبة

أكاسيد الحديد . وتجود فيها زراعة الحمضيات * (الموالح) . بلغت مساحة أراضي هذا اللواء ١,٢٠٥,٥٥٨ دونماً امتلك الصهيونيون منها نحو ٢٥١,٥٩٨ ، أي قرابة ٢٠,٨٪ من مساحة أراضي اللواء .

كان عدد السكان في عام ١٩٤٥ نحو ٥٠١,٠٧٠ نسمة ، منهم نحو ٢٠٧,٥٥٠ عربياً ، أي ٤١,٤٪ من مجموع السكان . أما الصهيونيون فبلغ عددهم ٢٩٣,٥٢٠ صهيونياً ، أي قرابة ٥٨,٦٪ . وفي هذا اللواء تقع مدينة تل أبيب ، أكبر المدن الصهيونية ، وكثير من المستعمرات الصهيونية ، مما رفع عدد الصهيونيين في هذا اللواء ، وجعلهم يفوقون السكان العرب عدداً . وقد كان لخصوبة الأرض ، ولتوافر المياه ، ولأهمية الموقع ، أثر في جذب الاستيطان الصهيوني إلى هذا اللواء .

(٦) لواء غزة : يقع في جنوب فلسطين ، ويشمل جزءاً من السهل الساحلي الفلسطيني ومنطقة النقب * التي تعادل وحدها نصف مساحة فلسطين تقريباً . ومركز اللواء مدينة غزة ، ويتألف من قضاءي غزة وبير السبع .

أراضي هذا اللواء ـ عدا القسم الشمالي من مدينة غزة ـ رملية خشنة الذرات ، ذات تربة مفككة جافة ، والمناخ يميل إلى النظام الصحراوي . وتبلغ مساحة أراضي لواء غزة نحو ١٣,٦٨٨,٥٠١ دونم ، امتلك الصهيونيون منها قرابة ١١٤,٤٩١ دونماً ، أي نحو ٠,٨٪ فقط من مجموع أراضي اللواء .

أما عدد السكان فبلغ ١٩٠,٨٨٠ نسمة ، غالبيتهم من العرب الذين قدّر عددهم بنحو ١٨٧,٨٤٠ نسمة ، أي ٩٨,٤٪ من مجموع السكان ، في حين بلغ عدد الصهيونيين ٣,١٤٠ نسمة ، او ١,٦٪ من مجموع سكان اللواء .

ح ـ التقسيمات الإدارية بعد عام ١٩٤٨ : تمخض عن حرب ١٩٤٨ * اغتصاب العدو الصهيوني نحو ٢٠,٠٠٠ كم٢ من فلسطين ، وقيام مصر بإدارة قطاع غزة حتى عام ١٩٦٧ (ر : الإدارة المصرية لقطاع غزة) ، وضمّ الضفة الغربية إلى الأردن ضمن إطار المملكة الأردنية الهاشمية (ر : مؤتمر نابلس ١٩٤٨ ، ومؤتمر أريحا ١٩٤٨ ، ومؤتمر غزة ١٩٤٨) .

وقد تم تقسيم فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ إلى ثلاث مناطق إدارية كبرى هي المنطقة الشمالية ، والمنطقة الوسطى ، والمنطقة الجنوبية . وتضم كل منطقة من هذه المناطق وحدات إدارية صغرى تسمى مقاطعات . فالمنطقة الشمالية تضم مقاطعات عكا ، والناصرة ، وصفد ، وطبرية ، وجنين ، وبيسان ، ونابلس * ، والخضيرة * . والمنطقة الوسطى تضم مقاطعات تل أبيب ـ يافا ، والسرمة وهود هاشارون * ، وروحوبوت * ، والقدس ، وبتاح تكفا . وتضم المنطقة الجنوبية مقاطعات عسقلان وبير السبع وإيلات * .

أما قطاع غزة فيضم المنطقة الشمالية وقاعدتها غزة ، والمنطقة الوسطى وقاعدتها دير البلح * ، والمنطقة الجنوبية وقاعدتها خان يونس * . وتشتمل الضفة الغربية على ثلاث محافظات رئيسة هي : نابلس ، والقدس ، والخليل . وفي محافظة نابلس قضاء جنين وقضاء طولكرم ، في حين تضم محافظة القدس أقضية رام الله وأريحا وبيت لحم . أما الخليل فمحافظة وقضاء في الوقت نفسه . وقد اكتسى قضاء الخليل عمّا كان عليه أثناء الانتداب ، وكذلك قضاء جنين وقضاء طولكرم . في حين زادت مساحة قضاء رام الله بضمّه بعض قرى قضاء الرملة المحتل منذ سنة ١٩٤٨ .

المراجع :

ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ١٣٥٧هـ .
ـ اليعقوبي : كتاب البلدان ، ليدن ١٨٩١ .
ـ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، دمشق ١٩٦٢ .
ـ ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ليدن ١٨٩١ .
ـ نعمة الحمّاش : الإدارة في العصر الأموي ، دمشق ١٩٨٠ .
ـ عبد العزيز محمد عوض : الإدارة العثمانية في ولاية سورية (١٨٦٤ ـ ١٩١٤) ، القاهرة ١٩٦٩ .
ـ أحمد عزة عبد الكريم : التقسيم الإداري لسورية في العهد العثماني ، القاهرة ١٩٣٢ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٠ .
ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، بيروت ١٩٥٨ .
ـ مجموعة سالفات الدولة العثمانية من العدد ٣ إلى ٦٨ ، استانبول .
ـ محمد سلامة النحال : سياسة الانتداب البريطاني حول أراضي فلسطين .
ـ تقرير اللجنة الملكية لفلسطين سنة ١٩٣٧ .
ـ كامل محمود حبلّة : فلسطين والانتداب البريطاني ، بيروت ١٩٧٤ .
— Bowen, H. and Gibb, H.A.R.: **Islamic Society and the West**, London 1951 - 1957.
— Heyd, U.: **Ottoman Documents on Palestine**, Oxford 1960.
— Holt, P.M.: **Egypt and the Fertile Crescent**, London 1966.
— Jones, A.H.M.: **Cities of the Eastern Romas Provinces**, London 1971.
— Le Strange: **Palestine under the Muslims**, London 1890.

الإدارة المدنية الفلسطينية : ر : عموم فلسطين (حكومة ـ)

الإدارة المصرية لقطاع غزة :

أ ـ الوضع الخاص لقطاع غزة : بتاريخ ١٩٤٩/٢/٢٤ وقعت

في رودس اتفاقية الهدنة الدائمة بين مصر و(إسرائيل) * . وقد جاء في هذه الاتفاقية :

" يحتفظ المصريون بالسيطرة على الممر الساحلي الممتد من قرية رفح * على الحدود المصرية ـ الفلسطينية إلى نقطة تبعد ثمانية أميال إلى الشمال من غزة * ، وحددت الإحداثيات الطولية والعرضية على الخرائط المساحية لفلسطين بالنسبة لهذه المنطقة " .

وقد نصت المادة ١١ من اتفاقية الهدنة المذكورة على أن " خط الهدنة المحدد بموجب هذه الاتفاقية يجب ألاّ يعتبر حدوداً سياسية أو إقليمية ، وهو لا يمس الحقوق والمطالب التي تنتج عن تسوية القضية الفلسطينية " .

وهذا يعني أن هذه المنطقة التي سميت فيما بعد « قطاع غزة » لا تعني منطقة ذات حدود سياسية أو إقليمية . وإنما هي المنطقة الفلسطينية التي تولت الحكومة المصرية إدارتها والتي تحددت بالشروط والتحفظات الواردة في اتفاقية الهدنة المصرية ـ الإسرائيلية ، وبقرار مجلس جامعة الدول العربية المؤرخ في ١٩٥٠/٤/١٣ الذي قضى :

" بأن دخول الجيوش العربية فلسطين لإنقاذها ينظر إليه كتدبير مؤقت حال من كل صفة من صفات الاحتلال والتجزئة لفلسطين وأنه بعد إتمام تحريرها تسلم إلى أصحابها ليحكموها كما يريدون " .

ألحقت الحكومة المصرية منطقة غزة بسلاح الحدود، فعينت المدير العام لسلاح الحدود الملكي والحاكم العسكري للصحراء الشرقية وغيرها من مناطق الحدود حاكماً إدارياً « للمناطق التي تخضع لرقابة القوات المصرية بفلسطين » . كما عينت وكيل محافظ سيناء نائباً للحاكم الإداري وخوّلته جميع سلطات الحاكم الإداري . وظل مقر الحاكم الإداري العام القاهرة ، واتخذ نائبه من غزة مقراً له .

قامت السلطة المصرية بإدارة القطاع إدارة مدنية بمسؤولين عسكريين في أكثر الأحيان ، وأعادت الدوائر الحكومية التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني للعمل ، مثل التعليم والصحة والزراعة والمحاكم المدنية والشرعية ، كما ألّف نائب الحاكم المجلس الإسلامي الأعلى للمنطقة وخوّله جميع السلطات التي كانت مخوّلة للمجلس الإسلامي الأعلى * في فلسطين .

ظلت المنطقة تحمل اسم « المناطق الخاضعة لرقابة القوات المصرية بفلسطين » ويتولاها المدير العام لسلاح الحدود ويُنيب عنه نائباً يتولى سلطاته حتى عام ١٩٥٤ حين أصدر اللواء محمد نجيب رئيس وزراء الجمهورية المصرية آنذاك قراراً بتعيين حاكم عام « لقطاع غزة » . ومنذ ذلك التاريخ أطلقت هذه التسمية على المنطقة التي دخلت في مرحلة جديدة من الحكم تستهدف تطوير الإدارات وزيادة مسؤولية الموظفين الفلسطينيين .

ب ـ القانون الأساسي لقطاع غزة : حدد القانون الأساسي لقطاع غزة (القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٥) السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية ، كما نص على أن يستمر العمل بمرسوم دستور فلسطين لعام ١٩٢٢ وبالقوانين الفلسطينية التي كانت قائمة في ١٩٤٨/٥/١٥ بما لا يخالف الأحكام الواردة في القانون الأساسي ، وبما للسلطة التشريعية من حق إلغاء وتبديل ما تراه من قوانين .

وقد نظم القانون الأساسي السلطات الإدارية على الوجه الآتي :

١) الحاكم العام للقطاع : هو أعلى سلطة تنفيذية فيه ، ورئيس المجلس التنفيذي ، ويعين بقرار من رئيس الجمهورية المصرية .

٢) نائب الحاكم العام : يعين بقرار من وزير الحربية .

٣) مدير و المديريات : يعينون بقرار من وزير الحربية . والمدير عضو في المجلس التنفيذي . وقد نص القانون الأساسي على تعيين هؤلاء المديرين من الفلسطينيين ذوي الخبرة العلمية والفنية متى توفر وجودهم ، أو من المصريين ذوي الخبرة العالية . أما المديريات فهي : مديرية الشؤون القانونية ، ومديرية الداخلية والأمن العام ، ومديرية المالية والاقتصاد ، ومديرية الشؤون الاجتماعية واللاجئين ، ومديرية الشؤون البلدية والقروية ، ومديرية التربية والتعليم ، ومديرية الأشغال العمومية والمواصلات .

جـ ـ المجلس التنفيذي : نص القانون الأساسي على أن يتألف المجلس التنفيذي من الحاكم العام رئيساً ، ومن مديري المديريات أعضاء . كما نص على ألاّ يكون اجتماع المجلس صحيحاً إلاّ بحضور خمسة أعضاء على الأقل عدا الرئيس ، وأن تصدر القرارات بالأغلبية المطلقة لأصوات الأعضاء الحاضرين ، وعند تساوي الأصوات يرجح الجانب الذي منه رئيس المجلس . أما اختصاصات المجلس التنفيذي فقد حددها القانون الأساسي على الوجه التالي :

١) وضع اللوائح اللازمة لتنفيذ القوانين .

٢) ترتيب الوظائف العامة وتولية الموظفين .

٣) إصدار قرارات تكون لها قوة القانون إذا طرأت أحوال غير عادية تتعلق بالأمن العام أو النظام وتتطلب اتخاذ تدابير عاجلة ، على أن لا تكون القرارات مخالفة للقانون الأساسي . وينتهي العمل بهذه القرارات بقرار يصدر عن المجلس التنفيذي .

د ـ السلطات المالية : نص القانون الأساسي على أن يعد الحاكم العام مشروع ميزانية القطاع ويقدمها إلى وزير الحربية لفحصها واعتمادها . كما نص على أنه لا يجوز فرض ضريبة ، أو تعديلها ، أو إلغاؤها إلاّ بقانون .

هـ ـ الحكام الإداريون : يعاون الحاكم العام لقطاع غزة حكام إداريون يعينهم الحاكم العام من الضباط المصريين حل الوجه الآتي :

١) حاكم غزة : يتولى مدينة غزة ، ومعسكر الشاطىء للاجئين ، وقرى جباليا* والنزلة وبيت حانون ومعسكر جباليا للاجئين .

٢) حاكم دير البلح : يتولى بلدة دير البلح* ، ومعسكر اللاجئين في دير البلح ، ومعسكرات اللاجئين في البريج ، والنصيرات والمغازي .

٣) حاكم خان يونس : يتولى مدينة خان يونس* ومعسكر اللاجئين فيها وقرى عبسان* وبني سهيلة* وخزاعة .

٤) حاكم رفح : ويتولى بلدة رفح ومعسكر اللاجئين فيها .

و ـ النظام الدستوري لقطاع غزة : أصدر الرئيس جمال عبد الناصر* رئيس الجمهورية العربية المتحدة في ١٩٦٢/٣/٥ إعلاناً بالنظام الدستوري لقطاع غزة . وأهم أحكام هذا النظام :

النص في الباب الأول على أن قطاع غزة جزء لا يتجزأ من أرض فلسطين ، وأن شعبها جزء من الأمة العربية ، وعلى أن الفلسطينيين يكوّنون اتحاداً قومياً للعمل المشترك من أجل استرداد الأرض المغتصبة من فلسطين ، وللمساهمة في تحقيق رسالة القومية العربية .

نصّ الباب الثاني على تنظيم الحريات والحقوق العامة . وقد كفل النظام الدستوري حرية الإقامة والتنقل والاعتقاد والقيام بشعائر الأديان وحرية الفكر والرأي ، ونص على حرية الملكية وعلى حق الفلسطينيين في محاطبة السلطات العامة .

وتناول الباب الثالث : السلطات العامة التنفيذية والتشريعية والقضائية ؛ فناط السلطة التنفيذية والتشريعية بالحاكم العام مع المجلس التنفيذي ، وناط السلطة القضائية بالمحكمة العليا وغيرها من المحاكم وفقاً للأحكام التي نص عليها النظام الدستوري والقوانين الأخرى .

فُصلت أحكام النظام الدستوري لقطاع غزة في ستة فصول :

وقد تناول الفصل الأول كيفية تعيين الحاكم العام ، ونص على أن لوزير الحربية أن ينتدب ، بقرار منه ، من يقوم بأعمال الحاكم العام في حال غيابه ، أو وجود مانع ، ما عدا التصديق على القوانين وإصدارها .

كما حددت في هذا الفصل سلطة الحاكم العام في التصديق على القوانين وإصدارها والاعتراض عليها ، وحق المجلس التشريعي في الإصرار على القوانين التي أقرها ولو اعترض عليها الحاكم العام ، وفق أصول تفصيلية بيّنها النظام .

أما الفصل الثاني من النظام الدستوري فقد تناول الأحكام الخاصة بالمجلس التنفيذي ، فنص على كيفية تأليفه ، وشروط صحة انعقاده وحقه في أن يصدر ، في حالات الضرورة ، قرارات يكون لها قوة القانون ، بشرط عرضها على المجلس التشريعي عند انعقاده بما يحقق رقابة السلطة التشريعية على تلك القرارات .

وعرّج الفصل الثالث على الأحكام الخاصة بالمجلس التشريعي. فنصت المادة ٣٠ على كيفية تأليف المجلس التشريعي . وقد روعي في تشكيله أن يكون مؤلفاً من أعضاء المجلس التنفيذي ومن ٢٢ عضواً ينتخبهم الأعضاء المنتخبون لعضوية اللجان المحلية للاتحاد القومي طبقاً لنظام الانتخاب الذي أصدره الحاكم العام بهذا الشأن، ومن ١٠ أعضاء يعينهم الحاكم العام ليسدّ حاجة المجلس إلى بعض أهل التجربة والخبرة والكفاية . وبهذا تكون أغلبية أعضاء المجلس مؤلفة من الأعضاء المنتخبين .

وقد نصت المادة ٣١ على أن مدة العضوية في المجلس التشريعي ثلاث سنوات . وقضت المادة ٣٣ بأن ينتخب المجلس في أول اجتماع وكيلا له . وجعل الاختصاص في إبطال الانتخابات للمحكمة العليا ، على أن يحدد نظام الانتخابات الذي يصدر من الحاكم العام طريقة السير في هذا الشأن .

ونصت المادة ٣٦ على أن الحاكم العام يدعو المجلس للانعقاد ، ويفضّ دورته ، وعلى أن دور الانعقاد السنوي يدوم أربعة أشهر . وبيدت المادة ٣٧ حق الحاكم العام في تأجيل انعقاد المجلس التشريعي مدة لا تزيد على شهرين .

واستحدث النظام الدستوري حق الأعضاء في توجيه أسئلة إلى أعضاء المجلس التنفيذي تمكيناً لهم من الرقابة البرلمانية .

أما الفصل الرابع فقد اشتمل على أحكام السلطة القضائية ، فنصّ على استقلال القضاء ، وعلى أن القانون يرتب جهات القضاء . وبينت المادة ٥٧ طريقة تأليف المحكمة العليا ، وقررت أن رئيسها يعين بقرار من رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، وأن الأعضاء يعينون بقرار من وزير الحربية .

ونصت المادة ٥٨ على سلطة المحكمة العليا في إلغاء القرارات الإدارية في الحالات التي تستوجب الإلغاء وفق أحكام فصلتها المادة .

وتناول الفصل الخامس القوات المسلحة ، فنصّت المادة ٦١ على أن القوات المسلحة الرابطة في قطاع غزة تكون خاضعة للقيادة التي تحددها القيادة العامة للقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة ، وأن للقائد العام للقوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة سلطة إصدار أوامر لها قوة القانون في كل ما يتعلق بالتدابير اللازمة لسلامة القوات ومقتضيات الدفاع العسكري .

ونصت المادة ٦٢ على أن القانون يبين نظام هيئات الشرطة وما لها من اختصاصات .

وعالج الفصل السادس موضوع الميزانية . وقد رُئي أن يؤخذ رأي المجلس التشريعي في مشروعها . وقد استحدث هذا الاختصاص بسبب زيادة إيرادات القطاع . وقد روعي في ذلك خصوصية ميزانية القطاع ، وكونها تتألف من اعتمادات نابتة ، كمرتبات الموظفين ، لا تخضع لتسوية الاعتماد ، واعتمادات أخرى متغيرة هي التي تعرض على المجلس لإبداء الرأي فيها .

أما الباب الرابع من النظام الدستوري فقد خصص للأحكام العامة ، فنصت المادة ٦٩ على أن كل ما قررته الأنظمة والتشريعات واللوائح والأوامر الفلسطينية يبقى ساري المفعول فيما لا يتعارض مع أحكام النظام الدستوري . كذلك تبقى سارية المفعول كل القوانين والأوامر والتعليمات التي أصدرها وزير الحربية ، أو القائد العام للقوات المسلحة ، أو أي سلطة مختصة في تلك المنطقة ، منذ دخول القوات المصرية فيها في ١٩٤٨/٥/١٥ ، وانه لا تترتب أية مسؤولية بسبب الإجراءات والأعمال والأوامر والأحكام التي اتخذت بمقتضى القوانين واللوائح والأوامر والتعليمات المنصوص عليها في تلك المادة قبل تاريخ ١٩٥٨/٢/٢٥ .

ونصت المادة ٧٣ على أن للمحاكم العام وللمجلس التشريعي اقتراح تنقيح النظام الدستوري . ولا يكون التنقيح نافذاً إلا بقرار من رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

وعندما قامت منظمة التحرير الفلسطينية * أصدر رئيس الجمهورية السورية المتحدة قراراً بتعديل المادة الثانية من النظام الدستوري لقطاع غزة الصادر في آذار ١٩٦٢ لتصبح كالآتي :

" تحرير فلسطين واجب مقدس على أبنائها وعلى كل عربي ، وفي سبيل ذلك يعمل الفلسطينيون في قطاع غزة متلاقين مع إخوانهم أبناء فلسطين أينما كانوا في تشكيل قومي (منظمة التحرير الفلسطينية) هدفه الأسمى العمل المشترك على استرداد الأرض المغتصبة من فلسطين والمساهمة في تحقيق رسالة القومية العربية " .

ز ـ المجلس التشريعي حسب القانون الأساسي : تنفيذاً لما جاء في القانون الأساسي لقطاع غزة تم تشكيل المجلس التشريعي للقطاع على الوجه التالي :

١) الحاكم العام ويترأس المجلس .

٢) أعضاء المجلس التنفيذي .

٣) رئيس مجلس بلدية غزة وثلاثة من أعضائه ينتخبهم المجلس لمدة ثلاث سنوات .

٤) رئيس مجلس بلدية خان يونس واثنين من أعضائه ينتخبهما هذا المجلس لمدة ثلاث سنوات .

٥) عضو من كل من المجالس القروية في رفح ودير البلح وجباليا تنتخبهم هذه المجالس لمدة ثلاث سنوات .

ح ـ الاتحاد القومي العربي الفلسطيني : عقد المجلس التشريعي في ١٩٥٨/٥/١٥ جلسة استثنائية قرر فيها « قيام « الاتحاد القومي العربي الفلسطيني » ، وشكل لجنة من أعضائه ، ومن العناصر الوطنية من خارج المجلس ، لوضع الميثاق الوطني والنظام الأساسي للاتحاد . عقدت اللجنة عدة جلسات أنجزت فيها وضع الميثاق . وفي ١٩٥٩/٣/٧ ، وفي مؤتمر شعبي عام ، تلي الميثاق الوطني وأعلن نظام الاتحاد .

وقد جاء في هذا الميثاق الوطني :

" نحن الشعب العربي الفلسطيني الذي يشعر من أعماق ضميره ، وبكامل وعيه ، بمرارة الكارثة التي ألمت به خلال عام ١٩٤٨ ، والذي يؤمن إيمانا لا يتزعزع بأن النصر آت لا ريب فيه ، وأن الوحدة وجمع الكلمة والكفاح المسلح هي طريق النصر ، ولا طريق سواها ، نحن الشعب العربي الفلسطيني نملي هذا الميثاق ، ونعلنه ، ونقسم على تحقيقه " .

وجاء فيه أيضاً أن :

" فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير ، وان تحريرها فرض محتم على أبنائها ، وعلى المواطنين العرب في كل مكان . وأن الوحدة العربية والقومية العربية هما روح المعركة والغاية منها . وأن إسرائيل كيان عدواني أثيم أقامه الاستعمار على أشلاء عرب فلسطين ، وأن القضاء عليها واجب على كل عربي ، وأن الاتحاد القومي ، أثناء المعركة ، ضرورة تستلزمها معركة التحرير " .

ط ـ اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد القومي العربي الفلسطيني : قامت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد القومي العربي الفلسطيني كهيئة تأسيسية في ١٩٥٩/٣/١٤ ، وباشرت تشكيل اللجان المحلية . وبعد مضي فترة من الانتقال ، أعلن الحاكم العام للقطاع في القرار رقم ٣١ لسنة ١٩٦٠ تحديد موعد انتخابات لجان الاتحاد القومي العربي الفلسطيني ، كما تضمن القرار كيفية إجراء الانتخابات بحيث تؤلف لجنة عملية للاتحاد القومي في قطاع غزة لكل وحدة انتخابية . ويحدد عدد الوحدات دائرة كل منها ومقرها وعدد ممثليها بواقع ممثل لكل ألف نسمة من السكان .

وفي ١٥ كانون الثاني جرت انتخابات الاتحاد القومي العربي الفلسطيني ، وانتظم قطاع غزة في ٢٧ لجنة قوام كل منها ١٥ عضواً . وجرى بعد ذلك انتخاب اللجان التنفيذية في جميع المناطق ، وقد نظم القطاع في خمس مناطق هي : رفح وخان يونس والمعسكرات الوسطى ومنطقة غزة .

وعقد أول اجتماع للقواعد الشعبية حضره جميع ممثلي الشعب العربي الفلسطيني للقطاع ، كما حضره رئيس المجلس التشريعي

الحاكم العام لقطاع غزة ، وأعضاء المجلس التنفيذي ، وعدد كبير من المواطنين . وقد ردد الجميع في بداية الاجتماع القسم الآتي :

" أقسم بالله العظيم ، وبشرف فلسطين وحريتها ، وبأرواح شهدائها أن أبذل مالي وروحي ودمي في سبيل تحرير فلسطين ولي سبيل تحرير الوطن العربي ، وأن أرعى ميثاق الاتحاد القومي ، وأعمل على تحقيقه . والله على ما أقول وكيل " .

ي ـ المجلس التشريعي انتخب حسب الإعلان الدستوري :

تطبيقاً لما جاء في الإعلان الدستوري لقطاع غزة ، وبعد قيام الاتحاد القومي العربي الفلسطيني ، دعا الحاكم العام الأعضاء المنتخبين لعضوية اللجان المحلية للاتحاد القومي إلى الإجتماع في ١٦/٥/١٩٦٢ لانتخاب أعضاء المجلس التشريعي .

وقد اشترط في عضوية المجلس التشريعي أن يكون العضو المرشح منتخباً من إحدى اللجان المحلية التابعة للدائرة الانتخابية التي يرشح نفسه فيها ، وأن يكون بالغاً من العمر ثلاثين سنة ميلادية ويحسن القراءة والكتابة ، وألاّ يكون محكوماً عليه بسبب فعل يعتبره القانون جناية ، وألاّ يكون محجوزاً عليه ، وأن يرشح نفسه للانتخاب .

جرت الانتخابات يوم ٢٦/٥/١٩٦٢ . وفي ٣٠ من الشهر نفسه صدرت مجلة الوقائع الفلسطينية متضمنة أسماء الأعضاء المنتخبين للمجلس التشريعي ، وعددهم ٢٢ عضواً ، والأعضاء المعينين وعددهم ١١ عضواً .

دعا الحاكم العام للقطاع المجلس التشريعي للانعقاد يوم ٢٣/٦/١٩٦٢ . وباشر المجلس المنتخب أعماله ، فعقد جلسته الافتتاحية الأولى التي بدأت بحلف اليمين الدستوري وهو :

"أقسم بالله العظيم أن أحترم النظام الدستوري لقطاع غزة ، والقانون ، وأن أرعى مصالح الشعب الفلسطيني رعاية كاملة " .

وقام المجلس بانتخاب أول رئيس فلسطيني له ، فانتخب الدكتور حيدر عبد الشافي ، كما انتخب حمود نجم وكيلاً .

ثم باشر المجلس التشريعي أعماله في استصدار التشريعات والقوانين .

ك ـ جيش التحرير الفلسطيني : وقد كان من أبرز القوانين التي استصدرها المجلس التشريعي ، وأقرها ، ونفذها ، قانون " الخدمة العسكرية والوطنية في قطاع غزة " . وكان ذلك استجابة لمطلب منظمة التحرير الفلسطينية الذي أقره مؤتمر القمة العربي الثاني (الإسكندرية ٥/٩/١٩٦٤) .

وقد جاء في المذكرة الإيضاحية لهذا القانون ما يلي :

" لما كان الشعب العربي الفلسطيني قد أثبت خلال مجاربه وتضحياته في مواجهة الأحداث أنه مصمم على انتزاع حقه الشرعي في عودته إلى وطنه المقدس نفذ عمل طوال الأعوام الماضية على تعبئة جهوده ، وحشد طاقاته لإبراز كيانه ، وقد أذكى من عزيمته وقوّى من إيمانه في العودة القريبة إلى وطنه اشتعال القومية العربية بما حققته من انتصارات .

" ولما قامت منظمة التحرير الفلسطينية على قرار المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس الشريف في ٢٨ أيار ١٩٦٤ ، وتحقيقاً لمطالب الجماهير العربية الفلسطينية في قيام جيش التحرير الفلسطيني من أجل استعادة وطنها المغتصب فلسطين ، وقد بارك إنشاء جيش التحرير هذا مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في الإسكندرية في ٥ أيلول سنة ١٩٦٤ ، كما وافق على دعم جهود الشعب العربي الفلسطيني المتواصل في تحقيق إبراز كيانه لبسط سيادته على وطنه .

" وكان لا بد أن يكون لهذا الشعب قواته المسلحة التي تحقق أمانيه الغالية وتذود عن حياضه ، وتعيد إليه وطنه تأكيداً للعدل ودعماً للحق .

" ولما كانت الخدمة العسكرية والوطنية شرفاً لكل عربي فلسطيني ، وواجباً مقدساً عليه ، والوسيلة المشرفة لتحقيق أسمى أهداف الأمة العربية جمعاء لتحرير فلسطين .

" وأصبح من الواجب إنشاء قوات عربية فلسطينية مسلحة لتكون طليعة الجهاد المقدس لتحقيق أهداف هذا الشعب العربي الفلسطيني .

" لذلك أعد القانون وبني على أسس رئيسية أهمها :

" المساواة بين جميع المواطنين في أداء ضريبة الدم للوطن سواء بتأدية الخدمة العسكرية الفعلية على الوجه المنصوص عنه في مواد هذا القانون ، أو بتأديتهم الخدمة في كتائب الأعمال الوطنية المنصوص عنها في هذا القانون كذلك " .

وقد يوشر فعلاً في تطبيق القانون فور صدوره ، واستجاب الشعب العربي الفلسطيني في قطاع غزة لهذه الدعوة استجابة منقطعة النظير ، إيماناً منه بأن الكفاح المسلح هو الطريق الأساس لاسترداد حقه المغتصب ، واسترداد وطنه المسلوب .

ل ـ التدريب الشعبي : أصدر الحاكم العام لقطاع غزة قراراً بقانون بشأن التدريب الشعبي تدعيماً للقوات المسلحة الفلسطينية ، وتعبئة للشعب من أجل استرداد وطنه .

وقد فرض هذا القانون على جميع الأفراد الذين بلغوا سن الثامنة عشرة حتى سن الأربعين ، ولم يجندوا بالقوات الفلسطينية لأي سبب من الأسباب طبقاً لقانون الخدمة العسكرية والوطنية ، أن يسجلوا أسماءهم في مراكز التسجيل للتدريب الشعبي ، كما نص على أنه لا يجوز الترخيص لأي فرد ممن تنطق عليه أحكام المادة الخاصة بالتدريب الشعبي بالحصول على تأشيرة خروج من القطاع ، أو

الالتحاق بأية وظيفة عامة، أو الالتحاق بعمل عن طريق مكتب العمل إلاّ إذا كان حاصلاً على شهادة التدريب الشعبي في قيادة الحرس الوطني .

ج ـ ضريبة التحرير : وكان القانون الآخر الهام الذي استصدره المجلس التشريعي هو قانون ضريبة التحرير الذي جاء في مذكرته الإيضاحية :

" لما أن قامت منظمة التحرير الفلسطينية ، وقرر المجلس التشريعي قانون الخدمة العسكرية لإنشاء جيش التحرير الفلسطيني لاستئناف الكفاح المسلح لأجل استعادة الوطن السليب .

ولما كان هذا العمل يحتاج بجانب ضريبة الدم ، أموالاً لتجهيز الجيش وتسليحه بصورة تليق بما ينتظرنا من كفاح ، لذلك فقد رئي إصدار القانون المرفق بفرض ضريبة تسمى ضريبة التحرير على الوجه المبين في القانون المذكور " .

وتما استجاب الشعب العربي الفلسطيني في قطاع غزة لنداء الخدمة العسكرية ودفع ضريبة الدم ،بادر بكل فئاته للاستجابة إلى دفع ضريبة التحرير .

د ـ الإدارة المصرية ومنظمة التحرير الفلسطينية : وضعت الإدارة المصرية لقطاع غزة ، بناء على توجيهات الرئيس جمال عبد الناصر ، جميع الإمكانيات في خدمة منظمة التحرير الفلسطينية . فقد أصبح القطاع في فترة وجيزة قاعدة شعبية عريضة لمنظمة التحرير الفلسطينية بوجود جيش التحرير الفلسطيني وضريبة التحرير والحرس الوطني الفلسطيني والتنظيم الشعبي .

وقد ظل ذلك قائماً حتى عدوان ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) ، حين واجه الشعب في القطاع العدوان بضراوة . وقاتل جيش التحرير الفلسطيني قوات الاحتلال الصهيونية ببسالة ، وتمكن بإمكانياته غير المتكافئ أن يعوق العدو وأن يوقع في صفوفه خسائر كبيرة قبل أن يسقط القطاع فريسة للاحتلال الإسرائيلي .

الأدب :

الأدب الفلسطيني من أشدّ الآداب التصاقا بشخصية شعبه ، وأصدقها في التعبير عن هموم الشعب الفلسطيني تعبيراً حيّا ، وعن العطاء الذي قدّمه الفلسطينيون لوطنهم وقدرتهم على الصمود والمقاومة والبذل والتضحية . وقد أصبحت أركان هذا الأدب ، من شعر ورواية وقصة * قصيرة ومقالة ونقد وبحث ودراسة ، في مستوى لا يقل عمّا بلغته الآداب العربية المتقدمة .

وثمة أنواع تدخل في نطاق هذا الأدب وفروعه كالخطابة * ، والمسرحية * ، والأدب الشعبي ، والنشاط اللغوي ، والترجمة * ، والرسائل ، والمذكرات ، والأدب الصحفي ، والتأليف في التاريخ والجغرافيا والفلسفة ، والقضايا العلمية ، والسياسية ، والسيرة ، وأدب الرحلات ، وأدب الأطفال ، والأدب الإذاعي ، وتحقيق التراث ، وغيرها . ولم يفت هذا الأدب فرصة التعبير عمّا في نفس بعض أصحابه بلغات أجنبية . ولهذا كان الأدب الفلسطيني أدباً واسع الأفق متنوع التيارات . وسيقتصر البحث هنا على النقد الأدبي ، والأدب الإذاعي ، وأدب الأطفال ، وأدب الرحلات .

أ ـ النقد الأدبي : من يتتبع حركة النقد الأدبي الفلسطيني الحديث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يكاد لا يظفر بشيء ذي بال ، فقد كانت هذه المرحلة مرحلة تقاريظ ساذجة ، ومن أمثلة ذلك ما عمد إليه عباس الخماش من نابلس من تقريظ لعلة « الجناد » للمعلم بطرس البستاني ، وما فعله أبو السعود أحد علماء القدس الشريف بكتاب « سر الليال » لأحمد فارس الشدياق ، وما فعله ياسين النابلسي بصحيفة الشدياق « الجوائب » ، وما فعله يوسف أسعد نجل مفتي السادات بالقدس الشريف « بالجوائب » أيضاً ، وما فعله كذلك يوسف النبهاني * « بالجوائب » وه سر الليال » .

وينقضي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ويجيء القرن العشرون ، فيحدث ما يشبه القفزة في حركة النقد الأدبي في فلسطين ، وذلك بظهور كتاب روحي الخالدي * المقدسي « تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هوجوه . فقد كان هذا الكتاب سبقا في عالم النقد الأدبي العربي الحديث ، وكان تأثره بالغرب أعمق من تأثر المهجريين الذين كانوا في وقته (بدأت طباعة هذا الكتاب وظهوره للجمهور ما بين سنة ١٩٠٢ و١٩٠٤) . وفي حين كان النقد الأدبي العربي الحديث في مطالع القرن العشرين الأول يكتفي بالمطالبة بالتجديد دون أن يبين عن أفكار أدبية متبلورة ، جاء كتاب الخالدي يحمل بعض هذه الأفكار .

أما حركة النقد الأدبي الفلسطيني في الرقعة الزمنية التي امتدت قرابة أربعة عقود انتهت بنكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ فتكاد تكون أشدّ

المراجع :

ـ جامعة الدول العربية : الوثائق الرسمية في قضية فلسطين ، المجموعة الثانية ، ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠ .

ـ محمد علي خلوصي : التنمية الاقتصادية في قطاع غزة (فلسطين) ١٩٤٨ ـ ١٩٦٦ .

ـ الوقائع الفلسطينية : (الجريدة الرسمية لقطاع غزة) العدد الأول ١٩٤٩/١٢/٢١ حتى العدد الأخير .

ـ نداء العودة : مجلة الاتحاد القومي العربي الفلسطيني .

ـ الوثائق الفلسطينية ، بيروت .

ـ حسين أبو النمل : قطاع غزة ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ ، تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية ، بيروت ١٩٧٩ .

تثرات الحياة الفلسطينية النقدية حرارة وامتلاء بالعافية التي لا تقل في مستواها عمّا في الحياة النقدية والأدبية والفكرية في بعض البلاد العربية المتقدمة ، مع الفارق في الحجم والكم وحسب . إن هذه العقود الأربعة تكاد تكون الرقعة الزمنية المهمة التي تركت أبرز السمات في شخصية فلسطين الثقافية والسياسية والاجتماعية .

وقد ارتفد النقد الأدبي الفلسطيني بعد كتاب الخالدي آفاقاً واسعة تضاهي آفاق النقد الأدبي في البلاد العربية الأخرى المتقدمة . فقد برز نشاط الأستاذ خليل بيدس * في مجلته « النفائس العصرية » منذ سنة ١٩٠٨ . وقد ظهرت بوادر النقد الأدبي الفلسطيني في هذه المرحلة في الصحف أكثر من ظهورها في كتب نقدية .

وقد كان للمآسي التي عاناها المجتمع العربي الفلسطيني من جرّاء تألّب الاستعمار العالمي والصهيوني على فلسطين أثناء هذه المرحلة أن تحيّب النقد الأدبي الإعلاء من ظاهرة المدرسة الرمزية التي تستعمل الإيماز والتلميح في التعبير عن الحالات النفسية بدلاً من الأسلوب التقريري المباشر ، وتُغلّ الخيال محل الواقع والحقيقة ، وناهض هذا النقد الفكرة الجمالية « الفن للفن » . وربما كان لهذا كله أثر في توجيه حركة النقد الأدبي الفلسطيني في هذه المرحلة الزمنية نحو تيارين بارزين ، هما تيار المدرسة الرومانسية الذي غلبت فيه الاتجاهات الإيجابية ، وقلّت السلبية ، وتيار المدرسة الواقعية الجديدة .

وقد ظهرت وجوه غير قليلة في مضمار النقد الأدبي في هذه الفترة ، فكتب في النقد الذي يمكن أن ينضوي تحت لواء المدرسة الرومانسية كركبة ، منهم : خليل بيدس ، وتوفيق ريق ، ومحمد اسعاف النشاشيبي * ، وخليل السكاكيني * ، وأحمد شاكر الكرمي * ، وإسحاق موسى الحسيني ، وعادل جبر * ، وداود حمدان ، ويوسف سلوم ، وعلي كمال ، وعبد الكريم الكرمي * ، ومحمد العدناني * ، وراشد جار الله ، وإبراهيم عبد الستار ، وجبرا إبراهيم جبرا ، وخيري حماد * وغيرهم .

وكتب في النقد الذي يمكن أن ينضوي تحت لواء المدرسة الواقعية الجديدة ، أو ما يقرب منها قرباً إيجابياً ، مغلباً عوامل الجماعة على العوامل الفردية كوكبة ، منهم : عبد الله مخلص ، ونجاتي صدقي ، وعارف العزوني ، ورجا الحوراني ، وعبد الله بندك ، ومخلص عمرو * ، ومحمود سيف الدين الإيراني * ، ويوسف خوري .

وقد تناولت المدرسة الرومانسية قضايا أدبية هامة أبرزها : أهمية الروايات (أي القصص الروائي) في بناء الحضارة ، والثقافة . وحين بيّن خليل بيدس العلاقة بين الكاتب ومجتمعه يقول : " الروائي يكتب للعامة ، وهم السواد الأعظم من كل أمة ، يكتب للنفوس الحائرة ، والقلوب المثلمة ، يكتب للنفوس الجائعة والقلوب الظمأى " . وخليل بيدس آراء فطنة في الرواية وعلاقاتها بالناس ، وبالشرق والغرب ، وآراء في الروائي العبقري .

أما محمد إسعاف النشاشيبي فقد تناول قضية اللغة وصلتها بأهلها وبعصرائهم وحضارتهم ، وقضية النفط و المعنى ، وقضية التجديد والتقليد وغيرها .

وكان خليل السكاكيني من الشخصيات النقدية التي أثارت قضايا نقدية بحد وإخلاص وأصالة ، فهو الذي أثار قضايا تحديد طبيعة الأديب ، والكاتب ، والشاعر . وهو الذي أثار قضية الشعر وأنواعه ، والكلام وأنواعه ، والأسلوب ، والصلة بين المذهب في الكتابة والفئة الاجتماعية ، والتطور في الأساليب ، وكذلك قضية القديم والجديد .

وأسهم أحمد شاكر الكرمي في الحركة النقدية ، فقد كتاب « الشاعر » أو « سيرانو دي برجراك » لمؤلفه الشاعر الفرنسي إدمون روستان ، وهو تمثيلية شعرية في الأصل نقلها المنفلوطي إلى قصة عربية . وقد أثار أحمد شاكر الكرمي فيما أثار من قضايا نقدية قضية « الشخصية في الأدب » ، ورأى أن النقد الموضوعي أوسع مجالاً من النقد الذاتي ، وقسم النقد إلى نقد بياني يقتصر على الألفاظ ، ونقد تحليلي يتناول الآراء والأفكار . ومن آراء الكرمي النقدية قوله : " لا جدال في أن اللغة هي مادة الأدب ، ولكن امتلاك تلك المادة وحدها من غير إلمام بفنون التصرف فيها لا يصيّر المرء كاتباً ولا شاعراً ، كما أن امتلاك الذهب مثلاً ، وهو المادة التي تصنع منها الحلي ، لا يصيّر مالكه صائغاً " . ويرى الكرمي ثلاثة واجبات ينبغي للناقد النقد بها : العدالة نحو القارىء ، والعدالة نحو المؤلف ، والعدالة نحو الناشر ، وهو يرى أن الكتّاب فريقان : فريق المتحررين ، وفريق المقيدين .

أما عادل جبر فقد كتب في « الأدب والأطفال » . وأسهم جبرا إبراهيم جبرا في هذه الفترة بجهد مبكر في النقد ، فكان من ذلك كلامه حول الفن والفنان بشيء من الرومانسية والميتافيزيقية .

هذا جانب من نشاط النقاد الرومانسيين الفلسطينيين في هذه المرحلة . أما الواقعية الجديدة فقد عالجها أعلام كان لهم دور كبير في الثقافة الفلسطينية ، منهم عبد الله مخلص الذي تلفت طبيعة المجتمعات ، وحلل بصورة خاصة تركيبها الاقتصادي ، وسخر من الأدباء المغرضين ومن نظريتين مضحكتين : أما الأولى فهي « الفن للفن » وأما النظرية الثانية فهي أن الفن مرهبة فطرية لا تكتسب بالمران والاجتهاد ولا يمكن للمرء أن يتعلمها أو يتلقاها .

ومن كتّاب الواقعية الجديدة نجاتي صدقي الذي سلط الأضواء على فلسفة ابن خلدون وقربها الشديد من فلسفة هيغل في الجانب

الجدلي منها ، ومن فلسفة كارل ماركس من ناحية المادية وصراع الطبقات فيها . وقد سلط نجاتي صدقي كذلك الأضواء على منهج بيتهوفن ومنهج داروين ، ومنهج ديكارت والمادية الميكانيكية ، وحاول تفسير هذه المناهج بطريقة النشاط الفكري والثقافي ، والفن المتصل بالتركيب الاجتماعي المتأثر بالعلاقات الإنتاجية والاقتصادية .

أما حركة النقد الأدبي في فلسطين المحتلة بعد نكبة سنة ١٩٤٨ فقد التصقت التصاقا حميا بالشعر والأدب في فلسطين المحتلة . وتظهر سمات المدرسة الواقعية الجديدة في النقد الأدبي الفلسطيني داخل الأرض المحتلة بعد نكبة سنة ١٩٤٨ ، وخاصة عند الشعراء النقاد الثلاثة البارزين : محمود درويش ، وسميح القاسم ، وتوفيق زيّاد . وكان نقدا ذا مذاق خاص ، بالإضافة إلى نضجه وعمقه وسعة آفاقه ، له أيضاً مذاق النقد التطبيقي الذي يتحسس ما يقوله الواحد منهم في شعره هو نفسه ، ويتحسسه في شعر الآخرين وأدبهم .

ولكن هذا لا يعني أن هؤلاء الثلاثة هم الذين يقفون وحدهم في ساحة النقد الأدبي في هذه المرحلة ، أي مرحلة ما بعد نكبة ١٩٤٨ في الأرض المحتلة ، بل يقف معهم زملاء لهم ، منهم : سالم جبران الشاعر المعروف ، وطارق عوض الله ، وعلي عاشور ، ومحمد خاص ، وعفيف سالم .

ومن القضايا التي عالجها هؤلاء الشعراء دور شعر الأرض المحتلة في الشعر العربي المعاصر الثوري . وبين محمود درويش كيف يصبّ هذا الشعر في نهر الشعر العربي بتياره الخصب الملتحم بالأرض والإنسان ، وما يعترضهما من اضطهاد وعذاب وعدوان ، وكيف يندعم هذا التيار بذلك النهر ، وبحركة التقدم الإنساني في العالم . يقول محمود درويش عن شخصية الشعر الفلسطيني وأبعاده : " شعر المقاومة ، كما أفهمه ، تعبير عن رفض الواقع ، معاً بإحساس ووعي عميقين بلا معقولية استمرار هذا الواقع ، وبضرورة تغييره والإيمان بإمكانية التغير . قد يبدأ هذا الشعر غالباً بالتعبير عن الألم ، والظلم ، ثم الاحتجاج والغضب والرفض " .

أما سميح القاسم فقد عالج فيما كتب قضايا نقدية من بينها : المرفق والفن ، والشكل الحديث للشعر ، وضرورة مواجهة الجماهير ، وتأثير الأساطير الشعبية والحكايات في شعره وشعر زملائه والمدرسة الشعرية التي ينتمي إليها .

ومن القضايا النقدية التي تناولها توفيق زيّاد : قضية الأدب الشعبي ، واهتمامه بهذه القضية منذ في أعماق واقعيته الجديدة وإيديولوجيته العامة ، وقضية اللغة العربية السليمة ، وملامح الشعر الثوري في فلسطين المحتلة . وتوفيق زيّاد ثلاث دراسات لثلاثة دواوين شعرية : الأولى حول مجموعة شعرية مخطوطة لشاعر آثر توفيق زيّاد أن يذكر اسمه المستعار ، وهو عبد المنعم ، والثانية ديوان " عاشق من فلسطين " لمحمود درويش ، والثالثة ديوان " موعد مع المطر " لفوزي عبد الله .

وإذا انصبّ الحديث على حركة النقد الأدبي في داخل فلسطين فإن هذا لا يعني أن النقد لم تمتد حركته الفلسطينية خارج فلسطين ، فقد ظهر نقّاد فلسطينيون في البلاد العربية ، وغير العربية ، ومن هؤلاء : إحسان عباس ، وجبرا إبراهيم جبرا ، وتوفيق صايغ * ، ومحمد يوسف نجم ، ومحمود السمرة ، وعبد الرحمن ياغي ، وهاشم ياغي ، وإسحاق موسى الحسيني وغيرهم .

ب ـ الأدب الإذاعي : كان عاملاً من عوامل النهضة الأدبية في فلسطين ، وقد جاء متأخراً عن العوامل الأخرى ، ولكن الذين أشرفوا عليه كانوا يدركون أهميته منذ وجدت الإذاعة ، وقد أدركت حكومة الانتداب البريطانية في فلسطين من قبل أهمية هذا العامل ، فمنذ مرحلة مبكرة لتأسيس محطة إذاعة . ومن الغريب أنّ اختيارها وقع على الشاعر إبراهيم طوقان * لإدارة البرامج العربية . ولكن الصدام وقع بين هذا الشاعر الوطني ، والسلطات ، وتضاربت الغايتان ، وثارت الصهيونية على وجوده هناك ، وشددت السلطات الرقابة على كل ما يذيعه . وانتهى الأمر بإقصائه عن الإذاعة . وقد استطاع إبراهيم طوقان من خلال سنوات إشرافه الأربع أن يُغني الأدب بالأحاديث والمحاضرات ، أبرزها سلسلة موضوعها " شخصيات فلسطينية بارزة " كان لها دورها في التراث العربي .

كذلك كان لعالم فلسطين قدري طوقان * أثر كبير في هذا الميدان الإذاعي بما قدم من أحاديث عن الجوانب العلمية وأبرز العلماء .

وعمدت الإذاعة الفلسطينية لدعوة الكتاب والباحثين والمحاضرين من فلسطين ومن البلاد العربية المجاورة ليلقوا أحاديثهم وليعرضوا نتاج أدبهم من خلالها . ومن هؤلاء الشاعر اللبناني الأخطل الصغير بشارة الخوري الذي حيّا فلسطين بقصيدة أذاعها مساء الخميس ١٩٤٢/٤/٢ ، وعبد اللطيف الطيباوي الذي كان يحاضر الناس عن الجيش في التاريخ الإسلامي ، ثم عن الشريعة والتعليم في العصور الإسلامية . وتحدث عبد السلام البرغوثي عن ديار العرب والإسلام ، وأذاع عدداً من التعليقات السياسية حول الأحداث الدولية ، وعدداً من التعليقات الاقتصادية كذلك . ومن الأدباء العرب الذي تحدثوا من خلال هذه الإذاعة عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني والشيخ عبد العزيز البشري ومحمد كرد علي وخليل تقي الدين ويوسف يزبك . كذلك ألقت فيها